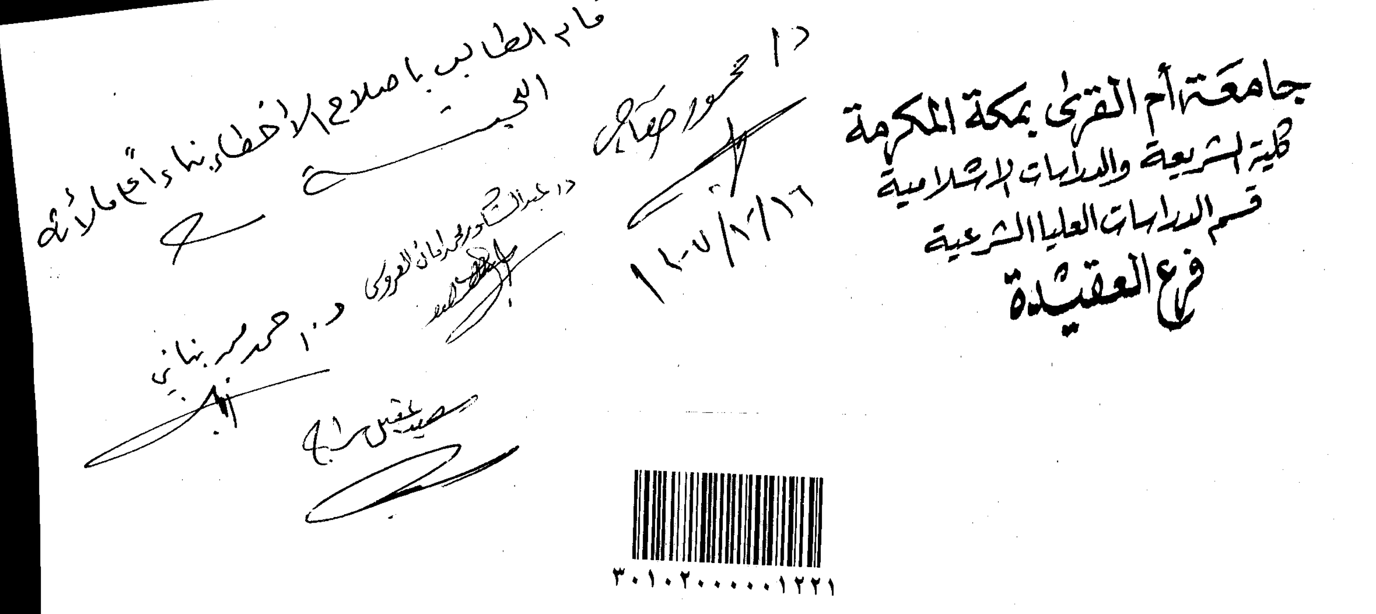


جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

رسائل الرسل في العهد الجديد وأثرها في انحراف المسيحية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

اعداد الطالب

سعيد عقيل سراج

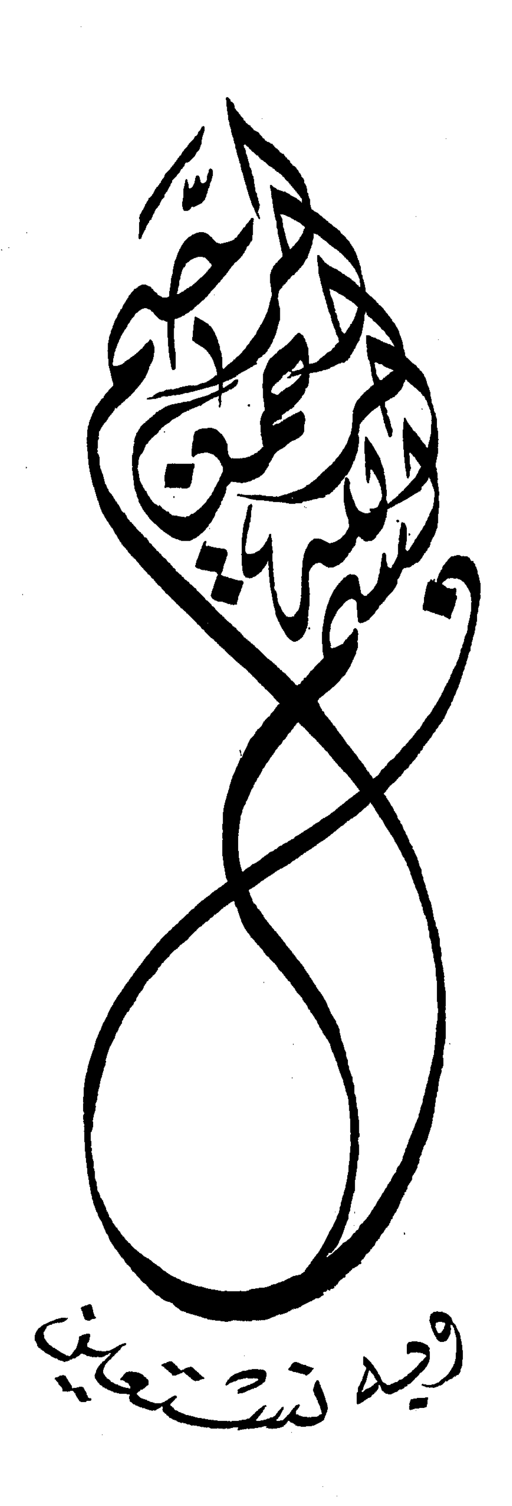
إشراف الدكتور

محمود أحمد خفاجي



الجزء الأول

١٤٠٦ - ١٤٠٧هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قال الله تعالى

" مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿ (آل عمران ٧٩)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَٰبَنِي إِسْرَٰءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَٰهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿

(المائدة ٧٢ - ٧٣)

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَٰرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (التوبة ٣٠ - ٣١)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿ (الأنعام ٩٣)

* كلمة شكر وتقدير *

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره، على ما من به من العون والتوفيق، حتى استطعت أن أتم هذه الرسالة، وأسأله سبحانه وتعالى، مزيدا من توفيقه وعنايته ودوامهما في حياتي العلمية والعملية.

وإني أرى لزاما علي أن أتقدم بشكري وتقديري إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمود أحمد خفاجي الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، وأعطاني من علمه ونصحه ووقته الشيء الكثير، فقد كان أبا رحيما لي، ولم يأل جهدا ولم يدخر وسعا في تقديم مساعداته لي، مادية ومعنوية، والله يشهد كم أنا مدين له، وهو صاحب اليد الطولى في إنجازي لهذه الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا أنسى أن أشكر لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الله عبيد، فقد كان اختيار الموضوع ووضع خطته تحت توجيهه وإرشاده، وقد قام فضيلته بالإشراف علي في السنة الأولى من هذه الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بشكري وتقديري إلى أصحاب الفضيلة أساتذتي الأفاضل الذين تلقيت العلم على أيديهم، ثم إلى كافة المسئولين في جامعة أم القرى وعلى رأسهم صاحب المعالي مدير الجامعة الدكتور راشد راجح، وصاحب السعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية السابق الدكتور علي عباس الحكمي، وصاحب السعادة العميد الحالي الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، وصاحب الفضيلة رئيس قسم الدراسات العليا الشرعية الشيخ السيد سابق. لما أتاحوا لي من فرصة الدراسة في قسم الدراسات العليا الشرعية فرع العقيدة، وعلى ما قدموا لي من عون في سبيل القيام بواجبي الدراسي، حتى تمكنت بفضل الله ثم بمساعداتهم من التغلب على الصعوبات الكثيرة التي واجهتني في إنجاز هذه الرسالة، وقد سهلوا لي الرحلة إلى القاهرة للحصول على مراجعها الرئيسية، والاطلاع على مصادرها الأصلية. ولولا ذلك لما أمكن لي إنجازها في الوقت الحاضر.

ثم أشكر جميع الزملاء الذين ساهموا في إخراج رسالتي هذه إلى حيز الوجود، إلى جميع هؤلاء أتقدم بخالص شكري وتقديري، وأرجو من الله الكريم أن يتولى جزاءهم عني جزاء وافيا إنه سميع مجيب.

* المقدمة *

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، بعثه الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ونزل عليه الكتاب من ربه بالحق، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى والرشاد ٠

وبعد،

فإن من الحقائق الثابتة أن الدين الحق الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى واحد، ألا وهو دين التوحيد، أي إفراد الله بالعبادة ٠ وأن الله لم يرسل رسولا من الرسل، إلا بدعوة التوحيد التي لا شبهة فيها، وإلى الوحدانية لله لا شريك له، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص ٠

وقد تتابع الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من لدن آدم إلى نبينا محمد لغرض واحد، اتفقوا فيما جاؤا به، واتحدت الأصول التي تقوم عليها دعوتهم، وقد صدّق بعضهم بعضا ٠

قال تعالى :

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) (١) ٠

وقال تعالى أيضا : ((شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ٠٠٠٠)) (٢)

وقال تعالى أيضا : ((وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ)) (٣) ٠

وسيدنا عيسى ابن مريم المسيح عليه السلام واحد من هؤلاء الرسل، وهو عبد الله، أرسله الله إلى بني إسرائيل ليدعوهم إلى الاستقامة على الدين القويم، وليؤكد لهم الاستمرار والالتزام بشريعة موسى عليه السلام ٠ فلم يأت المسيح بدين جديد، ولا بدعوة مبتدعة، ولم يخرج عن دعوة إخوته، إذ كانت رسالته ما هي إلا إحدى مراحل الرسالات الإلهية إلى الناس ٠

---

(١) الأنبياء ٢٥   (٢) الشورى ١٣   (٣) الزخرف ٤٥ ٠

قال الله تعالى : ((وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)) (١) .

وقال تعالى أيضا : ((.... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ . وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)) (٢) .

وقال تعالى أيضا : ((مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ....)) (٣) .

وكما جاء في إنجيل متى أن المسيح يقول : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل " (٤) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إن دين الأنبياء والمرسلين واحد ، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاج ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه (أنا أولى الناس بابن مريم ، الأنبياء أولاد علات ـ أي الإخوة لأب من أمهات شتى ـ وليس بيني وبينه نبي) . فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا " (٥) .

وإذا نظرنا إلى العهد القديم ، الذي يؤمن به المسيحيون ، والذي جاء المسيح ليكمله ، وجدنا فيه نصوصا كثيرة جدا تصرح بتوحيد الله المطلق ، فعلى سبيل المثال مما جاء فيه ((اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك)) (٦) .

وأيضا ((فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ...)) (٧)

والعهد الجديد نفسه مشحون بنصوص تصرح بالتوحيد الخالص ، وذم الشرك والنفاق .

فعلى سبيل المثال مما جاء فيه : فجاء واحد من الكتبة ... سأله أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك .

---

(١) المائدة ٤٦ (٢) المائدة ٧٢ (٣) المائدة ١١٧ .

(٤) إنجيل متى ٥ : ١٧

(٥) انظر : جـ ١ ص ١٤٨ من هذه الرسالة .

(٦) تثنية ٦ : ٤ ـ ٥ (٧) تثنية ٧ : ٩ .

هذه هى الوصية الأولى "(١) . كما جاء فى إنجيل يوحنا أن المسيح يقول :

" وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته "(٢) وقوله لمريم المجدلية .. اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم "(٣) .

فهنا نجد العهد الجديد يروى لنا أن المسيح قد بين لأتباعه أن الحياة الأبدية هى عبارة عن معرفة الناس بأن الله واحد حقيقى ، وأن عيسى رسوله ، وإذا ثبت أن الحياة الأبدية هى اعتقاد التوحيد الحقيقى لله ، واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدها يكون موتا أبديا وضلالا بينا . والتوحيد الحقيقى ضد التثليث بأى حال من الأحوال ، وكون المسيح رسولا ضد كونه إلها على الإطلاق ، لضرورة التغاير بين المرسل والمرسل ! كما بين المسيح — حسب ما نص عليه العهد الجديد — أنه ذات والله تعالى ذات أخرى ، فهما اثنان وليسا واحدا ، ومحال أن يكون الاثنان واحدا !! .

ولم يسم المسيح نفسه " ابن الله " وإنما كان يسمى نفسه " ابن الإنسان " إلا أنه سمح تسميته بذلك فلم ينكرها — حسب رواية الأناجيل — ولا خصوصية فى ذلك ، ففى كتابهم المقدس كل تقى بر يسمى ابن الله . جاء فى إنجيل متى أن المسيح يقول : طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يُدْعَون "(٤) كما يقول أيضا : " أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم .... لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل "(٥).

وكذلك إطلاق كلمة " الأب " على الله جاء فى مواضع كثيرة ، للمسيح ولغيره . حيث ذكر إنجيل متى أن المسيح يقول : ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات "(٦) . كما يقول أيضا : " .... إنى أصعد إلى أبى وأبيكم ... "(٧) .

فتبين لنا إذن أن الدين الذى جاء به المسيح عليه السلام هو دين التوحيد ، وعدم الخلط بينه وبين الله ، وأن دعوته هى دعوة الوحدانية لله فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

وكان الحواريون الصالحون يؤمنون بما جاء به نبيهم ، ويلتزمون بشريعته ، ويتمسكون

---

(١) إنجيل مرقس ١٢ : ٢٩ — ٣٠ (٢) إنجيل يوحنا ١٧ : ٣ (٣) إنجيل يوحنا ٢٠ : ١٧
(٤) إنجيل متى ٥ : ٩ (٥) إنجيل متى ٥ : ٤٤—٤٨ (٦) إنجيل متى ٢٣ : ٩
(٧) إنجيل يوحنا ٢٠ : ١٧ .

بدعوته، إلا أن الواقع الذى نشاهده اليوم أن المنتسبين إلى الديانة المسيحية قد خرجوا عن دين المسيح ودعوته وانحرفوا عما جاء به. فهم يؤمنون بما لم يقله المسيح ولا حواريوه، ويعتقدون بما لا علاقة له بالمسيح إطلاقا، من تجسد الكلمة فى المسيح، وألوهيته وبنوته لله حقيقة، وتثليث وحدوى أو توحيد ثالوثى، وصلبه لأجل الفداء عن خطيئة البشر الموروثة من أبيهم آدم.

لاشك أن هذه الأمور شرك وكفر، وخروج وانحراف عن دين المسيح عليه السلام الحق، ومستحيل أن يكون المسيح قد نادى بشيء منها، وهذا مايعترف به المسيحيون المنصفون، من أمثال " نقلاوس" و " شارل جنيبير" و " أدولف هرناك " و" برنتن" و " هـ،ج، ولز" (١) و " غوستاف لوبون" و " ول ديورانت "(٢) وغيرهم كما سنعرف فيما بعد.

أما سبب هذا الانحراف البعيد فهو ضياع إنجيل المسيح الحق، الذى أشار إليه القرآن الكريم، ومن الثابت أن اختفاء إنجيل المسيح الحق كان عملا مقصودا، تمهيد التحريف تعاليمه الصحيحة، وخاصة بعد انعقاد مجمع" نيقية" (سنة ٣٢٥ م). إذ قرروا فيه - بتدخل من الإمبراطور قسطنطين - ألوهية المسيح، وأنه من جوهر الله، قديم بقدمه. وفرضوا هذا القرار فرضا على الناس، وحرموا كل ماسواه، واضطهدوا كل من يقول بالتوحيد، وعزلوهم عن مكان الرياسة، وعاقبوهم بالنفى والتشريد. كما أمروا بتحريق الكتب التى تخالف ذلك القرار، وتتبعها فى كل مكان، وحرموا على الناس قراءتها، فصادروا وأفنوا كل ما كتب متجها غير هذا الاتجاه، ثم أقروا على اعتماد مايسمونه " بالعهد الجديد " كأسفار مقدسة، ليجعلوه - بالإضافة إلى العهد القديم - كتابهم المقدس، الموحى به من عند الله، والمعترف بقانونيته، والذى يجب على الناس الإيمان به.(٣)

والعهد الجديد - Nouveau Testament - عبارة عن سبعة وعشرين سفرا، تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: الأسفار التاريخية، وعددها خمسة: وهي ١ - إنجيل متى ٢ - إنجيل مرقس ٣- إنجيل لوقا ٤ - إنجيل يوحنا ٥ - أعمال الرسل للوقا.

وتسمى هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية، لأن الأربعة منها - وهى الأناجيل - تعنى بشرح حياة المسيح، وحكاية أحواله منذ الولادة إلى القيامة،

---

(١) انظر: جـ ١ ص ١٥٩ - ١٦٠ من هذه الرسالة. (٢) انظر: جـ ١، ص ١٨٧ من هذه الرسالة
(٣) انظر: جـ ١ ص ١٦١ - ١٦٨ من هذه الرسالة.

ورواية أقواله ومواعظه. كما أن أعمال الرسل يعنى بشرح حياة الرسل (الحواريين) والتلاميذ وأحوالهم وجهودهم فى التبشير.

والقسم الثانى - الأسفار التعليمية، وعددها إحدى وعشرون رسالة، أربع عشرة منها لبولس، ورسالة واحدة ليعقوب، ورسالتان لبطرس، وثلاث رسائل ليوحنا، وواحدة ليهوذا.

وتسمى هذه الأسفار الإحدى والعشرون بالرسائل التعليمية، لأنها تشرح فى صورة مفصلة لعقائد الديانة المسيحية، وشرائعها وشعائرها وأخلاقها. وأكبر ما فيها النص على ألوهية المسيح، وبنوته لله، وتجسد الكلمة، وصلبه فداء عن الخطيئة البشرية، ومبدأ التثليث وبقية التعاليم المسيحية الأخرى.

والقسم الثالث - السفر النبوى، وهو سفر رؤيا رآها يوحنا عن سلطان المسيح فى السماء، وعلمه بأحوال الكنيسة فى الأرض.

وبالطبع فإن القسم الثانى - وهو الأسفار التعليمية (رسائل الرسل) هو الجزء الأساسى فى العهد الجديد، وهو الأساس التعليمى بالنسبة للمسيحية، والمصدر الذى تستقى منه عقائدها وتشريحاتها وشعائرها وطقوسها، حتى تستغرق ثلثى العهد الجديد تقريبا، فيأتمر المسيحيون بها أكثر مما يأتمرون بغيرها.

ولهذه الأسفار أيضا قيمة عظيمة من الناحية التاريخية عندهم، إذ أنها أولى أسفار العهد الجديد كلها كتابة وتدوينا. لأن معظمها كتبت قبل الأناجيل، وإن أسبقها هو رسالة يعقوب، إذ كتبت سنة ٤٥م في مدينة أورشليم.(١)

لذا نستطيع أن نقول بدون تردد، إن المسيحية تأسست على هذه الرسائل، ولبولس النصيب الأكبر من مجموعها، حيث تنسب إليه وحده أربع عشرة رسالة، أى أن ثلثى الأسفار التعليمية هي رسائل بولس. فيعتمد المسيحيون على رسائل بولس أكثر من اعتمادهم على ما سواها من أسفار العهد الجديد كلها، بل من الكتاب المقدس كله.

من هنا ينسب هذا الدين إلى بولس أكثر مما ينسب إلى غيره حتى المسيح نفسه، لدرجة أن كلمة الرسول إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده، فهو رسول المسيحية العظيم - Le Grand Apotre.

---

(١) انظر: ج١، ٢٥٩ من هذه الرسالة.

فرسائل بولس إذن هي مصدر المسيحية الأول ، وقد اتفق الباحثون على أن المسيحية الحاضرة هي مسيحية بولس، لا مسيحية المسيح ، وهو المؤسس الحقيقى لهذا الدين على حساب المسيح عليه السلام .

فمن هذا الرجل الخطير ؟

بولس كان اسمه شاؤل ، يهودى من أبوين يهوديين ، من سبط بنيامين ، ينتمى إلى فرقة الفريسيين ، ولد ونشأ فى مدينة " طرسوس " وهى مدينة انتشرت فيها المدارس اليونانية ، لم يكن بولس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ أحد حوارييه ، كان عبقريا فى التفكير الدينى ، وألمعيا شديد الذكاء ، بارع الحيلة ، وتجمعت لديه ثقافات يونانية ، بالإضافة إلى ميزة أخرى ، وهى تمتعه بالجنسية الرومانية .

وكان شابا فخورا بنفسه متعاليا ومتعصبا إلى درجة الاضطهاد لكل ما هو غير يهودى ، فأخذ يهاجم المسيحية ويحارب المسيحيين ، دفاعا عن اليهودية ، كما يقول عن نفسه :

" أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ... وكنت غيورا لله ... واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيّدا ومسلِّما إلى السجون رجالا ونساء " (١) . وعند مارجم اليهود " إسطفانوس " (أول شهداء المسيحية) كان بولس راضيا بقتله ... وفجأة تغير الرجل من أعدى أعداء المسيحية إلى رسول عظيم داعية لها ، ولا يبالى فى سبيلها كل ما يناله ، وبنفس الحماسة والغيرة ، بل فاق فى ذلك أولئك الذين سبقوه فى الدعوة ، والذين تلقوا الدين على يد المسيح عليه السلام .

وكان هذا التحول المفاجئ سنة ٣٦ م أو ٣٧م أو ٣٨ م (٢) ، فى طريقه الذهاب إلى دمشق لأجل الاضطهاد ، عندما رأى النور من السماء ، وسمع الصوت يناديه ... شاؤل شاؤل لماذا تضطهدنى . فقال من أنت يا سيد ، فقال أنا يسوع الذى أنت تضطهده ..... فقال وهو مرتعد ومتحير ، يارب ماذا تريد أن أفعل ، فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل " (٣) .

بهذه السرعة المدهشة ترك بولس الديانة اليهودية التى ولد عليها وربى ونشأ فيها ، حتى صار من أعظم المتحمسين لها ، وفجأة ينقلب ويصبح أكبر منحاز للنصرانية ، وأعظم

---

(١) أعمال الرسل ٢٢ : ٣ - ٤

(٢) انظر : جـ ١ ، ص ٣٣ ٣ من هذه الرسالة .

(٣) أعمال الرسل ٩ : ٣ - ٦

من يحمل لواءها !

عجبا ثم عجبا ! أن ينتقل رجل من كفر بديانة إلى اعتقاد شديد بها طفرة، من غير سابق تمهيد، علما بأنه ليس مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، فإن لذلك نظائر وأشباها، بل العجب كل العجب أن ينتقل الرجل من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة في الدين الذى كفر به وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير ولا مشابه، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط !.

وكان بولس وحده من بين كتاب أسفار العهد الجديد الذى يدعى لنفسه الرسالة المطلقة، وتلقي الوحي من الله وابنه المسيح. فمن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة في الدعاية المسيحية.

وأكثر من ذلك عجبا أن العهد الجديد قد نص على شروط رسولية رسول، ولم تتوفر تلك الشروط لدى شخصية بولس. وهي أن يكون متصلا بالمسيح، ومعاشرا إياه، وتلقى تعاليمه منه، وأن يكون المسيح قد دعاه إلى تلك الخدمة. وبولس لم يكن من تلاميذ المسيح ولم يكن متصلا به ولا معاشرا إياه، بل كان عدوا لدودا للمسيح ولأتباعه، فكيف يصبح رسولا بل أفضل الرسل (١)؟.

لقد قام الكاردينال "دانيلو" بالدراسات الدقيقة، عن بدايات المسيحية، وصل بها إلى النتيجة، هي أن الحواريين وعلى رأسهم "يعقوب" اصطدموا مع بولس، وكانوا يعتبرونه كخائن، ويصفونه بالعدو، ويتهمونه بتواطئ تكتيكي (٢) !.

وفي الحقيقة أن هناك معركة حادة، طيلة القرون الثلاثة الأولى الميلادية بين اتجاهين — المسيحية اليهودية والمسيحية البولسية — ولم تنتصر المسيحية البولسية إلا بشكل شديد التدرج، وظهرت خلال تلك القرون فرق مسيحية كثيرة، تناهض تعاليم بولس وترفضها كلية، ولم تعترف به إطلاقا، منها : فرقة الأبيونيين، والشمشاطيين، والآريوسيين، وغيرها من الفرق المسيحية التى تمسك بالتوحيد، وتنكر ألوهية المسيح، والتى تسميها الكنيسة بالهراطقة (٣).

فبولس إذن شخص خطير، وهو مصدر الفتن والعداوة داخل المسيحيين أنفسهم، وسبب الاختلاف والافتراق فيما بينهم، كما يقول "أرنست دى يونس الألماني" : "إن بولس كان منافقا وليس مسيحيا على الإطلاق، فضلا عن أن يكون رسولا للمسيحية" (٤) !

---

(١) انظر: جـ١ ص ٣١٤ من هذه الرسالة. (٢) انظر: جـ١ ص ١٨٤—١٨٥ من هذه الرسالة

(٣) انظر: جـ١ ص ٣١٦ من هذه الرسالة. (٤) انظر: جـ١ ص ٣١٧ من هذه الرسالة.

وقد اتفق الباحثون ـ " ديسمان " و " شارل جنيبير " و " سيجموند فرويد "
و " ول ديورانت " في تعليقهم على قصة رؤية بولس النور في صحراء دمشق ، على أن
بولس ما هو إلا رجل مصاب بالصرع . !!!(١)

هذا ، ومما لاشك أن لهذه الرسائل التعليمية ـ وخاصة رسائل بولس ـ تأثيرا مباشرا
في انحراف الديانة المسيحية ، عقيدة وشريعة . رغم أن لكل رسالة من تلك الرسائل مشكلة كبيرة ،
بل مشكلات متعددة ، لم تحل إلى الآن تتعلق بصحة نسبتها لكاتبيها ، وتاريخ ومكان كتابتها .

وسوف نرى أن " أكليمنضس " ـ ثالث أسقف روما بعد القديس بطرس (٩٢ ـ ١٠١ م)
وكان عاملا مع بولس ـ كان يقول : إن بولس الذى فاق الجميع فى قوة التعبير وغزارة التفكير ،
لم يكتب إلا أقصر الرسائل ، أما باقى أتباع مخلصنا الاثنى عشر رسولا ، والسبعون تلميذا ، وآخرون
كثيرون لايحصى عددهم ، فلم يترك أحد منهم شيئا سوى متى ويوحنا ، وإنهما لم
يكتبا إلا تحت ضغط الحاجة ".(٢)

وكذلك " أوريجين " (١٨٥ ـ ٢٥٤ م) وهو من أشهر أساتذة المدرسة اللاهوتية
فى الإسكندرية ، أكد أن بولس لم يكتب شيئا إلى جميع الكنائس ، والذى كتبه إلى بعضها
سطران أو أربعة . كما أنه صرح بشكه فى صحة نسبة معظم الرسائل لكاتبيها .(٣)

لذا فإن " فاستس " كان على حق عند مايقول : إن هذا العهد الجديد ماصنفه
المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم ".(٤)

وهناك نظرية اشتهرت بنظرية " ميير Meyer " تقول : إنه قد جرت العادة قديما
أن تنشر كتب كثيرة تحت أسماء مستعارة لعظماء الرجال ، وأبطال الإيمان ، وقد كان ذلك تقليدا
معترفا به فى العالم القديم ، هذه النظرية قد أوضحها " إيستون " بالتفصيل فى كتابه " مفسر
الكتاب المقدس Interpreter's Bible ".(٥)

وإلى الآن وبعد أن اقترب الألف الثانى للميلاد ، لم يتمكن المسيحيون من الإجابة على السؤال
الأهم والأخطر ، ألا وهو " أى الأقوال التى نطق بها المسيح فى إنجيله ، والتى تحدث بها
التلاميذ فى رسائلهم ؟!

على كل حال ، سواء كانت نسبة هذه الرسائل إلى كاتبيها صحيحة أم لا ، فإن آثارها ـ وخاصة
الرسائل المنسوبة لبولس ـ فى تحريف المسيحية واضحة كل الوضوح ، وأكثر من تأثير أسفار

---

(١) انظر جـ ١ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ من هذه الرسالة . (٢) انظر : جـ١ ص ٢١٠ من هذه الرسالة .
(٣) انظر : جـ١ ص ٢١٠ ـ ٢١١ من هذه الرسالة (٤) انظر : جـ١ ص ٢١١ من هذه الرسالة .
(٥) انظر : جـ١ ص ٢٦٦ من هذه الرسالة .

العهد الجديد كلها ، فإنها هى الأسفار التعليمية •

من أجل ذلك فإنى أرى أن هذه الرسائل لجديرة بالبحث والدراسة ، بحثا شاملا ودراسة دقيقة ومستفيضة ، علما بأن العلماء المسلمين الذين كتبوا عن المسيحية لم يعطوا هذا الجانب اهتمامهم الكافى ، وإنما كانوا يهتمون كثيرا بدراسة الأناجيل فقط •

فمنذ أن قدر الله لى أن ألتحق بقسم الدراسات العليا الشرعية " فرع العقيدة " فى هذه الجامعة العريقة ، كنت عقدت العزم أن أدرس الديانة المسيحية • وعندما من الله عليّ بالتوفيق والنجاح فى السنة المنهجية ، رأيت الفرصة سانحة لتحقيق تلك الرغبة ، فاخترت أن يكون موضوع رسالتى لنيل درجة الماجستير هو :

* رسائل الرسل فى العهد الجديد وأثرها فى انحراف المسيحية *

كما أنى أرى أن هذا الموضوع من أخطر المواضيع الدينية ، ومن أعظمها شأنا ، فإن المبشرين قد كرسوا جهودهم الضخمة ، على نشر دينهم المنحرف فى شتى البلاد الإسلامية ، وخاصة بلادى " إندونيسيا " فبنوا كنائس ، وفتحوا مدارس ، وأسسوا مستشفيات وملاجئ أيتام ، وقدموا تسهيلات متنوعة • وألفوا كتبا عديدة ، وأصدروا جرائد ومجلات ، وغير ذلك من وسائل ادعائية مختلفة ، ليتخذوا منها ذريعة إلى تشويش عقيدة عامة المسلمين ، وزعزعة إيمانهم •

هذا ، وقد جعلت خطة الرسالة بعد هذه المقدمة على النحو التالى :

تشتمل الرسالة على ثلاثة أبواب وخاتمة •

الباب الأول : " المسيحية الأولى " ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : حياة المسيح عليه السلام •

ويشتمل على تمهيد ، ومايتعلق ببشارة مريم بحمله ، ومولده ، ونشأته ، وصفاته ، كما يشتمل على بيان بعثته ودعوته لبنى إسرائيل ، والمعجزات التى جرت على يديه ، وموقف بنى إسرائيل منه ، وأثر دعوته فيهم ، معتمدا على الآيات القرآنية الكريمة ، وماورد فى الأناجيل الأربعة ، مع المقارنة بينهما •

الفصل الثاني : البيئة التي عاش فيها المسيح عليه السلام ٠

تكلمت فيه عن كل جوانب الحياة في المجتمع اليهودي - دينيا وسياسيا واقتصاديا - وحاجة اليهود الماسة إلى المصلح المنقذ بسبب انحرافهم ، من شرك وظلم وجور ٠ كما تكلمت فيه عن الفرق اليهودية الموجودة في عصر المسيح عليه السلام ٠

الفصل الثالث : نهايته عليه السلام على الأرض كما صورها القرآن الكريم ٠

ذكرت فيه نفي القرآن الكريم قتل المسيح وصلبه نفيا قاطعا ، وإثبات نجاته من مكر اليهود وظلمهم ، كما ذكرت فيه رفع المسيح إلى السماء وآراء العلماء المسلمين فيها ، وتحقيق قضية الصلب ٠

الفصل الرابع : نهايته عليه السلام على الأرض كما صورتها الأناجيل ٠

يتناول البحث فيه كل مايتعلق بالمسيح في آخر أيامه ، كما ورد في الأناجيل الأربعة ، من عشائه الأخير، والقبض عليه ، ومحاكمته ثم صلبه ، ودفنه وقيامته ، ثم ظهوره على تلاميذه ، مع ذكر الاختلاف والتناقض فيما بينها ٠

الفصل الخامس : الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام ٠

بينت فيه أن دين المسيح الحق هو دين التوحيد ، وأن الله أرسله إلى بني إسرائيل لدعوتهم إلى إفراده بالعبادة وحده ، وإلى التمسك بشريعة موسى عليه السلام ، كما بينت فيه أن دين المسيح الحق فيه تقرير لمبدأ المسئولية الفردية ، أي أن الإنسان سيحاسب عن عمله ، ولا يؤاخذ بعمل غيره ، وهو من الأمور التي تتفق فيه الأديان السماوية كلها ٠ مستدلا بما نص عليه القرآن الكريم ، والكتاب المقدس - العهد القديم والعهد الجديد ٠

الباب الثانـي : الرسائل المعتمـدة وأصحابهـا .

وقـد اشـتمل على تمهيـد وثلاثـة فصول ، ففي التمهيد ، تحدثت عن الأسـفار المقدسـة عـند المسيحـيين .

أما الفصل الأول فكان بعنوان : الرسائل المعتمدة وقانونيتهـا .

تحـدثت فـيه عن أهميـة رسائل الرسل التعليميـة ، بالنسبة للديانة المسيحـية ، فـإن المسيحـية قـد تأسست عليها ، وخاصة رسائل بولس ، لأنها الأسفار التي تشرح بالتفصيـل لعقائدها وعـباداتها وطقوسـها وأخلاقها . كما تحـدثت فـيه عن الجانب التاريخي لـكل رسالة من تلك الرسائل ، عن كاتبها والمكتوب إليه ، وتاريخ ومكـان كتابتها ، والسبب الداعـي لكتابتها ، واللغة التي كتبت بها ، ثم كـيفيـة اعـتماد قانونيتها كسـفر مقـدس .

وأما الفصـل الثاني فـكان عـن : أصحـاب الرسـائل .

أثـبت في مقـدمـة هـذا الفصل أن الحواريين ليسوا رسل الله وإنما رسل رسول الله ، وأنهم ليسوا بملهمـين ، أما بولس فلم يكـن حواريا ولا من تلاميـذ أحـد الحواريين .

ثم تكلمت فـيه عن حـياة أصحاب الرسائل ، فتكلمت فيه عن بولس ، وما يتعلق به من أصلـه ونشـأته ومحاربتـه للمسيحـية ، ثم اعـتناقـه إياها ، وادعائه الرسالة ، ومـصدر تعاليمـه ، ومنهج دعوتـه للناس إليها ، ورحلاته التبشـيرية إلى آخر حـياته . كـما تكلمت فيه عن حـياة كل من " يعقوب " و " بطرس " و " يوحـنا " و " يهوذا " .

وأما الفصل الثالث فهو : أهـم محـتويات الرسائـل .

ذكرت فـيه النقاط المهمـة التي تحتويها كل رسالة من تلك الرسائل على حـدة ، بـدون نقـد ولا تعليق حتى تتضـح لنا تماما كما يقـصده أصحابهـا .

الباب الثالث : أثر الرسائل في انحراف المسيحية .

وفيه فصلان : الفصل الأول " أثر الرسائل في انحراف العقيدة ونقد ذلك "

يحتوي هذا الفصل على بيان العقائد المسيحية الحاضرة، بيانا شاملا مستفيضا، وبنائها على تلك الرسائل. وتلك العقائد هي، عقيدة تجسد الإله في ابنه المسيح، وعقيدة حلول الإله في المسيح واتحاده به، مع ذكر اختلاف فرقهم فيها، وعقيدة ألوهية المسيح وبنوته لله حقيقة، وعقيدة التثليث، أي أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم (الأب والابن والروح القدس) وعقيدة صلب المسيح من أجل الفداء عن خطيئة البشر الموروثة من أبيهم آدم .

وبعد ذلك أثبت فيه بطلان تلك العقائد المنحرفة وتهافتها، وحاولت في ذلك أن يكون النقد بأسلوب علمي سليم، ومناقشة موضوعية هادئة، مستدلا بالأدلة النقلية من نصوص القرآن الكريم، وكتابهم المقدس ـ العهد القديم والعهد الجديد، وبالحجج العقلية من أقوال الأئمة المسلمين الكبار، وعلى رأسهم شيخ الإسلام " ابن تيمية والإمام ابن قيم الجوزية" رحمهم الله .

ثم بينت فيه أن الباحثين اتفقوا على أن تلك العقائد ما هي إلا عقائد الديانات الوثنية القديمة، التي تمتد جذورها إلى مئات السنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

والفصل الثاني : أثر الرسائل في انحراف الشريعة ونقد ذلك .

يحتوي هذا الفصل الأخير على ذكر انحراف المسيحية عن شريعة المسيح التي هي شريعة موسى عليهما السلام، إلا بعض التعديلات الخفيفة . وذلك بعد دخول بولس في زمرة التلاميذ عنوة، وادعائه الرسالة، ثم أخذ يدعو الناس إلى ترك الشريعة وإلغائها، فيحلل الخنزير، ويرغبهم إلى ترك الزواج، ويحرم الطلاق، كما يأمرهم بقيام شعائر مبتدعة، أهمها شعيرة التعميد والعشاء الرباني، ثم ناقشتهم في إبطالها مناقشة كافية، وأثبت فيه أن تلك الشعائر ما هي إلا شعائر الديانات الوثنية القديمة .

ثم تأتي في أعقاب هذه الأبواب الثلاثة خاتمة موجزة، اختصرت فيها ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الرسالة .

هذا، وسوف أعرض في هذه الرسالة لنصوص رسائل الرسل، وأتناولها كأساس البحث في جانبي العرض والنقد، معتمدا على المصادر المسيحية الأصيلة، والمراجع الأساسية،

من الكتاب المقدس وتفسيره، والكتب التى ألفها آباؤهم، قديمهم وحديثهم .

فمن الكتب القديمة :

" تاريخ الكنيسة " تأليف : يوسابيوس القيصرى " (٢٦٤ — ٣٤٠ م) .

" تجسد الكلمة " تأليف : " القديس أثناسيوس الرسولى " (٢٩٥ — ٣٧٣ م) .

" الدر الثمين فى إيضاح الدين " تأليف : " القديس الأنبا ساويرس " من آباء القرن العاشر . ، ومن الكتب الحديثة :

" الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل " تأليف " الأنبا يؤانس "

" الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس " تأليف " القس فهيم عزيز " .

" إيمانى " تأليف " القس إلياس مقار " .

وعدة كتب للكاتب المسيحى المتعصب " عوض سمعان " وغيرها من الكتب الخاصة بالعقيدة المسيحية . وذلك لئلا يكون أى حكم على عقيدتهم نتيجة تصور خاطئ، بل يكون ذلك نتيجة تصور صحيح، وفهم سليم، حتى يصبح الحكم بعده عن بصيرة ويقين .

وقد بذلت جهدا شاقا فى فهم آرائهم واستخلاصها، وعرضها فى صفحات هذه الرسالة، كما هى مذكورة فى كتبهم . ولقد واجهتنى صعوبات كثيرة فى فهم نصوص تلك الرسائل، وخاصة رسائل بولس، فإنها معقدة فى تركيبها، غير خاضعة لقواعد اللغة العربية . كما واجهتنى صعوبات جمة فى فهم كلام الآباء المسيحيين، الذين صوروا عقيدتهم بتشبيهات ضعيفة، وتمثيلات غريبة، بل وخرافات وهمية لا أساس لها .

أما فى جانب النقد، فقد راعيت المنهج النقدى العلمى السليم، فنقدت أقوالهم وأبطلت حججهم بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالأدلة العقلية الصحيحة، وبنصوص كتابهم المقدس، التى يزعمون أنها مؤيدة لعقائدهم الباطلة .

وكان هدفى من هذا البحث هو تقديم دراسة جادة وشاملة، رغبة فى تبيان الحقيقة وجلائها، فى الأسفار التعليمية المنسوبة لرسلهم، والتى تنسب إليها المسيحية الحاضرة .

فأسأل الله عز وجل أن تحقق هذه الرسالة أهدافها المرجوة، وتفيد قارئيها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأستغفر الله العظيم من جميع أخطائى التى وردت فيها، وأشكره على ما هدانى إليه من صواب . والحمد لله أولا وآخرا، وهو حسبى ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

** فهرس الموضوعـــات **

الموضوعات	الصفحات

الموضوعات	الصفحات

الموضوعات	الصفحات

الموضوعات	الصفحات

الموضوعات	الصفحات

الجزء الثاني

الموضوعات	الصفحات

الموضوعات	الصفحات

الموضوعات	الصفحات

الموضوعات	الصفحات

الباب الأول

المسيحية الأولى -

ويشتمل على خمسة فصول :

* الفصل الأول *

* حياة المسيح عليه السلام *

تمهيد .

لم يختلف الناس حول شخصية فى التاريخ كاختلافهم حول عيسى ابن مريم الملقب بالمسيح عليه السلام ، فقد اختلفوا اختلافا بينا وتناحروا تناحرا بعيدا ، وصل فى أحد طرفيه إلى إنكار وجوده فى التاريخ واعتباره مجرد أسطورة خيالية ، وفى طرفه الآخر إلى اعتباره ابن الله ، بل هو الله ، إله الكون ورب العالمين . وبين الطرفين - بين المكذبين والمؤلهين - آلاف الملايين من الناس على مر العصور وقفوا بين الحدين ، محبين أو كارهين ، مادحين أو قادحين . فالذين يؤلهونه اختلفوا حول طبيعته ، هل هو إله خالص ذو طبيعة واحدة ، أم له طبيعتان طبيعة الناسوت واللاهوت ؟ هل هو الله أم ابن الله أم بعض الله ؟ وقال البعض : إنه إنسان ، فاختلفوا هل هو نبى ولد حقا من عذراء أم أنه ابن الزانية ؟ هل صالح أم طالح ؟ وهل صلب حقا أم صلب آخر بدلا عنه ؟ وإلى غير ذلك . بدأ الشك فى وجود المسيح من القرن الثامن عشر ، وهو القرن الذى أخرج للعالم مدرسة الشك فى العلوم القديمة ، ووقائع التاريخ المتواترة. فشك الكتاب والباحثون فى وجود الأنبياء والمرسلين سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

---

(١) يقول فيلب حتى : إن النبى محمدا هو النبى الأوحد بين أنبياء العالم الذى ولد فى ضوء التاريخ الكامل ، وأول إشارة إلى محمد فى اللغة السريانية هى التى وردت فى مؤلف يرجع إلى القرن السابع (انظر: تاريخ العرب، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ترجمة محمد مبروك نافع، دار العالم العربى القاهرة، ط الثانية ١٩٤٩ م) . وكتب المؤرخ الأمريكى المعروف : مايكل هارت Michael Hart " فى كتابه " المئة " أن أشهر شخصية فى التاريخ هو النبى العربى محمد، فى حين أن ترتيب المسيح الثالث بعد العالم المشهور إسحاق نيوتن . (انظر: المجلة العربية عدد ١ السنة الثالثة محرم ١٣٩٩ هـ/ ديسمبر ١٩٧٨م ، ص ٢٨) .

يقول ول ديورانت (١)

" هل وجد المسيح حقا ؟ أوأن قصة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير، شبيهة بخرافات كرشنا (٢) وأوزيريس (٣) وديونيشس (٤) ومثراس ؟ لقد زار فولتير (٥) Voltaire بلاد الإنجليز فوجد هناك مدرسة بولنجبروك Bolyng broke والملتفون حوله يقولون فى مجالسهم الخاصة: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق. وجهر فلني (٧) بهذا الشك فى كتابه " خرائب الإمبراطورية ". وكان نابليون (٩) يسأل العالم ويلاند (١٠) Wieland هل يعتقد أن المسيح شخص تاريخي وجد كما وصفوه ؟ وهكذا بدأ الشك (٨)

---

(١) Will Durant (١٨٨٥ م ــ ٠٠٠٠) مؤلف أمريكي استهدف فى آثاره تبسيط التاريخ والفلسفة (المورد معجم أعلام منير البعلبكي، ص ٢٧ دار العلم للملايين بيروت ط الثالثة عشرة ١٩٧٩ م).

(٢) Krish-na إله هندي، يعتقدون أنه فشنو المتجسد للمرة الثامنة. ذكرت أعماله الباهرة فى " المهابراتا " (انظر: المنجد فى الأعلام، ص ٥٨٦ دار المشرق بيروت ط الثامنة ١٩٧٦ م).

(٣) Osiris من أعظم آلهة المصريين الأقدمين قتل ورمي فى النيل وبعث بفضل زوجته إيزيس فأصبح رمز القيامة لكل حي ، تجاوزت عبادته مصر إلى العالم اليوناني ثم الروماني (المنجد فى الأعلام، ص ٩٣).

(٤) ويقال له أيضا باخوس Baechus إله الخمر والإخصاب عند اليونان تنسب إليه نشأة أغاني الجوقة والمسرحية بأنواعها المختلفة. أهم أعياده عيد ديونوسيا، وكان يقام فى الربيع (انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٨٤١ بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب مصر ١٩٦٥ م).

(٥) إله النور عند الفرس الأقدمين، والأسطورة الشائعة من هذا الإله هي نحره ثورا مقدسا فى غار. كانت الميثرائية من أكبر الأديان فى الإمبراطورية الرومانية، وفى القرن الثاني كانت أوسع انتشارا من المسيحية وهي ديانة ثنائية، (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٧٩٥).

(٦) فولتير، فرانسوا ماري أرواي، (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨ م) ولد فى باريس، من نوابغ زمانه، مفكر فيلسوف له كتاب " مقبرة التعصب " تزعم حركة الفلسفة المادية وقاوم رجال السلطة الدينية والمدنية بقلمه اللاذع (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٣٧).

(٧) فلني، قسطنطين فرانسوا (١٧٥٧ ــ ١٨٢٠ م) رائد فرنسي سافر إلى الشرق ١٧٨٣ م ووصف أحواله فى كتابه " رحلة إلى سورية ومصر " (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣١٣).

(٨) قصة الحضارة، ج ٣، من المجلد الثالث (قيصر والمسيح)، ترجمة محمد بدران، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٦، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٤ م.

(٩) نابوليون (١٧٦٩ ــ ١٨٢١ م) ولد فى أجاكسيو من عائلة بونابرت، إمبراطور فرنسا (١٨٠٤ ــ ١٨١٥ م) قاد حملة على مصر ١٧٩٨ ــ ١٧٩٩ م فانتصر فى معركة الأهرام. جلب من الفاتيكان إلى مصر أول مطبعة عربية، اشتهر بانتصاراته فتحالفت أوربا ضده فهزم فى معركة واترلو ١٨١٥ م، نفي إلى جزيرة القديسة هيلانة حيث توفي (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٨١٢).

(١٠) ويلاند، كريستوف مارتن (١٧٣٣ ــ ١٨١٣ م) عالم مفكر متحرر ألماني، أثر =

والشبهة عن وجود المسيح، حتى جاء منتصف القرن التاسع عشر وقد طغت موجات الشكوك والإنكارات على ميدان الدراسات الدينية، فأنكرت المدرسة الهولندية حقيقة المسيح التاريخية بعد بحوث مضنية، كان ممن قاموا بها " بيرسن Peirson " و" نابر Naber " و" متثاس Matthas " . وفى إنجلترا وصل إلى نفس النتيجة و. ب. اسمت W.B.Smith و، ج. م. ربرتسن J.M.Robertson " وكذلك فى ألمانيا حيث عرض " أرثر دروز Arthur Drews " هذه النتيجة السالبة عرضا واضحا فى عام ١٩٠٦ م . ومثل " لوازى Loisy " مدرسة أواخر القرن التاسع عشر الفلسفية، إذ حلل نصوص العهد الجديد تحليلا أدى إلى صدور قرار بحرمانه.(١)

قامت شبهات مدرسة الشك على أساسين مهمين، أحدهما: خلو التواريخ المعاصرة من ذكر المسيح والدعوة المسيحية فى عصره، فالمؤرخون الثلاثة: يوسيفوس Yosephus(٢) وتاسيتس Tacitus(٣) وسوتينيوس Suetonius أرخوا عصر الميلاد، ولم يثبتوا وجود المسيح بما كتبوه عن أيامه. وقد عاش " فيلون Philon(٤) فى عصر السيد المسيح، والمؤرخ " جستس الطبرى " الذى عاش فى الجليل أيام الدعوة المسيحية، وكتب تاريخ قومه من عهد موسى إلى نهاية القرن الأول الميلادى، ولم ترد فيه إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى الدعوة المسيحية.(٥)

= تأثيرا قويا فى تطور الأدب الألمانى، ومهد الطريق لعصره الذهبى (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٥١).

(١) انظر: " مع المسيح فى الأناجيل الأربعة " فتحى عثمان، ص ٩٦ — ١٠١ الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، ط الثانية ١٩٦٦ م.

(٢) يوسيفوس (فلافيوس) (٣٧ — ١٠٠ م) مؤرخ يهودى ولد فى أورشليم وشهد خرابها على يد تيطس له " الحرب اليهودية " و" العاديات اليهودية " وهو تاريخ عام منذ الخليقة حتى ٦٩ م أشاد باليهود ودافع عنهم (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٩٢).

(٣) (٥٥ — ١١٧ م) مؤرخ رومانى، اشتغل بالسياسة واحتل بعض مناصبها، له كتاب معروف بالحوليات والتواريخ تمتاز بدقة الوصف وقوة التعبير (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٤٨٣).

(٤) (٢٠ — ٥٤ م) فيلسوف يهودى، إسكندرى، جعل شريعة موسى أساس الفلسفة وقال: إن الكائنات بادئة من الله ونازلة إلى المادة، وتتحد فى " الكلمة الإلهية " (اللوغوس) التى عنها فاضت الكائنات، كان لهذه التعاليم أثر عميق فى الكتاب اليهود والمسيحيين (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٥٢).

(٥) انظر: " ساعات بين الكتب " عباس محمود العقاد، ص ٥٣٩ المكتبة العصرية بيروت، ط الأولى ١٩٧٩ م.

نعم ،لقد وجدت إشارة إلى عيسى القديس في تاريخ " يوسيفوس " ولكن النقاد يجزمون بأنها مضافة إليه سيما وهي صادرة من اليهودى، وليس معقولا أن يخص المسيح بالاعتراف الصريح والثناء الجميل، حيث يقول : " وهناك عاش في ذلك الوقت يسوع إنسان حكيم إن كان من اللائق حقا أن يدعى إنسانا ،لأنه صنع أعمالا عجيبة ، وعلم الناس فقبلوا الحق بفرح ،وقد ضم إليه الكثيرون من اليهود ومن اليونانيين أيضا ، كان هو المسيح »(١). أما المؤرخ الرومانى " تاسيتس "الذى كتب تاريخه سنة ١١٥ م فأورد وصف اضطهاد نيرون لمن أسماهم " كرستيانى Chirstiani ، فى قطعة ينال منها الشك ،وإن كانت أقرب لأسلوب هذا المؤرخ. وكذلك لم يذكر " سوتينيوس " خبرا مباشرا عن المسيح ، ولكنه قال فى تاريخه لقيصر " كلوديوس "(٢) حوالى سنة ٥٢ م: إنه نفى من رومة جماعة اليهود الذين كانوا على الدوام يثيرون المتاعب بتحريض " كريستس " Chrestus». وأيا كان مستند هذا المؤرخ فروايته تثبت وجود أناس يسمون " المسيحيين " فى العاصمة الرومانية، ويحسب أن الزعيم " كريستس " كان يحرض أتباعه بنفسه (٣).

أما الأساس الثانى فهو التشابه التام بين القصص المروية عن السيد المسيح والقصص المروية عن الأرباب فى الديانات الوثنية القديمة. فإله المكسيك المسمى " كوتزلكوتل " مولود من عذراء بتول ، وإله البراهمة " كرشنا " مولود من عذراء اسمها " مارتا " و " بوذا " من العذراء " مايا ". وجاء فى كتب البوذيين المقدسة : أن السموات بشرت بولادة " بوذا " بنجم ظهر مشرقا فى الأفق ، ويدعونه فى هذه الكتب نجم المسيح ، وكذلك الصينيون يعتقدون أن نجما ظهر عند ولادة " يو " من عذراء ودلهم عليه، وكان الرعاة أول من عرفوا " كرشنا " عندما ولد ، فقدموا له هدايا من خشب الصندل ، وكذلك عندما

---

(١) انظر: " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى، ترجمة القمص مرقس داود ، ص ٥٠ ـ ٥١ ،مكتبة المحبة القاهرة، ط الثانية ١٩٧٩ م.

(٢) إمبراطور رومانى (٤١ ـ ٥٤ م) قتلته زوجته أغريبينا (المنجد فى الأعلام ،ص ٥٩٢)

(٣) انظر: " موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية " ج ١ (توحيد وأنبياء) ص ٦٢٥ ـ ٦٢٨ ،دار الكتاب العربى بيروت ط الأولى ١٩٧٠ م.

ولد مترا – الذى يزعم أهل فارس أنه مخلصهم والوسيط بين الله والناس– زاره مجوس وقدموا له هدايا ذهبا وطيبا ومرا، ولما حانت ولادة "كرشنا" ذهب "نازا" ليدفع ما عليه من المال للملك "مكوسا" ومعه والدة كرشنا، فجاءها المخاض على الطريق فوضعته تحت شجرة، وفى رواية أنها وضعته فى خان، ثم سمعوا هاتفا من السماء يقول لحاضنه: قم وخذ الصبى واهرب به واقطع نهر الجومتا، لأن الملك "قانصا" كان قاصدا إهلاك الطفل، وقد أرسل الملك رسلا ليقتلوا كل مولود ذكر.

وهناك مواليد آلهة بعضها تجسد بالناسوت ولدت فى مغارة مثل "أدونى" الرب المخلص وضع فى غار بعد ولادته بقليل، و"أبولو" الإله الإغريقى ولد فى غار، وكذلك "مترا" الإله الفارسى (١). فالشبهات الكثيرة بين المسيح وغيره فى تفصيلات تحيط بأخبار المعجزات والشعائر الموجودة فى ديانة الأقدمين من المصريين والبابليين والفرس والهنود والكنعانيين، تغلب على الباحثين ترجيح القول بأن أخبار المسيح بقية من بقايا الديانات الوثنية القديمة، وأنه من أساطير الأولين. بل يزعمون أن اسم أم المسيح "مريم" رمز شائع على ذات غير معينة، ورمز على من تلد بدون اتصال جنسى، فاسم "مريم العذراء" فى صيغه المختلفة اسم مختار لكثير من أمهات الآلهة والقديسين، مثل "أدونيس" ابن "ميره" و"فيروش" ابن "مريانا" و"تموز" ابن "ميليتا" و"باخوس" (ديونيشس) ابن "مرها" و"كرشنا" ابن "مارتا" و"حورس" ابن ستيلاماريس" (وحورس هذا هو ابن إيزيس آلهة البحر، واسمها عند الرومان كوكب البحر أى ستيلا ماريس Stella Marius) وبوذا ابن "مايا" (٢). ولا شك أن نشوة العلم الجديد – علم مقارنة الأديان – هي التى أوقعت أصحابها فى القرن الثامن عشر إلى تحميل المشابهات والمقارنات فوق طاقتها.

---

(١) اقرأ كتاب: "العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية"، ص ٥٤ – ٩٩، تأليف الأستاذ محمد طاهر التنير، ط بيروت ١٣٣٠ هـ.

(٢) انظر: "ساعات بين الكتب"، عباس محمود العقاد، ص ٥٣٧. وانظر: الديانات والعقائد فى مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، ج ٣ ص ٣٥ – ٤٢ مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م. وقارن "الديانات القديمة" الشيخ محمد أبوزهرة، ص ٣٠ – ٤٢، دار الفكر العربى القاهرة بدون سنة.

وبعد ، فنحن المسلمين نؤمن بأن " عيسى ابن مريم " المسيح هو عبد الله ورسوله وكلمته وروح منه ، ألقاها إلى مريم البتول العذراء الطاهرة العفيفة ولد من غير أب ، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل ، كما أن محمدا هو آخر الأنبياء والرسل جميعا ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، قال تعالى :

" إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ " (١) وقال تعالى " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " (٢) .

فالإيمان بعيسى ابن مريم وأنه رسول الله وكلمته ركن من أركان العقيدة الإسلامية ، لأن عقيدة الإيمان بالله لا تنفك عن الإيمان برسله ، والإيمان بواحد من الرسل لا ينفك عن الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الصادقين ، فموجب الإيمان في الكل واحد . يقول تعالى :

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)) (٣) .

ولم يثبت في التاريخ البشري مولود من عذراء بلا أب غير عيسى عليه السلام إلا في الأساطير ، وهو وأمه آية من آيات الله ، إذ قال تعالى : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً (٤) . ومن الغريب أن " بولس " رسول المسيحيين ذكر في بعض رسائله أسطورة من الأساطير ، وهي أعجوبة " ملكي صادق " حيث إنه ولد بلا أم ولا أب ، يقول " إن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل إبراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه الذي قسم له إبراهيم عُشراً من كل شيء ، المترجم أولا ملك البر ثم أيضا ملك ساليم أي ملك السلام ، بلا أب بلا أم بلا نسب ، لا بداءة أيام له ولا نهاية حيوة بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهنا إلى الأبد (٥) .

---

(١) النساء ١٧١
(٢) الصف ٦
(٣) النساء ١٣٦
(٤) المؤمنون ٥٠
(٥) العبرانيين ٧ : ١ – ٣ .

وهذه تقتضى أن ملكى صادق أفضل من المسيح،إذ كان يولد من أم عذراء بلا أب وملكى صادق مولود بلا أم بلا أب ، ويفضله أيضا فى غير ذلك فهو لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة ، أما المسيح فله بداءة ونهاية حياة (١) .

ونحن نعد هذه القصة التى يقررها " بولس " ويؤمن بها المسيحيون أسطورة كاذبة من الأساطير التى تروى نظائرها الديانات الوثنية ، إذ ليس من البشر مخلوق من غير أب ولا أم ولا نسب غير آدم عليه السلام ، حيث يقول تعالى :

((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٢))) .

وفى الفقرات القادمة يأتى ذكر حياة المسيح ، من ولادته إلى نهايته على الأرض والبيئة التى عاش فيها ، والدين الذى جاء به عليه السلام .

<u>ولادته عليه السلام كما ورد فى القرآن والأناجيل .</u>

ولد المسيح عليه السلام فى أسرة من خير الأسر ، اختارها الله من بنى إسرائيل وهي أسرة آل عمران ، يقول تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣) .

---

(١) ورد اسم ملكى صادق فى سفر تكوين ، وهذا نصه: وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا ، وكان كاهنا لله العلي ، وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذى أسلم أعدائك فى يدك ، فأعطاه عُشرًا من كل شيئ . (تكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠) ولا يذكر هنا بلا أب وبلا أم بلا نسب لا بداية ولا نهاية ، كما ذكرها " بولس " .

(٢) آل عمران ٥٩ - ٦٠

(٣) آل عمران ٣٣

كان " عمران بن ماثان "(١) رجلا عظيما وعالما جليلا، صاحب صلاة قومه وقربانهم، وزوجته حنة بنت فاقوذ، من العابدات، وكانت عاقرا تقدمت بها السن دون أن ترزق بولد. ففي يوم من الأيام رأت طائرا يزق فرخا، فاشتهت الولد، واتجهت إلى الله تعالى سائلة داعية، فنذرت لله إن حملت

---

(١) جاء في المصادر المسيحية أن أبا مريم اسمه " يواقيم " وهذا نص كتاب: السنكسار تحت " اليوم السابع من شهر مسرى " في مثل هذا اليوم — ٧ من مسرى — أرسل الله ملاكه الجليل " جبرائيل " وبشر القديس " يواقيم " بميلاد البتول والدة الإله بالجسد، كان هذا البار وزوجته القديسة " حنة " قد تقدما في أيامهما ولم يرزقا ولدا، لأن " حنة " كانت عاقرا ولأن بني إسرائيل كانوا يعيرون من لا ولد له، لهذا كان القديسان حزينين ..... وفيما كان الصديق " يواقيم " في الجبل مواظبا على الصلاة نزل عليه سبات فنام، وظهر له ملاك الرب جبرائيل وبشره بأن امرأته " حنة " ستحبل وتلد مولودا يقر عينيه ويسر قلبه، ويحصل بسببه الفرح والسرور للعالم أجمع، ولما انتبه من نومه أتى إلى بيته، وأعلم زوجته بالرؤيا فصدقتها، وحبلت من تلك الليلة وولدت السيدة البتول " مريم " اهـ. نقلا عن كتاب " يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية " د. أحمد حجازي السقا، ص ٥٥ — ٥٦ دار التراث العربي للطباعة والنشر القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٨ م.

هناك قول بعض المفسرين في قوله تعالى ((ومريم ابنة عمران)) المراد بعمران والد موسى وهارون، فيكون المراد من آل عمران: موسى وهارون — وأتباعهما من الأنبياء، وجزم بذلك د. أحمد حجازي السقا، إذ يقول في كتابه "يوحنا المعمدان " ص ٥٦ — ٥٨،: ولا جدال مطلقا في أن آل عمران هم المتفرعون من ذرية " عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم " وآخر ذريته فيمن اشتهر " مريم " رضي الله عنها، ولا يعقل أن يكون المراد بآل عمران من جاء من عمران الأب المباشر لمريم، لأن الآل عبارة عن ذرية تتشعب من الأصل، ولم يتشعب من مريم نسل إلا عيسى عليه السلام، وهو لم يتزوج فيقيم نسلا، ففي القرآن " ملة أبيكم إبراهيم "، وليس أبا مباشرا بل جدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك نقول في " امرأة عمران " إن النسبة تصح مجازا لامرأة من نسل عمران الجد الكبير، فالقرآن يشير إلى عمران رئيس العائلة التي منها مريم ولا يشير إلى الأب المباشر، لأن أية الاصطفاء " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " ذكرت آدم أبا البشر، ثم ذكرت منه نوحا أبا البشر الثاني، وهذا تخصيص من عام، ثم ذكرت آل إبراهيم وهم من ذرية نوح، ثم ذكرت من آل إبراهيم آل عمران يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة، ولأن أية الاصطفاء ذكرت عمرانا واحدا فيكون عمران في قوله تعالى " ومريم ابنة عمران " هو المشار إليه في أية الاصطفاء للعهد الذكرى، ولو كان هو عمران آخر لوجدت قرينة تشير إلى ذلك الآخر اهـ. (قارن تفسير الفخر الرازي، ج ٨، ص ٢٤، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م. وانظر: فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، ج ١، ص ٣٣٣، دار المعرفة بيروت بدون سنة).

لتجعلن ولدها خادما محررا لعبادة الله وخدمة بيته، لا عمل له غير العبادة الخالصة. فلما وضعت تبين أن الجنين الذى انفصل منها أنثى (١)، وكانت ترجو أن يكون ذكرا يقدر على تحقيق ما نذرت، ولكن تلك مشيئة الله، فهي راضية بها، وأسمتها " مريم " أى العابدة الخادمة لله (٢)، فعاذت بالله وأعاذت به تعالى ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم، واستجاب الله دعاءها وتقبلها بقبول حسن، اقترن به نباتها نباتا حسنا، وما كان الله ليستجيب الدعاء ويقبل النذر لولا أنها صالحة جعلها الله أهلا لمرضاته. عن أبى هريرة رضى الله عنه (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه، ثم قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم: وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٤). رواه مسلم (٥).

وذكر كثير من المفسرين أن " حنة " حين وضعت " مريم " لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد وسلمتها للأحبار من أبناء " هارون " وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم " زكريا " عليه السلام: أنا أحق بها وعندى خالتها، فشاحوه فى ذلك وطلبوا أن يقترع معهم، فألقوا أقلامهم التى يكتبون بها التوراة فى

---

(١) ابن كثير " قصص الأنبياء "، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ج ٢، ص ٣٦٩، دار الكتب الحديثة القاهرة، ط الأولى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

(٢) وقيل معناه: سيدة أو مرتفعة، وفى القاموس الكتاب المقدس: مريم اسم عبرى معناه: عصيان، انظر: ص ٨٥٦ تأليف نخبة من الأساتذة اللاهوتيين، هيئة التحرير، د. بطرس عبد الملك، ود. جون ألكسندر طمسن وإبراهيم مطر.

(٣) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى (٢١ ق هـ — ٥٩/ ٦٠٢ — ٦٧٩ م)، صحابي كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له، قدم المدينة ورسول الله بخيبر فأسلم سنة ٧هـ، ولزم صحبة النبي فروى عنه ٥٣٧٤ حديثا نقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعى (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خيرالدين الزركلى، ج ٣ ص ٣٠٨، دار العلم للملايين بيروت، ط الخامسة ١٩٨٠ م)

(٤) رواه مسلم فى كتاب " الفضائل " باب فضائل عيسى عليه السلام، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ١٢٠، دار إحياء التراث العربى بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م

(٥) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى، أبو الحسين (٢٠٦ — ٢٦١هـ/ ٨٢٠ — ٨٧٥ م)، محدث حافظ رحل إلى الحجاز والعراق والشام، وسمع يحيى =

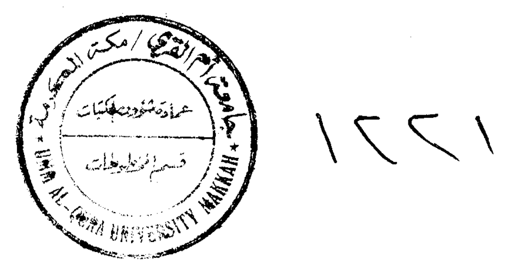
في نهر جار ، فارتفع قلم " زكريا " فوق سطح الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في الماء ، فكفلها " زكريا " وضمها إلى نفسه وقام بأمرها فحملها إلى خالتها (أيشاع أو أليصَابَات ، أخت حنة وهي زوج زكريا) واسترضع لها ،حتى إذا بلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا أي غرفة في المسجد لعبادة الله وحده وخدمة بيته (١) . وكفالة " زكريا " مريم دليل على وفاة أبيها " عمران ".ولعل في موته حكمة حتى يكفلها نبي من أنبياء الله الصالحين ، وبذلك يتم إنبات الله إياها نباتا حسنا .

فأم المسيح طاهرة صالحة كفلها نبي كريم صالح ، ورضيت الوفاء بنذر أمها فانقطعت لعبادة الله وحده ، لا عمل لها سوى عبادته وخدمة بيته حتى صارت يضرب بها المثل في بني إسرائيل ، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة ، حتى إنه كان " زكريا عليه السلام "كلما دخل عليها يجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه ، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، فيسألها أنى لكِ هذا ؟ فتقول : هو من عند الله . وإن دهشة " زكريا عليه السلام " من رؤية هذا الطعام الغريب عند مريم كلما زارها هي التي دفعته إلى مناجاة ربه يطلب منه ولدا ، وهو في سن مائة وعشرين سنة وامرأته ثمان وتسعون سنة (٢) . يذكر القرآن الكريم " مريم " أم " عيسى عليه السلام " فيقص خبر الحمل وولادتها وتربيتها في سورة آل عمران : يقول الله تعالى :

= النيسابوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وغيرهم ،وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها وروى عنه الترمذي ، توفي بنيسابور عشية الأحد ٥ رجب (معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة ، ج ١٢ ص ٢٣٢ ، مكتبة المثنى بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ م) .

(١) ابن كثير " قصص الأنبياء " ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٢) الكتاب السابق ، ج ٢ ص ٣٧٣ ، وانظر: " قصص الأنبياء" للشيخ عبد الوهاب النجار ، ص ٣٦٨ ، دار إحياء التراث العربي لبنان ط الثالثة بدون سنة.



﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .))(١) ويقول أيضا :

((وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ، ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون))(٢) .

لقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التي تكونت مريم في ظلها بريئة من دنس الرذيلة تمهيدا لأمر جليل ، قد اصطفاها الله له دون العالمين ، وذلك الاصطفاء هو اختيار الله تعالى لها لأن تكون أما لمن يولد من غير نطفة آدمية، إذ أن ولادته من غير أب من أم كانت حياتها كلها للنسك والعبادة والعكوف على التقوى وتحت ظل نبي من أنبياء الله، تقطع الريب والإفك وتجعل المؤمن يؤمن بآية الله الكبرى في هذا الكون . وبينما هي يوما قد خرجت لبعض شئونها وانفردت شرقي المسجد الأقصى ، إذ بعث الله إليها الروح الأمين " جبريل عليه السلام " جاءها على صورة فتى ، فأخذها الرعب وظنته يريد بها سوءا فأعلمها أنه مرسل من عند الله ليهب لها غلاما زكيا ، فأخذها العجب من ذلك ، إذ كيف يكون لها ولد وهي لم يمسسها أحد من الناس ، فهون عليها الأمر وأحال على قدرة الله تعالى ، فإنه على ما يشاء قدير، فنفخ في جيب درعها فإذا هي حامل .(٣)

يقول الله تعالى : ((إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك

---

(١) آل عمران ٣٥ — ٣٧ .

(٢) آل عمران ٤٢ — ٤٤ .

(٣) عبد الوهاب النجار ، " قصص الأنبياء " ص ٣٧٥ .

بِكَلِمَةٍ مِنهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَريَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ، قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ)) (١) . ويقول أيضا :

((وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً)) (٢) .

هذا ما جاء فى القرآن الكريم حول بشارة " مريم " ولكن الأناجيل المعتبرة لدى المسيحيين لم تذكرها باستفاضة إلا " لوقا " (٣) ويذكرها " متّى " باختصار جدّا ، وسكت " مرقس " (٤) عن قصة " مريم " و " يوحنا "

(١) آل عمران ٤٥ — ٤٨

(٢) مريم ١٦ — ٢١

(٣) لوقا أو لوقانوس " كان أنطاكيا وقيل رومانيا ولم يكن من أصل يهودى ، كان طبيبا وقيل مصورا ، رافق بولس فى رحلاته ولازمه فى كرازته وشاركه فى أتعابه لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ الحواريين ، كتب إنجيله باليونانية سنة ٥٣ م أو ٦٣ م أو ٦٤ م . وكتب سفر الأعمال وهو تاريخ الحواريين والتلاميذ ويعد أهم مراجع فى تاريخ نشأة المسيحية وأحوالها بعد المسيح ، ولا يعرف أحد عن آخر حياته . ويقول أوريجين وجيروم : إن بولس حينما ذكر فى رسائله كلمة " إنجيلى " إنما يشير إلى إنجيل لوقا على اعتبار أنه أملاه على لوقا . (تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصرى ، ص ١١٥ — ١١٦ و" قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٢٢ ، و" الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٤٤ — ٣٤٦ ، الأنبا يؤانس أسقف كرسى الغربية ، مكتبة مار مرقس القاهرة ، ط الثانية ١٩٧٧ م) .

(٤) مرقس اسمه " يوحنا " ويلقب بمرقس أى مطرقة ، كان يهوديا من أورشليم وأمه مريم أخت برنابا وهو من المؤمنين الأوائل ، بل إنه من ضمن السبعين الذين نزل عليهم روح القدس فى اعتقادهم ، كان المسيح يتردد كثيرا على بيته ، فيه صنع الفصح الأخير وغسل أرجل تلاميذه ، لذا لقد كان بيته أول كنيسة مسيحية فى العالم ، صحب بولس وبرنابا فى رحلتهما التبشيرية الأولى ، وتنقل من أنطاكية إلى قبرص ثم إلى آسيا الصغرى . وفارقهما عند برجة بمفيلية ، فذهب إلى أفريقيا ودخل الإسكندرية سنة ٦٠ م فأقام بها فدخل عدد كبير من المصريين فى المسيحية ، وجاء فى كتاب " مروج الأخبار فى تراجم الأبرار " لبطرس قرماج ، أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس ، كتب إنجيله باليونانية سنة ٥٦ م أو ٥٧ م أو ٦٠ م أو ٦١ م أو ٦٣ م أو ٦٥ م ، مات بسبب هجوم الوثنيين عليه حتى تناثر لحمه وسالت دماؤه . (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٤١ — ٣٤٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٣ ، ومحاضرات فى النصرانية ، للشيخ محمد أبو زهرة ، ص ٥٣ — ٥٥ ، دار الفكر العربى القاهرة ، ط الثالثة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٦ م) .

لم يذكر " مريم " إلا ذكرا جانبيا ، مثل طلبها من ابنها أن يرى رأيه في أمر نفاذ الخمر في عرس حضراه (١)، وانحدارها معه إلى "كفرناحوم" (٢) وكل ما ورد في الأناجيل حول مريم ومولدها لا يعدو الحمل والولادة وما بعدهما (٣)، ففي إنجيل " لوقا " : وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة (٤)، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك ، وقال سلام لكِ أيتها المنعم عليها الرب معك ، مباركة أنت في النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه " يسوع " هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية ، فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ، فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله ، وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله . فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب ، ليكن لي كقولك ، فمضى من عندها الملاك

---

(١) يوحنا ٢ : ١ ـ ٩ ونصه : وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك ودعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر ، قال لها يسوع : ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد ، قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه ، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة ، قال لهم يسوع : املئوا الأجران ماء ، فملئوها إلى فوق ، ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا ، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من أين هي ....

(٢) يوحنا ٢ : ١٢ ونصه : وبعد هذا انحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياما ليست كثيرة .

(٣) بينما ذكر القرآن الكريم اسم مريم أربعا وثلاثين مرة ، وفي كثير من تلك الآيات التي ورد ذكرها فيها اقترن اسمها باسم المسيح ، ويأتي استقلالا في أحد عشر موضعا فقط ، بالإضافة إلى ذلك فقد ورد ذكرها في ستة مواضع مضافة إلى المسيح ، إما بكلمة « أم » وإما بكلمة « والدة » فيكون المجموع نحو أربعين مرة ، وقد سميت سورة في القرآن بسورة " مريم " وفي ذلك ما يدل على مكانتها وعلو شأنها في النساء . (الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية ، عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم ، ص ٢٢٠ ، رسالة الماجستير فرع العقيدة كلية الشريعة جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

(٤) منطقة في فلسطين الشمالية بين لبنان شمالا والمتوسط غربا والأردن شرقا والسامرة جنوبا من مدنها حيفا وعكا ، ومن بلدانها الناصرة وقانا وكفرناحوم (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٥) .

فقامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات، فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها وامتلئت أليصابات من الروح القدس، وصرخت بصوت عظيم، وقالت: مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك، فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربي إليّ، فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى، فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب». (١) وهنا توجد أمور خطيرة جدا، حيث تنبأت أليصابات أن مريم تحمل الرب، إذ تقول: أن تأتى أم ربى إليّ" فكيف عرفت أليصابات وحدها أن ما فى بطن مريم ربها ولم يعرفه غيرها من الأنبياء والقديسين؟، بل إن يوحنا المعمدان نفسه الذى عمد المسيح يسأله إن كان هو المخلص أم غيره (٢)؟ فإذا عرفت أليصابات وحدها أن مريم أم الرب وتنبأت به فلماذا لم يعرف فى طفولة المسيح ثم فى شبابه أنه الرب؟ لماذا لم تخبر أحدا وتنشر الخبر؟. وقول "لوقا" وابن العلى يدعى، والمولود منك يدعى ابن الله، يعطيه الإله كرسى داود" فإن هذه العبارات تفرد بها لوقا، ولم يذكرها أحد من كتاب الأناجيل سواه، مع أنه ليس من حواريى المسيح ولا من تلاميذه، بل رجل دخل فى الدين متأخرا وصار تلميذا لبولس الذى لم ير المسيح ولم يعاشره.

وقد أورد الشيخ عبدالوهاب النجار (٣)، وجهين فى الطعن على هذه الجملة وهي: ويعطيه الإله كرسى داود أبيه (٤):

١ — إن عيسى من أولاد "يواقيم" لا يصلح أن يجلس على كرسى داود، لأنه لما أحرقت الصحيفة التى كتبها "باروخ" من فم النبى "أرمياء" نزل الوحي إلى "أرمياء" فقال: لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا، لا يكون له جالس على كرسى

---

(١) لوقا ١: ٢٦ — ٤٥

(٢) ورد فى متى، أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه، وقال له: أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ (متى ١١: ٢ — ٣)، وفي لوقا: فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلا: أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ (لوقا ٧: ١٩).

(٣) عبدالوهاب أحمد النجار (١٢٧٨ — ١٣٦٠هـ/ ١٨٦٢ — ١٩٤١م)، أديب، مؤرخ، مشارك فى علوم اللغة والشريعة والكيمياء وغيرها، ولد فى الغرسية من قرى مصر الغربية، تخرج من دار العلوم ثم أستاذا فى دار العلوم واشترك فى أكثر الجمعيات الإسلامية، توفي بالقاهرة، (معجم المؤلفين جـ ٦، ص ٢٢٠).

(٤) انظر: "قصص الأنبياء" ص ٣٧٨.

داود ، وتكون جثته مطروحة للحر نهارا وللبرد ليلا »(١)

٢ — إن الأناجيل تذكر بأن اليهود أسلموه إلى بيلاطس الحاكم الرومانى بعد أن حكموا عليه بالموت وصلبوه وقتلوه ، ولم يقبل المسيح الملك ، كما جاء فى إنجيل " يوحنا " وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده »(٢) ولو كان ما ذكره لوقا حقا لما أبى المسيح قبول الملك الذى بعثه الله لأجله ، على ما بشر به جبريل أمه العذراء قبل ولادته ، ومعلوم أنه لا يملك بيت يعقوب ساعة فضلا عن الأبد . وقوله: ابن العلى يدعى » فهذه الجملة منتزعة من قول زكريا فى ابنه يوحنا : وأنت أيها الصبى نبي العلى تدعى »(٣) فحرفت فى حق عيسى على لسان الملك ، ليوهموا الناس أن المسيح إله ابن إله .

وأما " متّى " فيذكر بشارة " مريم " باختصار جدا ، يقول فى إنجيله :

" أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا ، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا ، ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابنا وتدعو اسمه " يسوع " لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ، وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل : هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعون اسمه " عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع »(٤)

---

(١) أرمياء ٣٦ : ٣٠
(٢) يوحنا ٦ : ١٥
(٣) وتمام النص : وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى ، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعدّ طرقه (لوقا ١ : ٧٦) .
(٤) متّى ١ : ١٨ — ٢٤ .

وقول " متى " وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا ، فيه فساد ظاهر.فإن النبي الذى أراده متّى هو أشعياء،حيث قال : ولكن يعطيكم السيد نفسه آية،ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (١) • وقد ذكر وجوه الفساد " الشيخ رحمة الله الهندى " (٢) في كتابه المشهور " إظهار الحق " وهي كما يلى :

أولا — إن اللفظ الذى ترجمه الإنجيلى ومترجم سفر أشعياء بالعذراء ، هو " علمة" مؤنث علم والهاء فيه للتأنيث،ومعناه عند علماء اليهود المرأة الشابة، سواء كانت عذراء أو غير عذراء، كما وردت فى التراجم اليونانية الثلاثة القديمة (ترجمة إيكوئلا سنة ١٢٩م، وترجمة تهيودشن سنة ١٧٥ م ،وترجمة سميكس سنة ٢٠٠ م) وكانت معتبرة عند قدماء المسيحيين •

ثانيا — ما سمى أحد عيسى بعمانوئيل ،ولم يدع عيسى عليه السلام في حين من الأحيان أن اسمي " عمانوئيل •

ثالثا — القصة تأبى أن يكون مصداق هذا القول عيسى ،لأنها هكذا :أن راصين ملك آرام و" فقح "ملك إسرائيل ،جاءآ إلى أورشليم لمحاربة " آحاز بن يوثام " ملك " يهوذا " فخاف خوفا شديدا من اتفاقهما ، فأوحي الله إلى " أشعياء " لتسلية " آحاز " : لاتخف فإنهما لا يقدران عليك وستزول سلطنتهما ،وبين علامة خراب ملكهما أن امرأة شابة تحبل وتلد ابنا وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر، وقد ثبت أن أرض فقح قد خربت فى مدة إحدى وعشرين

---

(١) وتمام النص: ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل ، زبدا وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير، لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الأرض التى أنت خاش من ملكيهما (أشعياء ٧ : ١٤ — ١٦)

(٢) رحمت الله بن خليل بن نجيب العثمانى الكيرانوى الهندى عالم جليل ولد فى غرة جمادى الأولى سنة ١٢٣٣ هـ الموافق ٩ مارس ١٨١٨ م فى مدينة كيرانة الهند ، له كتب كثيرة فى رد النصرانية، ناظر القسيس• بفندر،أمام الناس،واعترف القسيس بالتحريف فى الإنجيل أمام الناس،سافر إلى مكة المكرمة فيدرس فى المسجد الحرام، ويؤلف كتابا فى المسائل التى يكثر فيها الجدل بين المسلمين والنصارى، ثم أسس مدرسة نظامية تربوية وسماها " المدرسة الصولتية " توفي يوم الجمعة ٢٢ رمضان ١٣٠٨ هـ،مايو ١٨٩١ م فى مكة ودفن فى جنة المعلى (د • أحمد حجازى السقا فى مقدمة =

سنة من هذا الخبر، فلا بد أن يولد هذا الابن قبل هذه المدة، وتخرب لا قبل تميزه (١)، و "عيسى" ولد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها . وقد اختلف أهل الكتاب في مصداق هذا الخبر، فاختار البعض منهم الدكتور "بلسن" أن أشعياء يريد بالامرأة زوجه، ويميل الشيخ رحمت الله الهندي إلى هذا الرأي، وهو قريب من القياس (٢).

ثم إن القرآن الكريم لم يشر — ولو من بعيد — إلى شخصية يوسف النجار، والعلماء يقولون: إنه ابن عم مريم وهو رجل صالح يخدم معها البيت المقدس، وإنه أول من عرف حمل مريم، ولم يثبتوا أمر خطبته إياها (٣). وقد فسر الإمام ابن كثير (٤) قوله تعالى: رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر (٥) "بأن مريم تقول: كيف يوجد هذا الولد مني، وأنا لست بذات زوج، ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بغيا حاشا لله" (٦)

وجاء في إنجيل "متى" غير المعتمد عند المسيحيين (الأبوكريفي) (٧) أن مريم لم تكن زوجة ولا مخطوبة، وإنما كانت من العذراء اللاتي نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد، أي كانت من الراهبات اللاتي كن يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التي يعتكفن فيها (٨). وهذا هو الحق! وذلك لأن "يوسف" من سبط "يهوذا" ومريم من سبط "لاوي" وكيف تخطب لاوية من سبط يهوذا؟! (٩) إن الشريعة اليهودية

= كتاب إظهار الحق، ص ٢٨ — ٣٦ .

(١) القصة في الإصحاح السابع من سفر أشعياء .

(٢) الشيخ رحمت الله الهندي، إظهار الحق "، تحقيق د . أحمد حجازي السقا، ج ١، ص ١٥٤ — ١٥٥، دار التراث العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي " للإمام محمد بن عمر، ج ٢١، ص ٢٠٢ .

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ثم الدمشقي الشافعي أبو الفداء (٧٠٠ — ٧٧٤هـ/ ١٣٠١ — ١٣٧٣م) محدث مفسر مؤرخ فقيه، ولد بجندل من أعمال بصرى، ثم انتقل إلى دمشق ونشأ بها، وتوفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية (معجم المؤلفين جـ ٢، ص ٢٨٣ — ٢٨٤)

(٥) آل عمران ٤٧

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم "للإمام ابن كثير، ج ١، ص ٣٦٤، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م

(٧) انظر، ص ٣٠٠، من هذه الرسالة .

(٨) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: د . علي عبد الواحد وافي، ص ١٠٨ دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٨٤ م

(٩) د . أحمد حجازي السقا في هامش كتاب " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، ص ٣٠٥ — ٣٠٦ تحقيق، د . أحمد حجازي السقا المكتبة القيمة القاهرة، ط الثانية ١٣٩٩ هـ .

تحتم زواج البنت من سبطها لا من سبط آخر، ففي التوراة : " وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بني إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه، فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر، بل يلازم أسباط بني إسرائيل كل واحد نصيبه » (١) والدليل على أن مريم " لاوية " قرابتها لأليصابات امرأة " زكريا " وأليصابات من نسل هارون " بنص الإنجيل، يقول لوقا : " كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن (٢) اسمه زكريا (٣) من فرقة أبيّا (٤) وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات » (٥) وهارون من نسل " لاوى " وحيث إن " مريم " قريبة لأليصابات، يثبت أن مريم من نفس السبط الذى فيه أليصابات، وحيث إن أليصابات من نسل هارون تكون مريم من نسل هارون (٦)، كما قال تعالى : يا أخت هارون (٧) . وجاء في كتاب السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء

---

(١) عدد ٣٦ : ٨ — ٩

(٢) كاهن هو خادم دين وهو الشخص المخصص لتقديم الذبائح، وتعينت رتبة الكهنوت فى عائلة هارون وكان كل ذكر من ذرية هارون كاهنا بشرط أن لا يكون فيه عيب جسدى، وكانت واجبات الكهنة الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية، ويخدمون فى الاحتفالات والتطهير، ويعتنون بالآنية المقدسة والنار المقدسة والمنارة الذهبية، وأثاث المقدس وكانوا يطلقون الأبواق المقدسة ويحملون تابوت العهد ويقضون فى دعاوى الغيرة، ويقدرون المال للافتداء ويفسرون الناموس للشعب، وتفرض على الكاهن فى حياته ومعيشته قوانين لم تكن تفرض على غيره (قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٩١) .

(٣) لا يتولى الكهانة فى بنى إسرائيل إلا أبناء لاوى بن يعقوب، كما أمر الرب موسى : وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لى، وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة، وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى، ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم ..... إلخ (خروج ٤٠ : ١٣ — ١٥) .

(٤) فى سفر أخبار الأيام الأول " وهذه فرق بنى هارون، بنو هارون ناداب وأبيهو وألعازار وإيثامار .... الثامنة لأبيا (٢٤ : ١ — ١٠)

(٥) لوقا ١ : ٥

(٦) انظر: " الفصل فى الملل والأهواء والنحل " ابن حزم، ج ٢، ص ١٤٥ — ١٤٦، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، شركات مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وقد ابتعد عن الحق الشيخ عبد الوهاب النجار، عند ما يقول " إن مريم ليست من ذرية لاوى لأن الشهرة أنها من بيت داود، انظر: قصص الأنبياء، ص ٣٨٣ .

(٧) مريم : ٢٨ . انظر: أقوال المفسرين فى هذه الجملة فى تفسير الفخر الرازى ج ٢١، ص ٢٠٩ .

والقديسين المستعملة فى كنائس الكرازة المرقسية من أيام وآحاد السنة النونية هذا النص : ولدت هذه القديسة (أليصابات) بأورشليم من أب بارا سمه " متثات " من سبط لاوى من بيت هارون واسم أمها " صوفية ". وكان لمتثات ثلاث بنات، اسم الكبرى " مريم " وهي أم سلومى التى اهتمت بالعذراء مريم أثناء الميلاد البتولى ، واسم الثانية " صوفية " وهي أم القديسة أليصابات والدة " يوحنا " والصغرى هي القديسة " حنة " والدة العذراء " مريم " — أم المخلص — فتكون إذن سالومى وأليصابات والسيدة العذراء مريم بنات خالات.(١) وفى إنجيل لوقا فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ، فأجاب الملاك ...... وهوذا أليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ".(٢) ونذر أم مريم ما فى بطنها محررا يثبت أنها من اللاويين ، فقد انقطعت لعبادة الله واتخذت المحراب ، وما كان ذلك مباحا إلا لآل لاوى.(٣) وقال " إكستاين ": إنه صرح فى بعض الكتب التى كانت توجد فى عهده أن مريم من قوم لاوى.(٤) فمن هذه الأدلة كلها نستطيع أن نجزم بأن " مريم " من نسل هارون " وحيث إن مريم من هارون ، يثبت أن عيسى عليه السلام من هارون وليس من داود ومن سبط يهوذا كما يدعى المسيحيون.(٥) لأن النسب

---

(١) نقلا عن كتاب : يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية ، للدكتور أحمد حجازى السقا ، ص ٢٩ . وفى الحديث عن أبى سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة يحيى وعيسى . رواه أبو داود الطيالسى (ابن كثير قصص الأنبياء ، ج ٢ ، ص ٣٥٧) . وفى تفسير الفخر الرازى ، ج ٧ ، ص ٢٦ : أن أليصابات ومريم شقيقتان . وفى مختصر ابن كثير للشيخ محمد على الصابونى : ذكر السهيلى أن امرأة زكريا اسمها أيساع بنت فاقوذ وهي أخت حنة بنت فاقوذ وحنة هي أم مريم ، قاله الطبرى . وقال العتبى : امرأة زكريا هي أيشاع بنت عمران . فعلى هذا القول يكون يحيى ابن خالة عيسى على الحقيقة ، وعلى القول الأول يكون ابن خالة أمه ، والحديث شاهد للقول الأول اهـ . (انظر ج ٢ ، ص ٤٤٣ فى الهامش دار القرآن الكريم بيروت ، ط الثانية ١٣٩٦ هـ) .

(٢) ١ : ٣٥ — ٣٦

(٣) أحمد عبد الغفور عطار " الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، ج ٣ ، ص ٤١٦

(٤) الشيخ رحمت الله الهندى " إظهار الحق " ج ١ ، ص ١١٥ — ١١٦ .

(٥) يقول لوقا فى إنجيله : هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه (١ : ٣٢) ، ويقول بولس : عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد (رومية ١ : ٣) ، ويقول أيضا : اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى (٢ تيموثاوس ٢ : ٨) ويقول أيضا : فإنه =

عندهم هو القرابة،كما يقول "بولس" : إنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل إخوتى أنسابى حسب الجسد ، الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع ...... إلخ (١) • وقد ذكر إنجيل "مرقس" أن المسيح نفسه قد أنكر أن يكون من نسل داود " ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم فى الهيكل كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود" (٢) • لقد حملت مريم بمجرد نفخ الملك فى جيبها والظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء، ويضعن لميقات حملهن ووضعهن، إذ لو كان خلاف ذلك لكان أولى بالذكر، وهذا هو الصحيح (٣) ، وهو أحد قولي ابن عباس (٤) وأيده ابن كثير بحجج قوية (٥) • وكان عمرها ١٣ سنة وقيل ٢٠ عاما وقد حاضت حيضتين • وشاع واشتهر فى بنى إسرائيل أنها حامل ، فما دخل على أهل بيت من الهم والحزن كما دخل على آل بيت زكريا، حتى اتهمها بعضهم بالفاحشة وبالحمل سفاحا من أحد الغرباء أو الجند الرومانى (قيل اسمه باندرا) (٦) وبعضهم اتهمها بأن يوسف الذى كان يتعبد معها فى المسجد قد ضاجعها قبل الزواج •

= واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذى لم يتكلم عنه موسى شيئا من جهة الكهنوت (العبرانيين ٧ : ١٤) •

(١) رومية ٩ : ٣ — ٤

(٢) مرقس ١٢ : ٣٥

(٣) وهناك قول آخر روى عنه بأن مدة الحمل ساعة واحدة فقط. وإليه الدكتور "محمود ابن الشريف" فى كتابه "الأديان فى القرآن" ، ص ١٥٨ ، دار عكاظ للطباعة والنشر جدة، ط الثالثة ١٩٧٩ م، وهناك أقوال كثيرة، انظر: تفسير الفخر الرازى، ج ٢١، ص ٢٠٣

(٤) ابن عباس (٣ ق هـ — ٦٨) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى أبو العباس حبر الأمة الصحابي الجليل ، ولد بمكة ونشأ فى بدء عصر النبوة ، وشهد مع الإمام على فى موقعة الجمل وصفين ، وكف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف ، وتوفي بها ، له فى الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا ، ينسب إليه كتاب فى التفسير • (الأعلام ، ج ٤ ، ص ٩٥) •

(٥) راجع "البداية والنهاية" ج ٢ ، ص ٦٤ ، مكتبة المعارف بيروت ط الأولى ١٩٦٦ م ، و "قصص الأنبياء" ج ٢ ، ص ٣٨٩ •

(٦) ابن قيم الجوزية "هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى" ص ٣٠٥

ولم يشر القرآن الكريم ولا الحديث الشريف إلى المكان الذى ولد فيه المسيح ولا إلى الصورة التى ولد بها، إلا أن " متّى " و " لوقا " قد فصلا تفصيلا، وهذا ما يجعل البعض يرونه أسطورة من الأساطير الموجودة فى الديانات الوثنية كالبراهمة والبوذية وغيرهما. يقول ول ديورانت: " إن تلك القصص التى تذكر عن مولد المسيح (١) فى كهف أو إصطبل، وعن سجود الرعاة والمجوس له وعبادتهم إياه، وعن مذبحة الأطفال الأبرياء والفرار إلى مصر، فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف" (٢). ففى إنجيل " متّى " ولما ولد يسوع فى بيت لحم (٣) اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم، قائلين أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح، فقالوا له فى بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبى، وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منكِ يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل" (٤)

وفى " لوقا " : فصعد يوسف أيضا من الجبل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته، ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمت أيامهما لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل" (٥) ويرى الناقدون أن " متى " و " لوقا " قد اختارا بيت لحم ليقويا بذلك الادعاء بأن يسوع هو المسيح وأنه من نسل داود، كما تتطلب ذلك النبوؤة اليهودية (٦). وذلك لأن أسرة داود كانت تقيم

---

(١) لمن أراد أن يتوسع فى ذلك فليقرأ " العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية" تأليف محمد طاهر التنير.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢١٤ . وانظر أيضا: معالم تاريخ الإنسانية " هـ. ج. ولز، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ج ٣، ص ٦٩١، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط الثالثة ١٩٧٢ م.

(٣) قرية صغيرة مبنية على ١ كم تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة وفيها مياه عذبة تتفجر من أراضيها الخصبة (قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٥).

(٤) متى ٢ : ١ — ٦ (٥) لوقا ٢ : ٤ — ٧

(٦) وردت فى سفر ميخا: أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل. (٥ : ٢)

في بيت لحم (١) . وهناك من قال إنه ولد في الناصرة (٢) .

وقد ذكر القرآن الكريم الآلام النفسية التي تعرضت لها " مريم " بسبب الحمل وابتعادها عن الناس حتى إنها تمنت الموت ، يقول الله تعالى:

((فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)) (٣)

هذا هو الميلاد العذراوي لعيسى عليه السلام، ينفيه الكثيرون ويتشكك فيه الكثيرون ويخشى ذكره الكثيرون ، حتى إن كتاب الأناجيل أنفسهم لم يشيروا إليه سوى " متى " و " لوقا " كما ذكرنا ، والباقون يعرضون عن ذكره . و" بولس " مؤسس المسيحية وداعيتها الأول ، و " يوحنا الحبيب " لا يذكران شيئا عن هذا الميلاد ، كأنه شيئ يخشى الخوض فيه أو الحديث عنه ، مخافة السخرية والتهكم أو الظن والشكوك . وإنجيلا " متى " و " لوقا " اللذان تحدثا عن هذا الميلاد العذراوي ذكراه على استحياء وفي غير التفات إليه أو احتفاء به ، بل إنهما إذ يقولان بميلاد المسيح من عذراء يعودان فيرجعان نسبه إلى داود عن طريق يوسف . ولو أن المسيحية اعتمدت على إنجيلي " مرقس " و " يوحنا " وألغت ما عداهما — وهذا ما كان ممكنا أن يحدث ، إذ قد ألغيت عشرات من الأناجيل — لما كانت هناك إشارة من قريب أو من بعيد إلى الميلاد العذراوي ، ويكون مصير هذا الخبر الضياع والنسيان ثم الإنكار ، كما ضاعت ثم أنكرت أخبار كثيرة كانت للمسيح . لذلك قرر " ول ديورانت " : أن الاعتقاد في أن المسيح ولد من عذراء قد نشأ في عصر متأخر (٤) .

---

(١) ول ديورانت " قصة الحضارة " ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢١٣ .
(٢) " ساعات بين الكتب " عباس محمود العقاد ، ص ٥٣٨ .
(٣) مريم : ٢٢ — ٢٦
(٤) "قصة الحضارة " ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢١٤ .

وإن الأمر ليزيد غرابة حين نجد أن من المسيحيين أنفسهم من يحاول أن ينفيه ويستبعد الاعتقاد به. وهذا ما ذكر في كتاب " حياة يسوع " تأليف الدكتور " بترس سميث " ونقله إلى العربية " حبيب سعيد " حيث نقرأ في صفحة ٢٤ " رأيت من اللائق أن أفرد فصلا خاصا لميلاد المسيح العذراوى ، إذ قد طرح الموضوع في مناقشات علنية، ونجم عنه شيء من الريبة في بعض العقول. ولا يجيء هذا التساؤل من جانب غير المؤمنين فقط، بل هناك نفر من المسيحيين أنفسهم يزعمون أن التساؤل في عقيدة ميلاد المسيح من عذراء لا يؤثر شيئا في الاعتقاد بألوهية المسيح . ورغبة في إزالة الشكوك والشبهات يطالبون بحذف العبارة القائلة " حبل به الروح القدس وولد من مريم العذراء " من قانون الإيمان المسيحي " (١)

ويضيف الكاتب في صفحة ٢٩ قوله : والتساؤل حول الميلاد العذراوى ليس حادثا جديدا ، بل هو قديم نشأ مع الكنيسة ، ويرجع تاريخه إلى الزنديق " كيرنثوس " (٢) خصم القديس " يوحنا " (٣) وثار أيضا في أوقات مختلفة ،كما ثار أيضا في هذا العصر. ولكن مع الفارق أن التحدى في العصور الأولى جاء من الخوارج من قوم جحدوا ألوهية المسيح ، والفكرتان — أي ألوهية المسيح وميلاده من عذراء — قد تمشتا معا جنبا إلى جنب، وجرى الناس إما على قبولهما معا أو رفضهما معا . أما في هذا العصر فيتجه إلى الفصل بينهما ، ويرغب بعضهم ممن يؤمنون بألوهية المسيح أن يترك موضوع الميلاد العذراوى مفتوحا على مصراعيه . وإنها لمحاولة تستحق الإشفاق من جانب المرتاب الذى يميل إلى جعل العقيدة المسيحية سهلة التصديق " (٤) ولكن القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة — حقيقة الميلاد من العذراء الطاهرة العفيفة — فيقضى على شائعات اليهود ، ويمحو تشككات المسيحيين

---

(١) نقلا عن الكتاب " دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام ، للقاضى منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٨٩ ، مكتبة علاء الدين الإسكندرية ، ط الثانية ١٩٧٢ م

(٢) مؤسس الشيعة " الكيرنثيون " يقول : إن المسيح ولد من اجتماع يوسف بمريم وإن المسيح الحقيقى نزل عليه وقت المعمودية وفارقه وقت الصلب (انظر: " تاريخ الكنيسة " ليوسابيوس القيصرى ، ص ١٥٧) .

(٣) القديس كلمة تطلق على من توافرت له شروط خاصة من حياة روحية ورعة وإتيان المعجزات في أثناء الحياة أو بعد الموت كما يزعمون (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧١٩) .

(٤) نقلا عن " دعوة الحق " للقاضى منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٩٠ .

ويجعل مريم وابنها آية للعالمين ، بل القرآن يضع القول المخالف والكفر في مرتبة واحدة ، يقول الله تعالى ((وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)) (١) .

والآن نستطيع أن نجزم بأن ميلاد المسيح من عذراء لا يمكن إثباته إلا بالقرآن ، فلو لا القرآن لاندثرت رواية الميلاد ولعدت من الأباطيل والخرافات التي ترددها الأديان الوثنية القديمة ، فإن الجميع عرفوا " عيسى " على أنه ابن " يوسف النجار " .

يقول متّى : ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ (٢) ». وما أحسن قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى إذ يقول : إن النصارى لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية ولا معجزة إلا بإقرارهم أن محمدا رسول الله ، وإلا فمع تكذيبه لن يمكن أن يثبت للمسيح شيئ من ذلك البتة . وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى في العالم (٤) ». ويقول أيضا : فلولا محمد لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذي هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا (٥) ».

(٣) [placement of note marker (٣) above "أحسن قول الإمام ابن القيم"]

كلامه عليه السلام عقب ولادته كما أثبته القرآن الكريم .

ثم ذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع منه أن المسيح عليه السلام تكلم في المهد ، وذلك ليكون آية على طهر أمه وعفافها ، وبراءة عرضها من أن يعلق بها شيئ من الظنون والشكوك . فإن مريم لما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، فما كادوا يرونها حتى بادروها باللوم والتقريع، ما هذا يامريم ؟ لقد جئت بفاحشة نكراء، إن أباك كان صالحا وأمك طاهرة عفيفة ،

---

(١) النساء ١٥٦

(٢) متّى ١٣ : ٥٤ — ٥٥ ، وفي مرقس : أليس هذا هو النجار ابن مريم ٦ : ٣ . وليس " ابن النجار " كما في متّى .

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حرز الزرعي الدمشقي الحنبلي ، شمس الدين أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ — ٧٥١ هـ / ١٢٩٢ — ١٣٥٠ م) فقيه أصولي مجتهد مفسر نحوي محدث مشارك في أنواع العلوم ، ولد بدمشق وتفقه وأفتى ولازم الشيخ ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق ، توفي ١٣ رجب ودفن في سفح قاسيون بدمشق (معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ، ج ٩ ، ص ١٠٦) .

(٤) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق د . أحمد حجازي السقا ، ص ٣٠٣ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٣١٢ .

فمن أين انحدر إليك السوء ؟ فسكتت مريم وأشارت إلى وليدها الرضيع، فزادت دهشتهم وظنوا أنها تهزأ بهم، إذ كيف يكلمون من كان في المهد صبيا ، لكن الطفل لم ينتظر منهم السؤال ، بل بادرهم بالكلام إعلاما صريحا ببراءة أمه ، وأنه لم يكن إلا عبدالله ولد من غير أب. فصدقه قليلون ، ورآه الباقون سحرا ، وظلت أغلبية بني إسرائيل الساحقة في طغيانهم يعمهون ، فكانوا يسمونه " ابن البغية " وكانوا يقولون على مريم بهتانا عظيما .

يقول الله تعالى :

((فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا))(١)

وفي آية أخرى : وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ(٢)))

وفي آية أخرى : إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا(٣)))

فالقرآن الكريم يذكر لعيسى آية حدثت عند مولده ، لا تقل روعتها عن أعجوبة ميلاده من عذراء ، وهي كلامه للناس بمجرد ولادته ، وهو مازال في المهد طفلا . والذي يدعو إلى الدهشة من هذا الأمر أن الأناجيل الأربعة، ورسائل الرسل كلها لم تشر إلى هذا الحدث العظيم أية إشارة — لا من قريب ولا من بعيد — وأعجب

---

(١) مريم ٢٧ — ٣٣

(٢) آل عمران ٤٦

(٣) المائدة ١١٠

ما في هذا الأمر أن يكون هذا الخبر الذى يخبر به القرآن عن المسيح ليس موضع توقف عند هؤلاء فحسب، بل إنهم يتخذون من هذا دليلا على أن القرآن ليس من عند الله، وأنه يجيء بالأكاذيب والمفتريات .

فقد ورد في بعض " رسائل الجاحظ (١) " " الرد على النصارى " اعتراضهم على القرآن فيما أخبر به عن كلام المسيح في المهد ، يقول الجاحظ : فأما مسألتهم في كلام عيسى في المهد أن النصارى مع حبهم لتقوية أمره لا يثبتونه، وقولهم: إنا تقولناه ورويناه عن غير الثقات، وإن الدليل على أن عيسى لم يتكلم في المهد أن اليهود لا يعرفونه، وكذلك المجوس وكذلك الهند والخزر والديلم .

فنقول في جواب مسألتهم عن إنكار كلام المسيح مولودا ...... لعمرى أن لوكانت اليهود تقر لكم بإحياء الأربعة الذين تزعمون، وإقامة المقعد الذى تدعون، وإطعام الطعام الجمع الكثير من الأرغفة اليسيرة، وتغيير الماء جمدا والمشى على الماء، ثم أنكرت الكلام في المهد من بين جميع آياته وبراهينه، لكان لكم في ذلك مقال ، وإلى الطعن سبيل ، فأما وهم يجحدون ذلك أجمع فمرة يضحكون ومرة يغتاظون، ويقولون : إنه صاحب رقي ونيرنجات ، ومداوى مجانين ومتطبب وصاحب حيل وتربص خدع ...... فكيف تستشهدون قوما هذا قولهم في صاحبكم حين قلتم كيف يجوز أن يتكلم صبي في المهد مولودا فيجهله الأولياء والأعداء (٢) » وقد أكد الرازى (٣) في ذلك بقوله : إنه لولا كلامه الذى دلهم على براءة أمه من الزنا لما تركوا إقامة الحد على الزنا عليها ، ففي تركهم لذلك دلالة

---

(١) عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ (١٥٠ — ٢٥٥ هـ/ ٧٧٥ — ٨٦٨ م) ولد ومات بالبصرة اتصل بعلماء الكلام وانضم إلى المعتزلة وأجاد مناهجهم ،أحاط بمعارف عصره من عربية لغة وأدب وأخبار، وأجنبية هندية فارسية يونانية، ولم يترك موضوعا اجتماعيا أو ثقافيا أو أدبيا إلا كتب فيه، فألف أكثر من ٢٥٠ كتابا ، صور جميع مظاهر النشاط في المجتمع الإسلامى ، وأشهر كتبه: الحيوان، البيان والتبيين ، البخلاء ، المحاسن والأضداد ، (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٥٩١) .

(٢) رسائل الجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر ، ج ٣، ص ٣٢٤ — ٣٢٧ ، تحقيق د . عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي مصر، ط الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .

(٣) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى ،أبو عبد الله فخر الرازى (٥٤٤ — ٦٠٦هـ/ ١١٥٠ — ١٢١٠ م) الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل قرشي النسب أصله من طبرستان ومولده في الرى وإليها نسبته، وتوفي بهراة، وله شعر بالعربية والفارسية ، وكان واعظا بارعا باللغتين (الأعلام، ج ٦، ص ٣٠٣) .

على أنه تكلم فى المهد"(١). فالكلام فى المهد أعجب من كل عجيب، وأغرب من كل غريب، وأبدع من كل بديع، لأن إحياء الموتى والمشي على الماء وإقامة المقعد وإبراء الأعمى وإبراء الأكمه، قد أتت به الأنبياء وعرفه الرسل.

فكيف ضاعت هذه الآية من كتبهم المقدسة ؟ فإخبار القرآن بأن المسيح تكلم فى المهد هو معجزة متحدية.

والقرآن لم يذكر شيئا عن صمته أو كلامه بعد هذه الواقعة التى دافع عن شرف مولده وطهر أمه وعفافها. وروى عن ابن عباس أن عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا، وعاد إلى حال الصغر(٢).

خلاف حول تحديد تاريخ ميلاده عليه السلام.

واختلف الناس فى يوم ميلاده، فيروى "كلمنت"(٣) آراء مختلفة فى هذا الموضوع كانت منتشرة فى أيامه، فيقول : إن بعض المؤرخين يحدده باليوم التاسع عشر من أبريل وبعضهم بالعاشر من مايو، ويحدده هو بالسابع عشر من نوفمبر من العام الثالث قبل الميلاد. وكان المسيحيون الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح فى اليوم السادس من شهر يناير منذ القرن الثانى، وكنيسة رومة فى اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر. وكان قبل هذا يحتفل فيه بعيد "مشراس" أى مولد الشمس التى لا تقهر(٤).

واتفق المؤرخون على أن ميلاد المسيح متقدم على السنة الأولى ببضع سنوات، ولم يولد فى السنة الأولى للميلاد. ففى إنجيل "متّى" : ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك .....(٥) وقد مات هيرودس قبل الميلاد

---

(١) انظر: تفسير الرازى، ج ٢١، ص ٢١٧

(٢) تفسير الفخر الرازى، ج ٢١، ص ٢١٤، وهناك أقوال كثيرة.

(٣) تيتوس فلافيوس كليمنس الإسكندرى (١٥٠ — ٢١٢ م) لاهوتى يونانى، ولد فى أثينا من أبوين وثنيين اعتنق المسيحية، وكان من مؤسسى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، وألف كثيرا (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٤٧٦).

(٤) ول ديورانت "قصة الحضارة" ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢٠٣

(٥) متّى ٢ : ١

المذكور بأربع سنوات . وذكر " لوقا " أن المسيح حين عمده " يوحنا المعمدان " في السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس، كان عمره ثلاثين سنة (١) أي في عام ٢٨ - ٢٩ م . وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ٢ - ١ ق م ، ولكن " لوقا " يذكر أن ولادة المسيح قد تمت أثناء الإحصائية الأولى، إذ كان " كيرينيوس " واليا على سورية، يقول لوقا : وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية .... فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرية إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم ...... ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد" (٣) والمعروف أن كيرينيوس كان حاكما لسورية بين عامي ٦ - ١٢ م. ويذكر " يوسيفوس " أنه أجرى إحصاء بلاد اليهود في عام ٦ - ٧ م (٤) . ففي رواية لوقا صعوبة تاريخية . ومن الغريب أن الإحصاء في هذا التاريخ لم يرد له أي ذكر في تراجم " أوغسطس " ولم تجر العادة قط في دولة الرومان أن يكلف الناس السفر من بلادهم إلى البلاد التي عاش فيها أجدادهم الأسبقون ليكتبوا أسماءهم هناك (٥) . على أي حال فقد كثر النزاع حول تحديد تاريخ ميلاد المسيح ، وقد أثبت " يوسابيوس القيصري في كتابه " تاريخ الكنيسة " أنه لا بد أن يكون الميلاد قبل موت " هيرودس " الذي حدث في ربيع سنة ٧٥٠ لبناء مدينة " رومية " أي ٤ ق م ، ويرجح البعض أنه ولد سنة ٧ ق م (٦) .

لكن أحد أساتذة كمبريدج (Cambridge) اسمه " جون كلارك " يقول : بعد بحث ضاف عن وثائق البحر الميت (التي عثرها البدو في أحد الكهوف على

---

(١) لوقا ٣ : ١

(٢) لوقا ٣ : ٢٣

(٣) لوقا ٢ : ١ - ٦

(٤) انظر: " موسوعة تاريخ العالم " وليام لانجر، ترجمة محمد عواد حسين، بإشراف د . محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢ م .

(٥) انظر: " ساعات بين الكتب " عباس العقاد، ص ٥٣٨ .

(٦) يوسابيوس القيصري " تاريخ الكنيسة " ، ص ٢٧ .

شاطئ البحر الميت سنة ١٩٤٧ م) إنه من الممكن أن المسيح قد عاش قبل مائة سنة قبل التاريخ الذى أجمع الناس عليه الآن، وإن فى ذلك جوابا مقنعا للذين طالما أعربوا عن شكوكهم فى الأدلة التاريخية عن مولد المسيح، لأنها مليئة بالمتناقضات (١).

اختلاف الأناجيل فى ذكر نسبه عليه السلام.

والمسيحيون قد وقعوا فى مأزق عجيب وفى تناقض صارخ. فبينما يقرون أن المسيح ولد من مريم دون أن يمسها رجل، ويؤكدون أن "يوسف النجار" لم يضاجعها ولم يتصل بها اتصالا زوجيا، يعودون فيقررون – جريا وراء أسطورة المسيح المخلص – أن "عيسى" من نسل داود. لو كانت مريم من ذرية داود فينتسب المسيح إلى داود من جهة أمه لكان الأمر مفهوما، ولكن الدهشة أنهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار. والآن لننظر فى نسب المسيح الذى هو نسب "يوسف النجار" كما ذكره "متى" ولوقا". يقول "متّى فى افتتاح إنجيله: كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم، إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد أرام، وأرام ولد عِمِّيناداب، وعِمِّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسّى، ويسّى ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد أبيّا، وأبيّا ولد آسا، وآسا ولد يهوشافاط ويهوشافاط ولد يورام، ويورام ولد عُزِّيّا، وعُزّيا ولد يوثام، ويوثام ولد أحاز، وأحاز ولد حِزقيا، وحِزقيا ولد منَسّى، ومنسّى ولد آمون، وآمون ولد يوشيّا، ويوشيّا ولد يَكُنْيا وإخوته عند سبى بابل، وبعد سبى بابل يَكُنْيا ولد شألْتِئيل، وشألتئيل ولد زَرُبّابل، وزرُبّابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد ألياقيم، وألِياقيم ولد عازور، وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أخيم، وأخيم ولد ألِيود، وأليود ولد أليعازر، وأليعازر ولد متّان، ومتّان ولد يعقوب، ويعقوب

---

(١) انظر: كتاب "ليظهره على الدين كله"، ص ٢٣ – ٢٦، دار الأنصار القاهرة ١٩٨٠، ولم يذكر مؤلف هذا الكتاب اسمه، ويكتفى بذكر كتبه قلم مسلم.

ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح ، فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا "(١) ويقول "لوقا" : ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن مِتثات بن لاوى بن ملكى بن يَنّا بن يوسف بن متّاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نجّاى ابن مآث بن متّاثيا بن شِمْعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربّابل بن شألتئيل بن نيرى بن ملكى بن أدّى بن قُصَم بن ألمُودام بن عِير ابن يوسى بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوى بن شمعون بن يهوذا ابن يوسف بن يونان بن ألياقيم بن مَلَيا بن مَيْنان بن متّاثا بن ناثان بن داود بن يسّى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمّيناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور ابن سَروج بن رعو بن فالَج بن عابر بن شالَح بن قِيْنان بن أرفكشاد بن سام نوح بن لامَك بن متوشالَح بن أخنوخ بن يارِد بن مَهْلَلئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله"(٢)

فالخلاف بين الإنجيلين كبير ، وكأن كلا منهما يذكر نسب إنسان غير الآخر. هذا ، ولقد وردت أنساب الآباء فى أسفار العهد القديم وخاصة سفرى "التكوين" و "أخبار الأيام الأول" . ولمعرفة نسب المسيح كما ورد فى الكتاب المقدس ، نكتفى بدراسة هذا النسب للأجيال من "داود" إلى "يوسف النجار" حسبما تسمح به البيانات فى سفر "أخبار الأيام الأول" ، الإصحاح الثالث، وإنجيل "متى" ، الإصحاح الأول ، وإنجيل لوقا الإصحاح الثالث ، وهو ما نتبينه من الجدول التالى :

---

(١) متى ١ : ١ - ١٧

(٢) لوقا ٣ : ٢٣ - ٣٨

إنجيل متّى	أخبار الأيام الأول	إنجيل لوقا
١ ـ داود	داود	داود
٢ ـ سليمان	سليمان	ناثان
٣ ـ رحبعام	رحبعام	متاثا
٤ ـ أبيّا	أبيّا	قينان
٥ ـ آسا	آسا	ملَيا
٦ ـ يهوشافاط	يهوشافاط	ألِيا قيم
٧ ـ يورام	يورام	يونان
٨ ـ عزيا	أخزيا	يوسف
٩ ـ	يوآش	يهوذا
١٠ ـ	أمصيا	شمعون
١١ ـ	عزريا	لاوى
١٢ ـ يوثام	يوثام	متثات
١٣ ـ آحاز	آحاز	يوريم
١٤ ـ حزقيا	حزقيا	أليعازر
١٥ ـ منَسّى	منسّى	يوسى
١٦ ـ آمون	آمون	عير
١٧ ـ يوشيا	يوشيا	ألمودام
١٨ ـ	يهوياقيم	قُصم
١٩ ـ يَكُنْيا	يَكُنْيا	أدّى
٢٠ ـ شألتِيئيل	شألتِيئيل	ملكى
٢١ ـ	فدايا	نيرى
٢٢ ـ زربّابل	زربّابل	شألتئيل
٢٣ ـ أبيهود	حننيا	زربّابل
٢٤ ـ ألِيا قيم	......	ريسا
٢٥ ـ عازور	......	يوحنا
٢٦ ـ صادوق	....	يهوذا
٢٧ ـ أخيم	......	يوسف
٢٨ ـ أليود	......	شمعى

٢٩ ـ أليعازر	......	متاثيا
٣٠ ـ متان	......	مآث
٣١ ـ يعقوب	....	نجّاى
٣٢ ـ يوسف	......	حسلى
٣٣ ـ	......	ناحوم
٣٤ ـ	......	عاموس
٣٥ ـ	......	متاثيا
٣٦ ـ	......	يوسف
٣٧ ـ	......	ينا
٣٨ ـ	....	ملكى
٣٩ ـ	....	لاوى
٤٠ ـ	....	متثات
٤١ ـ	....	هالى
٤٢ ـ	....	يوسف (١)

إن الجدول السابق يكشف عن عدد الملاحظات التى لاتخفى على أحد ، حتى ولوكان قارئا عاديا من غير المتخصصين . أنسب الرب يخلط متى ولوقا فيه بأغلاط كثيرة وشنيعة ؟ وكلاهما ينسب المسيح إلى يوسف، وما كان له أبا حتى ينسب إليه .فهذان النسبان من جهة الرجال معدوم المعنى ،ولوكان من الضرورى إعطاء المسيح نسبا ، فيجب أن يكون ذلك من جهة أمه مريم فقط . ومع هذا ننقد سلسلة النسب فى الإنجيلين ليظهر ما فيه من أغلاط، وأنقل هنا ما ورد فى كتاب = إظهار الحق = للشيخ رحمت الله الهندى ، حيث يقول : من قابل بيان نسب المسيح الذى فى إنجيل " متى " بالبيان الذى فى إنجيل " لوقا " وجد ستة اختلافات :

---

(١) موريس بوكاى = القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم = دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، ص ١٠٥ دار المعارف مصر ١٩٨٢ م، وانظر أيضا : = المسيح فى مصادر العقائد المسيحية = ، لمهندس أحمد عبد الوهاب ص ٨٠ ـ ٨١ ، مكتبة وهبة القاهرة، ط الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م

١ — يعلم من متى أن يوسف بن يعقوب، ومن لوقا أنه ابن هالي .

٢ — يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود ، ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود .

٣ — يعلم من متى أن شألتئيل بن يكنيا ، ومن لوقا أنه ابن " نيري " .

٤ — يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، ومن لوقا أنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان .

٥ — يعلم من متى أن اسم ابن "زربابل" أبيهود " ومن لوقا أن اسمه " ريسا " ومع اختلافهما فقد اخترع كل منهم اسم ابن زربابل مع أن أبناءه مذكورون تفصيلا بأسمائهم في سفر الأيام الأول (١) : وبنو زربابل مشُلاّم وحَنَنْيا وشلومية أختهم، وحشوبة وأوهَل وبَرَخْيا وحَسَدْيا ويوشب حَسَد ، خمسة. وليس بينهم أبيهود ولا ريسا .

٦ — من داود إلى المسيح ثمانية وعشرون جيلا على ما بين متى وواحد وأربعون جيلا على ما بين " لوقا " .

ولذلك اعترف جماعة من المحققين من أعلام المسيحيين مثل : أكهارن ، وكيرر وهيس، و " ديوت " و " وينز " و " فسش " وغيرهم بأنهما مختلفان اختلافا (٢) . وإذا صدر عن الإنجيليين أغلاط واختلافات في مواضع أخرى فلا غرابة في وجود اختلاف كهذا . وقد ذكر متى أن أسلاف المسيح ينقسمون ابتداء من إبراهيم إلى ثلاث مجموعات يحتوي كل منها على ١٤ اسما ، المجموعة الأولى من إبراهيم إلى داود ، والمجموعة الثانية من داود إلى سبي بابل ، والمجموعة الثالثة من سبي بابل حتى المسيح . وهذا ما كان غلط في الحساب لأنها من سبي بابل إلى المسيح لا تزيد على ثلاثة عشر جيلا . بالإضافة إلى غلطة في النسب ، إذ ذكر المسيح ويوسف من جملة آباء يوسف ، لأنه قال : ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا ، وهو يريد بالجيل هنا الأب، فيلزم أن يكون المسيح ويوسف من جملة آباء ، ويوسف ليس أبا لنفسه (٣) . أما لوقا فقد ذكر قبل إبراهيم عشرين اسما،

---

(١) راجع أخبار الأيام الأول، ٣ : ١٩ — ٢٠

(٢) انظر = إظهار الحق = ج ١، ص ١٥١ — ١٥٤

(٣) انظر: " شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل " ، لإمام الحرمين ص ٤٢ — ٤٤، تحقيق د . أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط الأولى ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م

وأما العهد القديم فلا يذكر إلا تسعة عشر اسما فقط[1]. وقد أضاف لوقا بعد أرفكشاد رجلا يدعى قينان، ولا يوجد أى أثر فى سفر التكوين باعتباره ابن أرفكشاد.

وقد حاول المبشرون تجنب هذه المشكلة بقولهم: إنه ليس المقصود هو شجرة نسب المسيح بتمامها، وإنما يجب أن يدخل فى الحسبان هو فقط نية وضع الخطوط العريضة أو العناصر الجوهرية لنسب المسيح، بالاعتماد على الواقع التاريخى. لكن النصوص تعين بالتحديد أن فلانا قد ولد فلانا وأن هذا ابن ذاك[2]. و"آدم كلارك" نقل عن "هارمرسى" بعد أن أبدى كلارك نفسه حيرته وعدم رضاه بتوجيهات هارمرسى، بقوله: كانت أوراق النسب تحفظ لدى اليهود حفظا شديدا، ويعلم كل ذى علم أن "متى" و"لوقا" اختلفا فى بيان نسب الرب اختلافا تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين[3]. وإن هذا ليزيد فى قدح الغلط، حيث إن وثائق النسب تحفظ تحفظا شديدا، ومع هذا يغلط الإنجيليان الملهمان المعصومان! ولكن هذا الادعاء باطل، وذلك لأن الوثائق أو أرشيف عائلة المسيح لم يعثر عليها قط كما جزم به الكاردينال[4] دانيلو[5]. وقديما حاول "أفريكانوس"[6] فى رسالته إلى أريستيديس[7] التوفيق بين النسبين، لكنه لا يسعفه الدليل كما صرح به نفسه، إذ يقول: إننا وإن كنا لا نستطيع أن نبرز أية شهادة لتدعيمه فإننا ليس لدينا شيئ أفضل أو أصح لتقديمه، وعلى أى الحالات فإن الإنجيل يقرر الحق[8]. وجاء القمص "مرقس

---

(١) تكوين إصحاحات ٤، ٥، ١١.
(٢) موريس بوكاى = القرآن والتوراة والإنجيل والعلم = ص ١١٣
(٣) أحمد عبد الغفور عطار = الديانات والعقائد فى مختلف العصور = ج ٣، ص ٤١٣
(٤) عضو أعلى فى هيئة الكنيسة الكاثوليكية، يلى فى المرتبة بابا مباشرة، يساعد الكرادلة بابا فى إدارة الكنيسة، وهم بمثابة مجلس استشارى له، وهم الذين يختارون البابا، ومنهم يختار. ومنصب الكرادلة منفصلة عن الوظائف الكنسية، فليس بلازم أن يكون أسقفا، وعددهم ٨٥ — كاردينالا (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٤٢١).
(٥) موريس بوكاى = القرآن والتوراة والإنجيل والعلم = ص ١١٥
(٦) معاصر لأوريجانوس، له كتب كثيرة، ذهب إلى الإسكندرية للدراسة الفلسفية.
(٧) فيلسوف أثينى ق ٢ م له أقدم دفاع عن الدين المسيحى، وجهه إلى الإمبراطور الرومانى هادريانيس (١١٧ — ١٣٨ م) (المنجد فى الأعلام، ص ٣٨).
(٨) يوسابيوس القيصرى، = تاريخ الكنيسة = ص ٣٨.

داود" يريد الاعتذار ومحو الخطأ، فزعم أن "متى" كان يكتب نسب "يوسف" ولوقا يكتب نسب مريم (١)، وهذا ادعاء باطل، فإن عبارة كل منهما واضحة وصريحة بأن كليهما ينسب "يوسف" لا "مريم". وإذا سرنا معه، فإن مريم ابنة هالى ونسب إليه يوسف بوصف كونه ختنه، ودخل في عمود نسب هالى. فعلى هذا يكون المسيح من أولاد "ناثان" لا من أولاد "سليمان". وإذا كان من أولاد "ناثان" انتفى كون المسيح مسيحا، ولذلك قال إمام فرقة البروتستنت (٢) "كالفين" (٣) ((من أخرج سليمان عن نسب المسيح فقد أخرج المسيح من كونه مسيحا)) (٤) وأيضا إن هذا التوجيه لا يصح إلا إذا ثبت أن مريم بنت هالى، مع أن ما جاء في إنجيل يعقوب - وهو مردود غير معتمد به ولكنه يعد وثيقة تاريخية، لأنه من مؤلفات العصر المسيحى الأول - من أن مريم منسوبة لأبوين هما "يهوياقيم" و"حانا" (٥) معروف عند الجميع. ثم إن متى ولوقا قد اتفقا على أن "عوبيد" جد داود (٦)، وذكر متّى أن رحبعام ابن سليمان وكلاهما من أجداد المسيح، وأن عوبيد مولود من أمه "راعوث" وراعوث - كما في سفر راعوث - مؤابية -، تزوجها بوعز فأنجبت "يسّى" والد داود (٧). وأما رحبعام بن سليمان فأمه عمونية

---

(١) انظر: "تاريخ الكنيسة" هامش، ص ٣٤.

(٢) بروتستانت: فرقة دينية نشأت عن حركة الإصلاح ومبادئها، والاسم يستعمل للدلالة على معان كثيرة لكنه بمعناه الواسع يطلق على الذين لاينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، أو إلى كنيسة شرقية، وتنطوى على أفكار تحررية في الأمور الدنيوية والدينية، وفى التسامح الدينى، وروح البروتستانتية هي مسئولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٣٥٧). ولمعرفة الاتجاهات الهامة البروتستانتية، انظر كتاب = نشأة الطوائف في المسيحية للمطران إسحاق مسعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٧ م.

(٣) كالفين جون (١٥٠٩ - ١٩٦٤ م) لاهوتي فرنسى بروتستانتى من رجالات الإصلاح وكتابه = أنظمة الدين المسيحى = يوضح مبادئ اللاهوت الكلفنى الأساسية، وهي تختلف عن العقيدة الكاثوليكية، كعدم الاعتراف بسلطان البابا، ونشأ من مبادئه أحد المذاهب المسيحية الهامة، المذهب الكلفنى، وينتشر في إسكتلندا والبيوريتان ونيوانجلند وفرنسا (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٤٧٢)

(٤) أحمد عبد الغفور عطار = الديانات والعقائد = ج ٣، ص ٤١٥ (٥) انظر، ص ٣٠٠ من هذا البحث

(٦) الشيخ رحمت الله الهندى = إظهار الحق = ج ١، ص ١١٥

(٧) جاء في سفر راعوث: فأخذ بوعز راعوث المؤابية امرأة ودخل عليها فأعطاها الرب حبلا فولدت ابنا .... ودعوا اسمه عوبيد هو أبو يسى أبي داود (راعوث ٤: ١٣ - ١٧)

كما جاء في سفر " الملوك الأول " وأما رحبعام بن سليمان فملك يهوذا ... واسم أمه نعمة العمونية "[1] فمن مؤآب ومن عمون ؟ .... لنقرأ ما في سفر التكوين : وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلا ،فسقتا أباهما في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه " بَنْ عَمِّي " وهو أبو بني عمون إلى اليوم "[2]

فموآب وعمون ولدا زنا أب بابنتيه، وهو في غاية القذارة والبشاعة.

فالمسيح منسوب — على رواية متى ولوقا — بواسطة هاتين الجدتين إلى موآب ، وعمون معا، وعلى هذه النسبة يكون موآبيا وعمونيا . وإذا كان موآبيا وعمونيا فقد حقت عليه لعنة الله على زعم توراتهم التي بين أيديهم ، ففي سفر " تثنية " لا يدخل مخصي بالرض أو مجبوب في جماعة الرب، لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب ، لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد "[3]. وعلى هذا لا يدخل المسيح في جماعة الرب ، فضلا عن أن يكون نبي الله، بل ابن الله، بل هو الله، كما يزعمون . تعالى الله عما يقولون فيه ، وتنزه رسله

---

(١) الملوك الأول ١٤ : ٢١
(٢) تكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨
(٣) تثنية ٢٣ : ١ — ٣

وأنبياءه عن تهمهم ومطاعنهم . لذا فإن " موريس بوكاى " لا يكون مبالغا حين يقول : إن شجرتى النسب اللتين يحتوى عليهما إنجيلا " متى " و " لوقا " من نتاج الخيال الإنسانى . ولقد ألهم الخيال الإنسانى كتاب سفر التكوين فى القرن السادس قبل الميلاد ، فى موضوع أنسال البشر الأول ، وهو أيضا الذى ألهم متى ولوقا "(٢) . فالحق إذن أن عيسى هو ابن مريم ولد من غير أب ، كما نص عليه القرآن الكريم ، وأما شجرتا النسب اللتان ذكرهما " متى " ولوقا " فلا علاقة بالمسيح أصلا ، وهما — مع تناقض بعضهما الآخر وتحريفهما — إنما يذكران نسب " يوسف النجار " ويوسف النجار لا علاقة بالمسيح ولا بمريم ، لا من حيث النسب ولا من حيث الخطبة . فإن مريم من سبط هارون وهي من لاوية ، بينما يوسف النجار من سبط يهوذا ، لأنه — طبقا لشريعة موسى — لم يكن مسموحا الزواج من سبط آخر .

---

(١) لاشك أن هذه القصة كاذبة وذلك لعدة أمور : ١ — إن قوم لوط هلكوا بسبب إجرامهم وكفرهم . وما نسبه اليهود إليه هنا أشد قبحا وأعظم جرما ، فإن المعاصى من الأنبياء لهي أقبح منها من دونهم . ٢ — إن الله نجى لوطا وبناته لإيمانهم وصلاحهم . وذلك بمثابة الشهادة لهم من الله على أنهم من الصالحين ، ولا يتصور أن يقع هذا الفجور ممن شهد الله لهم بالصلاح وكافأهم بالنجاة والفلاح ، وخاصة بعد أن أهلك الله أولئك المنحرفين بوقت قصير ، وذلك خير واعظ وأعظم زاجر . ٣ — إن الفاحشة فى بيت الأنبياء عقوبتها ضعفان لقوله تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ . (الأحزاب ٣٠) فأى فاحشة أقبح من أن يسكر نبى فيضاجع بنتيه ، ويكون ذلك من البنتين على سبيل العمد أى الإسكار والمضاجعة ؟ ليس هناك ما هو أقبح من الذنوب بعد الكفر بالله من أن يزنى أب بابنته . ٤ — إن ما نسبوه إلى البنت الكبرى من أنها قالت للصغرى وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، دليل واضح على أن هذه القصة مصنوعة مكذوبة ، وأن واضعها ليس فيه ذرة من عقل ، لأن الهلاك إنما حل بقريتى سدوم وعمورة ، وقرية صوغر التى لجأ إليها لوط وابنتاه عند نجاتهم من القرية المهلكة ، كانت قريبة منهم ، وإبراهيم كان يسكن فى موضع قريب من ذلك المكان ، فكيف يستقيم القول : وليس فى الأرض رجل ، بل هناك رجال ورجال .

(انظر : بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء " ج ٢ ، ص ٥٢٨ ، د . عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم العروسى ، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى الدراسات الإسلامية الشريعة فرع " العقيدة " سنة ١٤٠٢ هجرية / ١٩٨٢ ميلادية مكة المكرمة . وانظر : الفصل فى الملل والأهواء والنحل " لابن حزم ، ج ١ ص ٢٢٤ ، وانظر أيضا : على التوراة " على بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجى الشافعى ، ص ٧٤ تحقيق د . أحمد حجازى السقا ، دار الأنصار القاهرة ط الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .)

(٢) موريس بوكاى " القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " ص ١٠٥ .

نشأته عليه السلام كما ورد في القرآن والأناجيل .

إن نشأة المسيح وحياته الأولى بعد ولادته وقبل بعثته، لم يتعرض لها القرآن الكريم، وذلك لأن الفترة الواقعة ما بين الولادة والدعوة غير ذات شأن في الدين، والقرآن لا يذكر قصة من قصص الأنبياء للقصة في ذاتها، وإنما يذكرها على الأخص للعظة والعبرة، ويذكرها بحسب المناسبات. فقد يذكر موقفا من قصة ما لمناسبة خاصة، ثم يذكر موقفا آخر من القصة نفسها في سورة أخرى لمناسبة أخرى . وقد أشار القرآن الكريم إشارة طفيفة إلى أن عيسى عليه السلام نشأ في كنف أمه في ربوة أي بلدة مرتفعة، ذات استقرار وأمن وماء معين .

قال تعالى :

((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)) (١) .

وغيرها مما يتصل بحياة المسيح ونشأته يتلخص في قصة حمله وولادته، ثم رسالته فقط، ثم تفنيده ما يعتقده النصارى من ألوهيته وبنوته لله .

وقد اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة، قيل إنها "دمشق" كما رواه ابن عساكر (٢) عن ابن عباس والحسن (٣) وإليه الأكثرون . وقيل إنها الرملة (٤) من فلسطين، رواه عبد الرزاق (٥) عن أبي هريرة . وأقرب الأقوال هو ما رواه العوفي (٦)

---

(١) المؤمنون ٥٠

(٢) علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي (٤٩٩ — ٥٧١ هـ/ ١١٠٥ — ١١٧٦ م) مؤرخ حافظ رجاله، كان محدث الديار الشامية مولده ووفاته في دمشق، له كتب كثيرة (الأعلام، جـ ٤، ص ٢٧٣) .

(٣) الحسن البصري ٢١ — ١١٠ هـ/ ٦٤٢ — ٧٢٨ م . الحسن بن يسار البصري أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة وشب في كنف علي ابن أبي طالب، وسكن البصرة وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل بيسان مولى لبعض الأنصار (الأعلام، جـ ٢، ص ٢٢٦) .

(٤) بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس نشبت بينها وبين بيت جبرين معركة أجناد ين ١٣٤ م التي انتصرت فيها المسلمون على البيزنطيين (المنجد في الأعلام، ص ٣١٠) .

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم، أبو بكر (١٢٦ — ٢١١ هـ/ ٧٤٤ — ٨٢٧ م) . من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء وهو خزانة العلم وله تفسير القرآن والحديث، (الأعلام جـ ٣، ص ٣٥٣) .

(٦) العوفي عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسن (٠٠٠ — ١١١ هـ/ ٠٠٠٠ — ٧٢٩ م) ، من رجال الحديث كان يعد من شيعة أهل الكوفة خرج مع ابن الأشعث (الأعلام جـ ٤، ص ٢٩٧) .

عن ابن عباس قال : المعين الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال الله تعالى : قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (١) » وكذا قال قتادة (٢) والضحاك (٣) ، هو بيت المقدس (٤) .

والحقيقة أن نشأة المسيح غير معروفة والأناجيل ينقض بعضها بعضا . ففي إنجيل " متّى " أن يوسف النجار أوحى إليه أن يأخذ الصبي ويهرب به إلى مصر لأن " هيرودس " يريد إهلاكه ، فسافر ومعه الصبي وأمه ، وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : من مصر دعوت ابني (٥) » .

فمتّى يذكر أن عيسى في مصر ولم يرجع إلا بعد موت " هيرودس " لكن الأناجيل الأخرى لم تذكر هذا الحادث ، بل ذكر " لوقا " ما ينقض أقوال " متى " إذ يقول : ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن . ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى ، صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب في ناموس الرب ، أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوسا للرب ، ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب زوج يمام أو فرخي حمام (٦) » ثم مضى يقول : ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة ، وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة ، وكانت نعمة الله عليه وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح (٧) » فما ذكره لوقا نقض لما ذكره " متى " فالمسيح لم يرحل إلى مصر قط ! وذكر " متى " أنه لما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا : قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد

---

(١) مريم ٢٤

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة ، أبو الخطاب الدوسي البصري (٦١ — ١١٨ هـ / ٦٨٠ — ٧٣٦ م) ، مفسر حافظ ضرير أكمه ، وكان مع علمه بالحديث رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب ، مات بواسط في الطاعون (الأعلام ج ٥ ، ص ١٨٩) .

(٣) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم (٠٠٠ — ١٠٥ هـ / ٠٠٠ — ٧٢٣ م) مفسر كان يؤدب الأطفال ، وفي مدرسته ثلاثة آلاف صبي وكان يطوف عليهم على حمار له كتاب في التفسير (الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢١٥) .

(٤) راجع تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ . وتفسير الفخر الرازي ، ج ٢٣ ، ص ١٠٤ ، و " فتح القدير " للشوكاني ، ج ٣ ، ص ٤٨٧ .

(٥) في سفر هوشع : لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابني " (١١ : ١) وهذا في حق إسرائيل الذي هو يعقوب ، فحرفوه وجعلوه في حق عيسى ، ليثبتوا بنوة المسيح لله ، كما هو عادتهم .

(٦) لوقا ٢ : ٢٢ — ٢٤

(٧) لوقا ٢ : ٣٩ — ٤١

مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي » (١) وهذه القصة أيضا موضوع المناقشة، فإن " هيرودس " مات قبل الميلاد بأربع سنوات ، وكماذكرنا سابقا أن مولد المسيح اختلف فيه الباحثون ما بين سبع سنوات قبل الميلاد وسبع سنوات بعد الميلاد (٢) . وأما سبب أمر " هيرودس " بقتل كل طفل في بيت لحم فيحكي لنا " متى " : ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من الشرق قد جاؤا إلى أورشليم قائلين أين هذا المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له ، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه ...... وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضا وأسجد له ،فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبي .... فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا .... حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جدا ، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس » (٣) وهنا مآخذ كثيرة على هذا النص المقدس (٤) .

١ ـ لم يذكر تاريخ المجوس هذه الحادثة ،ولم يؤثر في تاريخهم سجودهم لملك من ملوك إسرائيل أو نبي من أنبيائهم ، فكيف يسجدون للمسيح ؟

٢ ـ لماذا يزورونه ويقدمون له الهدايا ، فكيف يجدون من هو على غير دينهم بل عدوهم ؟

٣ ـ إن " هيرودس " علم مكان المولود، فلماذا يقتل كل أطفال تخوم بيت لحم ؟

٤ ـ لماذا لم تشر كتب التاريخ اليهودي إلى حادثة قتل الأطفال اليهود ؟ مع أنهم كانوا أشد أعدائه ،ولم يتركوا في تاريخه من مذ ماته شيئا إلا ذكروه (٥) ؟

---

(١) متّى ٢ : ١٩ ـ ٢٠
(٢) انظر ص ٢٨ـ٢٩ ، من هذه الرسالة .
(٣) متّى ٢ : ١ ـ ١٦
(٤) انظر: " قصص الأنبياء " للشيخ عبدالوهاب النجار، ص ٣٨٦، وانظر: الديانات والعقائد ،أحمد عبدالغفور عطار ، ج ٣، ص ٥٦
(٥) يقول القمص مرقس داود : أما يوسيفوس فلم يتعرض مطلقا لذكر جريمة ذبح الأطفال. ولا نعلم إن كان ذلك لأنه يجهلها أو لعدم أهمية هذه الفاجعة ؟ ، انظر هامش " تاريخ الكنيسة " ليوسابيوس القيصري، ص ٤٤ وهذا غير معقول.

٥ — لماذا جاء الملاك إلى يوسف ولم يأت إلى مريم كما جاء من قبل إلى أم موسى ؟ أليس من الجيد أن يأتي الملاك إلى مريم أم الله حسب زعمهم ، كما جاء الوحي إلى أم موسى ؟

٦ — لماذا هرب عيسى من جور " هيرودس " إلى مصر ولم يحمه الله في كنفه كما تربى موسى في حجر فرعون ؟

٧ — ولماذا خاف يوسف النجار عند عودته بيسوع ؟ أليس في خوفه شك في أمر الملاك ؟ (١)

لذلك فقد صرح " ول ديورانت " أن تلك القصص التي تذكر عن مولد المسيح في كهف أو إصطبل ، وعن سجود الرعاة والمجوس له وعبادتهم إياه ، وعن مذبحة الأطفال الأبرياء والفرار إلى مصر ، فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف (٢) " .

وحكم " نورتن " المحامي للإنجيل : بأن متى غلط وأن ما حكاه لوقا هو الصحيح ، ولوقا لا يذكر السفر إلى مصر ، بل يقرر نقيضه وهو المقام بأرض الجليل (٣) ، وتردد المسيح في صحبة أمه ويوسف كل عام إلى أورشليم ، ولو كانوا في مصر ما وسعتهم هذه الزيارة السنوية ، ولم يذكر خبر رحلته إلى مصر سوى " متّى " .

ويقول « غوستاف لوبون » (٤) : لا تبحث عن حياة مؤسس النصرانية في الأناجيل كما صنع ذلك زمنا طويلا ، وكما عدل العلم عن اعتقاد إمكانها في الوقت الحاضر ، فهذه الأناجيل هي مجموعة من الأوهام والذكريات غير المحققة التي بسطها خيال مؤلفها (٥) » .

---

(١) = يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء = د . رؤف شلبي ، ص ٨٣ — ٨٤ ، دار الاعتصام القاهرة ، ط الثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٢) = قصة الحضارة = ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢١٤ ، وانظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، ص ٧٨ — ٩٩ ، تأليف محمد طاهر التنير ، و هـ . ج . ولز " معالم تاريخ الإنسانية " ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، ج ٣ ، ص ٦٩١ .

(٣) الشيخ رحمت الله الهندي = إظهار الحق = ، ج ١ ، ص ١١٧

(٤) غوستاف لوبون (١٨٤١ — ١٩٣١ م) عالم نفس واجتماع فرنسي ، وهو من كتاب الغرب الذين أنصفوا الحضارة العربية ، وأشادوا بفضلها على الحضارة الغربية ، عندما نقلت تراث اليونان وعندما وضعت تراثها الخاص في كتابه " حضارة العرب " (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٥١٩) .

(٥) غوستاف لوبون « حياة الحقائق » ترجمة عادل زعيتر ، ص ٦٢ دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ط الأولى ١٩٤٩ م .

ويقول « شارل جينيبير » وكانت هذه الكتيبات — وأهمها مجموعة الأحاديث المنسوبة إلى " متى " — المصادر الأولى لأناجيلنا، إلا أنها لم تكن لتضم سوى عناصر شتى مشوشة من حياة عيسى كما تصورها المسيحيون عندما أوشك جيل أصحابه أن ينقرض .... ولقد كان من العسير التمييز بين الأحداث التاريخية وبين تلك التي فرض الإيمان وقوعها من أجل أن تكمل كلمة الكتاب، أي بين الذكريات الحقيقية الخيمة وبين وحي الروح »[(1)]. ولا يذكر أصحاب الأناجيل إلا القليل الذي لا يغني عن شباب عيسى عليه السلام، ويفهم من إنجيل لوقا أنه كان ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه[(2)]. فمن الواضح أن نشأته كانت نشأة صلاح وتقوى وأنه غيور على الدين منذ صغره، حريص على تفهم حكمه وأسراره، متردد على المجمع الديني متشوق لكلمة الله، مستمع لتلاوة الكتاب المقدس. فكان يجالس العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم، فالبيئة التي تمرس بها صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين.

جاء في إنجيل " لوقا " ذكر حادث جرى في أورشليم: ولما كانت له اثنتا عشر سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد، وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما (أبويه) الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما، وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسائلهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلما أبصراه اندهشا، وقالت له أمه: يا بني لماذا فعلت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين. فقال: لماذا كنتما تطلبانني، ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي، فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما، ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما. وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس»[(4)] سكتت الأناجيل عن المسيح

---

(١) متخصص في دراسة المسيحية بجامعة باريس، ووصل إلى مكانة علمية مرموقة، فكان رئيس قسم تاريخ الأديان. مسيحي المولد والثقافة، ومات على ذلك بعد الحرب العالمية الثانية، وهو فرنسي أصيل وكاثوليكي، وليس فيه نزعة عرق يهودي أو عربي حتى يتهم بالتعصب ضد المسيحية.

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينيبير، ترجمة، د. عبد الحليم محمود، ص ٣١ — ٣٧. دار المعارف بمصر ١٩٨١ م

(٣) لوقا ٢ : ٤٠

(٤) لوقا ٢ : ٤٢ — ٥٢

من عهد أن كانت سنه اثنتى عشرة سنة إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فأين كان يسوع فى هذه المدة الطويلة؟ هناك من يزعم بأن المسيح ذهب إلى الهند وتلقى تعاليم " بوذا " وآداب البوذية (١)، ولما عاد إلى وطنه وأخذ فى التعليم والوعظ كانت تعاليمه محاذية لتعليم بوذا فى الحث على تكميل النفس وتهذيبها. ورد هذا القول بأن مقارنة تعليم المسيح بتعليم " بوذا " تبين أن تعليم " بوذا " كان سلبيا بالحث على تجريد النفس عن الشرور، وأما تعليم المسيح فكان إيجابيا يحث النفس على البذل وفعل الخير للأعداء والأوداء (٢)... إلا أن اكتشاف وثائق البحر الميت عام ١٩٤٧ م بدأ يلقى الضوء على تلك السنوات الصامتة من حياة المسيح مما دفع بعض العلماء إلى القول (٣): لقرون عديدة كان دارسو الكتاب المقدس من المسيحيين يتساءلون عن حقيقة المكان الذى عاش فيه يسوع، وماذا كان يفعل خلال تلك الفترة التى تعرف بالثمانى عشرة سنة الصامتة من حياته، والتى تمتد منذ أن بلغ الثانية عشرة إلى أن صار عمره ثلاثين عاما. إن الوثائق التى تشير الدهشة والإشفاق التى تختص بمكتبة طائفة الأسينيين (من اليهود) والتى وجدت فى كهف تلوكهف قرب البحر الميت، قد أعطتنا الإجابة أخيرا. لقد بدأ يتضح للعلماء أن يسوع خلال تلك السنوات المفقودة كان تلميذا فى هذه المدرسة الأسينية (٤)، كما أنهم بدؤا يقرون بوجود مماثلة مفزعة بين تعاليمه وألفاظه، وبين نظيرتها التى قالها الأسينيون وزعيمهم الذى عرف باسم معلم البر (٥).

---

(١) انظر: ساعات بين الكتب، عباس محمود العقاد، ص ٥٥٢ — ٥٥٧، قارن " قصة الحضارة، ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢١٥.

(٢) انظر: = قصص الأنبياء = عبد الوهاب النجار، ص ٣٨٧.

(٣) منهم د. تشارلس فتر، فى كتابه: Dr.Charles Potter:The Lost Years of Yesus Revealad

(٤) فرقة يشتق اسمهم من أصل أرامى، قيل من فعل آس، وهم المؤاسون الذين يساوون بين الناس، وقيل من أسى وهم الأساة بمعنى الزاهدون، وقيل المفرد هو الآسى الذى يعالج الجراحات وهم الأساة بمعنى الشافون الذين يمتهنون التطبيب، وكانوا لا يأكلون اللحم ويأبون الذبح وينصحون بالاستعفاف إلا من اضطر غير باغ، يؤمنون بالثواب والعقاب وخلود الروح، ويطالبون بأن تكون الملكية على المشاع واكتناز المال محظور، يعزفون عن المنطق ولا يبحثون فى العلم الطبيعى لكنهم يتفكرون فى آثار الله بالنظر والتدبر فى الكون. وقيل إن النبى يحيى قد عاش بينهم، وإن المسيح كان على طريقتهم، وإن دعوته هى دعوتهم، وإن الشركة المسيحية الأولى كانت على منوالهم. (انظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٥٠، مكتبة مدبولى القاهرة، ط الأولى ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.)

(٥) مهندس أحمد عبد الوهاب = حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر =، ص ٩ — ١٠، مكتبة =

وفى كتاب = ليظهره على الدين كله =

يقول العلماء : إن نصوص تلك الوثائق تتحدث عن واحد منهم يعلو كثيرا ويسمونه " السيد الأكبر " المدهون بالزيت أو المسيح الذى اختاره الله ، له شكر موجه إلى الله تبارك وتعالى الواحد الأحد ، وتتحدث الوثائق عن حياة هذا السيد الأكبر بما يشبه حياة السيد المسيح . وقد استقرت فى الأذهان فكرة مؤداها أن هذا السيد أو المعلم هو الذى كان ينزل عليه الوحي ، وجزم بذلك ج.ل. تيتشر ، أحد أساتذة كمبردج قائلا : إن معلم البر والتقوى الذى يتحدث عنه الأسينيون هو نفسه " يسوع المسيح " ولا أحد غيره " (١)

بعثته عليه السلام ومعجزاته كما ورد فى القرآن الكريم .

ذكر القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام بعث فى بنى إسرائيل الذين كثرت فيهم الانحرافات عن التوراة ، ولم يذكر القرآن ولا الآثار الصحاح متى كان ابتداء نبوته ولا كيف كان ذلك ، إلا أن هناك من يرى أن المسيح نبيئ وهو فى المهد (٢) مستدلا بقوله تعالى حكاية عن كلام عيسى عند ما أتت به أمه قومها ، ((آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)) (٣) . وهو قول بعيد عن الصواب ، كما يقول الشيخ الشوكانى (٤) فى " تفسيره فتح القدير " (٥) . وقد اختار هذا القول الدكتور : محمود بن الشريف فى كتابه " الأديان فى القرآن " (٦) تمسكا بظاهر الآية ومنطوقها .

أما عند الجمهور فمعنى تلك الآية الكريمة أن قضى ربى أن يؤتينى الكتاب ويجعلنى

= وهبة القاهرة ، ط الأولى ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .

(١) انظر كتاب : ليظهره على الدين كله ، بقلم مسلم ، ص ٢٣ — ٢٦ .

(٢) راجع تفسير الفخر الرازى ، ج ٢١ ، ص ٢١٤ .

(٣) مريم ٣٠

(٤) محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى الخولانى ثم الصنعانى أبو عبد الله (١١٧٣ — ١٢٥٠ هـ/ ١٧٦٠ — ١٨٧٤ م) ، مفسر محدث فقيه أصولى مؤرخ أديب نحوى منطقى متكلم حكيم ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان ، وولى القضاء وتوفي بصنعاء ودفن بخزيمة ، (الأعلام ، ج ١١ ، ص ٥٣) .

(٥) انظر ج ٣ ، ص ٣٣١

(٦) د . محمود بن الشريف (الأديان فى القرآن) ، ص ١٥٧ — ١٥٨ .

نبيا ، وإنما جاء بلفظ الماضي لإفادة تحققه، فإن ما حكم به الله أزلا لا بد إلا أن يقع.[1]

وهو قول ابن عباس عن عكرمة[2]، وهو الصواب لأدلة ثلاثة ذكرها الرازي في تفسيره :

١ = إن النبي لا يكون إلا كاملا والصغير ناقص الخلقة ، بحيث يعد هذا التحدي من الصغير منفرا ، بل هو في التنفير أعظم من أن يكون امرأة .

٢ = لو كان نبيا في هذا الصغر لكان كامل عقله مقدما على ادعائه للنبوة ، فيكون المعجز مقدما على التحدي وإنه غير جائز .

٣ = لو كان نبيا في ذلك الوقت لوجب أن يشتغل ببيان الأحكام وتعريف الشرائع، ولو وقع ذلك لاشتهر ولنقل، بحيث لم يحصل ذلك علمنا أنه ما كان نبيا في ذلك الوقت .[3]

وكانت رسالة المسيح رسالة إصلاحية، لما طرأ على الشريعة التي أنزلها الله على موسى من التحريف والتجميد من قبل اليهود . وكان لب دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضالة ويبشر بعالم الآخرة[4]، كما كانت رسالته تخفيفا ورفعا لبعض الأحكام التي شدد الله بها على اليهود بسبب ظلمهم وكفرهم، إذ قال الله تعالى :

((فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ، وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً .))[5]

وكان يدعو الناس إلى التمسك بلب التوراة، والرجوع إلى الإخلاص في عبادة الله وحده، ولم يأتهم بشرع جديد ينسخ شريعة موسى سوى بعض الأمور التي وضعها الله عليهم عقابا لهم . قال الله تعالى :

((وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ .))[6]

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني ، ج ٣، ص ٣٣٣

(٢) عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس (٢٥ — ١٠٥ هـ/ ٦٤٥ — ٧٢٣ م) ، تابعي من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل ، توفي بالمدينة. (الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٤٤)

(٣) راجع تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ، ص ٢١٤

(٤) الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني = العقيدة الإسلامية وأسسها = ، ص ٥٠٦ — ٥٠٧ ، دار العلم ، دمشق ، ط الثانية ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م ، وانظر = النبوة والأنبياء = للشيخ محمد علي الصابوني ، ص ١٩٨ — ١٩٩ ط الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م . وانظر: الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية" الدكتور "عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم ص ٢٣٦ ،

(٥) النساء ، ١٦٠ — ١٦١

(٦) آل عمران ٥٠ — ٥١ .

ويتفق هذا مع ما ورد في إنجيل " متّى " على لسان المسيح إذ يقول :

"لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض، بل لأكمل[1] فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة، من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السموات، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات"[2]. وقد نزل عليه الكتاب من عند الله اسمه ((الإنجيل))، قال تعالى :

((وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ))[3].

ودعوة عيسى عليه السلام تشتمل على الإيمان بالكتب السابقة وبمن جاء قبله من الأنبياء، كما تشتمل على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى :

((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ))[4].

وفي تصديقه للتوراة تصديق لرسالة موسى ومن قبله من الأنبياء، لأن الكتب السماوية كلها دعت إلى الإيمان بأنبياء الله، فإن من كذب واحدا منهم فقد كذبهم جميعا، ذلك لأن دعوتهم واحدة ومرسلهم واحد[5]. وجاء المسيح ليجمع بني إسرائيل على كلمة الحق، لاختلافهم في شأن دينهم، قال تعالى : وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ، وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ[6].

---

(١) في الأصل اليوناني بدل " لأكمل " لأملئ كل ثغرة فيه، أي يصلح ما أفسده الربانيون والأحبار من معاني التوراة، (انظر : مقدمة إظهار الحق، للدكتور أحمد حجازي السقا، ص ١٩).

(٢) متّى ٥ : ١٧ ـ ١٩

(٣) المائدة : ٤٦

(٤) الصف : ٦

(٥) د. عبد الشكور محمد أمان " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " ص ٢٣٧.

(٦) الزخرف ٦٣.

ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته، وكفروا به ولم يؤمن به إلا عدد قليل من خواصه. قال تعالى :

((فَآمَنَت طَائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ))(١).

ولما كانت رسالة المسيح إلى قوم أوتوا الخصام والجدال والعناد، أجرى الله على يد المسيح المعجزات الباهرات تصديقا لنبوته وتأييدا لرسالته، وكانت تلك الآيات من جنس ما كان سائدا في قومه، غير أنها ليست مما في استطاعتهم الإتيان به(٢).

يقول الإمام ابن كثير : كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزاته مما يناسب أهل زمانه، وكانوا سحرة أذكياء، فبعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب. ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه، وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره إلا عمن أيده الله، وأجرى الخارق على يديه تصديقا له أسلموا سراعا ولم يتلعثموا . وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأنى لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالا من الأعمى والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن ؟ وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟ هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله. وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم بعث في زمن الفصحاء البلغاء، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فلفظه معجز تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال ولا في الاستقبال »(٣)

ويقول الشهرستاني(٤) في معرض ذكره لمعجزات عيسى عليه السلام: وكانت له آيات

---

(١) الصف : ١٤ (٢) د. عبد الشكور محمد أمان " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية ص ٢٣٩

(٣) = قصص الأنبياء = ج ٢، ص ٤٣٠، و " البداية والنهاية " ، ج ٢ ، ص ٨٤

(٤) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي، أبو الفتح (٤٦٧ ــ ٥٤٨هـ/ ١٠٧٥ ــ ١١٥٣ م)، فقيه حكيم متكلم على مذهب الأشعري، ولد بشهرستان بين نيسابور وخوارزم ورحل إلى بغداد وأقام بها وسمع الحديث بنيسابور وكتب عنه السمعاني، توفي بشهرستان (معجم المؤلفين ، ج ١٠ ، ص ١٨٧).

ظاهرة، وبينات زاهرة، ودلائل باهرة، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة، ونطقه البين من غير تعليم سابق» (١).

وذكر الشيخ "محمد أبو زهرة" الآيات التى أجراها الله على يد المسيح والتى وردت فى القرآن الكريم، وعدها خمس آيات وهي تتلخص فيما يأتى (٢):

١ — تصويره عليه السلام من الطين على شكل الطير، فيكون طيرا بإذن الله، بعد أن ينفخ فيه عليه السلام، والله تعالى هو الخالق فى ذلك بقدرته.

٢ — إحياؤه للموتى بقدرة الله.

٣ — إبراؤه للأكمه والأبرص، وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على دوائهما.

٤ — إنزال المائدة من السماء استجابة لطلب الحواريين، ليطمئن قلوبهم وليعلموا أن قد صدقهم.

٥ — إخباره بأمور غائبة عن حواسه، فقد يخبر تلاميذه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

وهذه الآيات الخمس ورد ذكر أربعة منها فى قوله تعالى:

((أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (٣)

وذكر المعجزة الخامسة فى قوله تعالى:

((إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.)) (٤)

---

(١) انظر: الملل والنحل، جـ ١، ص ٢٢٠، الشهرستانى، تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

(٢) "محاضرات فى النصرانية" ص ٢٣ — ٢٤

(٣) آل عمران ٤٩

(٤) المائدة ١١٢ — ١١٥

ويقول الدكتور " أحمد شلبي " : المشهور أن أكثر معجزات الرسل تأتي من نوع ما اشتهر من الفكر في عهد كل منهم ، وتكون في مستوى أعلى مما يستطيعه الناس، لكن ليس معنى هذا انتشار الطب بين بني إسرائيل في عهد عيسى ، فإن الثابت أن معرفة بني إسرائيل بالطب كانت قليلة حينذاك وقبل ذاك ، حتى لقد كان انتشار الوباء بينهم من أسباب إخراجهم من مصر، والذي نراه أن معجزات عيسى في صميمها تتفق مع طبيعة مولده ، فمعجزاته من نوع مولده، ترمي إلى إحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح، تلك التي أنكرها أكثر بني إسرائيل ». (١) وهذا الرأي يؤيده ما قاله الفيلسوف المؤرخ الفرنسي " رينان " (٢) إذ يقول : كانت صناعة الطب في الشرق في ذلك الزمان كما هي اليوم ، فإن اليهود في فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التي وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ. وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف، كتاب لأبقراط (٣) أبي الطب، موضوعه العلة المقدسة يعني الهستريا ، وفيه وصف هذه العلة وذكر دوائها. إلا أن اليهود في فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب، وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثيرون من المجانين ، وربما ذلك ناشئا من شدة الحماسة الدينية ». (٤) فاليهود الذين بعث المسيح بين ظهرانيهم لم يكونوا إذن على علم بالطب أو الطب الطبيعي على رأي ذلك الفيلسوف المؤرخ .

ويقرر الشيخ " أبو زهرة " هذا الرأي بقوله : وفي الحق أن الذي نراه تعليلا مستقيما لكون معجزات المسيح جاء على ذلك النحو، هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه ، لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء ، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم وأفعال جميعهم ، فجاء المسيح بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة ، وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها ». (٥)

---

(١) د. أحمد شلبي " المسيحية " ص ٤٠ ، مكتبة النهضة القاهرة ، ط السادسة ١٩٧٨ م

(٢) رينان، أرنست Renan مؤرخ ناقد مستشرق فرنسي ، أتم دراسته في باريس واهتم بالدين من الناحية التاريخية لا من ناحية العقيدة ، كتب تاريخ نشأة المسيحية ، أول المستشرقين ألف رسالة عن ابن رشد والرشدية ، أنكر فيها على المسلمين فلسفتهم زاعما أنها فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٩١٣)

(٣) أبقراط Hippocrate (٤٦٠ — ٣٧٠ ق م) طبيب يوناني يعرف بأبي الطب، ولد بجزيرة قوس فصل الطب عن الخرافات والغيبيات وأقامه على أساس علمي، فكان له أعمق الأثر في تقدمه. نقل العرب كتبه إلى العربية وأضافوا إليها شروحا وتفاسير. وأشهر هؤلاء حنين بن إسحاق وعيسى بن يحيى وثابت بن قره وعبد الرحمن بن علي (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٧) .

(٤) نقلا عن كتاب " محاضرات في النصرانية " للشيخ محمد أبو زهرة ، ص ٢٥

(٥) نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

فكانت معجزة عيسى من جنس دعوته وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته، وهذا الرأى هو الحق. تلك الآيات البينات هي معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام الواردة فى القرآن الكريم التى أجرى الله تعالى على يده، تصديقا لنبوته وتأييدا لرسالته، وكما لاحظنا أن القرآن الكريم لم يذكر معجزة بعينها إلا نزول المائدة من السماء، وفيما وراء ذلك يكتفى بذكر أنواعها، وكذلك لم يذكر القرآن الكريم — كما قلت سابقا — متى بدأت نبوة عيسى عليه السلام ولا كيف كان ذلك.

بعثته عليه السلام كما روته الأناجيل.

والآن ننتقل إلى أناجيلهم حيث تذكر أن المسيح بعث فى سن الثلاثين، إذ جاء "يسوع" من الناصرة واعتمد من يوحنا فى الأردن ونزل عليه الروح القدس مثل حمامة. يقول "لوقا": ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا، وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلا: أنت ابنى الحبيب بك سررت"[1]. ويذكر لوقا أن يوحنا المعمدان كانت دعوته فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة "طيباريوس" قيصر، كما يذكر أن يوحنا قد سجن وأن المسيح بدأ بالدعوة فيما بعد[2]. ويتفق مع لوقا فى ذكر قصة تعميد يوحنا للمسيح مرقس. وقد بدأ بذكر بشارة "يوحنا المعمدان" وتعميده للمسيح. يقول مرقس: كان يوحنا يعمّد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم ...... وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن، وللوقت وهو صاعد من الماء رأت السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه، وكان صوت من السموات أنت ابنى الحبيب الذى به سررت"[3]. وبعد أن ذكر "مرقس" هذه القصة، أورد أن يوحنا المعمدان قد أسلم وأن المسيح

---

(١) لوقا ٣ : ٢١ — ٢٢
(٢) راجع لوقا ٣ : ١ — ٢٠
(٣) مرقس ١ : ٤ — ١١

خرج إلى البرية ، وبقي بها أربعين يوما مع الوحوش يجرب من الشيطان ، والملائكة تخدمه ثم بدأ الحديث عن دعوته (١) . وكذلك اتفق " متى " مع " لوقا " و " مرقس " في ذكر قصة يوحنا وتعميده للناس والمسيح ، حيث قال بعد ذكر دعوته للناس إلى التوبة : أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذى يأتي بعدى هو أقوى مني الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه ، وهو سيعمدكم بالروح القدس ونار ..... حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ ، فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر ، حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه ، وصوت من السموات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت " (٢) .

وعقب " متى " بعد ذلك بالحديث عن خروج المسيح إلى البرية ، وصومه بها أربعين يوما ، وتجربة الشيطان له إذ يقول : فتقدم إليه المجرب (إبليس) وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله (٣) ، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ..... قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك (٤) ، ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي ، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب (٥) للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " (٦) . كما ذكر " متّى " أن يوحنا قد أسلم بعد ذلك، وأن المسيح حينما علم بأن " يوحنا قد قبض عليه خرج من الجليل وترك

---

(١) مرقس ١ : ابتداء من عدد ١٢

(٢) متّى ٣ : ١١ — ١٧

(٣) يقصد ما فى تثنية : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان ، (٨ : ٣)

(٤) يقصد ما فى تثنية : لا تجربوا الرب إلهكم (٦ : ١٦)

(٥) يقصد به ما فى تثنية : الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف (٦ : ١٣)

(٦) متى ٤ : ٣ — ١٠

الناصرة فسكن كفر ناحوم (١) على ساحل البحر، ثم بعد ذلك تحدث عن بدء دعوة المسيح إلى التوبة قائلا: من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (٢) وأما إنجيل "يوحنا" فقد خلا من ذكر قصة تعميد "يوحنا المعمدان" للمسيح بطريقة واحدة مباشرة، إلا أنه ذكر أن المسيح لقي "يوحنا المعمدان" وحينما شاهده مقبلا إليه قال "يوحنا المعمدان" هذا هو الذى قلت عنه يأتي بعدى رجل صار قدامى لأنه قبلى، وأنا لم أكن أعرفه، لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء، (٣) وشهد يوحنا قائلا إنى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه، وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه، فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (٤) ولم يذكر إنجيل يوحنا خروج المسيح إلى البرية وبقائه بها أربعين يوما مع الوحوش يجرب من الشيطان .

ونلاحظ هنا أن "متى" و"مرقس" و"لوقا" قد اتفقوا على أن صوتا من السماء قال مخاطبا للمسيح: أنت ابنى الحبيب" (٥) إلا أن لوقا روى قوله: بك سررت" و"مرقس" روى قوله: الذى به سررت" (٦) كما أورد "متى" ذلك بقوله: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (٧) ولكن "يوحنا" يخالفهم ويذكر أن يوحنا المعمدان أخبر بأن الذى أرسله ليعمد بالماء قال له: بأن الذى ترى الروح نازلا عليه، هو الذى يعمد بالروح القدس، ثم شهد يوحنا المعمدان قائلا: وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (٨). يفهم من ذلك أن الذى رأى الروح على شكل حمامة نازلا على المسيح ومستقرا عليه هو "يوحنا المعمدان" وبناء على ما شاهده من نزول الروح عليه، شهد يوحنا المعمدان بأن المسيح هو ابن الله. أما الأناجيل الأخرى فقد ذكرت أن الصوت هو

---

(١) مدينة فى فلسطين واقعة على الشاطئ الشمالى الغربى لبحر الجليل، وهو تل حوم فى الوقت الحاضر (قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٨٢).

(٢) متى ٤ : ١٧

(٣) فى كلامه هذا يحتمل أن يكون المسيح هو المقصود بالتعميد كما يحتمل أن يكون التعميد عاما.

(٤) يوحنا ١ : ٣٠ — ٣٤

(٥) لوقا ٣ : ٢٢

(٦) مرقس ١ : ١١

(٧) متّى ٣ : ١٧

(٨) يوحنا ١ : ٣٣ — ٣٤

القائل بأن المسيح ابن الله، وأن الذى رأى الروح نازلا هو المسيح ، غير أن لوقا لم يذكر من الذى رأى الروح نازلا على المسيح ، واكتفى بقوله: وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة»(١) إلا أنه انفرد بقوله :إن الروح نزل عليه وهو يصلى ، مع أن " متى "(٢) و " مرقس "(٣) ذكرا أن الروح نزل عليه وهو صاعد من الماء بعد تعميده • وأما " يوحنا " فلم يبين فى إنجيله متى شاهد " يوحنا المعمدان "الروح نازلا على المسيح أقبل الاعتماد أم بعده ؟ أهو صاعد أم هو يصلى ؟(٤) •

ومما سبق يتبين لنا أن جميع الأناجيل تجمع على أن " يوحنا المعمدان " كان يعلم تماما أنه يعمد المسيح المنتظر، لكن " متى " و " لوقا " نسيا ذلك كله، وعادا ليخبرا بأن " يوحنا " بعد أن سجن أرسل بعض تلاميذه ليسألوا " يسوع " عما إذا كان هو المسيح المنتظر أم لا ؟ يقول متى : أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟»(٥) ويقول لوقا : فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلا أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟»(٦)

وصرح لوقا أن المسيح نبئ على رأس ثلاثين سنة من عمره(٧)، وجرى على ذلك المؤرخون ومفسرو القرآن الكريم • ولكن هناك رأى مخالف عنه، ذكره الدكتور " فردريك وفارار" فى كتابه ((حياة المسيح)) ، من صفحة ١١١ — ١١٢ ، نقلا عن " إيرانيوس "(٨) حيث قال : إن يسوع كان إذ ذاك فى الخمسين من العمر — عند بدء معمودية يوحنا — متكلا على بعض التقاليد • وقول إيرانيوس تؤكده هذه العبارة من إنجيل "يوحنا " قال عيسى لليهود

---

(١) لوقا ٣ : ٢١

(٢) متى ٣ : ١٦

(٣) مرقس ١ : ١٠

(٤) د ،عبد الشكور " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " ص ١٤٦—١٤٧، و "إظهار الحق "ص ١٢٣

(٥) متى ١١ : ٢ — ٣

(٦) لوقا ٧ : ١٩

(٧) ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة •••• (لوقا ٣ : ٢٣)

(٨) Iraneus من آباء الكنيسة، ولد فى آسيا الصغرى ، وتتلمذ على بوليكار بوس تلميذ يوحنا ، صار أسقفا فى ليون (فرنسا) ويقال إنه مات فيها مقتولا سنة ٢٠٢ م (المنجد فى الأعلام ، ص ١٠١)•

أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى، فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم ؟» لذلك يقول " جروفر " : إنه يستخلص من هذه الآية، أن المسيح عاش (١) خمسين سنة على الأرض" ويقول " متى هنرى " في تفسيره: يقول القديس إيرانيوس — أحد الآباء الأولين — إن هذه العبارة تؤيد التقليد الذى استلمه من بعض الذين عاشروا يوحنا الإنجيلى أن مخلصنا عاش خمسين سنة ". (٢) واتفقت الأناجيل الأربعة على تعميد " يوحنا " للمسيح فى نهر الأردن تمهيدا للرسالة، وأنه نزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة، لكن إنجيل برنابا — (٣) وهو غير معتمد به لدى المسيحيين — لم يذكر ذلك كله، وهذا نصه : ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرنى بذلك نفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتونا، وبينما كان يصلى فى الظهيرة وبلغ

---

(١) يوحنا ٨ : ٥٦ — ٥٧

(٢) نقلا عن كتاب " يوحنا المعمدان " للدكتور أحمد حجازى السقا، ص ٦٤ باختصار.

(٣) من الحواريين الاثنى عشر، كما ذكره هو فى إنجيله (الفصل ١٤) أى ابن الوعظ أو ابن العزاء، أما المراجع المسيحية ذكرت اسم توما بدلا منه (متى الإصحاح ١٠) وأقرت بأنه من أحد السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس، وهو يهودى لاوى قبرصى كان اسمه يوسف، باع ممتلكاته من أجل الجماعة المسيحية، وهو رجل صالح ممتلئ بالإيمان، وهو الذى قدم بولس إلى التلاميذ فى أورشليم، وأدخل الطمأنينة إلى نفوسهم (أعمال الرسل ٤ : ٣٦ — ٣٧ و ١١ : ٣٤) لكنه افترق عن بولس فى رحلته التبشيرية الثانية (أعمال الرسل ١٥ : ٣٦ — ٤٠) هناك رسالة منسوبة إليه لقيت شهرة كبيرة فى أجيال المسيحية الأولى، وشهد لها بعض آباء وعلماء الكنيسة، وله أيضا إنجيل لم تعترف به الكنيسة المسيحية لما فيه من مخالفة ما تهوى إليه شهواتهم فى أربعة أمور: (١) إنه لم يعتبر المسيح ابن الله ولا إله، بل عبده ورسوله. (٢) إن الذبيح الذى تقدم به إبراهيم للفداء هو إسماعيل وليس إسحاق كما هو مذكور فى العهد القديم. (تكوين إصحاح ٢٢). (٣) إن المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل محمد، وقد ذكر محمدا باللفظ الصريح المتكرر فى فصوله. (٤) إن المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم ألقى الله شبهه على يهوذا الإسخريوطى. وقد طبعت رسالته ضمن كتاب " حياة برنابا رسول المسيح " تأليف القمص بيشوى عبد المسيح وكيل مطرانية دمياط، مكتبة المحبة القاهرة بدون سنة، تتكون الرسالة من ٢١ فصلا، وطبع إنجيل برنابا ونشره السيد محمد رشيد رضا لمترجمه الدكتور خليل سعادة، يتكون الإنجيل من ٢٢٢ فصلا، مطبعة محمد على صبيح وأولاده ١٩٥٨ م، قيل إن اليهود قاموا عليه ورجموا ثم أحرقوه، لكن جسده لم يحترق، فدفنوه فى مقبرة فاما غوستا فى قبرص سنة ٩١م (قاموس الكتاب المقدس، ص ١٧٢ والكنيسة المسيحية فى عصر الرسل، ص ٣٤٠ — ٣٤١ وعن إنجيله انظر: " محاضرات فى النصرانية " للشيخ محمد أبو زهرة، ص ٦٦ — ٧٨، واقرأ كتاب " الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام " د. على عبد الواحد وافى، ص ١٠٩ — ١١٣، وقد ترجم هذا الإنجيل من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الإندونيسية الأستاذ رحنيف م (Rahnif.M.) مع تعليقاته القيمة نشرته المؤسسة الإسلامية P.T.Bina Ilmu بمدينة سورابايا ١٩٨١م).

الكلمات : يارب برحمة .... وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون : ليتمجد الله، فقدم له الملاك جبريل كتابا كأنه مرآة براقة " (١) فبرنابا لم يذكر تعميد " يوحنا " للمسيح فى نهر الأردن ، بل ذكر بأن بداية نبوة المسيح ورسالته فى جبل الزيتون وهو يصلى فى الظهيرة، ولم يذكر أن الروح القدس نزل عليه مثل حمامة، وإنما ذكر أن نورا باهرا قد أحاط به وأن المسيح استلم كتابا من جبريل مباشرة . ولم يذكر " برنابا " قصة صيام المسيح ولا تجربة الشيطان ،بل ذكر بأن المسيح انصرف من ذلك اليوم عن أمه ليمارس وظيفته النبوية. (٢)

وبعد فأقول:إن ما ذكره " برنابا " بعيد عن الخيال وبعيد عن السخافة ، قريب من الصواب والحق ، وذلك لأن قصة نزول الروح القدس مثل حمامة، وتجربةالشيطان والصيام أربعين يوما ،وردت فى الديانات الوثنية. قال العلامة " نيت " فى كتابه " الصنائع القديمة والخرافات الوثنية " ص ١٦٩ إن سكان الجزائر فى الأقيانوس عبدوا إلٰها مثلث الأقانيم. فيقولون الإلٰه الآب والإلٰه الابن والإلٰه روح القدس بهيئة حمامة " (٣) وجاء فى كتاب ((الكبيتا Cabita)) وهو أحد كتب البرهميين المقدسة ...... والأقنوم الثالث وهو فى صفته المظلمة وفى صفته الحسنة يعبر عنه بصورة حمامة، ويقصد بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد ، وهو الروح الذى يرف على وجه الماء " (٤) وجاء فى كتاب ((حياة بوذا)) لمونكيور كونوى الصينى ، أن الكائن العظيم بوذا جرد نفسه فى الزهد لدرجة عدم الأكل والشرب والتنفس أيضا .... فأتى الأمير مارا (أى أمير الشياطين) وقصد تجربة بوذا مرارا عديدة،فأجابه : انتبه يا مارا ، اذهب عنى. وقد عمد بوذا المخلص بالماء وحين عماده كان روح الله حاضرا ، وهو لم يكن الإلٰه العظيم فقط، بل وروح القدس الذى فيه

---

(١) برنابا : الفصل العاشر ١ ـ ٣

(٢) برنابا : الفصل العاشر ٨ ،ترجمة خليل سعادة، ص ١٠ ـ ١١ مطبعة محمد على صبيح القاهرة ١٩٥٨ م.

(٣) نقلا عن كتاب ((العقائد الوثنية فى الديانات النصرانية)) للأستاذ محمد طاهر التنير ص ٣١ .

(٤) نفس المرجع، ص ٢٠ ـ ٢١ .

تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا »[1]. وكذلك جرب الشيطان " كوتز لكوتل " مخلص البرازيليين المولود من عذراء، وصام أيضا أربعين يوما . وجرب الشيطان أيضا " زورستر " مؤسس ديانة المجوس ووعده مواعد عظيمة إذا أطاعه، ولكن تجاربه ذهبت سدى . هذا[2]، وأما معجزات عيسى فقد ذكرت الأناجيل أشياء كثيرة من العجائب والخوارق . فقد أخرج الشياطين، وشفى المجانين، وجعل العرج يمشون، والخرس يتكلمون، والعمى يبصرون، والبرصى يبرأون، بل أحيا الموتى من القبور، وخلق من الطين الطيور، وغير ذلك مما يطول ذكرها .

قال الأستاذ " محمد عبده "[3]: أول أصل قام عليه الدين المسيحى وأقوى عماد له هو خوارق العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح دليلا على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق، وعددها فى الأناجيل يطول شرحه، ثم إنه جعل ذلك دليلا على صحة الدين لمن يأتى بعده .... فتجد خوارق العادات من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات "[4]. لذا فنحن المسلمين لا نثبت ما تذكره الأناجيل عن استعمال هذه المعجزات فى الحياة العملية، وذلك لسببين :

١ — إن المعجزة دليل لإثبات النبوة، ومعنى ذلك أنها تستعمل بضع مرات لتحدى البشر حتى يصدقوا، ولكن الذى تذكره الأناجيل أشبه بالتمثيل، أى يميت الله فيحي عيسى من أماته الله، ويقضى الله بالعمى فيهب عيسى الإبصار لكل العميان .

٢ — من أين هذا العدد الكبير من المرضى والموتى والعميان الذين ذكرت الأناجيل أن معجزات عيسى مستهم ؟ حتى يوشك أن يفوق هذا العدد سكان فلسطين جميعا فى ذلك الوقت، وكان كل السكان مسهم البرص أو العمى فشفاهم عيسى أو ماتوا فأحياهم .[5]

---

(١) لمن أراد أن يتوسع فليرجع إلى " العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية " للأستاذ محمد طاهر التنير، من صفحة ١٣٠ — ١٦٥

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٠ — ١٠١

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله (١٢٦٦ — ١٣٢٣هـ/ ١٨٥٠ — ١٩٠٥م) من آل التركمانى فقيه مفسر متكلم حكيم أديب لغوى كاتب صحافي سياسي، ولد فى سفيرا من قرى الغربية بمصر تعلم بالأزهر، وشارك مناصرة الثورة العرابية، فسجن ونفي إلى الشام وسافر إلى باريس وأصدر مع جمال الدين الأفغانى جريدة " العروة الوثقى " وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف وسمح له بدخول مصر، فعاد وتولى منصب القضاء فمفتيا للديار المصرية، توفى بالإسكندرية ودفن بالقاهرة (معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج ١٠، ص ٢٧٢)

(٤) انظر: ((الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية))، ص ٢٢، محمد على صبيح القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

(٥) د . أحمد شلبى ((المسيحية)) ص ٣٩ — ٤٠ .

ويؤكد ذلك ما قد صرح به الكاتب المسيحى الدكتور " مول " إذ يقول: وعند بحث أية معجزة رواها التاريخ ، ينبغى أن نفكر فى قوة الدليل التى تحمله. ومن خطل الرأى أن نصدق كل قصص المعجزات مهما يكن راويها أو أهدافها ومراميها ، ولكن من الحماقة أيضا أن ننكرها كلها ولا نؤمن بشيئ منها"(١). ومع ذلك فإن يوحنا صرح بأن معجزات المسيح لم تذكر الأناجيل إلا بعضا منها، إذ لو ذكرت جميعها لما يسعها العالم. يقول يوحنا فى نهاية إنجيله: وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة "(٢) من الواضح أن هذا القول قائم على الظن ، والظن لا يأتى بالحق " وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا "(٣) ولنفرض أن المسيح قضى فترة رسالته التى لا تبلغ أربع سنوات كاملة — إذ أن أربعة رؤساء كهنة من " حنان " إلى تعيين " قيافا " تولوا المنصب ، ومدة كل منهم سنة(٤) — وهو يصنع آيات ومعجزات، فمن المؤكد أنها لو كتبت جميعها فإن العالم يسعها وزيادة، إضافة إلى ذلك أن المسيح كان يؤنب من يطلب إليه معجزة ولا يقوم بها إلا وهو كاره ، وينهى أتباعه عن إذاعتها ، كما سترى فيما بعد قريبا. ولقد ساءه أن أكبر الأسباب التى دعت الرسل (الحواريين) إلى الإيمان به هو ما أتاه من أفعال عجيبة(٥). وسنكتفى هنا بذكر بعض المعجزات الواردة فى الأناجيل التى أجرى الله بيد عيسى عليه السلام.

تحدثنا الأناجيل أن رجلا أبرص أتى إلى عيسى عليه السلام ، وطلب أن يشفيه " فمد يسوع يده ولمسه قائلا أريد فاطهر ، وللوقت طهر برصه ، فقال له يسوع انظر أن لا تقول لأحد، بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم "(٦) ولقي أعميين فى الطريق ، فيسترحمان منه" فقال لهما يسوع أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ، قالا له نعم يا سيد، حينئذ لمس أعينهما قائلا ، بحسب إيمانكما ليكن لكما ، فانفتحت أعينهما ، فانتهرهما يسوع قائلا انظرا

---

(١) انظر : " رسل المسيح " للدكتور مول ، ترجمة حبيب سعيد ، ص ٢٩ ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر بدون سنة.

(٢) يوحنا ٢١ : ٢٥

(٣) النجم ٢٨

(٤) انظر: " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ترجمة القمص مرقس داود ، ص ٤٨.

(٥) " قصة الحضارة " ول ديورانت، ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٢٢

(٦) متى ٨ : ٣ — ٤ ، ومرقس ١١ : ٤٠ — ٤٩ ، ولوقا ٥ : ١٢ — ١٤

لا يعلم أحد " (١) .

ويروى لنا " مرقس " قصة أعمى شفاه عيسى ، يقول مرقس: وجاء إلى بيت صيدا فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية . وتفل فى عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئا ، فتطلّع وقال أبصر الناس كأشجار يمشون ،ثم وضع يديه أيضا على عينيه وجعله يتطلع فعاد صحيحا وأبصر كل إنسان جليا ، فأرسله إلى بيته قائلا لا تدخل القرية ولا تقل لأحد فى القرية " (٢)

فى هذه الحوادث وأمثالها التى تتكرر فى الأناجيل ، نرى مدى حرص عيسى على أن تظل معجزاته فى طي الكتمان لا يعلمها أحد ، حتى يأخذ بيد الأعمى إلى خارج القرية ، كما فى الحادثة الأخيرة . ويعلل ذلك المهندس " أحمد عبد الوهاب " بقوله : لئلا تشغل الناس عن جوهر الدين والرسالة وأن لا تكون محور اهتمامهم ،فينسون الشريعة ويهتمون بمشاهدة الخوارق والأعاجيب ،وما ذلك إلا حرصا منه على عدم فتنة القوم فيه . لقد كان المسيح يعلم تماما مقدار التخلف الفكرى والعقائدى فى زمانه ،وكيف كان الناس يخترعون آلهة ينسجون حولها أساطير ،وينسبون لها أفعالا يخلطونها بأفعال البشر ، فيقولون هذا إله نزل من السماء وذلك ابن إله صعد إلى السماء " (٣) .لذلك نرى عيسى عليه السلام يوصى الأعميين بالإيمان قبل أن يقوم بشفائهما ،ويأمر الأبرص بالذهاب إلى الهيكل لتقديم القربان لله أمام الكاهن بعد شفائه . وتحدثنا الأناجيل أيضا عن معجزة إشباع آلاف من الجياع بخمسة أرغفة وسمكتين : فقالوا له ليس عندنا هٰهنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان ، فقال ائتونى بها إلى هنا ، فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ، ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ ، والتلاميذ للجموع ، فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفّة مملوءة ، والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد " (٤) .

---

(١) متى ٩ : ٢٨ — ٣٠

(٢) مرقس ٨ : ٢٢ — ٢٦

(٣) انظر: ((النبوة والأنبياء)) المهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ١٠٢ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م

(٤) متى ١٤ : ١٧ — ٢١ و مرقس ٦ : ٣٨ — ٤٤ ، ولوقا ٩ : ١٢ — ١٧ ، ويوحنا ٦ : ٩ — ١٣ .

وتتكرر معجزة الإشباع، فيقوم عيسى بإطعام الطعام أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال بسبع خبزات وقليل من صغار السمك " فأمر الجموع أن يتكئوا على الأرض وأخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسر وأعطى تلاميذه، والتلاميذ أعطوا الجمع، فأكل الجميع وشبعوا ..... والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد " (١).

ويروى لنا " مرقس " قصة شفاء عيسى لرجل أصم الأذنين أعقد اللسان لا يسمع ولا يتكلم " وجاؤا إليه بأصم أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده عليه، فأخذه من بين الجمع على ناحية، ووضع أصابعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه، ورفع نظره نحو السماء وأنّ وقال له إفّثا أى انفتح، وللوقت انفتحت أذنان وانحل رباط لسانه وتكلم مستقيما، فأوصاهم أن لا يقولوا لأحد " (٢) وفى إنجيل " يوحنا " قصة إحياء " لعازر " بعد أربعة أيام لموته، فلقد قالت أخته " مرثا " ليسوع : يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى، لكنى الآن أيضا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه، قال لها يسوع سيقوم أخوك ..... ودعت مريم أختها سرا قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك .... فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى، قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله ... ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتنى .... فخرج الميت " (٣) نرى فى هذه القصص المذكورة كلها أمرين مهمين :

أولا — <u>إن الإيمان بالله ملازم لحدوث المعجزات الكبيرة</u>.

ثانيا — <u>إن المسيح عندما ظهرت المعجزات على يديه كان دائما يدعو الله وحده بالتوفيق والإكرام، ويرفع نظره إلى السماء طالبا من الله العون على الإتيان بها ثم يشكره ويحمده</u>.

وآيات أخرى يذكرها " لوقا " : وإذا رجل من الجمع صرخ قائلا يا معلم أطلب إليك انظر إلى ابنى فإنه وحيد لى، وها روح يأخذه فيصرخ بغتة فيصرعه مزبدا ..

---

(١) متى ١٥ : ٣٥ — ٣٨، ومرقس ٨ : ١ — ٩

(٢) مرقس ٧ : ٣٢ — ٣٦

(٣) يوحنا ١١ : ٢١ — ٤٤.

وبينما هو آت مزقه الشيطان وصرعه،فانتهر يسوع الروح النجس وشفي الصبى وسلمه إلى أبيه، فبهت الجميع من عظمة الله ».(١) وأيضا: إذا امرأة كان بها روحُ ضعفٍ ثماني عشرة سنة،وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة، فلما رآها يسوع دعاها وقال لها يا امرأة إنك محلولة من ضعفك، ووضع عليها يديه ففي الحال استقامت ومجدت الله ».(٢) ولقي عيسى جالسا أعمى على الطريق يستعطى ،فقال : ماذا تريد أن أفعل بك ، فقال يا سيد أن أبصر، فقال له يسوع أبصر، إيمانك قد شفاك ، وفي الحال أبصر وتبعه وهو يمجد الله، وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله ».(٣) ومرة أخرى يقوم عيسى بإحياء ابنة أرملة " نايين " : فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة .... ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال أيها الشاب لك أقول قم ، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه ، فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله، قائلين قد قام فينا نبي عظيم ».(٤)

فنرى مما سبق معجزات مختلفة جرت على يدى عيسى شاهدها الناس، وهم معترفون بأن صاحبها هو الله وحده، وأن من جرت على يديه هو رسوله،فمجدوا الله الذى أعطى عيسى رسوله هذا السلطان على إتيان المعجزات . ولو سلمنا بصحة ما روته الأناجيل من المعجزات التى فعلها عيسى عليه السلام، فإنه ما كان ينسبها إلى نفسه، وما كان يدعى بأنها حدثت بقدرته وإرادته،بل دائما كان عيسى ينسب معجزاته إلى الله وحده، وإنها بقدرة الله وإرادته،وهذا واضح لنا من أقواله: كل شيئ قد دفع إليّ من أبى »(٥) لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا»(٦) أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا »(٧) الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هي تشهد لى »(٨) " أبى الذى

---

(١) لوقا ٩ : ٣٨ ـ ٤٣
(٢) لوقا ١٣ : ١١ ـ ١٣
(٣) لوقا ١٨ : ٤١ ـ ٤٣
(٤) لوقا ٧ : ١٢ ـ ١٦
(٥) متى ١١ : ٢٧
(٦) يوحنا ٥ : ١٩
(٧) يوحنا ٥ : ٣٠
(٨) يوحنا ١٠ : ٢٥

أعطاني إياها هو أعظم من الكل ». (١) " أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي» (٢) و " إن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها، هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني » (٣) " ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني». (٤)

فإذا كانت هذه حقيقة معجزات المسيح وموقفه منها، وقد رأيناه ينسبها دائما إلى الله وحده، فكيف يمكن اتخاذها بعد ذلك برهانا لعبادته وتأليهه ؟!

بل إن عيسى كان يأمل في إرشاد الناس إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة، دون إكراه أو إرهاب أو تخويف ، لذلك لم يكن يلجأ إلى تلك الوسائل إلا مضطرا كارها ، وبعد إلحاح الناس عليه. فنراه زاهدا في هذا الأسلوب وكان يضيق من هذه الوسيلة .

يروي لنا " مرقس " قصة إحدى المرات التي أصرّ فيها عيسى على عدم اللجوء إلى المعجزة لغرض الإيمان على الناس " فخرج الفريسيون وابتدؤا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه ، فتنهّد بروحه وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية، الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية، ثم تركهم ودخل أيضا السفينة ومضي إلى العبر» (٥) بل كان عيسى يزجر طالبيها ويعنفهم. تقول الأناجيل " حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية ، فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية» (٦) فلم ينسب عيسى إذن الخوارق والآيات التي أتاها إلى نفسه، ولكنه ردها إلى صاحبها، إلى الله وحده مرسله وخالقه ، فليس لعيسى من الأمر شيئ، ولكن الأمر كله لله .

والآن نصل إلى الحقيقة التي ترى واضحة كل الوضوح، بأن أقصى ما يقال في معجزات المسيح هو ما قاله " بطرس " رئيس تلاميذه وأعلنه على رؤس الأشهاد : أيها الرجال

---

(١) يوحنا ١٠ : ٢٩
(٢) يوحنا ١٠ : ٣٢
(٣) يوحنا ٥ : ٣٦
(٤) يوحنا ١١ : ٤٢
(٥) مرقس ٨ : ١١–١٣
(٦) متّى ١٢: ٣٨ — ٣٩، ولوقا ١١: ٢٩ .

الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضا تعلمون"[1] فليس عيسى إلا الأداة والوسيلة التي سخرها الله لتحقيق آياته، ليؤمن الناس بالرسالة التي بعثه الله بها. ولقد أنصف الدكتور "مول" إذ يقول: إن المعجزة في العهد الجديد ليست مجرد حادث مذهل يبهر الأنظار ويسلب الألباب، أو نذير بوقوع أمر جلل خطير، إنما هي حادث فيه تتجلى قوة الله وتعمل بطريقة خاصة فهي عمل من أعمال الله "[2] فتلك هي معجزات عيسى الكثيرة التي بالغ البعض في سردها، نجد عدم الاتفاق عليها، لا في الكيف ولا في الكم، لا في الزمن ولا في الأسلوب، كما يتضح ذلك لمن يقرأ الأناجيل الأربعة، فبعضها يقتصد والبعض يغلو ويبالغ إلى درجة تفوق التصور، البعض يورد حوادث لا يوردها الباقون، والبعض الآخر يورد نفس الحادثة بطريقة أخرى تختلف كل الاختلاف عما أورد غيرهم، البعض يؤيد وآخر ينفيها. فمثلا إن معجزة إحياء "لعازر" من الموت بعد بقائه في القبر طوال أربعة أيام وقد أنتن لهي أعظم معجزة المسيح، ومع ذلك لم يذكرها سوى "يوحنا" فهل وقع هذا الحادث فعلا، أم أنه كان من وحي خيال كاتبه؟ وكما يقول الدكتور "مول" متهكما "هل نقدر أن نصدق مثلا أن غلاما قد صعق لأنه اصطدم بيسوع وهو بعد صبي؟"[3] كل ذلك جعل الناس يتشككون في صحة بعض معجزات المسيح، وفي مدى اتفاقها مع الواقع، هل قام عيسى حقا بهذه المعجزات كلها؟ أم قام فقط ببعضها؟... أما نحن المسلمين فيجب علينا أن نؤمن فقط بما أثبته الله من معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام في القرآن الكريم ((وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ))[4]. ولنتساءل الآن، هل نجحت معجزات عيسى عليه السلام العظيمة التي تدعو إلى الدهشة والانبهار في دعوة الناس إلى التصديق والإيمان برسالته؟ من المؤسف أن الوقائع قد أثبتت عكس ذلك.

---

(١) أعمال الرسل ٢ : ٢٢

(٢) انظر: رسل المسيح، للدكتور مول، ص ٢٩

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٤) فصلت ٤١ — ٤٢.

فإن القلوب القاسية التي تفوق الحجارة في قسوتها قد لا تتأثر بها، وسيتضح لنا ذلك في الفصل الآتي من موقف بني إسرائيل تجاه دعوة عيسى عليه السلام ، والبيئة التي كان يعيش فيها ٠

* الفصل الثاني *

البيئة التي عاش فيها المسيح عليه السلام .

إن البيئة التي ولد ونشأ وعاش فيها المسيح عليه السلام بيئة يهودية، بيئة كانت غاية في التعقيد، ظاهرها وحدة الجنس والعادات والتقاليد والدين، وباطنها فرقة أصيلة مستحكمة بينهم. بيئة كان معظم الناس فيها يهتمون بالمسائل الدينية أولا . بيئة شعبية - كما يقول " شارل جنيبير " - يعين أفرادها على الأمل الساذج ترقبهم القلق لتلك المعجزة الباهرة التي سوف يثاب بها اليهود على تقواهم، والتي سوف تجعلهم ملوكا في الأرض . ولكن هذا الشعب لا يجد لدى حكامه من رجال الدين مشاركة في أمله، بل يجدهم على حذر من المشاكل التي قد تترتب عليه فيما يتعلق بصلاتهم بالمستعمر الأجنبي . وإطارات العلماء التي تسوس الشعب لم ترحب كثيرا بأي حركة نابعة من أعماق الجماهير، وقد أكد أحد هؤلاء العلماء أن لا تقوى لدى الجهلاء" (١)

وكانت أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية سيئة للغاية . يقول "الأنبا يؤانس " في كتابه "الكنيسة المسيحية في عصر الرسل" (٢): منذ أن دخل القائد الروماني" بومبي Pompieus " أورشليم ظافرا سنة ٦٣ ق م صار اليهود خاضعين سياسيا للرومان الوثنيين، أقام بومبي حاكما يهوديا على البلاد تحت اشراف ممثل روما . ومضى يقول : وساءت أحوال اليهود الاقتصادية . هناك طبقة كادحة في المجتمع اليهودي يقابلها فئة من كبار الملاك الأثرياء الذين لم يكن لهم همّ سوى زيادة ثرواتهم غير مبالين بالفقراء . أضف إلى هذا الضرائب التي أثقلت كاهل الشعب، فمن ضرائب كانت تجبى لحساب روما يجمعها العشارون بقسوة وإذلال وظلم، إلى ضرائب دينية متنوعة، كان عليهم تقديمها إلى الهيكل، وإلا اتهموا بالخروج على الناموس" (٣)

---

(١) انظر: " المسيحية نشأتها وتطورها " ت، د .عبد الحليم محمود ، ص ٤٧ بتصرف يسير .
(٢) انظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، الأنبا يؤانس ، ص ٢٠
(٣) نفس المرجع ، ص ٢١ .

من أجل ذلك انتشرت البطالة واضطر البعض إلى احتراف السرقة والإجرام، فمشاهد التاريخ مليئة بألوان قاتمة السواد، كأنه لم يكن في العالم شيء من الخير والصلاح.(١)

ويعلل ذلك الشيخ "عبد الوهاب النجار" بقوله: ذلك أن بني إسرائيل قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وحرفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وانحرفوا عن الطريق الواضح، وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوي إلى الإفراط والتفريط، ويتهالكون على المادة ويستغرقون في حب المال، فكانوا يحرضون الفقراء والمحتاجين على النذر للهيكل ليحتووا على ذلك المال، والناذرون في أشد الحاجة إلى بعض ما يبذلون لأنفسهم وعيالهم"(٢) ولعل الأمثلة التي ساقها المسيح — وإن كان قد قصد بها معاني روحية — لكنها تصور لنا هذه الأحوال خير تمثيل، فمثل الدرهم المفقود(٣)، ووصفه للفقراء في مثل العشاء والمدعوين(٤)، والعمال البطالين في السوق طوال اليوم في مثل الفعلة وصاحب الكرم(٥)، ومثل الغني الذي أخصبت كورته ولم يفكر إلا في ذاته وفي كنز ثروته(٦)، ومثل الإنسان الذي كان مسافرا من أورشليم إلى أريحا ووقع بين اللصوص فعروه وجرحوه وتركوه بين حي وميت(٧)، كلها إنما تعكس لنا صورة حية نابضة عن تلك الأحوال السيئة في المجتمع اليهودي الذي عاش فيه المسيح.

وأما حالتهم الدينية فيصفهم "يوسيفوس" — مؤرخهم الذي كان يهم أن يظهر مواطنيه لليونان والرومان في صورة مشرقة — بأنهم شعب فاسد شرير، استحقوا بعدل العقاب المخيف في خراب أورشليم. فهم تمسكوا بحرفية الناموس وبتقاليدهم دون أن يفهموا روح الشريعة أو يعرفوا قوتها، كانوا يتحفظون تحفظ الخوف من الوثنيين. ولذا فقدنا لوا احتقارهم كأعداء للجنس البشري. ومع ذلك فقد استطاعوا بكفاحهم

---

(١) انظر: تاريخ المسيحية، حبيب سعيد، ج١، ص ٣٠، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٨م.

(٢) قصص الأنبياء، ص ٣٩٢ — ٣٩٣

(٣) انظر: لوقا ١٥ : ٨ — ٩

(٤) لوقا ١٤ : ١٢ — ٢٣

(٥) متى ٢٠ : ١ — ٧

(٦) لوقا ١٢ : ١٦ — ٢١

(٧) لوقا ١٠ : ٣٠

وحصا فتهم أن يجمعوا ثروات طائلة، وأن تكون لهم مكانة في بعض المدن الكبيرة في الإمبراطورية الرومانية »[1]. وعلى الرغم من تمسكهم بالناموس الذي يمنعهم من الاتصال بالأمم الأخرى، فإنهم تحت ضغط الظروف السياسية التي مروا بها، انتشروا في العالم أجمع، حتى أصبحت لغة فلسطين يجهلها كثير من اليهود، وصارت اليونانية مألوفة ومتداولة كاللغة الآرامية في مدن اليهودية[2]. إذن إن البيئة التي كان يعيش فيها المسيح غريبة جدا، ملوك وحكام ظلمة، ادعى بعضهم الألوهية، وكلهم كانوا لعنة على شعوبهم، وبجانبهم من بلغوا في الترف والغنى يتبعهما الفجور مبلغ آلهتهم، ووراءهم الشعوب جائعة مقهورة، والدين الصحيح لا وجود له. فاليهود غيروا وأدخلوا فيه الشرك والوثنية، ورجال الدين صاروا أربابا من دون الله. وتبع فساد الدين والعقيدة فساد الخلق والاقتصاد والتجارة، بل انهارت المجتمعات حيث طغى عليها الظلم والمادية، وأصبح عالم الضمير خاليا خربا. فهذه البيئة إذن تحتاج إلى من يخلص البشرية مما انحدرت إليه من الوثنية والشرك والباطل والظلم وخراب العقيدة والضمائر والأخلاق الكريمة، ويعيد إليها الأمن والطمأنينة ببشاشة الأمل، وبسمة الرحمة تبدد عبوس المادية والكفر والباطل. فإن انتظار المخلص أمل البائسين والمحرومين والمكروبين في كل زمان ومكان، وكلما زاد البئوس واشتد الظلم تضاعف أمله في الخلاص المنتظر.

فكان الشعور العام — كما يصور لنا الدكتور « فتحي عثمان » — ينتظر ظهور المسيا كقائد شعبي كبير، يستخدم المعجزات والخوارق للانتصار على الأعداء، والبعض ينتظر من المسيا صراعا دمويا، بينما البعض الآخر يرى أن اليهودية في حاجة ماسة إلى تغيير جذري في دوائر الفكر اللاهوتي اليهودي، يستثير صلات جديدة بين الإنسان وإلهه، ومن ثمّ يقوم على أكتاف المسيا ملكوت روحي سام يحطم الجمود اليهودي »[3]. فكان اليهود كلهم في ذلك العصر يتفقون على اعتقادهم بأن في آخر الزمان نبيا سيبعث في

---

(١) نقلا عن كتاب " الكنيسة المسيحية في عصر الرسل " ، الأنبا يؤانس، ص ٢١ .

(٢) نفس المرجع، ص ٢٢

(٣) انظر: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، ص ٦٠ ، وانظر : موسوعة عباس العقاد ، ج ١ ، ص ٥٧٣ . وانظر أيضا : الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، ج ٣، ص ٧ — ١٢

إسرائيل يدعى مسيحا ، وكانوا يرون أن ذلك المسيح المنتظر سيكون ملكا على بنى إسرائيل ، ويجعل أورشليم عاصمة العالم كله،ويجعلهم يعيشون فى خير كثير ومال وفير. يقول " الشهرستانى " : وهم بأسرهم أجمعوا على أن فى التوراة بشارة بواحد بعد موسى ، وإنما افتراقهم إما فى تعيين ذلك الواحد ، أوفى الزيادة على ذلك الواحد ، وذكر المشيحا وآثاره ظاهر فى الأسفار" (١) وفيما عدا هذا فهم دائما فى خلاف شديد ، وعداوة شرسة ، فى الاتجاهات الفكرية والنزعات الدينية ، فكثرت الفرق والطوائف تختلف فى مبادئها وأسس حياتها ونظرتها إلى الكون ، وإلى ما وراء الكون. والتعريف بهذه الفرق ضرورى لتقرير مكان الدعوة الجديدة بينهم ، وسنتكلم هنا عن أهم الفرق فى العصر الذى عاش فيه المسيح •

الفرق اليهودية فى عصر المسيح عليه السلام •

كان بنو إسرائيل عندما رجعوا من سبى بابل — بعد ما أصدر الملك " قورش " ملك فارس سنة ٥٣٦ ق م أمرا يأذن به لهم بالعودة إلى بلادهم — ظهر عداء شديد بين العبرانيين والسامريين •

أ — أما السامريون فهم خليط من اليهود والأشوريين،كانوا يقيمون فى مملكة إسرائيل القديمة • والسامريون موحدون لا ريب فى توحيدهم ، واعتقادهم راسخ فى أنهم من بنى إسرائيل من آل يوسف الصديق ، وهم لايعترفون بغير أسفار موسى الخمسة من الكتاب المقدس • (٢) ونصوص أسفارهم تختلف فى كثير من المواضع (ما يقرب من ستة آلاف موضع) عن النصوص العبرية • (٣) ويتبعون نصوصها ومنطوقها الحرفى،وهم شديدو الحرص على حرمة السبت، يؤمنون بيوم القيامة وبوجود الملائكة وظهور المسيح

---

(١) انظر : " الملل والنحل " للشهرستانى ، ج ١ ، ص ٢١٩ •

(٢) د • أحمد حجازى السقا فى مقدمة " التوراة السامرية " ترجمة الكاهن السامرى أبو الحسن إسحاق الصورى ، ص ١٧ ، دار الأنصار القاهرة ، ط الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م•

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٥١ •

في آخر الأيام، لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف " على حين يعتقد اليهود أنه من آل داود (١) • وذكر ابن حزم (٢) أنهم يبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون ويوشع، فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان وأشعياء واليسع وإلياس وعاموس وحبقوق وزكريا وأرمياء وغيرهم (٣) • وذلك لأن التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى (٤) • وفي عصر المسيح كان العداء بين السامريين والعبرانيين شديدا لا يطاق، وبسبب العداء كان اليهود لا يعاملون السامريين، ويلقبون الخارج على تقاليدهم بلقب " سامرى " دلالة على أنه منبوذ من قومه • ففي إنجيل يوحنا أن المسيح : أتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار، بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه، وكانت هناك بئر يعقوب • فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة، فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء، فقال لها يسوع أعطيني لأشرب، لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما، فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية، لأن اليهود لا يعاملون السامريين •••• قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي (٥) • وقد آمن بدعوة المسيح كثير من السامريين في حياته ولم يطلبوا قتله • فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد أنه قال لي كل ما فعلت، فلما جاء إليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم فمكث هناك يومين (٦) " وكان العبرانيون يردون على المسيح

---

(١) انظر: موسوعة عباس العقاد، ج ١، ص ٥٨١

(٢) ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/٩٩٤ - ١٠٦٤م) على بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأندلسي القرطبي اليزيدي (أبو محمد) فقيه أديب أصولي محدث حافظ متكلم مشارك في التاريخ والأنساب والنحو واللغة والشعر والطب والمنطق والفلسفة وغيرها. أصله من فارس وولد بقرطبة، وكان يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فأقصى وطورد فرحل إلى بادية لبلة بالأندلس وتوفي بها • (معجم المؤلفين، ج ٧، ص ١٦) •

(٣) " الفصل في الملل والأهواء والنحل " ج ١، ص ١٧٧ - ١٧٨

(٤) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ج ١، ص ٢١٨

(٥) يوحنا ٤ : ٥ - ١٩

(٦) يوحنا ٤ : ٣٩ - ٤٠

بقولهم: ألسنا نقول حسنا إنك سامرى وبك شيطان ؟»(١). وبعد رفع المسيح بشر واحد من تلاميذه "فيلبس" إلى السامريين فلم يرفضوه." فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة، فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح، وكان يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبس عند استماعهم»(٢). ويختلف السامريون عن العبرانيين فى أمور أهمها:

١ — أسفار الأنبياء والتلمود، فإن السامريين يرفضونها بينما العبرانيون يعترفون بها ككتاب مقدس.

٢ — أن السامريين صرحوا فى توراة موسى النص على يوم القيامة، بينما العبرانيون لم يصرحوا به فى توراة موسى، وإنما صرحوا به فى أسفار الأنبياء. واختلفوا فيما بينهم، فقال بعضهم إن البعث ليوم القيامة بالجسد والروح، وقال بعضهم بالروح دون الجسد.

٣ — أن السامريين يقدسون جبل "جرزيم"(٣) فى أرض فلسطين ويتجهون إليه فى الصلاة والحج، والعبرانيون يقدسون جبل صهيون(٤).

٤ — أن السامريين نادوا بشكيم (نابلس) عاصمة لمملكتهم، والعبرانيون نادوا بأورشليم (القدس) عاصمة لمملكتهم(٥). وافترقت السامرة إلى دوستانية وهم الألفانية — أتباع ألفان الذى ادعى النبوة، وزعم أنه هو الذى بشر به موسى — والكوستانية

---

(١) يوحنا ٨ : ٤٨

(٢) أعمال الرسل ٨ : ٤ — ٦

(٣) جرزيم: جبل صخرى منحدر يكون الحد الجنوبى للوادى الذى تقع فيه نابلس (شكيم)، يرتفع ١٨٤٩ قدما فوق سطح البحر المتوسط و ٧٠٠ قدم فوق مدينة نابلس (قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٥٨).

(٤) Sion رابية من الروابى التى تقوم عليها أورشليم وكثيرا ما يطلق اسم صهيون على أورشليم كلها (قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٨).

(٥) د. أحمد حجازى السقا فى مقدمة كتاب "التوراة السامرية" لأبى الحسن إسحاق الصورى، ص ١٤ — ١٥، باختصار.

معناها الجماعة الصادقة (١) .

ب — وأما العبرانيون فهم يهود أورشليم المشهورون باليهود العبرانيين، ومنهم كان "يوحنا" المعمدان والمسيح عليهما السلام ومعظم المبشرين الأولين . فقد كانوا فرقا كثيرة أشهرها فرقتان :

١ — الفريسيون Perushim أي المفرزون الذين أفرزوا أنفسهم عن الأمم، الكلمة من الآرامية، ومعناها المنعزل (٢)، وهي أهم فرق اليهود وأكثرها عددا وأضيقها رأيا وتعليما، كما يقول "بولس" عن نفسه: إني حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسيا (٣) " وهم امتداد لجماعة الحسيد بين (الأتقياء) الذين ظهروا في زمان المكابيين (٤) .

يقول الأستاذ العقاد : وهي أقوى الطوائف اليهودية بكثرة العدد وشيوع المبادئ والآراء وحسن السمعة بين الشعب، وعلية القوم الذين لا يخالطون الأجانب، وإن لم يكن بين أفرادها كثيرون في مرتبة الرؤساء والوجهاء (٦) ". يمكن القول إن رسالة الفريسيين كانت رسالة دينية خالصة كما وصفهم "يوسيفوس" بأنهم أقوياء جدا، فخورون بحفظهم

(٥) [marker placed above "وهي أقوى"]

---

(١) انظر : الملل والنحل، للشهرستاني، ج ١، ص ٢١٨ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٧٤

(٣) أعمال الرسل ٢٦ : ٥

(٤) الحسيديون كانوا ضد النفوذ الهليني (الإغريقي) الذي أخذ يتسرب وقتذاك إلى اليهودية بواسطة السلطات الإغريقية ومن مال إليها، ومن ثم اتحد هؤلاء الحسيديون مع المكابيين في ثورتهم وساندوهم، لأنهم رأوا فيها محاولة جريئة للحفاظ على الناموس المقدس، وكان المكابيون يؤلفون جماعة سياسية تتطلع إلى قيام دولة دينية يهودية، لكن مالبث الحسيديون أن انفصلوا عن المكابيين لكسرهم السبت بالحرب فيه، ولأخذهم رئاسة الكهنوت التي كانت وقفا على نسل هارون. لكن ما لبث الحسيديون أن اختفوا من مسرح الأحداث، فظلت مبادئهم وغيرتهم غير منسية، وهكذا مهدوا لظهور جماعة الفريسيين . (انظر "الكنيسة المسيحية في عصر الرسل" للأنبا يؤانس، ص ٢٧) .

(٥) عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد (١٣٠٦ — ١٣٨٣هـ/ ١٨٨٩ — ١٩٦٤م) إمام في الأدب مصري من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع، ولد في أسوان وشغف بالمطالعة، وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف أجاد الإنجليزية والألمانية والفرنسية، أخرج من تصانيفه ٨٣ كتابا في أنواع مختلفة وكان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة دمشق القاهرة بغداد، توفي بالقاهرة ودفن بأسوان (الأعلام، ج ٣، ص ٢٦٦) .

(٦) موسوعة عباس العقاد، ج ١ (توحيد وأنبياء)، ص ٥٧٦

لناموس آبائهم بكل شقة وبأن الله يحبهم، كانوا — وليس الكهنة — هم مصدر السلطة في المجتمع اليهودي، لكنهم اشتهروا بريائهم حتى صارت الفريسية علما على الرياء. وترجع أهم مميزات هذه الفرقة من ناحية العقيدة إلى أمرين، ذكرهما الدكتور "علي عبد الواحد وافي" (١) وهما:

١ — أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود، بل أن فقهاءهم — وهم الذين يطلق عليهم اسم الربانيين — هم الذين ألفوا أسفار التلمود.

٢ — أنها تؤمن بالبعث، فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينتشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسى.

وذكر في قاموس الكتاب المقدس أن الفريسيين في أول عهدهم من أنبل الناس خلقا وأتقاهم دينا، وقد لاقوا أشد الاضطهاد، غير أنه على مر الزمن دخل حزبهم من كانت أخلاقهم دون ذلك، ففسد جهازهم واشتهر معظمهم بالرياء والعجب فتعرضوا عن استحقاق للانتقاد اللاذع والتوبيخ القاسي (٢). ويظهر أن خصومهم — الصدوقيون — هم الذين أطلقوا هذه التسمية عليهم، لذلك فهم يكرهونها (٣). أما الفريسيون أنفسهم فكانوا يطلقون على أفراد فرقتهم لقب الإخوان أو الرفقاء. وقد يطلق كذلك على هذه الفرقة لقب الربانيين (٤) والأحبار (٥).

وغالبا ما يقترن اسم الفريسيين بالكتبة في الأناجيل، فمن هم الكتبة؟ لم يكن هؤلاء الكتبة طائفة دينية، لكنهم كانوا أرباب حرفة علمية لها شأنها في المجتمع اليهودي، ويبدو أن ظهورهم كجماعة لها كيانها يرجع إلى عصر مبكر عرفوا باسم "السفريم" Sopherim

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ٦٣

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٧٥

(٣) انظر: "اليهودية"، د. أحمد شلبي، ص ٢٢٦ مكتبة النهضة المصرية، ط الخامسة ١٩٧٨ م.

(٤) هذا اللقب يحمل أسمى عبارات التقدير والاحترام بين اليهود في مخاطبتهم معلما دينيا (قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٩٨).

(٥) الحبر هو العالم الصالح مأخوذ من تحبير العلم وتحسينه، ويحمل هذا اللقب رئيس الكهنة. (المنجد في اللغة، ص ١١٣)

ومعناها مؤلف أو شخص يعلم كتاب الناموس (١) . كانت الكتبة إذن مع الفريسيين هم معلمو الناموس، وكانت لهم مكانة عظيمة بين الشعب، وكانوا منتشرين فى بلاد اليهودية بأسرها، ومن أراد درس الشريعة والتعمق فيها ففى مدارسهم. وكانوا درجات من حيث العلم والأهلية، فبعضهم أعضاء فى المجمع الأكبر، وبعضهم ناموسيون أو معلمون ومن لم يكن منهم من العلم فى منزلة تؤهله إلى هذه الأعمال كان كاتبا ينسخ الكتب المقدسة والرسائل والكتب والعقود (٢) . وتذكر المصادر المسيحية أن الفريسيين كانوا ألدّ أعداء المسيح عليه السلام، وأنهم هم الذين يظهرونه بمظهر الداعى إلى شق عصا الطاعة على قيصر، وكانوا رأس المتآمرين به، ولم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم عليه بالصلب فى زعمهم . ففى إنجيل " متى " أن الفريسيين جاءوا إلى المسيح متظاهرين بأنهم يريدون الخير والحق، وقالوا له: يا معلم نعلم أنك صادق وتعلّم طريق الله بالحق، ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟" (٣) فقد جعلوا للمسيح طريقين ليس سواهما، وكلاهما يفضى إلى الفخ القاتل. إن حرم الجزية ثارت السلطة الرومانية، وإن أجازها ثار المؤمنون به، لأنه أحل ما يرونه محرما، لكن أدرك المسيح مكرهم فقال لهم " لماذا تجربوننى يا مراؤون، أرونى معاملة الجزية فقدموا له دينارا، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة، قالوا له لقيصر، فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا " (٤) فتخلص المسيح من كيدهم الخبيث بل أوقعهم فيه، فهم خاضعون للحكم الوثنى الرومانى ويتعاملون بنقود القيصر، فلماذا لا يتخلصون من حكمه الذى سلبهم حريتهم وأذلهم ؟ ولماذا يتعاملون بعملة ويدخرونها ويكنزونها، ثم يتظاهرون بالغيرة لإيقاع المسيح وحده ؟ إن دينار الجزية الذى يدفعونه لقيصر هو ملك قيصر، لأنه عملته فلا غضاضة فى أن يعود إليه (٥) . ومرة أخرى أقبل الفريسيون

---

(١) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل، للأنبا يؤانس، ص ٢٧

(٢) د . أحمد حجازى السقا ((يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية)) ، ص ٢٤

(٣) متى ٢٢ : ١٥ — ١٧

(٤) متى ٢٢ : ١٨ — ٢٢

(٥) انظر : تفسير العهد الجديد، وليم باركلى (إنجيل متى) ج ١، ص ٤٥١، ت القس فايز فارس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بولاق القاهرة، ط الثانية بدون سنة .

والكتبة إلى المسيح يقودون امرأة وقالوا له : يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل ، وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت ؟ » (١)

إن الفريسيين لم يقودوا المرأة المتهمة إليه وهم يقصدون الخير والحق، بل أراد وابعملهم كيدا ، فالمسيح بين أمرين كلاهما موبق، إن لم يفت بالرجم فقد أعلن تنكره شريعة موسى التي أعلن أنه جاء ليتممها لا لينقضها، والتنكر للشريعة جزاءه القتل ، وإن أفتى بالرجم فقد تدخل في شئون السلطة والحكم ، ومن يتدخل في شئون السلطة والحكم فعقوبته الموت، فأدرك المسيح مكرهم وكيدهم ورد المكر والكيد إلى نحرهم ووجه إليهم نفس السهم الذي وجهوه إليه ، وقال لهم: من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر .... فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين ، وبقي يسوع وحده » (٢) فلما سمعوا جوابه أدركوا أن مكرهم قد حاق بهم. ومن منهم يستطيع أن يدعى أنه بلا خطيئة ؟ والخطيئة توثقهم في مسدها . (٣)

٢ — الصدوقيون Saduceens : ترجع تسميتهم إلى " صادوق " رئيس الكهنة الذي أقامه النبي سليمان ، ويشير النبي " حزقيال " إلى أبناء صادوق بأنهم أهل لخدمتهم ويوثق بهم في واجباتهم (٤) . وهي الفرقة التي كانت تالية في الأهمية لفرقة الفريسيين في عصر المسيح ، وكما يصور لنا " يوسيفوس " فإن بينهما الخلافات والمشادات (٥) .

يقول " الأنبا يؤانس " كان الصدوقيون يمثلون أرستقراطية الكهنوت الذين أمسكوا بمقاليد السلطة في الشئون اليهودية إبان سيطرة الفرس ثم خلفاء الإسكندر (البطالمة والسلوقيين). وقد تمتعوا بنفوذ مطلق في الهيكل ، وبالتالي في أورشليم وكل اليهودية .

---

(١) يوحنا ٨ : ٣ — ٥

(٢) يوحنا ٨ : ٧ — ٩

(٣) تفسير العهد الجديد (إنجيل يوحنا) وليم باركلي ، ج ٢ ، ص ١٤ ت د . عزت زكي ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ، ط الأولى ١٩٧٦ م

(٤) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، الأنبا يؤانس ، ص ٢٨

(٥) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٣٩

وكانت تصل إلى أيديهم كل الضرائب التى تجبى باسم الهيكل، سواء من اليهود المقيمين أو من يهود الشتات، فضلا عن نصيبهم من الذبائح والعشور وضريبة الدرهمين (١) .

وهكذا أثرى الصدوقيون ثراء عريضا. كانت هناك مخازن ضخمة بالهيكل اليهودى لخزن كميات كبيرة من البضائع فضلا عن الذهب والفضة ، حسب ما يروى لنا " يوسيفوس " (٢) .

وكان نتيجة ذلك أن انتقلت قيادة الشعب الحقيقية إلى الفريسيين والكتبة. ولا يعرف على وجه التحديد زمان قيام هذه الفرقة، لكن يرجح أنه كان فى زمان حكم « أنطيوخوس أبيفانس Antiochus Epiphanus » (١٧٥ — ١٦٤ ق م) ملك السلوقيين بسوريا الذى أخضع لحكم بلاد اليهودية، حيث بدأ الصراع بين اليهودية والهيلينية. كان التثقف بالثقافة الهيلينية الجديدة هو الطريق الممهد للثروة والجاه السياسى والترقى فى المناصب (٣) .

ويرجع أهم ما تختلف فيه هذه الفرقة من ناحية العقيدة عن فرقة الفريسيين إلى أمرين ذكرهما الدكتور على عبد الواحد وافى (٤) :

١ — إنها لا تعترف إلا بالعهد القديم، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى .

٢ — إنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر والملائكة والأرواح ، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان فى حياتهم فى الدنيا .

ويذكر إنجيل " متى " أن الصدوقيين قد حاولوا أن يوقعوا المسيح بشباكهم بطرحهم عليه سؤالا محرجا عن اليوم الآخر ، لكنهم أخفقوا فى ذلك . وبين المسيح لهم فساد ما يعتمدون عليه من أدلة فى هذا الموضوع "فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه، قائلين يا معلم قال موسى إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويُقِمْ نسلا لأخيه، فكان عندنا سبعة إخوة وتزوج الأول ومات ، وإذ

---

(١) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٢٨

(٢) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٣٩

(٣) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٢٨

(٤) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، ص ٦٤

لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه، وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة، وآخر الكل ماتت المرأة أيضا، ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة، فإنها كانت للجميع، فأجاب يسوع وقال لهم: تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء، وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ليس الله إله أموات بل إله أحياء، فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه» (١) وقد كانت الحملة على المسيح بقيادة اثنين من كبار الكهنة "حنانيا وقيافا" وهما صدوقيان. (٢)

ويذكر "ابن حزم" أن هذه الفرقة كانت تقول: إنّ عزيرا هو ابن الله. (٣) ولعل هذه الفرقة هي التي يعنيها القرآن الكريم إذ يقول: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)). (٤)

وتمتاز هذه الفرقة بحرصها على إقامة علاقات ودية مع الشعوب الأخرى، بينما كانت الفريسيون تنظر إلى غير الإسرائيلي نظرتها إلى عدو، بل كانت تنظر هذه النظرة إلى غير أفراد نحلتها من اليهود أنفسهم. ومع كثرة الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين فإنها كانت لا تقل عن الفريسيين في مبلغ عداوتها للمسيح والكيد له وتعويق رسالته، بل قاوموه أكثر من سواهم. (٥) وإذا كان اليهود قاوموا دعوة المسيح وعارضوها معارضة شديدة، فإن ذلك لم يكن إلا من قبل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب الذين يسيطرون على عقول العامة الضعفاء الذين لا يعلمون من الدين عدا ما يأمرهم به أولئك الرؤساء. (٦) لذلك خاطب المسيح جموع اليهود وتلاميذه قائلا: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون، فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس، فيعرّضون عصائبهم ويعظّمون

---

(١) متى ٢٢ : ٢٣ – ٣٣
(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٤٠.
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ ١، ص ١٧٨
(٤) التوبة ٣٠
(٥) د. أحمد شلبي "اليهودية" ص ٢٣١
(٦) د. عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم "الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية" ص ١٦٠.

أهداب ثيابهم، ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع، والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي " (١) هكذا يكشف المسيح عليه السلام حقيقة معارضيه من زعماء اليهود وعلمائهم لمن يستمع إليه من تلاميذه وعامة الشعب، ثم لا يكتفي بفضح ما في نفوسهم من رياء ومكر وخداع بل واجههم بقوله : ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ..... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا، ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا، ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيئ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم .... ومن حلف بالمذبح فليس بشيئ، ولكن من حلف بالقربان عليه يلتزم ... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة، هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا، ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين، وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم، لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل" (٢) ثم أخذ المسيح يوبخ مدينة أورشليم مخاطبا لها: يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يترك لكم خرابا" (٣)

---

(١) متى ٢٣ : ٢ — ٧
(٢) متى ٢٣ : ١٣ — ٣٦
(٣) متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٩

فى هذا الجو الاجتماعى والنفسى والفكرى عاش المسيح عليه السلام، وإلى هذا الشعب كانت رسالة المسيح عليه السلام، بهذه القلوب المتحجرة اصطدمت دعوة المسيح. ولم يستجب له إلا طائفة منهم مع ما وجدوا منه من الآيات التى أجراها الله على يديه، ولو كانت الآيات وحدها تكفى لدخول الناس فى دين الله جميعا، لكان ما أوتيه عيسى عليه السلام كافيا لدخول قومه من غير أن يتخلف منهم أحد عن الإيمان به، وخاصة ماداموا يتعلقون بدين سماوى جاء المسيح عليه السلام مصدقا له.

يقول الشيخ محمد أبوزهرة : بعث المسيح بتلك البينات وأيد رسالته بتلك المعجزات، وإنها باهرة تخرس الألسنة وتقطع الطريق على منكرى رسالته، لو كان الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالة والقلوب الشاردة، ولكن القوم الذى بعث فيهم كانوا غلاظ الرقاب قساة القلوب، فكانت مهمته شاقة إذ حاول هدايتهم، لأن منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون إلى المظاهر والأشكال منها، دون الاتجاه إلى لبها وغايتها، حتى لقد كان منهم من يحجم عن عمل الخير فى يوم السبت زاعما أنه داخل فى عموم النهى عن العمل فيه» (١) والنصوص القرآنية تدل على انحراف بنى إسرائيل حينذاك لم يقتصر على الناحية السلوكية فحسب، بل امتد إلى صلب العقيدة حيث أشركوا بالله تعالى وزعموا أن لله ولدا، وفى ذلك يقول الله تعالى:

((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)) (٢)

ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى: إن فهمهم للذات الإلهية لم يكن فى أى عصر من عصورهم صحيحا، فعبدوا العجل تارة والأصنام تارة أخرى، وتصوروا الله فى صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل» (٣)

وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى سفرى " التكوين والخروج " من ذلك ما يذكره سفر التكوين من أن لله أولادا من الذكور، وأن هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائى كان عددهن قد كثر فى الأرض، فاتخذوهن خليلات وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة فى الجسم، وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان (٤).

---

(١) انظر : محاضرات فى النصرانية، ص ٢٦ — ٢٧

(٢) التوبة ٣٠

(٣) انظر: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، ص ٢٧

(٤) راجع تكوين ٦ : ١ — ٤

ومن ذلك أيضا ما ورد في سفر التكوين: أن الله بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع، وكان يوم سبت. وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل (١). وعلى زعمهم هذا يرد الله تعالى في القرآن الكريم إذ يقول:

((وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)) (٢)

أي لم يمسنا تعب حتى نحتاج إلى الراحة. وكانوا يعتقدون بأن لهم إلٰها خاصا وهو إلٰه إسرائيل، وأنهم هم أولاده وأحباؤه، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى، وأن إلٰههم في صراع مع هذه الآلهة، أي كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة، كما كانوا يعتقدون أن الله يرتاح للضحايا المحرقة (وهي التي تحرق أجزاؤها في المذبح تحت إشراف أحد اللاويين) وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها (٣). ويرد الله تعالى في القرآن الكريم على مزاعمهم هذه، ((لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)) (٤). ويذكر ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" أن سفرا من أسفار التلمود يسمى "سفر توما" قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها بأنها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع (٥). وفي كتاب آخر من التلمود يقال له "سادرناشيم" أن في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب، وفي أصبعه خاتم تضيئ منه الشمس والكواكب، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه "صندلفون" (٦) وأشنع من هذا كله ما جاء في كتبهم بأن رجلا اسمه "إسماعيل" كان إثر خراب بيت المقدس سمع الله يئن كما تئن الحمامة وهو يقول: الويل لمن أخرب بيته وضعضع

---

(١) راجع تكوين ٢ : ١ — ٣

(٢) ق ٣٨

(٣) راجع لاويين الإصحاح الأول

(٤) الحج ٣٧

(٥) "الفصل في الملل والأهواء والنحل" ج ١، ص ٣٢٤

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٢٥

ركنه وهدم قصره وموضع سكينته، ويلي على ما أخربت من بيتي، ويلي على ما فرقت من بنيّ وبناتي، قامتي منكسة حتى أبني بيتي وأرد إليه بنيّ وبناتي. فلما شعر الله بوجود إسماعيل بجواره أخذ بثيابه وقال له اسمعتني يا ابني إسماعيل؟ قال لا يا رب، فقال له الرب: يا ابني إسماعيل بارك عليّ، فبارك عليه ومضى (١). وكذلك أنهم قد أفردوا عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدون فيها ربا آخر غير الله، ويطلقون عليه اسم الرب الصغير، وهذا الرب الصغير هو "صندلفون" الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم (٢). وهذا قليل من فضائحهم الكثيرة (٣). أما من الناحية السلوكية فقد كانوا يدعون أنهم شعب الله المختار لا يدانيهم في الشرف غيرهم من البشر، وزعموا أنهم من العنصر الإلهي واعتبروا غيرهم من عنصر الشياطين الذين خلقوا لخدمتهم على الهيئة الإنسانية. ففي كتاب "الكنز المرصود" وقال الرابي "منا حم" أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ٣٢٦

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٢٨

(٣) ومن أقوال التلمود أيضا: لا عمل لله في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة، وفي ساعات النهار الثلاث الأخيرة يجلس الله ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وأن الله ليس معصوما من الخطأ، فهو يندم على تركه اليهود شعبه المختار في حالة التعس عند ما كتب الذلة والمسكنة عليهم، وأنه ليس معصوما من الطيش، لأنه حين يغضب يستولي عليه الطيش، كما حدث يوم غضب من بني إسرائيل في الصحراء وحلف أن يحرمهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقته، ولم ينفذ القسم وهو يحنث في يمينه. وأن الله يكذب بقصد الإصلاح، إذ كذب ليصلح بين إبراهيم وزوجه سارة، لذلك فالكذب حسن وسائغ من أجل الإصلاح، وخلق الله الشياطين يوم الجمعة عند الغروب، ولم يخلق لهم أجسادا وملابس لأن يوم السبت كان قريبا، فلم يكن لديه من الوقت ما يكفيه لخلق الأجسام والملابس، وأن يسوع الناصري في لجج الجحيم بين العار والنار، حملته أمه من باندرا العسكري سفاحا.

(راجع كتاب: إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية لإبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي القاهرة ١٩٦٧ م).

الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة "(١) وجاء فيه أيضا قوله وقال " الحاخام أبار بابيل " المرأة الغير يهودية هي من الحيوانات ، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلا ونهارا حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة "(٢) هذه عقيدة اليهود ونظرهم إلى غيرهم من البشر، ولهذه الاعتبارات جابهوا دعوة المسيح عليه السلام ، لأنها تحول بينهم وبين ما يشتهون . وبهذا لم يزدهم دعاء المسيح عليه السلام إلا كفرا وعنادا وسخرية بغيرهم من الأمم ، كما قال تعالى :

((وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .))(٣) وقال أيضا :

((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ .))(٤) يقول صاحب تفسير المنار في تفسير هذه الآية : أي قل لهم أيها الرسول إذا كان الأمر كما زعمتم، فلم يعذبكم الله تعالى بذنوبكم في الدنيا كما تعلمون من تاريخكم الماضي وكما ترون في تاريخكم الحاضر، ومن هذا العذاب لليهود ما كان من تخريب الوثنيين لمسجدهم الأكبر ولبلدهم المرة بعد المرة، ومن إزالة ملكهم من الأرض "(٥) فلما يئس المسيح عليه السلام من إيمان بني إسرائيل وعلم بكفرهم به، طلب من يبايعه على الصحبة والإيمان فاستجاب له نفر قليل من قومه ، وآزروه وأشهدوه على إيمانهم وإسلامهم .

---

(١) انظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص ٦٨ ، ترجمة د . يوسف حنا نصر الله ، بيروت ، ط الثانية ١٣٩٩ هـ ، والكتاب ترجمة لكتابين ألفا بالفرنسية أحدهما للدكتور روهلنج واسمه " اليهودي على حساب التلمود " والثاني للدكتور أشيل لوزان واسمه " تاريخ سورية سنة ١٨٤٠ م ، وهذا النص مترجم من الكتاب الأول .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٩

(٣) آل عمران ٧٥

(٤) المائدة ١٨

(٥) انظر : " تفسير المنار المسمى تفسير القرآن الحكيم " : للشيخ السيد محمد رشيد رضا ، ج ٦ ، ص ٣١٥ ، دار المنار مصر ، ط الرابعة ١٣٧٣ هـ .

((فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ))(١) . وهم طائفة قليلة ،ذكرها القرآن باسم الحواريين،الذين أصبحوا أصحابه وخواصه،الذين كانوا يلازمونه ويهتدون بهديه .

فمن هم الحواريون ؟

وكم عددهم ؟

وهل هم رسل ؟

وإلى أى مدى صحة نسبة الرسائل إليهم ؟

سنأتى بالبحث عن ذلك كله فى الباب الثانى إن شاء الله .

---

(١) آل عمران ٥٢ـ ٥٣ .

* الفصل الثالث *

نهاية المسيح على الأرض كما صورها القرآن الكريم .

كان المسيح عليه السلام قد وجه من قبل اليهود بمعارضة شديدة لدعوته، فتقدموا لمناوءته وحاولوا الإيقاع به بمختلف الطرق ليسلموه إلى الوالى الرومانى الحاكم لفلسطين أنذاك، ولم يتوقفوا عن معارضته، بل بذلوا مجهودات كبيرة لتحقيق هدفهم الذى هو القضاء على المسيح بأى طريقة ممكنة. ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى الخلافات الدينية بين اليهود، ولم تكن دعوة المسيح التى أعلنها إلا إصلاحا خلقيا ودينيا، فلم تتصل دعوته بالسياسة ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد، لذلك لم يستحق الغضب الرومانى . ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه بأن ادعوا عليه أنه ملك اليهود، وأنهم لا يقرون بملك سوى " قيصر رومية " فانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الوالى الرومانى على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلبا، ولكن الله تعالى قد كتب له النجاة من هذه المؤامرة، فأنقذه من أيديهم وطهره منهم . هنا نجد القرآن الكريم يؤكد بأن الله تعالى لم يمكنهم من قتله بل نجاه من أيديهم، قال تعالى :

((إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ))(١) . وقال أيضا :

((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))(٢) .

---

(١) آل عمران ٥٥
(٢) النساء ١٥٧ — ١٥٨

قضية رفع المسيح عليه السلام وأقوال العلماء فيها .

إن المسلمين أجمعوا على أن المسيح عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب، لكن اختلفوا فيما بينهم في حاله بعد ذلك ، هل رفعه الله تعالى بجسمه حيا إلى السماء؟ أو أن الله أماته ميتة طبيعية كغيره من البشر بعد أن استوفى أجله في الدنيا ؟

فذهب جمهور علماء المسلمين إلى أن الله تعالى أنجاه من القتل، بأن رفعه إلى السماء حيا بجسمه وروحه، ولا يزال فيها حتى ينزل آخر الزمان في أمة محمد صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بشريعة الإسلام . ويستدلون على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة (١) . يقول شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية (٢) رحمه الله تعالى:

إن عيسى عليه السلام صعد إلى السماء بروحه وجسده، ولا بد أن ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرق دمشق، فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان في السماء الثانية ،مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون، لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره " (٣)

وقالت طائفة من المسلمين إن الله تعالى نجاه من الموت والقتل على يد اليهود ولكنه أماته حتف أنفه، مثله مثل غيره من بني البشر، وإنه لم يرفع بجسده إلى السماء ولن ينزل في آخر الزمان كما ادعى إليه الجمهور، ومن هذه الطائفة

---

(١) د .عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم "الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية" ص ٢٥١ .

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ، (٦٦١ - ٧٢٨ هـ/ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) محدث حافظ مفسر فقيه مجتهد مشارك في أنواع العلوم، ولد في ١٠/ ١٢ ربيع الأول ، وقيل ذي الحجة وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، حدث بدمشق ومصر والثغر وقد امتحن وأوذي مرات وحبس بقلعة القاهرة والإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين وتوفي بها في ٢٠ ذي القعدة (معجم المؤلفين، ج ١، ص ٢٦١) .

(٣) انظر : " مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية " ، ج ٤، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد ، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين صاحب السمو الملكي ولي العهد فهد بن عبد العزيز آل سعود ١٣٩٨ هـ . وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " للشيخ الإمام ابن تيمية " تقديم علي السيد صبح المدني ، ج ١، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، مكتبة المدني ومطبعها القاهرة بدون سنة.

الشيخ محمد عبده في تفسير المنار، حيث يقول : إن للعلماء طريقين : إحداهما وهي المشهورة، أنه رفع بجسمه حيا وأنه سينزل في آخر الزمان، فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله . والطريقة الثانية ، أن الآية على ظاهرها وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر منه وهو الإماتة العادية، وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح "(١) وإلى هذا الرأي مال الشيخ المراغي(٢) ويقول : ليس في القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حي بجسمه وروحه، وقول الله سبحانه وتعالى : ((إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)) ، الظاهر منه أنه توفاه وأماته ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله كما قال في إدريس عليه السلام : ((وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا))(٣) وهذا الظاهر ذهب إليه بعض علماء المسلمين ، فهو عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية ثم رفع درجاته عنده، فهو حي حياة روحية، كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء ، لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه ، فهو حي الآن بجسده وروحه "(٤)

وللشيخ محمود شلتوت(٥) فتوى قرر فيها أن معنى قوله تعالى : يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ،أي مميتك إماتة عادية،إذ المعنى اللغوي الوضعي والمعنى القرآني المراد

---

(١) تفسير المنار ، ج ٣، ص ٣١٦ — ٣١٧

(٢) أحمد بن مصطفى المراغي (٠٠٠٠ — ١٣٧١هـ/ ٠٠٠٠ — ١٩٥٢ م) مفسر مصري من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ م وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، توفي بالقاهرة (الأعلام ، ج ١، ص ٢٥٨) .

(٣) سورة مريم ٥٧

(٤) انظر: تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي ، ج ٣، ص ١٦٩ ، مصطفى البابي الحلبي مصر ط الثالثة ١٩٧٤ م.

(٥) محمود شلتوت (١٨٩٢ — ١٩٦٣ م) شيخ الأزهر ١٩٥٨ — ١٩٦٣م، ولد بمدينة بني منصور بالبحيرة بمصر، حصل على شهادة العالمية ١٩١٨ م، عين شيخا للأزهر في ١٩٥٨ م وظل في منصبه إلى وفاته (الموسوعة الميسرة، ص ١٠٩١) .

لكلمة متوفيك إنما هو مميتك إماتة عادية ، ومن قال إن عيسى حيّ فى السماء فذلك ادعاء وزعم منه. كما قرر أن معنى الرفع فى « وَرَافِعُكَ إِلَيَّ » رفع مكانة لا رفع جسد ، بدليل التعقيب الذى جاء بجانب الرفع ، وهو قوله تعالى ((وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا))(١) مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم . وزعم الدكتور أحمد شلبى أن ذلك هو معتقد جمهور المسلمين ، وادعى أن الرأى المخالف رأى قلة منهم(٢). ولكنه لم يوفق فيما حكاه،فإن مذهب الجمهور هو الرأى الأول ، وأما المخالفون لرفع السيد المسيح بجسده فهم قلة،كما أقر بذلك الشيخ محمد عبده والشيخ المراغى .

أما أدلة الجمهور على رفع عيسى فنوردها فيما يأتى :

الدليل الأول : قوله تعالى بعد أن نفى القتل والصلب عن المسيح : بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » وذكر الرفع بعد نفي القتل دليل على الرفع الجسمانى لا الروحى .

الدليل الثانى : قوله تعالى : إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ » ولهم فى معنى التوفى المذكور فى هذه الآية قولان : الأول — أن معناه النوم،أى أن الله ألقى عليه النوم ورفعه أثناء نومه ، واستدلوا على هذا المعنى بما ورد فى القرآن من إطلاق الوفاة على النوم فى قوله تعالى :((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ))(٣). وقوله تعالى : ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى))(٤). والثانى — أن المراد بالتوفي الموت، غير أن تقديم التوفى على الرفع لا يفهم منه أن عيسى توفى ثم رفع ، لأن الواو لا تقتضى الترتيب،وعليه فإن المعنى المراد : أن الله يرفع نبيه إلى السماء ويطهره من كيد الكفار، ويتوفاه فيما بعد فى آخر الزمان .

---

(١) انظر : " الفتاوى " دراسة لمشكلات المسلم فى حياته اليومية والعامة،للشيخ محمود شلتوت، ص ٥٩ — ٨٢، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ١٣٧٩ هـ .

(٢) المسيحية ، ص ٤٥ — ٤٦

(٣) الأنعام ٦٠

(٤) الزمر ٤٢ .

ويدعم الجمهور مذهبهم بآيتين أخريين وهما قوله تعالى :

((وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا))(١) .

وقوله تعالى : ((وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ))(٢) .

فيرى الجمهور أن الضمير في الآية الأولى في قوله " به " و " موته " يرجعان إلى المسيح، بمعنى أنه لا يموت المسيح حتى يؤمن به كل أحد من اليهود والنصارى أنه عبد الله ورسوله، وهو اختيار ابن جرير(٣)، كما حكى عنه الإمام الشوكاني(٤) ونسبه إلى جماعة من السلف، وذهب إلى أنه هو الظاهر من سياق النص. وعليه فإن العموم المستفاد من الآية لأهل الكتاب مخصوص بالموجودين عند نزول المسيح في آخر الزمان، إذ لو ترك على عمومه لأفاد إيمان اليهود والنصارى جميعا، وهو أمر لم يحصل. فوجب تخصيص هذا العموم، إذ أن شهادته عليهم يوم القيامة تحتم هذا، لأنه يشهد لهم لو آمنوا به جميعا لا عليهم(٥) .

ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثري(٦) : إن الضمير في " به " و " موته " يعودان على عيسى لأنه المتحدث عنه في السياق، ولأن عود أحدهما على غير ما يعود عليه الآخر فيه تشتيت للضمير، وهذا مما ينزه عنه الكتاب الكريم(٧)، وهو اختيار أبي حيان(٨) .

ثم إن ترجيح إرجاع الضمير إلى الكتابي في " موته " لما في ذلك من المحافظة على عموم الإيمان لكل كتابي، ففيه هدم مصر لبناء قصر، لأن فيه إخراج كلمة "قبل"

---

(١) النساء ١٥٩

(٢) الزخرف ٦١

(٣) الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ/ ٨٣٩ ـ ٩٢٣ م) محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر) مفسر مقرئ محدث مؤرخ فقيه أصولي مجتهد، ولد بآمل طبرستان، وطوف الأقاليم واستوطن بغداد، واختار لنفسه مذهبا في الفقه توفي في شوال في بغداد (معجم المؤلفين ، ج ٩، ص ١٤٧) .

(٤) انظر: فتح القدير، جا ، ص ٥٣٥ .

(٥) د .عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " ص ٢٥٢-٢٥٣ .

(٦) محمد زاهد الكوثري (١٢٩٦ ـ ١٣٧١هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩٥٢ م) بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي الحنفي فقيه جدلي محدث متكلم مؤرخ أديب عارف باللغات العربية والتركية والفارسية والجركسية، مشارك في بعض العلوم، وتولى رئاسة مجلس التدريس ووكالة المشيخة الإسلامية، وتوفي بالقاهرة. (معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ٤)

(٧) راجع : نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة، للشيخ محمد زاهد الكوثري ، ص ٣٨ ، مكتبة القدس القاهرة ط الأولى ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م

(٨) علي بن محمد بن العباس التوحيدي أبو حيان (٠٠٠ ـ ٣٩٠هـ/ ٠٠٠ -٩٩٠ م) صوفي متكلم حكيم أديب لغوي نحوي شيرازي الأصل نيسابوري قدم بغداد فأقام بها مدة =

من معناها بحمل الإيمان هنا على الإيمان أثناء الموت لا قبله. وحمل الإيمان على خلاف المعنى المتبادر منه - وهو الإيمان النافع - على ما لا ينفع لا يسمى إيمانا في الشرع، وإلغاء ما قسم الله عليه بقوله " لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ". وأما ترك العام على عمومه هنا فمن عدم التدبر في الملابسات، لأن لام جواب القسم ونون التوكيد مما يمحض الفعل للاستقبال، فيكون " لَيُؤْمِنَنَّ " بمعنى أنه يؤمن كل كتابي موجود في زمن خاص من أزمنة المستقبل، يعينه تقييده بلفظ " قَبْلَ مَوْتِهِ " فيكون الكلام مصروفا إلى ما بعد نزول عيسى. أما الآية الثانية فمعناها: أن نزول المسيح في آخر الزمان علامة من علامات الساعة التي يعرف بها قرب قيامها، وهذا في رأي الجمهور دليل على حياة المسيح بجسده في السماء (١). إذن قوله تعالى ((بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ)) نص في الرفع الحسي، لأن حقيقة الرفع هي النقل من السفل إلى العلو، ولا صارف عن الحقيقة حتى يجوز حمل الرفع هنا على رفع المكانة مجازا، فيكون احتمال المجاز احتمال غير ناشئ من دليل، بل في الآية ما يرد احتمال المجاز ردا باتا من وجوه:

١ - إن السياق في تقرير بطلان ما قاله اليهود من قتله، ببيان أنهم إنما قتلوا الشبه، فبرفعه الحسي يكون إنقاذ شخصه منهم، فينسجم بذلك ما قبل " بل " بما بعدها، ورفع المكانة مما لا ينافي القتل، وكم من نبي قتل وهو رفيع المكانة، فلا يصح دخول " بل " بينهما لانتفاء التضاد بينهما (٢). وقد أخرج " ابن أبي شيبة (٣) وابن أبي حاتم (٤) بسند صحيح إلى ابن عباس أن عيسى رفع من روزنة

= ومضى إلى الري وجاور بيت الله الحرام (معجم المؤلفين ج ٧، ص ٢٠٥).

(١) نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة، الشيخ محمد زاهد الكوثري، ص ٣٧

(٢) نفس المرجع، ص ٣٢

(٣) ابن أبي شيبة (١٥٩ - ٢٣٥ هـ/ ٧٧٦ - ٢٣٥ م) عبد الله بن محمد بن إبراهيم الكوفي محدث حافظ مكثر فقيه مؤرخ مفسر قدم بغداد، وحدث بها وتوفي بها (معجم المؤلفين ج ٦، ص ١٠٧).

(٤) عبد الرحمن ابن أبي حاتم (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ/ ٨٥٤ - ٩٣٨ م) إدريس بن المنذر بن داود التميمي الحنظلي (أبو محمد) عالم محدث عارف بالرجال، فقيه أصولي مفسر توفي بالري (معجم المؤلفين، ج ٥، ص ١٧٠).

في البيت ، وساق ابن كثير السند في تفسيره [1] .

٢ — إن حمل الرفع هنا على رفع المكانة لايظهر له وجه اختصاص بهذا الموقف ، لأن كل الأنبياء والرسل يكون كل واحد منهم رفيع المكانة دائما .

٣ — إن ذكر منتهى رفع شخص بوصل " رفع " بلفظ " إلى " يقضي على احتمال المجاز بحمله على رفع المكانة ، لأن رفع المكانة ينافيه ذكر منتهى له قطعا ، وإدخال " إلى " على ضمير المتكلم من قبيل الإضافة للتشريف ، والمعنى إلى سمائي ومنزل ملائكتي كما يقول أبو حيان وغيره .

٤ — إن حمل الرفع على رفع روحه بحذف المضاف أمر لا يخص عيسى حتى يمتن الله به هنا ، بل يعمه وسائر الأنبياء والمرسلين والأبرار والأخيار ، مع كون الحذف خلاف الأصل ، فلذا يكون الرفع لشخصه ، فيشمل الروح والجسد معا [2] .

ولم يقتصر الجمهور في استدلالهم على ما ذهبوا إليه على هذه الآيات ، بل استدلوا أيضا بما صح من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه " والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد [3] " وعن أبي هريرة أيضا : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [4] . وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده ليُهِلّنّ ابن مريم بفج الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليثنينّهما [5] " وعن جابر بن عبد الله [6]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٥٧٤ — ٥٧٦

(٢) نظرة عابرة ، للشيخ محمد زاهد الكوثري ، ص ٣٣

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ، ص ١٨٩ — ١٩٠

(٤) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(٥) رواه مسلم في كتاب الحج باب جواز التمتع في الحج والقران ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ .

(٦) جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجي الأنصاري السلمي (١٦ ق هـ — ٧٨ هـ / ٦٠٧ — ٦٩٧ م) صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي وروى عنه جماعة من الصحابة ، له ولأبيه صحبة ، غزا تسع عشرة غزوة وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي ، يؤخذ عنه العلم روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤ حديثا (الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٠٤) .

رضي الله عنهما قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة » (١) والأحاديث الواردة فى نزول عيسى فى آخر الزمان كثيرة ، فقد جمعها الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى (٢) ، فى كتاب سماه « التصريح بما تواتر فى نزول المسيح » وقد اشتمل على أكثر من مائة حديث وردت فى كتب السنة المختلفة بدرجة متفاوته وفى مقدمتها ما ورد فى الصحيحين (٣) • ويعلم من اسم الكتاب أن الأحاديث الواردة بشأن نزول عيسى عليه السلام متواترة (٤)، وقد صرح به جماعة من المحدثين والمفسرين •

قال العلامة السيد محمد الألوسى (٥) فى تفسيره " روح المعانى " (٦) : ولا يقدح فى ذلك — أى فى ختم النبوة — ما أجمعت الأمة عليه واشتهرت فيه الأخبار ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوى، ونطق به الكتاب ووجب الإيمان به• وأكفر منكره كالفلاسفة من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، لأنه كان نبيا قبل تحلى نبينا بالنبوة فى هذه النشأة • وصرح به " ابن كثير " (٧) حيث يقول : وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا» ويقول الشوكانى: إن الأحاديث الواردة فى هذا الشأن متواترة (٨) » وهناك كثير من الأئمة المتقدمين والمتأخرين نصوا على تواتر نزول المسيح عليه السلام •

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان باب بيان نزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ، ص ١٩٣ — ١٩٤ •

(٢) محمد أنور شاه الكشميرى بن الشيخ معظم شاه بن الشيخ الشاه عبد الكريم ولد سنة ١٢٩٢هـ فى قرية ودوان ، محدث ومفسر وفقيه وأصولى والمؤرخ والشاعر والمحقق توفي ١٣٥٢هـ، فى ديوبند • (من مقدمة كتاب التصريح بما تواتر فى نزول المسيح)

(٣) نشرت هذا الكتاب مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب تحقيق عبد الفتاح أبوغدة ط الثالثة ١٤٠١هـ

(٤) د ،عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " ص ٢٥٤•

(٥) محمود الألوسى (١٢١٧ — ١٢٧٠هـ/ ١٨٠٢ — ١٨٥٤ م) محمد بن عبد الله الحسينى الألوسى (شهاب الدين أبو الثناء) مفسر محدث فقيه أديب لغوى نحوى مشارك فى بعض العلوم ، ولد ببغداد وتقلد الإفتاء فيها وعزل وسافر إلى الموصل فالقسطنطينية، وعاد إلى بغداد وتوفي بها • (معجم المؤلفين ، ج ١٢ ، ص ١٧٥) •

(٦) " روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى " للإمام السيد محمود الألوسى ، ج ٨ ، ص ٣٤ ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م)

(٧) تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٥٧٨

(٨) فتح القدير ، ج ١ ، ص ٥٢٥ •

وأما أدلة المخالفين للجمهور، فخلاصتها أنهم أخذوا بظاهر آية آل عمران من لفظ التوفى المذكور فيها. فقالوا : إن ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى قد أمات المسيح بعد أن نجاه من أعدائه، وذلك ذهابا منهم إلى المعنى اللغوى المفهوم من التوفى، وهو أخذ الشيئ وافيا تاما ثم استعمل بمعنى الإماتة، كما جاء فى كثير من آيات الكتاب بهذا المعنى. أما الرفع المذكور فى آيتي آل عمران والنساء فمعناه عندهم رفع المكانة والقدرة. وأما آية سورة النساء التى استدل الجمهور على نزول عيسى بما ورد فيها، من أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدرك نزول المسيح حتى يؤمن أنه عبد الله ورسوله، فقد ردوا مذهب الجمهور بناء على أن الضمير فى قوله " قبل موته " يرجع إلى أهل الكتاب. وأما آية سورة الزحرف فقد تعددت فى معناها أقوال المفسرين، وقال بعضهم إن الضمير فى قوله " وإنه " يرجع إلى محمد، بمعنى أن مبعثه علامة من علامات قرب قيام الساعة، لأنه نبي آخر الزمان. وعلى القول الأول بأن الضمير يرجع إلى عيسى عليه السلام، فإن المفسرين ذكروا معنيين آخرين بجانب المعنى الذى فهم الجمهور من الآية، وهما : أنه عليه السلام علامة على إمكان البعث الذى ينكره كفار مكة المخاطبون بالآية لوجوده من غير أب، أو أن إحياءه للموتى علامة من علامات إمكان البعث كذلك (١). هذه خلاصة آرائهم فى الآيات التى استدل بها الجمهور. أما موقفهم إزاء الأحاديث التى ذكرت نزول المسيح فيتلخص فى أنهم رأوا أنها أحاديث آحاد لا يمكن أن تثبت بها العقيدة وإن صحت، لأن أحاديث الآحاد توجب العمل لا الاعتقاد. فالاعتقاد عندهم لا يمكن ثبوته إلا بقطعى الثبوت، وقطعى الدلالة من النصوص، والأحاديث الواردة فى هذا عندهم لم تصل إلى درجة ما يثبت الاعتقاد (٢). هذه خلاصة ردودهم على مذهب الجمهور. والحق أن الآيات التى يستدل بها الجمهور، لا تخلو مما ذكره المخالفون من احتمالات، والدليل إذا الاحتمالات لا يكون فيصلا فى الرأى، غير أن ذكره

---

(١) انظر : " تفسير أبى السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لقاضى القضاة الإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى، ج ٨، ص ٥٢ - ٥٣، دار إحياء التراث العربى بيروت بدون سنة.

(٢) راجع " المنار " ج ٣، ص ٣١٧، والفتاوى للشيخ محمود شلتوت، ص ٧٧ - ٨٢.

تعالى للرفع بعد نفي القتل والصلب يرجح قول الجمهور. ثم إن المسيح لو مات حتف أنفه كما يقول المخالفون، لنقل إلينا ذلك بواسطة الإخباريين، وهو أمر لم يحصل. ومن المستبعد أن يمتن الله على نبيه عيسى عليه السلام بالإماتة أو يتركه لنهاية مجهولة، وهو الوجيه في الدنيا والآخرة. وأما ردهم للأحاديث الشريفة الدالة على نزول المسيح في آخر الزمان بحجة أنها أحاديث آحاد، والآحاد ليست مما تثبت به العقيدة، فأمر غير مقبول لسببين :

١ — إن هذه الأحاديث ذكر تواترها علماء المسلمين الثقات، كما ذكرت سابقا، فبطلت دعواهم أنها أحاديث آحاد.

٢ — إننا لا نقبل القاعدة التي استندوا إليها في رفضهم قبول الأحاديث على فرض أنها آحاد، تلك القاعدة التي تهدم الشريعة ولا تخدمها. وقولهم إنها توجب العمل لا الاعتقاد مخالف للشرع، لأن العمل الشرعي الذي يعتد به لا بد أن يبنى على الاعتقاد، والاعتقاد عماد الأمور الشرعية وأساسها، سواء كانت تلك الأمور اعتقادية أم عملية، فلا بد من وجوب اعتقاد الواجب منها ليعتد بها شرعا (١). فإن كل ما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل إلينا بطريق صحيح يجب الإيمان به وتصديقه بدون تفرقة بين الخبر المتواتر وخبر الآحاد، إذا كان صحيحا، بل تثبت العقائد بهما من غير تفريق (٢).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : إننا لو جوزنا الكذب على خبر الرسول والغلط فيه لأدى ذلك إلى بطلان حجة الله تعالى على عباده، إذ في استطاعة كل من احتج عليه بسنة تبين القرآن وتفسره أن يرد ذلك باسم أنه من أخبار الآحاد التي لا تفيد العلم، ولا يحتج بها، وبذلك يبطل الانتفاع بنصوص القرآن، وتسقط حجة الله على العباد (٣). وبذلك يثبت أن خبر الواحد أحد طرق المعرفة وهو يوجب العلم

---

(١) د. عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " ص ٢٥٦ — ٢٥٧.

(٢) انظر : في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، د. محمود أحمد خفاجي، ج ١، ص ٢٩ — ٣٢، مطبعة الأمانة القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م

(٣) راجع : " مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة " ج ٢، ص ٥٦٧ وما بعدها، اختصار الشيخ محمد بن الموصلي تصحيح زكريا علي يوسف، مكتبة المتنبي القاهرة ١٩٨١ م.

والعمل معا . وممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم « أحمد بن حنبل »(١) و مالك(٢) والشافعي(٣) وأصحاب أبي حنيفة(٤) وداود بن علي(٥) وأصحابه كابن حزم، ونص عليه الحسين الكرابيسي(٦)، والحارث بن أسد المحاسبي(٧) .(٨)

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي، أبو عبد الله (١٦٤ - ٢٤١ هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥ م) إمام في الحديث والفقه صاحب المذهب الحنبلي، قدمت أمه البغداد وهي حامل فولدته في ربيع الأول ونشأ بها، وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، وتوفي ببغداد، اشتهر بدفاعه عن عقيدة السلف في القرآن، له "المسند" المشتمل على ثلاثين ألف حديث . (معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٩٦) .

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني أبو عبد الله (٩٣ - ١٧٩ هـ / ٧١٢ - ٧٩٥ م) أحد أئمة الأربعة وإليه تنسب المالكية، ولد بالمدينة، وكان بعيدا عن الأمراء والملوك، فوجه إليه هارون الرشيد ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى فقصد الرشيد منزله، وتوفي بالمدينة ودفن بالبقيع، له « الموطأ » و « الرد على القدرية » و « الرسالة إلى الرشيد » و « المدونة الكبرى » . (معجم المؤلفين، ج ٨، ص ١٦٨) .

(٣) محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي الشافعي الحجازي المكي أبو عبد الله، (١٥٠ - ٢٠٤ هـ / ٧٦٧ - ٨١٩ م) أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب الشافعية، ولد بغزة بفلسطين، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وبمدينة الرسول، وقدم بغداد مرتين وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته ودفن بها، أسس علم الأصول وله كتاب " الأم " في الفروع، والرسالة في الأصول . (معجم المؤلفين ج ٩، ص ٣٢) .

(٤) النعمان بن ثابت الكوفي التيمي بالولاء أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ / ٦٩٩ - ٧٦٧ م) . فقيه مجتهد إمام الحنفية، أصله من أبناء فارس وولد ونشأ بالكوفة، وتفقه على حماد بن سليمان، وكان لا يقبل جوائز الدولة، وأراده المنصور العباسي على القضاء ببغداد فأبى، فأمر به إلى الحبس، وتوفي ببغداد ودفن بمقابر الخيزران، له الفقه الأكبر، ومسند أبي حنيفة . (معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج ١٣، ص ١٠٤) .

(٥) داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري أبو سليمان (٢٠٢ - ٢٧٠ هـ / ٨١٧ - ٨٨٣ م) فقيه مجتهد محدث حافظ ولد بالكوفة ورحل إلى نيسابور ونشأ ببغداد، وقد نفى القياس في الأحكام الشرعية وتمسك بظواهر النصوص وسمع الكثير، ولقي الشيوخ، توفي ببغداد (معجم المؤلفين ج ٤، ص ١٣٩) .

(٦) الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي الشافعي (أبو علي) توفي ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) محدث فقيه أصولي عارف بالرجال سمع الحديث الكثير وصحب الشافعي، وعد في كبار أصحابه (معجم المؤلفين، ج ٤، ص ٢٨) .

(٧) الحارث بن أسد المحاسبي البصري (أبو عبد الله) توفي (٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) صوفي فقيه محدث ولد بالبصرة وحدث عن يزيد بن هارون وطبقته، وروى عنه أبو العباس بن مسروق الطوسي وغيره، توفي ببغداد (معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٧٤) .

(٨) " مختصر الصواعق المرسلة " ج ٢، ص ٥٧٣ .

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل (١) إلى اليمن بعقيدة الإسلام ، فأبلغهم بها عن طريق شخص واحد ،وأرسل رسله إلى الملوك والأمراء يحملون رسائله يدعوهم إلى الإسلام (٢) • والدعوة إلى الإيمان بوحدانية الله والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم أمر يتعلق بالاعتقاد ،وقد كان المبلغ بها شخصا واحدا هو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء الملوك والأمراء • إذا علم هذا فإننا نرى أن مذهب الجمهور هو الراجح ،وهو الذي يجب اعتقاده والمسير إليه لظاهر الآيات في ذلك ، ولأن أحاديث نزول عيسى عليه السلام قد صحت وبلغت حد التواتر ، ولأن ذلك يدخل تحت القدرة الإلهية ،فإن الله تعالى قادر على كل شيئ ، ولا يترتب على ثبوت ذلك محال عقلي • ثم إن المخالفين زعموا أن عودة المسيح إلى الأرض عقيدة النصارى ، وإنهم قد استطاعوا بثها في المسلمين ، كما ذكر ذلك الشيخ " محمود شلتوت " ونسبه إلى الشيخ " محمد رشيد رضا " (٣) ،وذكر ذلك أيضا الدكتور " أحمد شلبي " (٤) • ولكننا نرى أن ما ورد في الحديث من أن المسيح سيكسر الصليب عند نزوله ، يرد هذا الزعم ويبطله ،لأن النصارى لا يمكن أن يبثوا في المسلمين ما يناقض معتقدهم ،حيث يرون قدسية الصليب واحترامه • وكذلك ما جاء في الأحاديث من أنه سيحكم بشريعة الإسلام يبطل دعواهم ،فكيف ينشر المسيحيون بين المسلمين أن معبودهم يدخل في الإسلام ويحكم به ؟ وأن النصارى يقولون إن المسيح سيعود إلى الأرض ،إلا أنهم غير متفقين في تفسير معنى الرجوع ،

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي (٢٠ ق هـ - ١٨هـ/ ٦٠٣ - ٦٣٩م) صحابي جليل ،كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ،وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي • أسلم وهو فتى ، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ،وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ،وبعثه رسول الله قاضيا ومرشدا لأهل اليمن ،فبقي في اليمن إلى أن توفي النبي ،ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزوة الشام ،ولما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذا وأقره عمر ، فمات في ذلك العام ،ودفن بالقصير المعيني (بالغور) (الأعلام ، جـ ٧ ، ص ٢٥٨) •

(٢) لمن أراد أن يتوسع فليقرأ كتاب " السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي " للدكتور مصطفى السباعي ، ص ١٧١ - ١٨٦ ،المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثانية ١٣٩٨ هـ ، وليقرأ أيضا : وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين ، للشيخ ناصر الدين الألباني •

(٣) محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ/ ١٨٦٥ - ١٩٣٥م) محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد القلموني من أعمال طرابلس بالشام ، ثم رحل إلى مصر واتصل بالشيخ محمد عبده ، وتتلمذ له وأصدر مجلة المنار وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد ، توفي فجأة بالقاهرة •

(معجم المؤلفين ، جـ ٩ ، ص ٣١٠)

(٤) " المسيحية " ص ٥٥ - ٥٦ •

أهو مجيء جسماني حيث يقيم المسيح بين الناس ملكا يحكم بينهم ، أم هو مجيء روحي يغلب على الناس عنده الاتجاه نحو الخير والمحبة ، وسيادة الإنجيل عليهم كافة ؟ (١) ومهما يكن من أمر فإن من الخطأ القول بأن المسلمين أخذوا هذه العقيدة عن النصارى ، وإنما أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

قضية الصلب وتحقيقا لقول فيها .

إذا كان المسيح لم يقتل ولم يصلب ، فمن إذن هو المصلوب ؟ يقول الإمام « ابن القيم » رحمه الله : وقد اختلف في معنى قوله تعالى : ((وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ)) فقيل : المعنى ، ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقي شبهه على غيره ، فصلبوا الشبه . وقيل : المعنى ، ولكن شبه للنصارى أي حصلت لهم الشبهة في أمره ، وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب ، ولكن لما قال أعداؤه أنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة في أمره ، وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشفاعة عليهم (٣) « وقد جزم بذلك " ابن حزم " إذ يقول : إن هؤلاء اليهود والنصارى قد شبه لهم القول ، أي أدخلوا في شبهة منه . وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت ، وشرطهم المدعون لهم أنهم قتلوه وصلبوه . وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك ، وإنما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس ، ثم أنزلوه ودفنوه تمويها على العامة الذين شبه لهم الخبر » (٤) وقد أورد " ابن كثير " أن المسيح لما قرب وقت القبض عليه ، ندب أصحابه ثلاث مرات ، طالبا أن يتقدم واحد منهم ليفديه ويقدم نفسه إلى اليهود عوضا عنه ، ويكون جزاؤه الجنة ، فلم ينتدب له في كل مرة إلا واحد بعينه . فلما جاء أعداؤه ألقى الله على صحبه الذي انتدب له شبه

---

(١) انظر : ((إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى)) تأليف القس إلياس مقار ، ص ٥٢٩ - ٥٥٢ ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ، ط الثانية ١٩٧٣ م .

(٢) انظر : الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " د . عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٣) انظر : هداية الحيارى " ص ٣١٤ .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل " ج ١ ص ١٢٥ .

المسيح ،فألقى القبض عليه وصلب وقتل • روى " ابن أبي حاتم " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء هزج على أصحابه،وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين فخرج عليهم ورأسه يقطر ماء• فقال:إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي • قال: ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ، ويكون معي في درجتي ؟ فقام شاب من أحدثهم سنا ، فقال له اجلس •ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب ، فقال : اجلس • ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال : أنا ، فقال أنت ذاك • فألقي عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى من روزنة البيت إلى السماء• قال وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه ، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به" (١) وقال ابن إسحاق (٢) : حدثني رجل كان نصرانيا فأسلم، أن عيسى حين جاءه من الله إني رافعك إليّ قال : يا معشر الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة حتى يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني ؟ فقال سرجس أنا يا روح الله •قال فاجلس في مجلسي ، فجلس فيه ورفع عيسى عليه السلام ،فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه ، فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به" (٣) هذا الأمر محتمل ولكن الشائع سواه ، وهو أن الذي ألقي عليه شبهه إنما هو: يهوذا الإسخريوطي" الذي واطأ الكهنة على الدلالة عليه بأجر • جاء في إنجيل " برنابا ": ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفا ، وكان الأحد عشر نياما • فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرقة على الجنوب ،فحملوه

---

(١) " تفسير ابن كثير " ج ١، ص ٥٧٤

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني،أبو بكر أبو عبد الله (••• ـ ١٥١هـ/ •••• ـ ٨٦٨م) محدث حافظ إخباري عارف بأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم ورواية لأشعارهم. توفي ببغداد ودفن بمقابر الخيزران (معجم المؤلفين، ج ٩، ص٤٤) •

(٣) انظر: ((تفسير ابن كثير)) ج ١، ص ٥٧٥ •

ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد ، ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه ، فصار شبيها بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن ..... فأخذ الجند يهوذا وأوثقوه ساخرين منه لأنه أنكر وهو صادق أنه هو يسوع)) (١) فالذي قتل وصلب هو يهوذا الإسخريوطي ، أحد الحواريين الذي يرشد الجنود الرومان إليه ، إذ كانوا لا يعرفونه فألقى الشبه إليه . وهذا جائز ، وذلك فإن الذي نستطيع أن نستخلصه من الأناجيل كما سيأتي قريبا إن شاء الله ، أن من توجهوا للقبض على المسيح لم يكونوا يعرفونه . وإذا كان هذا هو حالهم بالنسبة للمسيح ، فمن باب أولى يكون هذا هو حالهم بالنسبة لتلاميذه ، إذ هم أقل أهمية منه . وأن أول فرصة لرؤساء الكهنة وقواد الجند ليعرفوا فيها على يهوذا الإسخريوطي كانت لحظة أن توجه إليهم عارضا أن يسلمهم المسيح ، وأن هذا اللقاء لم يستغرق وقتا ، وأنه يحاول أن يستتر فلا يظن أن مثل هذا اللقاء يمكن أن يترك في أذهان رؤساء الكهنة والجند صورة لهذا الشخص تعلق بذاكرتهم فلا ينسونه (٢) . يقول القاضي " منصور حسين عبد العزيز " في كتابه " دعوة الحق " (٣) : إن الوقت عندئذ كان ليلا كما أشار ذلك إنجيل " يوحنا " (٤) : فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت كان ليلا " فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح " (٥) وهم جمع كثير بين جند وخدام يحملون مصابيح ومشاعل وسيوفا وعصيا . وقد حدد القمص " باسيليوس إسحاق " بأنهم كتيبة من الجنود الرومانيين

---

(١) برنابا الفصل الخامس عشر بعد المئتين — الفصل السابع عشر بعد المئتين .
(٢) انظر: دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام ، للقاضي منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٩٩ — ٢٠٤ .
(٣) انظر ، ص ٢٠٥ — ١٢١
(٤) يوحنا ١٣ : ٣٠
(٥) يوحنا ١٨ : ٣

يبلغ عددها ستمائة جندى مسلحين ، والخدام وهم الموظفون اليهود الملحقون بمحكمة السنهدريم (١) . والمفهوم أن يهوذا لا يقابل هذا الجمع فردا فردا ، وإنما الطبيعى أنه قابل قوادهم أو رؤساءهم ، وأن حمل المصابيح والمشاعل وإن أمكن من الرؤية إلى المدى القريب ، فإنه فى نفس الوقت يحجب رؤية ما وراء ذلك . إذ المعروف أن حدقة العين تتسع كلما اشتد الظلام وتضيق كلما اشتد الضوء . كما أن هذه المصابيح والمشاعل إذ هي تتحرك بحركة حامليها ، إنما تصبح عاملا يتلاعب بأعين الجمع، فيزيد غموض ما حوله وإبهامه . هذه هي الصورة التى نستخلصها من الأناجيل عند الظروف التى أحاطت بيهوذا ومن معه حتى لحظة وصولهم إلى المسيح وتلاميذه فى نفس الوقت . فيهوذا يتقدم من المسيح وسط الظلام ، إذ لم نقرأ أن يهوذا كان يحمل مصباحا أو مشعلا ، وأمام المسيح ويهوذا الجمع الذين قدموا للقبض على المسيح ، ولابد أن تزيد المصابيح والمشاعل حركة فى أيديهم فتتراقص الصور فى أعينهم ولا يكادون أن يحيطوا تماما بكل ما حولهم ، فتتجلى قدرة الله فيرفع المسيح إليه ، ولا يكاد أن يحس بذلك أى ممن قدموا للقبض عليه . بالإضافة إلى ذلك هناك من يؤكد بأن يهوذا كان فعلا يشبه المسيح فى الخلقة ، كما نقل ذلك " جورج سايل " الإنجليزى (٢) فى ترجمته القرآن الكريم ، عند ما كتب تعليقه على سورة آل عمران ، وعزا هذا القول للسيرنثيين والكوبوكراتين من أقدم فرق النصارى التى أنكرت صلب المسيح ، وصرحوا بأن المصلوب هو يهوذا الذى كان يشبه المسيح شبها تاما (٣) . هذا مجرد رأى . ويجوز أن يكون المصلوب غيره، يجوز أن يكون " باراباس " الذى أطلقه " بيلاطوس " لليهود وأسلمهم إياه ، فلما لم

---

(١) السنهدريم أو السنهدرين ، هو مجلس اليهود الأعلى ، وترجع التسمية فى أصلها اللغوى إلى كلمة : Sunhedrion ، واستخدمت فى الآرامية بمعنى محفل ، كان مجلسا أرستقراطيا يضم سبعين أو اثنين وسبعين عضوا ، وكان يتألف من ثلاث فئات : الكهنة والشيوخ والكتبة ، وقد تشكل على أرجح الآراء حوالى ١٩٠ ق م . (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل الأنبا يؤانس ، ص ٣٢) .

(٢) جورج سايل George Sale (١٠٩١ - ١١٤٩ هـ / ١٦٨٠ - ١٧٣٦ م) مستشرق إنجليزى تعلم اللغة العربية ، وحصل على مجموعة وافرة من مخطوطاتها ، وعنى بتاريخ الإسلام حتى وصف بأنه نصف مسلم ، له بالإنجليزية ترجمة القرآن . (الأعلام ج ٢ ، ص ١٤٦) .

(٣) انظر : " الدين فى نظر العقل الصحيح " محمد توفيق صدقى ، ص ١٤٤ - ١٤٧ ، مطبعة المنار بمصر ط الثانية ١٣٤٦ هـ .

يظفروا بطلبهم قدموا " باراباس" للصلب على أنه يسوع، لأن اسم " باراباس " هو يسوع باراباس ". وأراد اليهود التخلص من اسم يسوع المسيح ، وإيهام الناس أن المصلوب هو يسوع المسيح نفسه. وعلماء المسيحية يعترفون أن اسم " باراباس " يسوع باراباس في أغلب النسخ القديمة ، والاعتقاد الشائع أن ذلك كان القراءة الأصلية (١) . ثم حذفت كلمة " يسوع " من النسخ المتداولة لاعتباره اسما مقدسا يرقى عن الاستخدام العادي ، وإطلاقه على أحد المجرمين يعتبر مهينا ، بالرغم من اسم يسوع (يشوع) كان شائعا في أيام المسيح .

وجدير بالذكر أن كلمة " باراباس " كلمة آرامية معناها : ابن الأب (٢) . وقد جاء في التلمود (٣) أن رجلا اسمه يسوع قتل وعلق على شجرة قبل الميلاد بمائة سنة . وفي القرن الثاني عاشت إحدى الطوائف المسيحية قالت بأن " سمعان القيرواني " قد صلب بدلا من يسوع ، وهذا " سمعان القيروانى " هو الذي ذكرت الأناجيل الثلاثة بأنه كان حامل الصليب . يقول " متى ": وفيما هم خارجون وجدوا إنسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه " (٤) ويقول " مرقس ": فسخروا رجلا كان أتيا من الحقل وهو " سمعان القيرواني " (٥) وفي " لوقا ": ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان أتيا من الحقل ووضعوا عليه الصلب ليحمله خلف يسوع " (٦) ومن الملاحظ أن الإنجيل الرابع يخالف الأناجيل الثلاثة ، إذ ذكر أن يسوع نفسه هو حامل الصليب . يقول : فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ..... حيث صلبوه " (٧) يقول نينهام D.E.Nineham في كتابه Saint Mark عند تعليقه على هذه الفقرة : ولعل السبب في حذف هذه

---

(١) " الديانات والعقائد في مختلف العصور " أحمد عبد الغفور عطار ، ج ٣ ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

(٢) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٧

(٣) عباس محمود العقاد " ساعات بين الكتب ، ص ٥٣٨

(٤) متى ٢٧ : ٣٢

(٥) مرقس ١٥ : ٢١

(٦) لوقا ٢٣ : ٢٦

(٧) يوحنا ١٩ : ١٦ - ١٨

الرواية والخاصة بحمل " سمعان القيروانى " للصليب من إنجيل " يوحنا " هو أنه فى الوقت الذى كتب فيه الإنجيل الرابع (١٠٠ - ١٢٥ م) كان الادعاء بأن " سمعان " قد حل محل يسوع وصلب بدلا منه ، لا يزال ساريا فى الدوائر الغنوسطية التى كانت لها الشهرة فيما بعد (١) * بهذا نعلم أن ما ذكره القرآن الكريم هو الحق الذى تدعمه الأدلة التاريخية ويقبله العقل الإنسانى. كما أن عقيدة الصلب ليست مما أجمع عليه النصارى فى غابر الزمان . يقول الشيخ " جمال الدين القاسمى " (٢) فى تفسيره " محاسن التأويل " يعلم الواقف على حقائق التاريخ أن مسئلة الصلب من أهم المسائل التى ولدت الشقاق والنفرة فيما بين النصارى عموما ، ونصارى مصر والشام فى الأجيال الأولى خصوصا ، فإنهم كانوا غالبا يرفضون حصول الصلب رفضا باتا ، لأن بعضهم كان يعتبره إهانة لشرف المسيح ، ونقصا فاضحا . والبعض الآخر كان يجحده ارتكانا على الأدلة التاريخية ، وهؤلاء طوائف كثيرة منها :

١ - الساطرينوسيون
٢ - الكاربوكراتيون
٣ - المرقيونيون
٤ - البارديسانيون
٥ - التاتيانسيون
٦ - المانيسيون
٧ - البارسكاليونيون
٨ - اليولبيسون
٩ - الدوسيتية / الدوكيتية
١٠ - الرسيونية
١١ - الفلنطنيائية.

إذ كلهم اعتقدوا مع كثيرين غيرهم ، بأنه لا يمكنهم أن يسلموا بنوع من الأنواع أن المسيح

---

(١) انظر : " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية " مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٢ .
(٢) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمى (١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ / ١٨٦٦ - ١٩١٤ م) عالم مشارك فى أنواع العلوم ، ولد بدمشق ثم رحل إلى مصر والمدينة وعاد إلى دمشق ، فانقطع فى منزله للتصنيف وإلقاء الدرس فى التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب إلى أن توفى (معجم المؤلفين ، ج ٣ ، ص ١٥٧ - ١٥٨)

سمر فعلا ومات على الصليب حقيقة، حتى استخفوا بالصليب والصلب "(١) وقال أيضا نقلا عن " ألمسيو أرد وارسيوس " أحد أعضاء الأستيتوري فرانسي في باريس قوله في صفحة ٤٩ من كتابه ((عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية)) إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه ألقي شبهه على غيره، فغلط اليهود فيه فظنوا أنهم قتلوه، وإن ما قاله القرآن موجود عند طوائف النصرانية منهم " الباسيليوديون " كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ألقي شبهه على " سيمون السيرناى " تماما، وألقي شبه سيمون عليه، ثم أخفى نفسه ليضحك استهزاء على مضطهديه الغالطين • ومنهم " السيرنتيون " فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى. وقد عثر على فصل من كتب الحواريين وإذا كلامه نفس كلام الباسيليوديين • وقد صرح إنجيل القديس " برنابا " باسم الذى صلب بدل عيسى فقال : إنه يهوذا "(٢) وكانت هناك فرقة أخرى تنكر صلب المسيح وهي "البوجوميل" التى أطلق المسيحيون عليها اسم الخوارج(٣)، وهي فرقة منتشرة في مملكة " البوسنة " في القرن الثالث عشر الميلادى • وقد تعرضوا من أجل معتقدهم هذا الكثير من الامتحان من قبل الكاثوليك الرومانى الذين شنوا عليهم حربا مقدسة في سنة ١٢٢١ م، بأمر من البابا(٤)

---

(١) انظر: تفسير القاسمى " محاسن التأويل " للشيخ جمال الدين القاسمى، جـ ٥، ص ١٦٩١، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، عيسى البابى الحلبى وشركاه، ط الأولى ١٣٧٦ هـ، وانظر: " محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن " محمد عزت إسماعيل الطهطاوى، ص ١٨٢، مطبعة التقدم القاهرة ١٩٧٢ م•

(٢) تفسير القاسمى "محاسن التأويل " للشيخ جمال الدين القاسمى، جـ ٥، ص ١٦٩٢ • وانظر: " محمد نبى الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن " محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ص ١٨١ •

(٣) مملكة كانت توجد في جزيرة البلقان في القرون الوسطى •

(٤) بابا هو الحبر الأعظم والرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية، أسقف روما وخليفة القديس بطرس الذى كان أول أسقف روما عندهم وأخيرا البابا هو ممثل المسيح في العالم، وهذا مالايقره البروتستانت والأرتوذكس. وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن البابا معصوم من الخطأ في أمور الإيمان وآداب الدين. وأكد البابوات الأولون حقهم في إدارة الكنيسة • ومع تدهور الإمبراطورية الرومانية في الغرب أصبح لهم نوع من الإمامة السياسية، وأدى نشاطهم السياسى أحيانا إلى اصطدام بالحكام المدنيين • والقرن ١٠ أسوأ القرون في تاريخ البابوية. وكانت السلطة تباع وتشترى بحسب الأهواء السياسية، وحدث انشقاق كبير بين من يتنازعون السلطة البابوية الفترة ما بين ١٣٧٨ — ١٤١٧ م، فمهد بذلك لحركة الإصلاح. وفي ١٨٧٠ م فترت البابوية عن سلطتها الدنيوية تماما وركزت اهتمامها على الشئون الدينية والروحية فقط • ويدير الآن شئون الفاتيكان بمعونة المجلس الرومانى المكون من الكرادلة • (انظر: تاريخ الإصلاح في المسيحية، تأليف ميرل دوبينياه، ص ٨ — ٩، ترجمة إبراهيم الحورانى من منشورات مكتبة المشعل بيروت، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، ط الثالثة ١٩٨٢ م) •

" هنوريوس الثالث "[1]، وفى ١٢٣٨ م بأمر من " جريجورى التاسع "[2]، وفى سنة ١٢٤١ م بأمر من " أنوسنت الرابع "[3]، وفى سنة ١٣٢٥ م بأمر من البابا " يوحنا الثانى والعشرين "[4]، وفى سنة ١٣٣٧ م بأمر من " بندكت الثانى عشر "[5]. فهم يعتقدون أن المسيح نفسه لم يصلب وإنما حل محله شبح آخر، وأنكروا الصليب رمزا دينيا، وعدوا من عبادة الأصنام الانحناء أمام الصور الدينية والتماثيل وآثار القديسيين. وكانت بيوت صلواتهم ساذجة خالية من الزينة[6]. فنحن المسلمين لا نجزم أن " يهوذا الإسخريوطى " أو " بارا باس " أو " سمعان القيروانى " أو " سيمون السيرناى " هو المصلوب، ولكن الذى نجزم به أن المصلوب غير المسيح، بدليل أن المقبوض الذى كان بين يدى اليهود و " بيلاطس " نفى أنه المسيح بل استحلفه رئيس الكهنة بالله الحي، فأجاب بأنه غير المسيح. يذكر " متى " : فأجاب رئيس الكهنة وقال له : أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا ، هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع أنت قلت ؟[7] "

ومثل المسيح إذا استحلف لا بد أن يجيب بالحق، فلو كان هو المسيح حقا لما نفي أنه المسيح، وهذا يدل على أن المقبوض عليه لم يكن المسيح بل كان شبهه. فالصلب وقع، ولكن لم يقع على المسيح نفسه، بل وقع على مجهول عرف بأنه يسوع المسيح. وظروف الحادث تساعد على ستر الحقيقة وتجسيد الوهم، حتى يخيل إلى الناس أن المصلوب هو المسيح حسب دعوى اليهود.

والقرآن يقرر عدم صحة القول بصلب المسيح، ويوضح أن اليهود والنصارى لم يكونوا

---

(١) البابا رقم ١٧٦ تولى منصب البابوية من (١٢١٦ - ١٢٢٧ م)
(٢) البابا رقم ١٧٧ (١٢٢٧ - ١٢٤١ م)
(٣) البابا رقم ١٧٩ (١٢٤١ - ١٢٥٤ م)
(٤) البابا رقم ١٩٥ (١٣١٦ - ١٣٣٤ م)
(٥) البابا رقم ١٩٦ (١٣٣٤ - ١٣٤٢ م) (راجع المنجد فى الأعلام، ص ١١١)
(٦) انظر: " الدعوة إلى الإسلام " سير توماس و، أرنولد ، ص ٢٢٨، ترجمة عبد المجيد عابدين والدكتور حسن إبراهيم حسن، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة (١٩٧١م). نقلا عن د، عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " ص ٢٥٠.
(٧) متى ٢٦ : ٦٣-٦٤.

على يقين من أمره ، بل شبه لهم ذلك ، واختلط عليهم الأمر ، وأن الله عز وجل نجى نبيه من مكر الماكرين حين مكر بهم ورفعه من بينهم ، ((وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ، وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١))) .

والشك المذكور هنا فى أمر عيسى قد ذكر على لسان المسيح أيضا فى خطابه لتلاميذه : كلكم تشكون فيّ فى هذه الليلة " (٢) أى ليلة المؤامرة . وهذا الشك هو الذى جعلهم يتخبطون فى أمرهم . أين شك التلاميذ ؟ يجيب المهندس " أحمد عبد الوهاب " على هذا السؤال : نحن هنا أمام احتمالين، أحدهما — أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده ، ورغم أنها ستسبب له ألما ومعاناة إلا أنها ستفشل ، وينقذه الله من القتل الذى ينتظره على أيدى مدبريها . ثانيهما — أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده وتسبب له ألما ومعاناة وتنتهى بقتله . فإن كانت الحالة الأولى ورأى التلاميذ — حسبما تريه الأناجيل — أن المسيح قبض عليه فى تلك الليلة ، واستطاعت قوى الظلم أن تنتصر عليه وتحقق ما تريد ، فعندئذ لابد أن يشك التلاميذ فى معلمهم الذى تنبأ بنجاته ، ثم أظهرت الحوادث أمام أعينهم بعد ذلك أنه لم يحدث ، هنا فقط يحدث الشك والزلل والارتداد عن العقيدة . ولما كانت الأناجيل قد أظهرت جميعها أن التلاميذ لم يشكوا فى تلك الليلة ، فإن هذا يعنى أن الأحداث سارت حسبما جاء فى تلك الحالة التى تنتهى بنجاة المسيح من القبض والقتل . أما إن كانت الحالة الثانية — حسب رواية الأناجيل أيضا — هو أن ذلك ما حدث ، ولا محل للشك إذن فى هذه الحالة ، ولا ريب فى أن نفى الشك عن التلاميذ فى تلك الليلة يترتب عليه بالضرورة إلحاق تنبؤات خاطئة بالمسيح ، وهو الأمر الذى لا يمكن أن يصدر عنه ، فهذه النقطة وحدها تقطع بأحد أمرين : إما التسليم بأن الأناجيل تنسب للمسيح أقوالا وتنبؤات خاطئة ، وإما التصديق بفشل المؤامرة ضد المسيح ، ونجاته من القبض عليه وقتله " (٣) .

---

(١) النساء ١٥٦ — ١٥٨

(٢) متّى ٢٦ : ٣١ ، ومرقس ١٤ — ٢٧

(٣) راجع : " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية " المهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ١٤٧ — ١٤٨ .

والحق أن قول القرآن بعدم قتل المسيح وصلبه لهو من أكبر المعجزات، إذ جاء قاطعا في بيان الحقيقة، وليس في الأرض كتاب يعد الوثيقة الصحيحة مثل القرآن الكريم، الذى لا مطعن فيه، بينما نجد الأناجيل الأربعة التي ساقت رواية الصليب، قد أحاطت بها شكوك وأوهام وتناقض فيما بينها، كما سنعرف في الفصل التالي إن شاء الله، مما يجعل هذه الرواية ساقطة ومردودة. وقد أشار "أدولف هرنك Adolf Harnack"[1] في كتابه Histori of Dogma إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية المهمة من أي ذكر للصلب والفداء، فيقول: لا يوجد في أي مكان من تعاليم الاثنى عشر، أي ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح. إن كتابات "هرمس"[2] المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثا وقع، ولا يوجد فيها أي ذكر على الإطلاق لصلب المسيح وقيامته، رغم أن المؤلف كانت عنده المناسبة التي يذكر فيها ذلك. إنه يصف عمل يسوع بأنه حفظ الشعب الذى اختاره الله وتنقيهم من الخطية، وتعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلهي. وإن كتاب "هرمس" هذا كان "إيرانيوس" يقتبس منه باعتباره واحدا من الكتب المقدسة. واعتقده "أوريجين"[3] أنه من أكثر الكتب فائدة، وأنه كان كتب بوحي إلهي، فقد كان يقرأ علانية في الكنائس". وكذلك لم يوجد عند اليهود إشارة من علم تدل على أن رجلا جاء باسم المسيح في زمن كذا وصلب وقتل، ولا يوجد في تاريخهم الديني شيئ من ذلك أصلا. فهذا "يوسيفوس" القائد اليهودى الذى ألف تاريخ اليهود وأحوالهم وما صار إليه أمرهم مع قرب زمنه من زمن المسيح، ونهاية المسيح لا بد أن تكون قد تمت وهو حي يرزق صغيرا أو كبيرا، ومع هذا فلم يشر إليه بكلمة ولم يجر له ذكر في كتابه أصلا[4]. فاليهود — كما قرر به الشيخ عبد الوهاب النجار — عند ما تكلموا عن المسيح وقتله، فليس ذلك لأنه مثبت في تواريخهم المأثورة، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون من أن المسيح جاء وقتله اليهود، وإلا فكتبهم خالية من ذلك[5].

---

(١) راجع: "المسيح في مصادر العقائد المسيحية" مهندس أحمد عبد الوهاب، ص ٢٧٥.
(٢) أحد الآباء الرسوليين في القرن الثاني له كتاب "الراعي" (المنجد في الأعلام، ص ٧٢٧).
(٣) (١٨٥ — ٢٥٤ م) فيلسوف مسيحي ولد بمصر، وعلم بالإسكندرية، حاول أن يؤيد العقيدة المسيحية ببيان اتفاقها مع الفلسفة اليونانية، فكان بذلك واضع الأساس لفلسفة العصور الوسطى (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٢٦١)
(٤) انظر: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، لابن حزم، ج ١، ص ١٧٩
(٥) انظر: "قصص الأنبياء"، ص ٤٣٠.

لذلك فإن قضية صلب المسيح ظلت من القرون الأولى إلى يومنا هذا، موضع النقد والرد، بل والشك والإنكار. وقد اعترف بهذه الحقيقة الكاتب المسيحى المتعصب " عوض سمعان " فى كتابه " فلسفة الغفران فى المسيحية " قائلا: ظهر فى القرن الثانى للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم "الغنوسيين" وهي كلمة يونانية معناها أهل العلم والمعرفة، أقبلوا على فحص تعاليم المسيحية، فأنكروا صلب المسيح وقالوا: إن سمعان القيروانى " رضي أن يصلب عوضا عن المسيح، لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح، وترك " سمعان " ليصلب عوضا عنه. وقال " الدوكيتيون " إن المسيح لم يصلب مطلقا، إنما تراءى للناس أنهم صلبوه. وقد أطلقوا على أنفسهم اسمهم هذا، لأنه مشتق من فعل يونانى معناه: يظهر أو يتراءى، للدلالة على عقيدتهم هذه. وإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن فكرة عدم صلب المسيح لم تندثر كما اندثر غيرها من أفكار الفلاسفة التى ظهرت فى القرون الأولى للمسيحية، بل كانت تظهر من وقت إلى آخر، فى بلدان متعددة بواسطة أشخاص كانوا يدعون العلم والمعرفة. ففى سنة ١٧٥ م قام فريق من نسل كهنة طيبة الورعين الذين اعتنقوا المسيحية، وقالوا: حاشا للمسيح من الصلب، بل إنه رفع إلى السماء سالما. وفى سنة ٣٧٠ م ظهرت طائفة " الهرموسيين " لكنها لم تلبث طويلا حتى انقسمت إلى قسمين، فانقاد الفريق الأول وراء " أثناسيوس الرسولى " (١) وآمن بصلب المسيح، وانقاد الفريق الآخر وراء الغنوسيين وأنكر صلبه وقال: إنه لم يصلب ولكن شبه للناظرين أنهم صلبوه. وفى سنة ٥٢٠ م هرب " ساويرس أسقف (٢) سوريا إلى الإسكندرية فوجد فيها قوما من الفلاسفة ينادون بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناس أنهم صلبوه. وفى سنة ٥٦٠ م ظهر راهب يدعى " تيودورس " وأنكر بشرية المسيح، وبالتالى أنكر صلبه. وفى سنة ٦١٠ م نادى الأسقف " يوحنا بن حاكم قبرص"

---

(١) أثناسيوس القديس (٢٩٦ – ٣٧٣ م) بطريرك الإسكندرية حجة فى شئون الكنيسة، برز فى مجمع نيقية الأول بدفاعه عن العقيدة الأرثوذكسية ضد الآريوسية التى عارضها طول حياته، أثار موقفه كثيرا من الخصومات، نفي خمس مرات عندما رحل إلى روما، أسهم بقدر كبير فى تثبيت العقيدة الكاثوليكية. (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٥١).

(٢) ساويرس (ت ٥٣٨م) بطريرك أنطاكية ٥١٢ – ٥١٨م هرب سنة ٥٢٠ م له مؤلفات لاهوتيه مال إلى مونوفيزية معتدلة كان له فيها أشياع (المنجد فى الأعلام ٥٣٨).

بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناظرين أنهم صلبوه .ومضى يقول : على الرغم من الأدلة الواضحة التي تثبت أن موت المسيح كان كفارة عنا إلا أن الفلاسفة المنتمين إلى المسيحية أمثال " مرقيون الأسفوبي "(١) و" ستروس " و " رينان " و"هولتزمان " ينكرون هذه الحقيقة ". هكذا لقد أنكرت بعض العقول المسيحية المتحررة المفكرة صلب(٢) المسيح على مختلف العصور، وأخيرا نجد في بداية القرن التاسع عشر الفيلسوف الألماني " فنتيوريني " حيث خلص من دراسة لما قيل عن الصلب والدفن إلى أن يسوع قد أغمي عليه فقط، ثم أفاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت في الصخرة(٣) . ويوجد فريق من المسلمين يقول مثل هذا القول،أي إن المسيح صلب وأظهر للناس أنه مات ولم يكن قد(٤) مات،وأنزله من الخشبة رجل من تلاميذه، وكان ذلك التظاهر بإيحاء منه، وساعده " بيلا طوس " لأن " بيلا طس " كان يعتقد براءة المسيح من كل ما يرميه به اليهود من الإفساد . وكذلك زوجته كانت عاطفة على المسيح، حريصة على أنه لا يمس بسوء،وقد أوصت زوجها بذلك .وبعد إنزاله لفه ووضعه في القبر الذي يملكه تلميذه " يوسف " الغني وأجاف على الباب حجرا ، ولما هدأ الناس ودخلوا في السبت جاء يوسف وأعوانه وأزالوا الحجر وأخذوا المسيح وواروه في بيته إلى أن برئ من أثر المسامير، ثم ذهب إلى بلاد غير البلاد، إلى أن تولاه الله بالوفاة. وهؤلاء يؤولون قوله تعالى ((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ)) بمعنى أن صلبه لم يؤد إلى قتله ولكن شبه لهم أنه قتل على خشبة الصلب،ولم يكونوا على يقين من أنه مات حقيقة،وذلك معنى " وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا "(٥) ولكن هذا القول متهافت

---

(١) مرقيون الأسفوبي (ت ١٥٥) كاتب مسيحي ولد في سينوبة نشر كتاب "المتناقضات "أحدث بدعة كانت أولى الكنائس المنفصلة (المنجد في الأعلام، ص ٦٥٦)

(٢) انظر: " فلسفة الغفران في المسيحية" عوض سمعان، ص ٨٩ ـ ١٢٨، المطبعة التجارية الحديثة القاهرة، ١٩٧٢ م وانظر أيضا : تفسير العهد الجديد (إنجيل يوحنا) وليم باركلي ، ترجمة د . عزت زكي ، جـ ٢، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الأولى ١٩٧٦ م.

(٣)"المسيح في مصادر العقائد المسيحية" مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ ، نقلا عن Frank Morison في كتابه Who Moved The Stome ص ٦٤ .

(٤) انتشر هذا الرأي في إندونسيا ، من بين الكتاب المتحررين ، انظر :
Perbandingan Agama,Kristen dan Islam " مقارنة الأديان (بين النصرانية والإسلام) الحاج أرشاد طالب لوبيس، ص١٤٩ ـ ١٥١ ، فيرما إسلامية ميدان، ط الثانية ١٩٧٤ م.

(٥) انظر: " قصص الأنبياء " عبد الوهاب النجار، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .
وانظر: " مع المسيح في الأناجيل الأربعة " فتحي عثمان ، ص ٤٣٤ .

ومردود . فإنهم يؤولون الآية تأويلا بعيدا ، والقرآن يصرح بعدم صلب المسيح ، بجانب عدم قتله . والحقيقة أن القرآن الكريم قد أولى عيسى ابن مريم حديثا مثيرا صاحبه منذ ولادته ثم نشأته حتى نهايته على الأرض . فقد كانت الخوارق التى أجريت على يديه فى عهد رسالته ، وما كان من أمر نهايته مثار فتنة للنصارى حتى إنهم ضلوا بسببها وأضلوا غيرهم بها . وكان القول بقتل المسيح وصلبه زعما لليهود وعقيدة أصيلة فى دين النصارى الذين ربطوا بقتله قضية المصير للبشرية كلها، من حيث سعادتها أو شقائها فى الآخرة . فجاء القرآن الكريم وأزاح الستار وكشف القناع عن حقيقة الأمر فى هذا الموضوع . فأكد بأن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب، وصرح بكذب من يدعى قتل المسيح وصلبه ، كما صرح بأن شبه لهم . وفى تكذيب القرآن لليهود تكذيب للنصارى حيث إن الجميع يتفقون على القول بصلبه وقتله . فالصليب لم يمس جسده قط ، فالله تكفل بنجاته، وأخبر بذلك من قبل الشروع فى القبض عليه .

والآن ننتقل إلى الأناجيل الأربعة ، لنرى من خلال إصحاحاتها وأعدادها كيف تصور لنا نهاية المسيح على الأرض ، ومدى صحة تلك القصة التى يرويها لنا أصحابها .

* الفصل الرابع *

نهاية المسيح على الأرض كما صورتها الأناجيل .

اختلفت الأناجيل الأربعة — بعضها من بعض— فى مسألة صلب المسيح وقتله . فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى إنجيل آخر ، مع أن هذه الحادثة هى مناط النجاة ودعامة الإيمان فى نظر المسيحيين . فإن الاعتقاد بحصولها — على الوجه الذى صوروه — أصل من أصول الدين ،لا يقبل من مؤمن إيمانه إلا به ، ولا ينفعه عمل صالح ولا عبادة ولا بر ولا تقوى ولا إخلاص دون الاعتقاد بصلب المسيح . كما يقول "بولس" : إنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا المسيح وإياه مصلوبا "(١) إنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع "(٢) يسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ،لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة "(٣) " المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا،لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة"(٤) " نعلم أن الإنسان لايتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح ،لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما "(٥). وسنزيد البيان فى هذه العقيدة البولسية فى الباب الثالث إن شاء الله .

لما كانت هذه القضية أى قضية صلب المسيح فداء للبشر عن الخطايا الموروثة ، هي أساس الإيمان المسيحي ،لا بد أن تكون الأناجيل فى هذه القضية الهامة متطابقة متوافقة ، بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلا . إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ بروايات فى موضع واحد من قصة — جاءت فى جميعها — تتخالف فى مواضع كثيرة .(٦)

---

(١) ١ كورنثوس ٢ : ٢
(٢) ١ تيموثاوس ٢ : ٥ — ٦
(٣) رومية ٣ : ٢٤ — ٢٥
(٤) غلاطية ٣ : ١٣
(٥) غلاطية ٢ : ١٦
(٦) الشيخ عبد الوهاب النجار " قصص الأنبياء " ص ٤٣٣—٤٣٤ .

والآن لنبدأ في سرد روايات الأناجيل الأربعة في حادثة قتل المسيح صلبا • وسوف نجعل إنجيل " مرقس " في مقدمتها ،لأنه أقصرها وأقدمها باتفاق النقاد الثقات، ويحكم عليه " ول ديورانت " — تبعا لشوتزر — بصحة جوهره • وكان "متى " و " لوقا " يستخدمان إنجيل " مرقس " كمرجع أساسي في كتابتهما ،بالإضافة إلى مصادر أخرى مشتركة مفقودة اليوم (١) من ناحية ،ومصدر خاص لكل منهما الذى تحت حوزة كليهما من ناحية أخرى • (٢) فإنجيل " متى " يعتبر نسخة مطولة من إنجيل " مرقس " (٣) باتفاق العلماء • (٤) رغم أن إنجيل " متى " يحتل بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد ، وهي مكانة لها ما يبررها • (٥) فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما • فقد كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ إسرائيل • لذا يفوق غيره من الأناجيل في الاقتباسات من العهد القديم إذ فيه ٥٦ اقتباسا • (٦) وقد استسلم صاحب كتاب " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " معترفا بهذه المشكلة في الترتيب بقوله : إنه ليس من السهل معرفة السبب في وضع الأناجيل الأربعة بهذا الترتيب " (٧) •

المسح بالطيب •

هناك قصة مشهورة كمقدمة لحادثة الصلب ، وهي مسح جسد المسيح بالطيب • وهي تبدو من القصص التى كانت متداولة دون تحديد لموقعها في فترة رسالة المسيح ،فنجد " مرقس " يذكرها قبل يومين من عيد الفصح (٨) ، بينما " يوحنا " يذكرها مبكرا عما أورده " مرقس " ببضعة أيام • يقول " مرقس " : كان الفصح وأيام الفطير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه ، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون

---

(١) انظر: " قصة الحضارة " ج ٣ ، من المجلد الثالث ، ص ٣٠٨ ، وانظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل متى) ، وليم باركلى ، ص ٩ — ١٠ ، ترجمة القس فايز فارس ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ، ط الثانية بدون سنة •

(٢) راجع: " القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " موريس بوكاى ، ص ٩٥

(٣) انظر: " المسيح في مصادر العقائد المسيحية " مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٤٦

(٤) منهم " هولتزمان " و " كولمان " و " بينوا " و " بومار " •

(٥) موريس بوكاى ، الكتاب السابق ، ص ٧٩

(٦) انظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل متى) ، وليم باركلى ، ص ١٣ — ١٧

(٧) " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " ج ٢ ، ص ٧ متى بهنام ، مكتبة كنيسة الإخوة القاهرة ط الثانية ، ١٩٦٨ م •

(٨) الفصح كلمة عبرانية معناها العبور ، أول الأعياد السنوية الثلاثة التى كان مفروضا فيها على جميع الرجال ، ويعرف أيضا بعيد الفطير •••• فهو عند اليهود عيد تذكار خروجهم من مصر وعند النصارى عيد تذكار قيامة السيد المسيح (قاموس الكتاب المقدس ٦٧٨ — ٦٨٠) •

شغب فى الشعب. وفيما هو فى بيت عنيا فى بيت سمعان الأبرص، وهو متكئ جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين[1] خالص كثير الثمن، فكسرت القارورة وسكبته على رأسه. وكان قوم مغتاظين فى أنفسهم فقالوا: لماذا كان تلف الطيب هذا، لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلثمائة دينار ويعطى للفقراء، وكانوا يؤنبونها. أما يسوع فقال اتركوها لماذا تزعجونها، قد عملت بي عملا حسنا، لأن الفقراء معكم فى كل حين، ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيرا. وأما أنا فلست معكم فى كل حين. عملت ما عندها، قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين[2]» إن المعنى الواضح هو أن السلطات اليهودية قررت عدم اتخاذ أى إجراء أثناء العيد حتى ولو كان سيتم خلسة، ولكن واقع الأمر وكما سيظهر فيما بعد، هو أن تلك السلطات قد عملت ضد المسيح أثناء العيد. ولهذا فإن المفسرين يتساءلون عما جعل تلك السلطات تغير رأيها[3]. ونجد إنجيل "متى" قد اتفق مع ما رواه "مرقس" تقريبا، إلا أنه يقرر أن التلاميذ هم الذين يغتاظون من عمل المرأة. "فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا[4]» وليس قوم مغتاظين فى أنفسهم كما ذكر "مرقس".

أما روايتا "لوقا" و"يوحنا" فتختلفان عما رواه "مرقس" و"متى" كما تختلفان فيما بينهما. يقول "لوقا": وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ. وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع، وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب. فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك تكلم فى نفسه قائلا: لو كان هذا نبيا لعلم من هذه الامرأة التى تلمسه وماهي، إنها خاطئة. فأجاب يسوع وقال له يا سمعان عندى شيء أقوله لك .... كان لمداين مديونان على الواحد خمسمئة دينار وعلى الآخر خمسون، وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعا فقل أيهما يكون أكثر حبا له، فأجاب سمعان وقال أظن الذى سامحه بالأكثر، فقال له بالصواب حكمت، ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة، إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط، وأما هى فقد غسلت رجا

---

(١) نوع من الطيوب يستخلص من نبات صغير الحجم ينبت بكثرة فى جبال حمالايا على ارتفاع عال (قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٤٦).

(٢) مرقس ١٤ : ١ ـ ٨

(٣) تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس)، وليم باركلى، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦. ترجمة القس فهيم عزيز، دار الثقافة المسيحية القاهرة، ط الأولى ١٩٧٣ م

(٤) متى ٢٦ : ٨

بالدموع ومسحتهما بشعر راسها ،قبلة لم تقبلنى ، واما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى بزيت لم تدهن راسى ، واما هى فقد دهنت بالطيب رجلى ، من اجل ذلك اقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لانها احبت كثيرا (١)

ويقول " يوحنا ": ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذى أقامه من الأموات ، فصنعوا له هناك عشاء. وكانت مرثا تخدم، وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه. فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها، (٢) فامتلأ البيت من رائحة الطيب . فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الإسخريوطى المزمع أن يسلّمه ، لماذا لم يبع هذا الطيب بثلثمائة دينار ويُعطَ للفقراء. قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء، بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده. وكان يحمل ما يلقى فيه. فقال يسوع اتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته ، لأن الفقراء معكم فى كل حين ، وأما أنا فلست معكم فى كل حين " (٣) مما سبق يتبين أن الأناجيل اختلفت تماما فى هذه القصة التى تتكلم عن مسح جسد المسيح باعتباره مقدمة لأحداث القتل والصلب . فكما أنها اختلفت فى توقيتها فإنها اختلفت كذلك فى عناصرها الرئيسية (٤) . فمكان الحادث هو بيت " سمعان الأبرص "كما يقول " مرقس " (٥) و " متى " (٦)، وبيت " فريسى " كما يقول " لوقا " (٧). بينما فى " يوحنا " (٨) هو بيت الإخوة " لعازر" ومريم " و " مرثا " . وشخصية المرأة مجهولة لدى " مرقس " (٥) و " متّى " (٩)، وهي خاطئة لدى " لوقا " (١٠)، بينما فى " يوحنا " (١١) إنها صديقة " مريم " أخت " لعازر " . وأن المرأة دهنت رأس المسيح بالطيب، حسب

---

(١) لوقا ٧ : ٣٦ — ٤٧
(٢) المن هو وزن يساوى مائة شاقل (قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٢٤) .
(٣) يوحنا ١٢ : ١ — ٨ .
(٤) انظر : " إظهار الحق " للشيخ رحمت الله الهندى، ج ١، ص ١٣١ — ١٣٣ .
(٥) مرقس ١٤ : ٣ (٦) متّى ٢٦ : ٦
(٧) لوقا ٧ : ٣٦ (٨) يوحنا ١٢ : ١
(٩) متّى ٢٦ : ٧ (١٠) لوقا ٧: ٣٧
(١١) يوحنا ١٢: ٣

رواية " مرقس" و " متى "[1][2]،بينما " لوقا " و " يوحنا "[3][4] يذكران أنها دهنت قدميه ·

وأن القوم اغتاظوا لإسرافها كما قال " مرقس "[5] ، وفى " متّى "[6] التلاميذ هم الذين

اغتاظوا ·وكان تساؤل الفريسى مع نفسه حول معرفة المسيح بشخصية المرأة حسب

" لوقا "[7] ، بينما " يوحنا "[8] يذكر أن " يهوذا الإسخريوطى " هو المغتاظ لإسرافها ·

وأخيرا إن الطيب الذى سكبته إنما هو لأجل تكفينه ، كما أثبته " مرقس"[9] و " متّى "[10] و

" يوحنا "[11] ،إذ كان المسيح يعلم أن نهايته قريبة ، وأن هذا العمل قد جعل لتلك

المرأة ذكرا باقيا فى أى مكان يكرز فيه بالإنجيل · وقد أغفل ذلك " لوقا " مع عظم شأنه،

إذ نطق المسيح بما ينبئ عن خاتمة حياته ·

خيانة يهوذا الإسخريوطى ·

ثم مضت الأناجيل — بعد ذكر هذه الحادثة — تروى لنا قصة خيانة يهوذا

الإسخريوطي ، فقال " مرقس " : ثم إن " يهوذا الإسخريوطى " واحدا من الاثنى عشر

مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلّمه إليهم · ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة·وكان

يطلب كيف يسلمه فى فرصة موافقة "[12] ولقد اختلف " متّى " عن " مرقس " فى تحديده

لعدد الفضة، إذ يقول : فجعلوا له ثلاثين من الفضة "[13] وهذه الجملة مقتبسة من

سفر " زكريا " الذى يقول: فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فأعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا·

فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة "[14] وهنا قد أخطأ " متى " باتفاق العلماء[15] فى

أمرين : الأول — أن هذه الكلمة ذكرت فى سفر " زكريا " وليست فى سفر " أرمياء" كما

صرح بذلك " متى " " حينئذ تم ما قيل بأرمياء النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة "[16]

الثانى — أن القصتين على طرفي نقيض، ولايمكن أن تكون أولاهما — قصة زكريا —

---

(١) مرقس ١٤ : ٣
(٢) متى ٢٦ : ٧
(٣) لوقا ٧ : ٣٨
(٤) يوحنا ١٢ : ٣
(٥) مرقس ١٤ : ٤
(٦) متى ٢٦ : ٨
(٧) لوقا ٧ : ٣٩
(٨) يوحنا ١٢ : ٤
(٩) مرقس ١٤ : ٨
(١٠) متى ٢٦ : ١٢
(١١) يوحنا ١٢ : ٧
(١٢) مرقس ١٤ : ١٠ — ١١
(١٣) متى ٢٦ : ١٥
(١٤) زكريا ١١ : ١٢
(١٥) منهم " وارد " و " جوويل " و " بيوكانان " و " مارطيروس " و " كيراكس " و " هورن " · انظر: " إظهار الحق " ج ١ ، ص ٢٣٤ ·
(١٦) متّى ٢٧ : ٩

صورة مطابقة سبق التنبوء بها للقصة الثانية، وهي قصة " يهوذا الإسخريوطي " .

فإن " زكريا " نبي كريم بينما " يهوذا " خائن حقير. ولقد تسلم " زكريا " ثلاثين من الفضة ثمنا كريما ارتضاه الله لصنيعه مع شعبه، بينما كانت الفضة التي تسلمها " يهوذا " ثمنا خسيسا يرفضه كل الناس. ولما كانت فضة " زكريا " ثمنا كريما فإنها قبلت في بيت الرب، أما فضة " يهوذا " فإنها رفضت من كهنة إسرائيل بل من " يهوذا " نفسه.(١)

وتتفق رواية " لوقا " مع " مرقس " إلا أن لوقا يقرر أمرا هاما - سنتعرض له ثانية فيما بعد - وهو أن خيانة " يهوذا " بدأت بعد أن دخل فيه الشيطان وقبل أن يبدأ العشاء، إذ يقول : فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الإسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر، فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم، ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة "(٢)

العشاء الأخير .

تلي بعد خيانة " يهوذا الإسخريوطي " قصة العشاء الأخير، فيقول " مرقس " : وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن نمضي ونُعِدّ لتأكل الفصح . فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا إلى المدينة، فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه، وحيثما يدخل فقولا لرب البيت : إن المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي . فهو يريكما علية كبيرة مفروشة معدة، هناك أعدّا لنا. فخرج تلميذاه وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما، فأعدّا الفصح . ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر . وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع الحق أقول لكم إن واحدا منكم يسلمني، الآكل معي . فابتدؤا يحزنون ويقولون له واحدا فواحدا هل أنا، وآخر هل أنا . فأجاب وقال لهم هو واحد من الاثني عشر الذي يغمس معي في الصحفة . إن

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مهندس أحمد عبد الوهاب، ص ١١٥ - ١١٦، وانظر: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، د . عبد الكريم الخطيب، ص ٤١٣، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م . وإظهار الحق، ج ١، ص ٢٣٣ - ٢٣٥، و " قصص الأنبياء " عبد الوهاب النجار، ص ٤٢٣ . وانظر: " الفارق بين المخلوق والخالق " للشيخ عبد الرحمن أفندي باجه جي زاده، ج ٢، ص ٢٤٨ .

(٢) لوقا ٢٢ : ٣ - ٥

ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلَّم ابن الإنسان، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد" (١) يبدو أن كاتب العدد ١٧ الذى يقول: ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر، لا يعلم شيئا عن رحلة التلميذين التى ذكرت فى العدد الذى قبله (١٣). إذ يجب أن يقول: ولما كان المساء جاء مع العشرة. ويختلف "متى" عن "مرقس" فى قصة الإعداد للعشاء، إذ يجعل التلاميذ جميعا يشتركون فى هذا الإعداد، فيقول: فقال يسوع اذهبوا إلى المدينة إلى فلان، وقولوا له: المعلم يقول إن وقتى قريب، عندك أصنع الفصح مع تلاميذى. ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح" (٢) ويتفق "متى" مع "مرقس" وكذلك "لوقا" (٣) فى أن العشاء الأخير كان هو الفصح. وعلى العكس من ذلك نجد الإنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل فى المساء بعد موت يسوع. ذلك أن "يوحنا" يقرر أن العشاء الأخير الذى حضره يسوع مع تلاميذه كان قبل الفصح حيث يقول: أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب ... فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه .... قام عن العشاء وخلع ثيابه، وأخذ منشفة واتزر بها، ثم صب ماء فى مغسل، وابتدأ بغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها" (٤) وكذلك يقرر "يوحنا" أنهم قبضوا على يسوع فى مساء اليوم السابق لأكل الفصح، وذلك فى قوله: ثم جاؤا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبح، ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح" (٥)

إن اختلاف الأناجيل فى توقيت العشاء الأخير ترتب عليه اختلافهم فى نقطة جوهرية، تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب، ألا وهي تحديد يوم الصلب. فإذا أخذنا برواية "مرقس" و"متى" و"لوقا" كان المسيح قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس، ثم كان القبض بعد ذلك بقليل فى مساء الخميس ذاته، وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة. أما الأخذ برواية "يوحنا" فإنه يعنى أن القبض كان مساء الأربعاء وأن الصلب حدث يوم الخميس (٦). هل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة ؟!!

---

(١) مرقس ١٤ : ١٢ - ٢١ (٢) متى ٢٦ : ١٨ - ١٩
(٣) انظر: لوقا ٢٢ : ٨ (٤) يوحنا ١٣ : ١ - ٥
(٥) يوحنا ١٨ : ٢٨
(٦) انظر: الديانات والعقائد فى مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، ج ٣، ص ١١٥، =

ولتحديد شخصية الخائن نجد الأناجيل قد أوردت إجابات مختلفة لسؤال التلاميذ معلمهم عمن يكون. فقد قال " مرقس " على لسان المسيح: الذى يغمس معى فى الصحفة" (١) وأضاف " متّى " بقوله: فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو يا سيدى: فقال له أنت قلت" (٢). وتوقف " لوقا " كما توقف " مرقس " حيث يقول: ولكن هوذا يد الذى يسلمنى هي معى على المائدة" (٣) أما " يوحنا " فقد قال: الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطى" (٤) وبقيت نقطة هامة ألا وهي أن الشيطان دخل "يهوذا " قبل العشاء حسب رواية " لوقا " (٥) إذ خرج بعد ذلك ليتآمر مع رؤساء الكهنة. لكن " يوحنا " يقرر أن الشيطان دخل يهوذا بعد أن أعطاه يسوع اللقمة أى أثناء العشاء (٦). ويعلق الدكتور ((عبد الكريم الخطيب)) فى كتابه " المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل " على هذه النقطة قائلا: (٧) إذا كان المسيح قد وضع يده على يهوذا الإسخريوطى أمام تلاميذه، فهل يمضى هذا الموقف دون أن يحدث انفجارا مدويا فى نفوس هؤلاء التلاميذ ؟ أفلا أقل من أن يطردوه من زمرتهم أو يقتلوه أو يحبسوه ؟ إن شيئا من ذلك لم يحدث. ثم " يهوذا الإسخريوطى " نفسه ألا يتنبه بهذا الشر الذى يندس فى كيانه، ألا يوقظ مشاعره ويلفت إليه، حتى لا يتردى فى تلك الهوة المهلكة ؟. وأيضا نفهم من رواية " يوحنا " أن المسيح هو الذى أدخل الشيطان على " يهوذا " وهل عرفت يد المسيح إلا الخير والإحسان ؟! وهل امتدت يده إلا كانت شفاء من كل سقم وعلة ؟! هذه الأحداث كلها من مسح جسد المسيح بالطيب وخيانة " يهوذا الإسخريوطى " ثم العشاء الأخير مقدمة لحادثة كبرى، وهي عملية القبض على المسيح.

= وانظر: " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية " مهندس أحمد عبد الوهاب، ص ١٣٥.

(١) مرقس ١٤ : ٢٠ (٢) متى ٢٦ : ٢٥

(٣) لوقا ٢٢ : ٢١ (٤) يوحنا ١٣ : ٢٦

(٥) لوقا ٢٢ : ٣ (٦) يوحنا ١٣ : ٢٧

(٧) انظر: صفحة ٤١٣ — ٤١٤

القبض عليه .

تروى لنا الأناجيل كيفية عملية القبض على المسيح ، فيقول مرقس: وجاؤا إلى ضيعة اسمها « جشيمانى » (١) فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلى . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم: نفسى حزينة جداً حتى الموت ، امكثوا هنا واسهروا . ثم تقدم قليلا وخرّ على الأرض. وكان يصلى لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن ، وقال يا أبا الآب كل شيئ مستطاع لك فأجز عنى هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت . ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم ، أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة، اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. ومضى أيضا وصلّى قائلا ذلك الكلام بعينه . ثم رجع ووجدهم أيضا نياما ، إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه . ثم جاء ثالثة وقال لهم الآن واستريحوا ، يكفى ، قد أتت الساعة، هوذا ابن الإنسان يسلّم إلى أيدى الخطاة . قوموا لنذهب، هوذا الذى يسلمنى قد اقترب. وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر، ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو — أمسكوه وامضوا به بحرص. فجاء للوقت وتقدم إليه قائلا يا سيدى يا سيدى، وقبّله. فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه، فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى، كل يوم كنت معكم فى الهيكل أعلم ولم تمسكونى ، ولكن لكى تكمل الكتب. فتركه الجميع وهربوا ، وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه فأمسكه الشبان ، فترك الإزار وهرب منهم عريانا » (٢) ويختلف " متى " عما رواه " مرقس " فى قوله : وكان يصلى قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس" (٣) بينما " مرقس" يقول : وقال يا أبا الآب كل شيئ مستطاع لك فأجز عنى هذه الكأس » (٤) وأضاف " متى " إلى قول " يهوذا " السلام يا سيدى" (٥)

---

(١) جشيمانى : كلمة آرامية معناها : معصرة الزيت ، وكان بستانا فيه أشجار الزيتون ومعصرة لعصره، وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادى قدرون قرب سفح جبل الزيتون . (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٤٩) .

(٢) مرقس ١٤ : ٣٢ — ٥٢   (٣) متى ٢٦ : ٣٩

(٤) مرقس ١٤ : ٣٦   (٥) متى ٢٦ : ٤٩

وقول يسوع إلى أحد تابعيه بعد قطع أذن عبد رئيس الكهنة : رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ، فكيف تكمل الكتب . إنه هكذا ينبغى أن يكون " (١) ولم يذكر متّى قصة الشاب الذى هرب عريانا . أما رواية " لوقا " فهى : وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه . ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا فى تجربة . وانفصل عنهم نحو رمية حجر ، وجثا على ركبتيه وصلى ، قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويه ، وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن ، فقال لهم لماذا أنتم نيام ، قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة " (٢) فرواية " لوقا " تعطينا انطباعا أقوى عن حالة الاضطراب التى حلت بيسوع (٣) . فلقد أخبرنا أن يسوع هو الذى انتزع نفسه بعيدا عن أصحابه ، وأنه كان فى ألم مبرح ، وأن عرقه صار مثل قطرات دم .

ويعلق " جورج كيرد G.B.Caird " فى كتابه Saint Mark ، قائلا : عندما نتذكر الشجاعة والثبات التى واجه بها الموت رجال آخرون شجعان ، بكل أشكاله البربرية ، وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط ، فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ما هية الكأس التى كان يسوع يرجو الله - فى صلاته - أن يجيزها عنه (٤) " ويقول : كم تنبأ يسوع بآلامه لكنه الآن عشية حدوثها نجده ينكص على عقبيه . وكان يصحبه الخوف من أن لا تكون تلك المعاناة بعد كل ذلك هي مشيئة الله . فصلاة يسوع ترينا أن عذاب الشك كان أحد عناصر محنته المعقدة (٥) " وينقد صاحب كتاب

---

(١) متّى ٢٦ : ٥٢ - ٥٤
(٢) لوقا ٢٢ : ٣٩ - ٤٦
(٣) تفسير العهد الجديد (إنجيل لوقا) ، وليم باركلى ، ص ٣٥٤ ، ترجمة القس مكرم نجيب دار الثقافة المسيحية القاهرة ، ط الثانية ١٩٨٤ م .
(٤) نقلا عن : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٤٢ .
(٥) نفس المرجع ، ص ١٤٣

" الديانات والعقائد في مختلف العصور " قائلا: إذا كان هناك اتفاق بين الأب والابن، فلماذا يدعو الابن الآب أن يجيز عنه تلك الكأس، والابن قد اكتنفه ضعف بشري؟" (١)

فالاعتقاد بأن الابن شارك أباه في قدرته القاهرة باطل! ولوقا لم يذكر الشاب الذي هرب عريانا كما ذكره " مرقس " (٢) وكذلك لم يذكر " لوقا " رواية الاثني عشر جيشا من الملائكة كما ذكرها " متّى " (٣). ثم إنه يذكر شيئا مختلفا عن قبلة " يهوذا " إذ يقول: وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا أحد الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبّله. فقال له يسوع، يا يهوذا أبقبلة تسلّم ابن الإنسان " (٤) وأما رواية " يوحنا " فإنها تذكر أن المسيح استنفد الفترة ما بين خروج يهوذا لتنفيذ مؤامرته وعودته مع القوة التي جاءت للقبض على معلمه، في جعل المسيح يلقي مواعظ طويلة على تلاميذه استغرقت أكثر من أربعة إصحاحات هي بقية الإصحاح ١٣ ثم الإصحاحات ١٤، ١٥، ١٦، و١٧. فكانت تمثل بذلك نحو ٢٠٪ من حجم إنجيل يوحنا. وقد تخلل تلك المواعظ حوار بين يسوع وتلاميذه، ويركز " يوحنا " على تأكيد ألوهية المسيح (٥). ومن أمثلة تلك المواعظ قوله: الذي رآني فقد رأى الأب..... (٦) أنا في الأب والأب فيّ....... الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال......... (٧) ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا....... (٨) أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد " (٩) وانفرد " يوحنا " بذكر مجيئ المسيح مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان (١٠). كما انفرد " لوقا " بأنهم جاؤا إلى جبل الزيتون (١١). بينما اتفق " مرقس " (١٢) مع " متّى " (١٣) على أنهم جاؤا إلى ضيعة جثسيماني. يقول يوحنا: قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه. وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع، لأن

---

(١) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، ج ٣، ص ١١٤

(٢) مرقس ١٤ : ٥٠ - ٥٢ (٣) متّى ٢٦ : ٥٣

(٤) لوقا ٢٢ : ٤٧ - ٤٨

(٥) انظر: العهد الجديد (إنجيل يوحنا)، وليم باركلي، ج ٢، ص ٢٨٧ - ٢٩٠، وانظر أيضا: سيرة المسيح وتعاليمه، دنيس كلارك، ص ٢٢٧ - ٢٣٣، دار منهل الحياة بيروت ١٩٧٨ م

(٦) يوحنا ١٤ : ٩ (٧) يوحنا ١٤ : ١٠

(٨) يوحنا ١٧ : ٢١ (٩) يوحنا ١٧ : ٢٣

(١٠) يوحنا ١٨ : ١ (١١) لوقا ٢٢ : ٣٩

(١٢) مرقس ١٤ : ٣٢ (١٣) متى ٢٦ : ٣٦

يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه . فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم من تطلبون، أجابوه يسوع الناصري . قال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم . فلما قال لهم إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض . فسألهم أيضا من تطلبون، فقالوا يسوع الناصري . أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون، ليتم القول الذي قاله إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحدا . ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، وكان اسم العبد مَلْخُس . فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في الغمد، الكأس التي أعطاني الأب ألا أشربها" (١)

لقد صمت " يوحنا " عن آلام المسيح ومعاناته في الحديقة، ولم يذكر سوى نبذة يسيرة عن حالة الفزع والاضطراب التي لحقت به حين شعر بخطر المؤامرة يقترب منه . وكان ذلك أثناء العشاء الأخير، إذ قال يوحنا : لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحدا منكم سيسلمني " (٢) وانفرد " يوحنا " من بين أصحاب الأناجيل بتصوير هذا الموقف المثير، الذي وقفه المسيح من هذا الجمع الذي جاء ليقبض عليه، وإنه تقدم إليهم وسألهم من تطلبون، ثم دلهم على شخصه أنا هو، فتراجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض . ولا ندري كيف تغفل الأناجيل الثلاثة الأخرى عن رواية هذا الخبر . وتختلف روايات الأناجيل كذلك في الكلمات التي نطق بها المسيح بعد أن ضرب أحد تلاميذه بالسيف أذن عبد رئيس الكهنة، وبعد أن أمره المسيح برد السيف إلى غمده . ففي إنجيل " متّى " : رد سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون، أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم إليّ أكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة " (٣) وفي إنجيل " لوقا " : دعوا إلى هذا - مشيرا إلى العبد الذي قطعت أذنه — ولمس أذنه وأبرأها " (٤) وفي إنجيل " يوحنا " الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها " (٥) بينما سكت " مرقس " عن هذه الحادثة، وبالطبع سكت

---

(١) يوحنا ١٨ : ١ — ١١
(٢) يوحنا ١٣ : ٢١
(٣) متى ٢٦ : ٥٢ — ٥٣
(٤) لوقا ٢٢ : ٥١
(٥) يوحنا ١٨ : ١١

أيضا عن الكلمات التى نطق بها المسيح . إن أدنى النظر لما سبق نجد أن الأناجيل الأربعة اختلف اختلافا كبيرا فى قصة القبض وملابساتها، فشهادتها لا تصلح أن تكون مستندا يثبت به أمر له من الأهمية .

فقد روى كل من " مرقس " و " متى " أن يهوذا قبّل المسيح ، وروى "لوقا" أن يهوذا كان على وشك أن يقبله ، بينما لا يعرف " يوحنا " شيئا عن القبلة. ويذكر كل من " مرقس "و " متّى " أن تحية وكلاما جرى بين " يهوذا " و " المسيح " ، ويصمت " لوقا " عن تلك التحية، بينما لايذكر" يوحنا " شيئا عن " يهوذا " سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة التى جاء للقبض عليه فى البستان .

المحاكمة .

ويذكر " مرقس " أن الجنود بعد أن قبضوا على المسيح ، وهرب عنه التلاميذ مضوا به إلى رئيس الكهنة، للمحاكمة أمام السنهدرين. يقول " مرقس " فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة . وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة. وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار . وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا ، لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم . ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين : نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد ، ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق . فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلا : أما تجيب بشيئ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ،أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيئ . فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له أأنت المسيح ابن المبارك . فقال يسوع أنا هو ، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود، قد سمعتم التجاديف ، ما رأيكم . فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت ،فابتدأ قوم يبصقون عليه ويُغَطّون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ ، وكان الخدام يلطمونه" (1)

---

(1) مرقس ١٤ : ٥٣ — ٦٥ .

يصف " مرقس " المحاكمة على أنها حدثت أمام المجمع (السنهدرين). ولكن قد شك العلماء ، منهم " نينهام " في كتابه ((Saint Mark)) في عقد جلسة في مثل ذلك الوقت ، ولو لعمل تحقيقات مبدئية [١]. هل كان الممكن أن يجتمع أعضاء السنهدرين ، ولو حتى لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التي تسبق المحاكمة في منتصف ليلة عيد الفصح ، أو السابقة لعيد الفصح ؟ . إن محاكمة رسمية في مثل ذلك الوقت تبدو شيئا لا يمكن تصديقه . وأكد الأستاذ " العقاد " بعدم صحة ذلك ، فيقول : ويجري نظام القضاء الموسوي على تحريم المحاكمة الليلية ، وإسقاط كل حكم يصدر في قضايا الدم بعد جلسة واحدة في يوم واحد . ولا ينفذ الحكم في هذه القضايا " [٢] و " لوقا " لا يذكر شيئا عن عقد المجمع بالليل ، فهو يقول : ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم " [٣] فمرقس يذكر محاكمتين الأولى في الليل [٤] ، والثانية في الصباح [٥] . أما حقيقة الأمر فإن السلطات اليهودية اجتمعت مرة واحدة فقط ، وكان ذلك في الصباح الباكر ، على أن هذا يثير أسئلة أخرى ، وهي إذا حدث تحريض لشهود الزور للتقدم بشهاداتهم ، ألم يكونوا قد لقنوا شهاداتهم مقدما ، لكي تتفق شهاداتهم ؟ وأيضا إن شهاداتهم بمسألة نقض الهيكل ، وقوله في ثلاثة أيام أقيمه ، ليست شهادة زور ، فإن المسيح قد قال ذلك فعلا ، كما جاء في إنجيل " يوحنا " أجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه " [٦] فكيف يصح أن يقال إنهم شهدوا زورا ؟ . كأنهم إذا وجدوا شهادة حق بإدانته لا يقبلونها ، لأنها شهادة حق ، فاليهود لا يطلبون إلا شهادة الزور ! أصحيح هذا ؟! [٧]

---

(١) " المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ١٥٠ — ١٥١ .
(٢) انظر : " موسوعة العقاد الإسلامية " جـ ١ (توحيد وأنبياء) ، ص ٧٣٥
(٣) لوقا ٢٢ : ٦٦
(٤) مرقس ١٤ : ٥٣ — ٦٥
(٥) مرقس ١٥ : ١
(٦) يوحنا ٢ : ١٩
(٧) " قصص الأنبياء " : الشيخ عبد الوهاب النجار ، ص ٤٤٢ .

وحسب الشريعة اليهودية نجد أنه لا الأقوال التى نسبت للمسيح عن نقض الهيكل حتى لو أمكن إثباتها، ولا إجابته لرئيس الكهنة تعتبر تجديفا على الاسم الإلهى، مما يقتضى شجبه بطريقة خاصة.(١) وإذا كان المسيح قد أدين بسبب التجديف كما تقرره الأناجيل، فلماذا لم تقم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب، وذلك برجمه حتى الموت؟ وفق ما يقوله سفر اللاويين: كل من سب إلهه يحمل خطيته، ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل يرجمه كل الجماعة رجما».(٢) وقوله: وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء» غلط فاحش، لأن اليهود لم يروا المسيح قط جالسا عن يمين القوة، ولا آتيا على سحاب السماء لا قبل موته ولا بعده.(٣) أما "متى" فقد أضاف قسم رئيس الكهنة: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟»(٤) واختلف فى إجابة المسيح رئيس الكهنة إذ قال فيها: أنت قلت» بدل: أنا هو» كما فى "مرقس".(٥) وتختلف رواية "لوقا" عن روايتى "مرقس" و"متى" فى عنصر هام، وهو أن الأخيرين جعلا محاكمة المقبوض عليه أمام مجمع اليهود تحدث فى الليل عقب القبض عليه مباشرة، بينما جعلها "لوقا" فى صباح اليوم التالى فهو يقول: فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة ..... والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزؤون به وهم يجلدونه ..... ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم، قائلين إن كنت أنت المسيح فقل لنا. فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله. فقال الجميع أفأنت ابن الله. فقال لهم أنتم تقولون إنى أنا هو. فقالوا ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه»(٧) فلوقا حذف الحوار التمهيدى الذى ذكره "مرقس"(٦) ويأتى مباشرة إلى السؤال الحاسم هل أنت المسيح؟ واختلف عن سابقيه قوله إن الجميع قالوا للمسيح "أفأنت ابن الله"(٨) مع أنه لم يدع أبدا أنه ابن الله، بل يفضل لقب ابن الإنسان. أما رواية "يوحنا"

---

(١) انظر: "المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل"، د. عبد الكريم الخطيب، ص ٤٢٤

(٢) اللاويين ٢٤ : ١٥ — ١٦

(٣) انظر: إظهار الحق، ج ١، ص ١٧٠

(٤) متى ٢٦ : ٦٣

(٥) متى ٢٦ : ٦٤

(٦) مرقس ١٤ : ٦٢

(٧) لوقا ٢٢ : ٥٤ — ٧١

(٨) لوقا ٢٢ : ٧٠

فإنها مختلفة تماما عن الثلاثة الآخرين . إذ أنها تجعل الجنود والخدام يذهبون بالمقبوض عليه إلى " حنان " أولا - والد امرأة " قيافا " رئيس الكهنة - بدلا من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة كما قال " مرقس " و " متى " و " لوقا " . كذلك يروى " يوحنا " قصة مختلفة عن استجواب رئيس الكهنة للمقبوض عليه ، فيقول : ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ، ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة ...... فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية ، أنا علّمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما ، وفى الخفاء لم أتكلم بشيئ ، لماذا تسألنى أنا ، اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا . ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة . أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردئ ، وإن حسنا فلماذا تضربنى . وكان حنان قد أرسله موثقا إلى قيافا رئيس الكهنة" (١) فقد ألغى " يوحنا " محاكمة الكهنة والشيوخ والكتبة للمسيح ، وبذلك قد ألغى أيضا شهادة الزور وشهوده . وفى " يوحنا " أن المسيح لم يجب بتلك الإجابة التى رواها كل من " متى " (٢) و " لوقا " (٣) وكذلك لم يجب بالإجابة التى ذكرها " مرقس " (٤) بل أحال سائله على تلاميذه ومن استمع إلى تعاليمه ليعرف الحق منهم . وبعد أن ناقشوا المسيح تلك المناقشات تشاوروا فيما بينهم ليسلموه إلى الوالى الرومانى " بيلاطس " . يقول مرقس : "وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس ، فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود ، فأجاب وقال له أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا ، فسأله بيلاطس أيضا قائلا : أما تجيب بشيئ ، انظركم يشهدون عليك . فلم يجب يسوع أيضا بشيئ حتى تعجب بيلاطس . وكان يطلق لهم فى كل عيد أسيرا واحدا من طلبوه . وكان المسمى باراباس موثقا مع رفقائه فى الفتنة الذين فى الفتنة فعلوا قتلا . فصرخ الجمع وابتدؤا يطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل لهم ، فأجابهم بيلاطس قائلا أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود .

---

(١) يوحنا ١٨ : ١٢ - ٢٤ (٢) أنت قلت ، متى ٢٦ : ٦٣
(٣) " أنتم تقولون إنى أنا هو " لوقا ٢٢ : ٧٠
(٤) " أنا هو " مرقس ١٤ : ٦٢

لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا . فهيّج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحرى باراباس. فأجاب بيلاطس أيضا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود ، فصرخوا أيضا اصلبه. فقال لهم بيلاطس وأى شر عمل ،فازدادوا جدا صراخا اصلبه. فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب" (١) نفهم من النصوص السابقة أن بيلاطس قد علم بالتهمة الموجهة ضد المسيح من قبل ،إذ سأله ،أنت ملك اليهود " (٢) فكيف تم ذلك ؟

ويبدو من الحوار بين بيلاطس والجمهور، أن بيلاطس قد وجه مقدما بالاختيار بين مجرمين قد أدينا ، بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر ، ولكن نجد أن المسيح لم يدن . وبالنسبة لما قيل عن عادة إطلاق أحد المسجونين فى عيد الفصح فإن العلماء يقررون أنه لا يعرف شيئ عن مثل هذه العادة. (٣) إنما هو قول لا يسنده أى دليل إطلاقا ،بل إنه يخالف روح الحكم الرومانى لفلسطين وأسلوبه فى معاملة أهلها . (٤)

أما " متى " فانفرد دون بقية الأناجيل بذكر ندم " يهوذا الإسخريوطى " وإعادته لما أخذه من الفضة ثم خنق نفسه ، بعد سرد قصة المحاكمة مباشرة، فيقول : ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه ، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالى . حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ ،قائلا قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا ، فقالوا ماذا علينا ، أنت أبصر فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء. لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم" (٥)

---

(١) مرقس ١٥ : ١ — ١٥ (٢) مرقس ١٥ : ٢

(٣) منهم: نينهام D.E.Nineham فى كتابه : Saint Mark

(٤) انظر: " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ،مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٠ — ١٦١

(٥) متى ٢٧ : ١ — ٨ .

ولقد سجل " لوقا " مــوت " يهوذا " في أعمال الرسل فيقول: وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ . وكان عــدة أسماء معا نحو مائة وعشرين ، فقال أيها الرجال الإخوة كان ينبغى أن يتم هــذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلا للذين قبضوا على يسوع ، إذ كان معدودا بيننا وصار له نصيب فى هــذه الخــدمة، فإن هــذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذا سقط على وجــهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، وصار ذلك معلوما عــند جميع سكان أورشليم حتى دعى ذلك الحــقل فى لغتــهم حــقل دما أى حــقل دم" (١) إن ما اتفق عليه " متى " و " لــوقا " — وصمت عنــه " مرقس " و " يوحنا " — هو أن يهوذا الخائن قــد هلك فى ظروف مريبة لكن روايتهما اختلفت فى ثلاثة عناصر :

١ — يروى " متى " أن " يهوذا " قــد انتحر بخنــق نفسه ، بينما يروى " لوقا " أنــه مات مــيتة دموية، انشق فيها وسطــه وانسكبت جميع أحــشائه.

٢ — يروى " متى " أن رؤساء الكهنة هم الذين اشتروا الحقل،بينما يروى " لوقا " أن يهوذا كان هو المشترى .

٣ — كذلك اخــتلفا فى سبب تسميــة الحقل باسم " حقــل دم " فمتى يرجع ذلــك لكونه قــد اشترى بنقود كانت ثمنا بيع به دم بــرئ ، بينما " لوقا " يرد تلــك التسمية إلى الميتــة الدموية التى ماتها " يهوذا " (٢) .

لهذا الاختلاف الفاحش بين " متى " و " لوقا " فى روايتهما عن نهاية " يهوذا " اعترف " وليم باركلى " فى تفسير أعمال الرسل ، بأن قــصة موت يهوذا فى هذا الفصل (أعمال الرسل) غير واضحة تماما ، ولكننا نجــد فى رواية " متى " أن يهوذا قــد أقدم على الانتحار (٣) . وكذلك يعترف صاحب كتاب " واحــد من الاثنى عشر " بذلك الاختلاف، ويــرجح رواية " مــتّى "

---

(١) أعــمال الرسل ١: ١٥ — ١٩

(٢) انظر: ((قــصص الأنبياء)) الشيخ عبد الوهاب النجار، ص ٤٤٢ — ٤٤٣ ، نقلا عن كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، جـ ١، ص ٢٤٨ ، تأليف الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندى باجه جى زاده رحمــهما الله .

(٣) تفسير العــهد الجــديد ((ســفر أعــمال الرسل)) ، وليم باركلى ، ص ٣٠ ،ترجمة جوزيف صابر، دار الثقافة المسيحية القاهرة، ط الأولى ١٩٧٥ م .

إذ يقول : جاء فى سفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا البشير عرض لنهاية مأساة حياة الإسخريوطى ، يختلف عن عرض متى لها. ولعله من المناسب أن نرجح خاتمة حياة هذه الشخصية كما دونها القديس متى "(١) وقد أصاب الشيخ " أبو زهرة " الحق عندما يعلق على هذا الموضوع قائلا : لاشك أن بين الروايتين اختلافا ، ولا بد أن تكون إحداهما على الأقل كاذبة، ولكنها غير معلومة فيتطرق الشك إلى الأخرى فيردان معا ، ولا يمكن مع ذلك الشك الإيمان بأن كلتيهما بإلهام "(٢) وانفرد " متى " أيضا دون بقية الأناجيل بقصة أخرى ، وهي حلم زوجة " بيلاطس " ويقول فيها : وإذ كان جالسا على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار ، لأنى تألمت اليوم كثيرا فى حلم من أجله "(٣) وكذلك انفرد " متى " بأن " بيلا طس " أعلن براءته من دم المصلوب ، وتعتبر فى نفس الوقت اعترافا منه أمام الجميع ببراءة المسيح ، فهو يقول : فقال الوالى وأى شر عمل ، فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب ، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا إنى برئ من دم هذا البار ، أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب "(٤) ويشك العلماء(٥) فى حادث غسل يد " بيلاطس " باعتبار أن عملية غسل اليد لتكون دليلا على البراءة إنما هي عادة يهودية(٦) . وهي العادة ذكرها سفر التثنية " ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم ..... ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم "(٧) فمن المستبعد جدا أن يكون " بيلاطس " قد عمل شيئا كهذا . وأيضا كيف يصح مع هذا أن يقال إنه جلده وأسلمه ليصلب(٨) . أما

---

(١) واحد من الاثنى عشر ، تأليف القس أمير جيد ، ص ١٠٢ ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الثانية ١٩٧٩ م

(٢) انظر : " محاضرات فى النصرانية " للشيخ أبو زهرة ، ص ١٠٣ .

(٣) متى ٢٧ : ١٩

(٤) متى ٢٧ : ٢٣ — ٢٦

(٥) منهم " جورج كيد فينتون ((J.C.Fenton)) فى كتابه " Saint Mattew ، ص ٤٣٦ .

(٦) انظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦١ .

(٧) تثنية ٢١ : ٦ — ٧

(٨) راجع " المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ، د . عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٢٥ .

" لوقا " فيذكر أن المحاكمة أمام " بيلاطس " حدثت على مرحلتين ، تتخللهما محاكمته أمام " هيرودس " وقد انفرد " لوقا " بذكر المحاكمة أمام " هيرودس " دون سائر الأناجيل إذ يقول : فكانوا يشددون قائلين إنه يهيّج الشعب وهو يعلّم في كل اليهودية مبتدئا من الجليل إلى هنا . فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل ، سأل هل الرجل جليلي . وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس إذ كان هو أيضا تلك الأيام في أورشليم . وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة، وترجى أن يرى آية تصنع منه ، وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد ، فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده إلى بيلاطس . فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم، لأنهما كانا من قبل في عداوة بينهما "(1) هذه المحاكمة أمام هيرودس(2) لم يذكرها غير " لوقا " فكيف يغفل عن ذكرها أصحاب الأناجيل الثلاثة ؟ كيف تغيب عن أبصار تلاميذ المسيح وحواريه هذه الواقعة المهمة ؟ وهل كان الوقت كافيا بين طلوع النهار والتاسعة صباحا للمجيء والرواح بين تلك المحاكمات الثلاث ؟(3) . فعلى حسب رواية " لوقا " نجد أن جنود " هيرودس " — وليس جنود بيلاطس — هم الذين ألبسوا يسوع ملابس ملكية .

---

(١) لوقا ٢٣ : ٥ — ١٢ .

(٢) هيرودس اسم عدد من حكام فلسطين ، أو بعض أجزائها ، أو بعض المناطق القريبة منها أثناء الحكم الروماني ، وفي العهد الجديد ذكر أربعة منهم : (١) هيرودس الكبير (٧٢ — ٤ ق م) ملك اليهودية ٣٧ — ٤ ق م ، هذا الذي ولد المسيح في أيامه (انظر متّى ٢ : ١ ولوقا ١ : ٥) (٢) هيرودس أنتيباس (٢٠ ق م — ٣٩ م) رئيس ربع الجليل ٤ ق م — ٣٩ م ، ابن هيرودس الكبير ، هو الذي قطع رأس يوحنا المعمدان لإنكاره على أخذه امرأة أخيه فيلبس اسمها هيروديا (متى ١٤ : ٣ — ١١ ومرقس ٦ : ١٢ — ٢٨ ولوقا ٣ : ١٩) وهو أيضا الذي حاكم المسيح الذي انفرد لوقا بذكره في إنجيله (٢٧ : ٧ — ١٢ ، وأعمال الرسل ٤ : ٢٧) . (٣) — هيرودس أغريباس الأول (١٠ ق م — ٤٤ م) ابن أرستبولوس بن هيرودس الكبير ملك اليهودية ٤١ — ٤٤ م هو الذي قتل يعقوب أخا يوحنا (أعمال الرسل ١٢ : ١ — ٢) وسجن بطرس (أعمال الرسل ١٢ : ٣ — ١٩) . (٤) — هيرودس أغريباس الثاني (٢٧ — ١٠٠ م) ابن هيرودس أغريباس الأول ملك اليهودية ٤٥ — ٩٩ م ، هو الذي خطب أمامه بولس وعرض قضيته (أعمال الرسل ٢٥ : ١٣ — ٢٦) (راجع قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٠٨ — ١٠١٢ ، والمنجد في الأعلام ، ص ٧٣٦ ، والموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٩٢٦) .

(٣) انظر: ((المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل)) ص ٤٣٤ ، وانظر: ((الديانات والعقائد في مختلف العصور)) ، أحمد عبد الغفور عطار ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

يروى لنا " مرقس " عن استهزاء الجنود — جنود بيلاطس — بالمسيح قائلا: فمضى به العسكر إلى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجوانا وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه عليه، وابتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام ياملك اليهود، وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم، وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه " (١) .

واختلف " متى " عن " مرقس " فى قوله " ألبسوه رداء قرمزيا " (٢) بدل " أرجوانا " (٣) . كما أضاف متى " ووضعوا قصبة فى يمينه " (٤) وكذلك اختلف فى ترتيب الحوادث حيث أشار إلى جثى الجنود مباكرة قبل البصق والضرب (٥) بينما هى فى " مرقس " بعده .

وقد شك العلماء فى صحة هذه القصة (٦) فإن القصة لها نظائرها فى الطقوس التى كانت تجرى فى احتفالات معينة، منها ما سجله " فيلون " الإسكندرى من أن جماهير الإسكندرية أقامت مسرحا قدمت عليه تمثيلية عملت للسخرية من " أغريباس الأول " الذى كان يزور الإسكندرية فى طريق عودته من روما، بعد أن عينه الإمبراطور " كاليجولا " ملكا على اليهودية. فبعد أن أمسكوا بيهودى أبلة، وألبسه تاجا من الورق وثوبا من الحصير ووضعوا قصبة من البردى فى يده، وزودوه بحراس أعلنوا مبايعته، وتظاهروا باستشارته فى أمور الدولة .

ومن المثير حقا أن اسم ذلك اليهودى هو " باراباس " أو " كاراباس " فنظرا لوجود صلة هنا بباراباس، وبناء على أمثلة متنوعة من عقائد العالم القديم فالعلماء وجدوا هذه القصة دليلا على شيوع أحد الطقوس الذى كان يعامل فيه أحد الرجال (باراباس أو كاراباس) كأنه مزيف بينما يذبح رجل آخر . وكان المتهمون الذين أدانتهم المحكمة فى العالم القديم كثيرا ما يجبرون على القيام بالأدوار الرئيسية فى مثل تلك الطقوس .

وعلى هذا فإن الباب مفتوح لتأويل قصة آلام المسيح وإطلاق سراح " يسوع باراباس " المجرم، على أنها حدثت فى محيط مثل تلك الطقوس (٧).

أما رواية " يوحنا " فقد اختلفت كثيرا عما فى الأناجيل الأخرى، بالإضافة إلى أسلوبه الفلسفى . وهى نصوص طويلة ومحاور أطول بين المسيح وبيلاطس . و " يوحنا " هو الذى — شاهد مع بطرس على تلك المحاكمة أمام الكهنة، إذ يقول : وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع . وكان ذلك التلميذ معروفا عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة،

---

(١) مرقس ١٥ : ١٦ — ٢٠
(٢) متى ٢٧ : ٢٨
(٣) مرقس ١٥ : ١٧
(٤) متى ٢٧ : ٢٩
(٥) متى ٢٧ : ٣٠
(٦) منهم : نينهام ((D.E.Nineham)) فى كتابه " Saint Mark " و " جورج كيرد فنتون J.C.Fenton، فى كتابه Saint Mattew وكذلك " فريزر " فى كتابه " الغصن الذهبى "
(٧) انظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص ١٦٤ — ١٦٥ .

وأما بطرس فكان واقفا عند الباب خارجا ،فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس » (١) لقد تضاربت آراء المفسرين فى تعيين ذلك التلميذ الآخر المعروف لدى رئيس الكهنة ،الذى يشفع بطرس على دخول الدار لمشاهدة محاكمة المسيح أمام الكهنة . قيل إنه " نيقوديموس " وقيل " يوسف الرامى " وقيل إنه هو " يهوذا " الخائن نفسه . ولكن " وليم باركلى " أكد بأنه لايمكن أن نصدق الافتراض الأخير لأن دور " يهوذا " بعد القبض على يسوع كان واضحا،فلا يمكن أن " بطرس " يضع يده فى يد ذلك الخائن ،أو يكون له أدنى تعامل معه ...... أما النظرية التقليدية فهو أن ذلك التلميذ الآخر المعروف لم يكن سوى " يوحنا " نفسه، وهي نظرية لا يمكن رفضها بسهولة. (٢) لكن بقيت مشكلة أخرى نجم عن هذا التعيين . وهي كيف يمكن أن " يوحنا " الصياد الجليلى يكون معروفا لدى أعلى أدوار الكهنوت اليهودى؟ وبأى حق يصل إلى هذا الشرف ؟ (٣) . فيوحنا إذن يقول عن نفسه إنه كان معروفا عند رئيس الكهنة، وبالتالى يكون معروفا عند كل من فى الدار.... ومع هذا فإنه يدخل ويشهد ما يدور بين المسيح ورئيس الكهنة، دون أن يعترض عليه أحد . على حين يعترض الخدم على بطرس وينادون بالقبض عليه ، وهو غير معروف لديهم .فهل من المعقول أن تكون هناك تفرقة فى معاملة تلاميذ المسيح عند اليهود الذين قبضوا عليه ؟ ثم إن الأناجيل الثلاثة لماذا لم تذكر من تلاميذ المسيح غير " بطرس " فى محاولة تتبع أثر المسيح ومراقبة ما يحدث له فى بيت رئيس الكهنة ؟ فما تأويل هذا ؟ ثم لماذا لم يذكر " يوحنا " قصة بعث " بيلاطس " بالمسيح إلى " هيرودس " لما سمع أن المسيح من الجليل ؟ وبالتالى لم يشر ولو من بعيد إلى لقاء " هيرودس " بالمسيح فضلا عن محاكمته أمامه، كما انفرد بها " لوقا "،لماذا هذه الواقعة تغيب عن شاهد العيان (يوحنا) ؟ الذى كان قريبا من المسيح يتبع خطواته أينما سار وهو فى طريقه إلى الصليب ! (٤) . فنحن إذن بين أمرين ،إما أن " يوحنا " لم يحضر محاكمة المسيح ولم يكن من بين شهودها ، وإما أن تكون هذه الواقعة التى ذكرها " لوقا " لم تقع أصلا !.وانفرد " يوحنا " بتصوير موقف مثير بين المسيح وبيلاطس فى دار الولاية، حيث

---

(١) يوحنا ١٨ : ١٥ — ١٦

(٢) راجع تفسير العهد الجديد (إنجيل يوحنا) وليم باركلى ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ — ٤٥٤ .
ترجمة د . عزت زكى ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٦ م

(٣) نفس المرجع، ص ٤٥٦

(٤) انظر: ((المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل)) د . عبد الكريم الخطيب، ص ٤٣١ — ٤٣٣ .

تحدث إلى المسيح حديثا خاصا لم يكن على مشهد من اليهود الذين لم يدخلوا الدار لئلا يتنجسوا ، فيقول : ثم جاؤا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح ، ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح ، فخرج بيلاطس إليهم وقال أية مشكلة تقدمون على هذا الإنسان ، أجابوا وقالوا له : لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلّمناه إليك. فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم . فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدا ، ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت. ثم دخل بيلاطس أيضا إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود . أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى . أجابه بيلاطس ألعلى أنا يهودى ، أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ ماذا فعلت. أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم ، لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود ، ولكن الآن ليست مملكتى من هنا . فقال له بيلاطس أفأنت إذا ملك . أجاب يسوع أنت تقول إنى ملك ، لهذا قد وُلِدت أنا ، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتى . قال له بيلاطس ما هو الحق ؟ ولما قال هذا خرج أيضا إلى اليهود ، وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة ، ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح ، أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود . فصرخوا أيضا جميعهم قائلين : ليس هذا بل باراباس . وكان باراباس لصا . حينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان ، وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه . فخرج بيلاطس أيضا خارجا وقال لهم ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة . فخرج يسوع خارجا وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان . فقال لهم بيلاطس هوذا الإنسان . فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه . قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأنى لست أجد فيه علة . أجابه اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله . فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفا ، فدخل أيضا إلى دار الولاية وقال ليسوع من أين أنت . وأما يسوع فلم يعطه جوابا فقال له بيلاطس أما تكلمنى ، ألست تعلم أن لى سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك . أجاب يسوع لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أُعْطِيت من فوق ، لذلك الذى أسلمنى إليك له خطية أعظم . من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه

ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين إن أطلقت هذا فلست محبا لقيصر، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر. فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جبّاثا. وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة. فقال لليهود هوذا ملككم فصرخوا خذه خذه اصلبه. قال لهم بيلاطس أأصلب ملككم. أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلا قيصر فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب" (١). فواضح من النصوص السابقة أن "يوحنا" قد خالف الأناجيل الثلاثة، فإن اليهود لا يدخلون دار الولاية لئلا يتنجسوا، وهم على وشك عيدهم فيأكلون فيه الفصح، بينما بقية الأناجيل تذكر أن اليهود دخلوا الدار. والذى يدعو إلى النظر أن لسان المسيح منطلق جدا، فيجيب على أسئلة "بيلاطس" إجابات يشرح فيها رسالته ويكشف عن شخصيته. وقد كان فى الأناجيل الثلاثة يجيب إجابات مقتضبة لا تتجاوز كلمة أو كلمتين أو لا يجيب أبدا، وأن المسيح يتحدث إلى "بيلاطس" حديثا لا هوتيا لا يعنى "بيلاطس" كثيرا أن يسمعه وإن سمعه فهيهات أن يعقله. وفى الخاتمة لا يجيب المسيح على سؤال "بيلاطس" عندما قال له "ماهو الحق" فلا يسمعنا المسيح رده القاطع لهذا السؤال المحير، الذى لا يجد من يجيب عليه الجواب المقنع المفحم غيره. ولكن هكذا تجيئ الخاتمة لهذا الموقف المثير (٢)!

وجدير بالذكر أن نعت "باراباس" المجرم الذى طلب اليهود بإطلاقه، كان حسب رواية مرقس (٣) و"لوقا" (٤) صاحب فتنة حصل فيها قتيل، وفى "متى" (٥) إنه كان أسيرا عند "بيلاطس" أما "يوحنا" فقال إنه كان لصا (٦).

---

(١) يوحنا ١٨: ٢٨ — ١٩ : ١٦

(٢) فى نقد نصوص يوحنا راجع ((الديانات والعقائد فى مختلف العصور)) الشيخ أحمد عبد الغفور عطار، ج ٣، ص ٥٨ — ١١٥، وانظر: ((المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل))، د. عبد الكريم الخطيب، ص ٤٣٥ — ٤٣٦.

(٣) مرقس ١٥ : ٧

(٤) لوقا ٢٣ : ١٩

(٥) متى ٢٧ : ١٦

(٦) يوحنا ١٨: ٤٠

الصلب .

ثم تذكر الأناجيل الثلاثة ما عدا " يوحنا " أن الجنود سخروا رجلا قيروانيا اسمه " سمعان " لحمل الصليب الذى يريدون صلب المسيح عليه فحمله خلف المسيح . يقول "مرقس" (١) ثم خرجوا به ليصلبوه فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو " سمعان القيروانى (٢) ، أبو ألكسندرس وروفس ليحمل صليبه ، وجاؤا به إلى موضع جلجثة الذى تفسيره موضع جمجمة " (٣) . لكن يوحنا شاهد العيان يقرر شيئا آخر ، فيقول: فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب ، فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة " (٤) . ثم مضى " مرقس " يصور لنا حادثة الصلب وملابساتها فيقول : وأعطوه خمرا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل ، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد . وكانت الساعة الثالثة فصلبوه . وكان عنوان علته مكتوبا ملك اليهود . وصلبوا معه لصين عن يمينه وآخر عن يساره . فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمة ..... واللذان صلبا معه كانا يعيرانه . ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ، وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ألوى ألوى لما شبقتنى ، الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى ..... فركض واحد وملأ اسفنجة خلا ، وجعلها على قصبة وسقاه قائلا اتركوا ، لنر هل يأتى إيليا لينزله . فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح . وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل . ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله . وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهن " مريم " المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومة ، اللواتى أيضا تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل ، وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى أورشليم .

(١) د ، عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم " الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية " ص ١٧٧ .

(٢) قيروانى أو قيرينى ، نسبة إلى مدينة تقع فى منطقة صحراوية فى جمهورية ليبيا ، على مسافة ٢٢٤ كم شرقي بنغازى فى الجبل الأخضر كانت عاصمة كيرنيكا واسمها الحالى " سحات " مركز للحضارة ، كانت مستعمرة يونانية أسست ٦٣١ قم ثم صارت ولاية رومانية سنة ٧٥ ق م وقد خربت فى القرن السابع ، وهي غير القيروان فى تونس التى أنشأها عقبة بن نافع والى أفريقيا من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة ٥٠ هـ (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٥٢ ، وانظر: المنجد فى الأعلام ، ص ٥٥٩) .

(٣) مرقس ١٥ : ٢٠ - ٢٢ (٤) يوحنا ١٩ : ١٦ - ١٧

ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت جاء يوسف الذى من الرامة مشير شريف. وكان هو أيضا منتظرا ملكوت الله، فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا، فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف، فاشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان، ووضعه فى قبر كان منحوتا فى صخرة، ودحرج حجرا على باب القبر" (١).

الاعلان

واختلفت الأناجيل فى عنوان علة المصلوب، وهو لا يزيد عن بضع كلمات معينة كتبت على لوحة قرأها المشاهدون. فيقول "مرقس" "ملك اليهود" (٢) و"متى" "هذا هو يسوع ملك اليهود" (٣)، و"لوقا" "هذا هو ملك اليهود" (٤) و"يوحنا" "يسوع الناصرى ملك اليهود" (٥) فالعجب أن هذا الأمر القليل ما بقي محفوظا لهؤلاء الإنجيليين، فكيف يعتمد على حفظهم فى الأخبار الطويلة ؟ ولو رآه أحد تلاميذ المدرسة الابتدائية مرة واحدة لما نسيه !

فهنا يعتقد العلماء، كما قال "نينهام" فى كتابه "Saint Mark" إنه من غير المحتمل أن يكون الرومان قد استخدموا مثل تلك الصيغة الجافة" (٦).

بين المصلوبين.

تتفق الأناجيل الأربعة على أن المسيح صلب بين اثنين آخرين، واتفق "متى" (٧) "مع مرقس"، فى وصفهما بأن الآخرين المصلوبين معه هما لصان (٨). ولكن "لوقا" يقول: وجاؤا أيضا باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه" (٩) فهما مذنبان. بينما "يوحنا" لم يذكر وصفهما، ويقول: وصلبوا اثنين آخرين معه" (١٠) واتفق "متى" (١١) "مع" مرقس" (١٢) فى أن اللصين كانا

---

(١) مرقس ١٥ : ٤٢ ـ ٤٦
(٢) مرقس ١٥ : ٢٦
(٣) متى ٢٧ : ٣٧
(٤) لوقا ٢٣ : ٣٨
(٥) يوحنا ١٩ : ١٩
(٦)
(٦) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية، مهندس أحمد عبد الوهاب، ص ١٦٨
(٧) متى ٢٧ : ٣٨
(٨) مرقس ١٥ : ٢٧
(٩) لوقا ٢٣ : ٣٢
(١٠) يوحنا ١٩ : ١٨
(١١) متى ٢٧ : ٤٤
(١٢) مرقس ١٥ : ٣٢

يعيرانه. أما " لوقا " فهو يصور لنا مشهدا روائيا مثيرا، تدور فيه الأحاديث فى منطق هادئ وفى حوار متئد بين اللصين. يقول: وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا، فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله. ثم قال ليسوع اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس " (١) ولا ندرى إن كانت حالة المصلوب الذى دقت يداه ورجلاه بالمسامير على خشبة تسمح له بأن يلتفت يمينا ويسارا. إنه لا يعقل أبدا أن يكون عنده بقية من قوة وعقل، فضلا عن أن يحاور ويجادل وإن يكن شيئ فليس غير الأنين أو الصراخ، لا الفلسفة ولا السفسطة، ولا التنكيت ولا التبكيت. (٢)

أما " يوحنا " فإنه لم يذكر أكثر من أنهما صلبا مع المسيح، ولم يجر على لسانيهما مدح أو ذم فى شأنه.

وقت الصلب.

لم يحدد كل من " متى " و " لوقا " وقت الصلب فى أية ساعة ابتدأ، ولكن حدده " مرقس " الساعة الثالثة " وكانت الساعة الثالثة فصلبوه " (٣) ويقول " يوحنا " إن ذلك حدث بعد الساعة السادسة: وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة، فقال بيلاطس لليهود هوذا ملككم فصرخوا خذه خذه اصلبه ...... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب " (٤) ومنذ اللحظة التى روى فيها " مرقس " إنكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خطط بعناية، بحيث تكون الفترة ثلاثية (الأحداث أو التوقيتات) مثل إنكار بطرس ثلاث مرات، (٥) وقت الصلب الساعة الثالثة، (٦) وقت الظلمة من الساعة السادسة إلى التاسعة. (٧) واضح فى هذا المثل أن الحساب مصطنع. إذ من الصعب أنه منذ بدء جلسة الصباح حتى وقت الصلب يمكن حدوثه فى فترة الثلاث ساعات فقط. وانفرد " لوقا " دون بقية الأناجيل بذكر دعاء المسيح: فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون " (٨).

---

(١) لوقا ٢٣: ٣٩ — ٤٣
(٢) انظر: ((الفصل فى الملل والأهواء والنحل)) لابن حزم، ج ٢، ص ١٢٥ — ١٢٦
(٣) مرقس ١٥: ٢٥
(٤) يوحنا ١٩: ١٤ — ١٦
(٥) مرقس ١٤: ٦٨ — ٧٢
(٦) مرقس ١٥: ٢٥
(٧) مرقس ١٥: ٣٣
(٨) لوقا ٢٣: ٣٤

الصرخة .

واختلفت أيضا الأناجيل الأربعة فى الكلمات الأخيرة للمسيح ، فقال " مرقس ": ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ، وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ألوى ألوى لَمَا شبقتنى ، الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى " (١) وفى " متى " : إيلى إيلى لَمَا شبقتنى " (٢) وخالفهما " لوقا " فقال : وكان نحو الساعة السادسة فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ...... ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يدك أستودع روحى " (٣) وخالف الثلاثة " يوحنا " فقال : بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل ، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان . وكان إناء موضوعا مملوا خلا ، فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه . فما أخذ يسوع الخل ، قال قد أُكمِل " (٤) نعلم من النصوص السابقة أن الأناجيل الأربعة لم تتفق على موقف المسيح وهو على الصليب . فبينما يصوره " مرقس " مستيئسا فزعا مكروبا ، يصرخ بكلمات راعشة محمومة ، نجد لوقا يصور المسيح هنا راضيا مطمئنا مستسلما لقدره ، طالبا المغفرة لهؤلاء الذين ساقوه إلى الصليب . أما " يوحنا " فيقول قولا آخر ، فما جزع المسيح ولا صرخ ، ولا طلب لصالبيه مغفرة ولا عذابا . وإنما نطق بكلمة واحدة تكسرت على شفتيه وهو يجود بآخر أنفاسه : فقد أكمل " وهذا تناقض ظاهر كما يقول مفسر العهد الجديد " وليم باركلى " (٥) فى تفسيره لإنجيل " يوحنا " (٦) . ثم إذا كان المصلوب هو المسيح ، فكيف يبلغ به اليأس هذا الحد ؟ وكيف يستولى عليه الخوف وتغشاه حمى الجزع ؟ كيف هذا وهو الذى دخل مختارا فى هذه التجربة ؟ وكيف يكون للموت عنده هذه الرهبة ، وهو يعلم أنه سيقيم نفسه من بين الأموات بعد ثلاثة أيام ؟ أهذا شأن من له مثل هذا السلطان على الموت والحياة معا ؟ وهل يكون المسيح أدنى درجة وأقل صبرا على المكاره ، وأوهى إيمانا وعزما من أولئك الرسل الذين استقبلوا الموت راضين مطمئنين مستبشرين ؟

---

(١) مرقس ١٥ : ٣٣ — ٣٤ (٢) متى ٢٧ : ٤٦

(٣) لوقا ٢٣ : ٤٤ — ٤٦ (٤) يوحنا ١٩ : ٢٨ — ٣٠

(٥) الدكتور وليم باركلى من كبار المفكرين والباحثين فى العالم المسيحي فى هذا العصر ، أستاذ العهد الجديد فى جامعة كلاسكو بإسكتلندا .

(٦) انظر : تفسير العهد الجديد (إنجيل يوحنا) ج ٢ ، ص ٥٠٧ — ٥٠٨ ، ترجمة د . عزت زكى ، وقارن (إنجيل مرقس) ، ص ٤٢٢ و (إنجيل لوقا) ص ٣٧٣ لنفس المؤلف .

مع أنهم عباد الله ، فكيف إذا كان المسيح هو ابن الله ، أو الله نفسه ؟[(١)] كيف يكون هذا مع أنه لم يأت إلى العالم إلا من أجل هذه اللحظة، لحظة الصلب من أجل البشر كله ؟ وهي لحظة جديرة بأن تجعله يفرح لا يحزن ! إن صرخة اليأس على الصليب في الحقيقة تثير عددا من المشاكل . لذلك حذفها كل من " لوقا " و " يوحنا " ثم استبدلها أحدهما بقوله : يا أبتاه في يديك أستودع روحي،[(٢)] بينما الآخر قال : قد أكمل[(٣)] " جاء في قاموس الكتاب المقدس توجيه مضحك وسخيف، وهو ، وقد قال بعضهم بأن المسيح كان في تلك اللحظة يحمل العالم بأسره، ولذا فقد شعر بالانفصال الوقتي عن الأب السماوي ؟![(٤)] هذا التوجيه لا حاجة إلى تعليق !! .

وقد أصاب " ول ديورانت " الحق عندما يقول : ولا يسع الإنسان إلا أن يشك في هذه التفاصيل التي تناقلها الناس مشافهة في أغلب الظن ، ثم دونوها بعد وقوعها بزمن طويل[(٥)]" ثم يعلق على صرخة المصلوب ((إلهي إلهي لماذا تركتني)) فيقول : وهي مأخوذة من المقطع الأول من المزمور الثاني والعشرين — ذلك هو نداء اليأس البشري الذي يعزوه " مرقس " و " متى " إلى المسيح وهو يحتضر . فهل يمكن أن يكون الإيمان العظيم الذي أعانه في موقفه أمام " بيلاطس " قد انقلب في تلك اللحظات المريرة إلى شك أسوء ؟ ولعل " لوقا " قد رأى أن هذه العبارة لا تتفق مع عقائد (بولس) الدينية فبدلها بقول : يا أبتاه في يديك أستودع روحي " وهي عبارة تردد صدى الآية الخامسة من المزمور الحادي والثلاثين ترديدا يثير الريب لما فيه من دقة[(٦)]" بقيت هناك مشكلة أخرى في قول " يوحنا " بأنهم ملأوا الإسفنجة خلاً ، ورفعوها على عود من أعواد نبات " الزوفا "[(٧)] إلى شفتي المصلوب ، والزوفا هو عشب لا يزيد في ارتفاع عوده عن قدمين . فهل يصلح لأن يحمل شيئا . ؟!

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، لأبي عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٤ — ١٦٥ ، تحقيق د . محمد شامة ، مكتبة وهبة مصر ، ط الأولى ١٩٧٩ م . قارن ((إظهار الحق)) للشيخ رحمت الله ، جـ١ ، ص ١٣٥ ، وانظر أيضا : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، د . عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٤٥ — ٤٤٧ ، وأيضا : المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٥٥ — ١٥٦ ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٥ م

(٢) لوقا ٢٣ : ٤٦ (٣) يوحنا ١٩ : ٣٠

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٩

(٥) قصة الحضارة ، جـ ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٣٦

(٦) نفس المرجع ، ص ٢٣٨

(٧) الزوفا نبات عطري الرائحة ، له طعم حار في البداية ثم يحدث برودة في الفم لذلك يروى ويبرد أكثر من الماء ، ساقه رقيقة مربعة وأوراقه مشعرة صغيرة (انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٨ ، والمنجد في اللغة ، ص ٣١١) .

ما بعد الصلب .

واختلف الأناجيل الأربعة فى حادثة حدثت عقب الصلب ، فيقول مرقس : انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل . ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله » (١) ولكن " متى " قد أضاف أشياء كثيرة إذ يقول : وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت والصخور تشققت ، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين . وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جدّا ، وقالوا حقا كان هذا ابن الله » (٢) وتواضح " لوقا " قليلا فقال : وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه .... فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلا بالحقيقة كان هذا الإنسان بارّا » (٣) مع أن " لوقا " كان أحرص الناس على تحرير العجائب ، وأكثر تتبعا لجمع الأمور التى فعلها المسيح ، كما وعد بذلك فى بدء إنجيله ورسالته (٤) . أما " يوحنا " — وهو شاهد العيان — فلم يذكر شيئا من ذلك كله !!

يقول « إمام الحرمين الجوينى » (٥) « إن هذه القصة المبدعة فى الغرابة لو وقعت على حد ما وصفها ، لكانت من الخوارق والغرائب التى تتوافر الدواعى على نقلها ، ويحيط بها علما كل قاص ودان ، ويلهج بحكايتها ، والخوض فى حديثها من لم يؤهل نفسه لضبط وقائع المسيح وتقييد قصصه . فكيف ينبذ مثل هذه الغريبة المبدعة فى الغرابة ظهريا ،

---

(١) مرقس ١٥ : ٣٨ — ٣٩ (٢) متى ٢٧ : ٥١ — ٥٤ (٣) لوقا ٢٣ : ٤٥ — ٤٧

(٤) يقول لوقا : إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة .... رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس (لوقا ١ : ١ — ٣) ويقول أيضا : الكلام الأول أنشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به (أعمال الرسل ١ : ١)

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ، أبو المعالى ركن الدين إمام الحرمين (٤١٩ — ٤٧٨ هـ / ١٠٢٨ — ١٠٨٥ م) أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى ، ولد فى جوين من نواحى نيسابور ، ورحل إلى بغداد ومكة حيث جاور أربع سنين ، والمدينة فأفتى ودرّس ، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية وكان يحضر درسه أكابر العلماء له كتب كثيرة . (الأعلام ، جـ ٤ ، ص ١٦٠) .

من انتصب لتقييد أخباره، ومحاسن غرائبه ؟ وذكرها مشعر بأن للمسيح عند الله الدرجة العليا ، وأنه من الأنبياء المعظمين المكرمين. واستحضار كونه صلب معه لصان يسبانه أو يسبه أحدهما قائلا : خلص نفسك ، وهو غير قادر، وذلك مما يغض من منصبه وقدره، ويوهم أنه ليس قادرا على الإتيان بشيئ من الخوارق » (١) وأكد " نورتن "المحامي عن الإنجيل على أن هذه الحكاية كاذبة (٢) . وأورد الشيخ رحمت الله الهندي عدة أدلة على كذبها وهي (٣) :

١ — أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس في اليوم الثاني ،طالبين منه أن يأمر الحارسين بضبط القبر إلى اليوم الثالث، فلو ظهرت هذه الأمور ما كان يمكن لهم أن يذهبوا إليه.وقد صرح متى أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضيين بقتله .

٢ — أن هذه الأمور لو ظهرت لآمن كثير من الروم واليهود . فإنها آيات عظيمة، وهي أعظم من حصول قدرة الحواريين على التكلم بألسنة مختلفة عندما نزل عليهم روح القدس، فآمن نحو ثلاثة آلاف رجل، كما في سفر الأعمال (٤) .

٣ — أن الحجاب كان كتانيا في غاية اللين ، فما معنى انشقاقه لأجل هذه الصدمة من فوق إلى أسفل .

٤ — أن قيام كثيرين من أجساد القديسين مناقض لكلام بولس.فإنه صرح بأن المسيح أول القائمين وباكورة الراقدين "قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين .... ولكن كل واحد في رتبته المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه" (٥) ويقول أيضا : الذي هو البداية بكر من الأموات لكي يكون هو متقدما في كل شيئ" (٦)

---

(١) انظر : شفاء الغليل ، ص ٥٤ — ٥٥

(٢) انظر : إظهار الحق ، جـ ١ ،ص ١٥٨

(٣) نفس المرجع ، ص ١٥٨ — ١٥٩ ، بتصرف .

(٤) ففي أعمال الرسل " وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدؤا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا .... وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس . (٢ : ٤ — ٤١)

(٥) ١ كورنثوس ١٥ : ٢٠ — ٢٣

(٦) كولوسي ١ : ١٨

فهذه النصوص تنفى قيام ميت من الأموات قبل المسيح ، وإلا لا يكون المسيح أول القائمين وباكورتهم ، ولا متقدما فى كل شيئ ! إذن الذى نطمئن إليه بالتأكيد فى هذا الأمر هو أن شيئا من هذا لم يحدث . !!

الشهود .

واتفق " متى " مع " مرقس " فى شهود الصليب ، إذ يقول : وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد ، وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه ، وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأم ابنى زبدى » (١) ويقول " لوقا ": وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك » (٢) أما " يوحنا " فقد خالف الثلاثة ، إذ انفرد بذكر الموقف الذى كان بين المسيح وأمه ، حيث وجدت قرب الصليب فيقول : وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لأمه : يا امرأة هوذا ابنك ، ثم قال للتلميذ هوذا أمك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » (٣) وهنا عدة مشاكل علقها مفسرو الأناجيل على ما ذكره " يوحنا " :

١ - إن أخت أم المسيح ليست مريم امرأة كلوبا ، بل " سالومى " امرأة زبدى أم يوحنا " ويعقوب. واعترف "وليم باركلى " بأن المجموعة غريبة ومتناقضة (٤) . ثم يقول : ولا نعرف شيئا عن مريم زوجة كلوبا » (٥) .

٢ - إنه لا يطابق تماما الحقيقة أن لا تهتم السلطات بأولئك الذين يقتربون من مذنب خطير ، أدانته الدولة وأصدرت عليه الحكم بالصلب ، وهو فى ساعات تنفيذ الحكم (٦) .

٣ - إن التلاميذ حين القبض على المسيح هربوا وكان منهم غلام - يوحنا - يلبس رداء على عريه فأمسكه جندى فترك له الرداء وهرب عريانا (٧) ، فكيف يعود ذلك الغلام ليرى المسيح مصلوبا وقد هرب لمجرد القبض عليه ؟ !

---

(١) متى ٢٧ : ٥٥ - ٥٦ (٢) لوقا ٢٣ : ٤٩ (٣) يوحنا ١٩ : ٢٥ - ٢٧
(٤) د . أحمد حجازى السقا ، هامش " شفاء الغليل ، لإمام الحرمين " ص ٥٥
(٥) انظر : تفسير العهد الجديد (إنجيل يوحنا) وليم باركلى ، ج ٢ ، ص ٥٠٣
(٦) نفس المرجع السابق ، ص ٥٠٢
(٧) راجع مرقس ١٤ : ٥٠ - ٥٢ .

٤ — إن والدة المسيح لا تظهر فى أورشليم إلا قبيل عيد العنصرة [١]، وفى رفقة إخوته حسب ما ذكره " لوقا " فى أعمال الرسل [٢].

الدفن .

ولم يختلف " متى " عن " مرقس " فى قصة دفن المصلوب ، إلا فى صفة " يوسف ". إنه رجل غنى ، بدل " مشير شريف " كما فى " مرقس " [٣]. كذلك لم يذكر " متى " استفهام " بيلاطس" من قائد المئة عن موت المسيح . كما يبين " متى " أن القبر المستخدم كان عرف فيما بعد باسم " قبر يوسف " إذ يقول : ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف ..... فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقي ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة، ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى " [٤] ويقول " لوقا : إن يوسف كان مشيرا ورجلا صالحا بارا ..... ووضعه فى قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط " [٥] أما " يوحنا " فإنه يشرك " نيقوديموس " مع " يوسف " فى عملية الدفن ، فيقول : فجاء يوسف وأخذ جسد يسوع ، وجاء أيضا نيقوديموس الذى أتى أولا إلى يسوع ليلا وهو حامل مزيج مرّ وعود نحو مائة مناً ،فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا . وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان ،وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط " [٦] لقد كانت قصة دفن المسيح مهمة عند المسيحيين لاعتبارين : (١) — إنها ترسخ القول بأنه قد مات فعلا ، وبالتالى فقد قام حقيقة من الأموات . (٢) — إنه يتعلق بما قيل عن القبر الخالى . فلقد كان من المهم التأكيد على أن النساء اللاتى اكتشفن القبر خاليا فيما بعد، لم يذهبن إلى قبر أخطأن معرفته، بل لذات القبر الذى شاهدن بأنفسهن الجسد يوضع فيه . فإن نفس الأشخاص الذين رأوا عملية الدفن قد رأوا كذلك القبر الخالى [٧] .

---

(١) العنصرة هو عيد حلول الروح القدس على التلاميذ يقع بعد عيد الفصح بخمسين يوما . أما عند اليهود فهو عيد تذكار نزول الشريعة فى طور سينا . والكلمة عبرانية معناها اجتماع أو محفل . (المنجد فى اللغة، ص ٥٣٣) .

(٢) راجع أعمال الرسل ١ : ١٣ — ١٤ .

(٣) مرقس ١٥ : ٤٣ .

(٤) متى ٢٧ : ٥٧ — ٦٠

(٥) لوقا ٢٣ : ٥٠ — ٥٣

(٦) يوحنا ١٩ : ٣٨ — ٤١ .

(٧) عن أهمية دفن المسيح اقرأ ((القيامة والصعود)) تأليف الأب متى المسكين ، ص ٩ — ١١ ، مكتبة دير القديس أنبا مقار مصر ، ط الأولى ١٩٨٢ م . وانظر أيضا ((المسيحية الأصيلة)) تأليف ج . روستوت ، ترجمة القس ريد زخارى ، ص ٥٤ — ٧٣ ، دار منشورات النفير بيروت بدون سنة .

القيامة .

ثم تقول الأناجيل: إن المسيح بعد أن مات على الصليب يوم الجمعة حسب روايات "مرقس" و "متى" و "لوقا" أو يوم الخميس حسب رواية "يوحنا"، فقد وضع جسده في قبر مساء يوم الصلب. وفي الساعة الأولى من فجر يوم الأحد، اكتشفت بعض النساء من معارف المسيح وتابعيه خلو ذلك القبر من أي جسد . ويؤمن المسيحيون بهذا إيمانا لا يقبل النقاش والجدل، والإيمان بذلك أحد أركان العقيدة المسيحية. ولقد بدأت روايات قيامة المسيح من الأموات وظهوره بعد الموت تنتشر ببطء شديد وسط الجماعة الأولى، بسبب إنكار تلاميذ المسيح وحوارييه — وعلى رأسهم بطرس — لتلك الروايات وشكهم فيها، وعدم إيمانهم بوجود أدنى صلة بين رسالة المسيح الحقة التي تلقوها من معلمهم، وبين فكرة القيامة من الأموات . يقول "كيرد G.B.Caird" في كتابه "Saint Luke" إن أول شهادة عن القيامة لم تعطها الأناجيل، لكنها جاءت من رسائل بولس وعلى وجه الخصوص رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس — الإصحاح ١٥ — التي كتبت قبل أقدم الأناجيل بعشر سنوات على الأقل (١) . وأكد "موريس بوكاي" على أنه ليس للصعود أي قاعدة كتابية متينة. والمعلقون (٢) يعترضون لهذه المسألة باستحقاق لا يصدق (٣) . وجزم (شارل جنيبير) بأن بعث المسيح وقيامته من الأحداث الخيالية المستحيلة. وتعذر استخلاص الحقيقة فيه، لتضارب النصوص وتباين رواياتها، وإن روايات الأناجيل التي تتعلق بالبعث لتبدو للمؤرخ الناقد نوعا من الإنشاءات التي لا تنسجم عناصرها، قد بنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل متعارضة، ثم على حكايات قديمة من تلك التي تعودها العالم الشرقي (٤) . وهكذا فإن القول بقيامة المسيح وظهوره يمثل — بداهة — مشاكل أخرى تضاف إلى قائمة المشاكل حول الأناجيل . يقول "مرقس": "وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حانوطا ليأتين ويدهنه، وباكرا

---

(١) نقلا عن ((المسيح في مصادر العقائد المسيحية)) مهندس أحمد عبد الوهاب، ص ٢٨٦ .

(٢) منهم، أ. تريكو A.Tricor في كتابه ((المعاجم الصغير للعهد الجديد)) و . كانينجسر R.P.Kannengiesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس في كتابه ((الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان Foi en la Resurrection de la Foi.

(٣) راجع: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، ص ٦٧ — ٦٨ .

(٤) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينيبير، ترجمة د. عبد الحليم محمود، ص ٦٣ .

جدًا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس . وكن يقلن فيما بينهن ، من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج ، لأنه كان عظيما جدا . ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن . فقال لهن لا تندهشن ، أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب ، قد قام ، ليس هو ههنا ، هوذا الموضع الذى وضعوه فيه ، لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل ، هناك ترونه كما قال لكم . فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات » (١) . من الصعب جدا أن نشق فى أن الغرض من زيارة النسوة كان دهان جسم إنسان انقضى على موته يوم وليلتان ، فهذا غير محتمل البتة ..!

ولنسأل لماذا هذا الحنوط وهذه الأطياب ؟ ألا يتعفن الميت بعد مضى تلك المدة ؟ وإذا كن قد اعتقدن أن المسيح ليس بشرا فما حاجته إلى مثل هذه الأشياء ؟ لماذا هذا الحنوط وهذه الأطياب ؟ .

وقد قام بهذا العمل " يوسف " و " نيقوديموس " كما يقول " يوحنا ": فأخذا (يوسف ونيقوديموس) جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا » (٢) لقد جاء نيقوديموس بمزيج مر وعود نحو مئة منًا » (٣) أى نحو خمسين كيلوجراما . فهل يحتاج جسد المسيح إلى مزيد من الأطياب بعد هذا ؟!. وانفرد " متى " بذكر طلب اليهود من بيلاطس " أن يرسل حراسا لضبط القبر، فاستجاب لهم." فمضوا وضبطوا القبر وختموا الحجر » (٤) ثم يقول: وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر . وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات . فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما، فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . ليس هو ههنا لأنه قام كما قال . هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه ، واذهبا سريعا، قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات ، ها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكما . فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه » (٥) وانفرد " متى " بذكر حدوث الزلزلة ونزول الملك من السماء ودحرجة الحجر بعيدا وخوف الحراس . وخالف " متى " مرقس فى أن المرأتين بلغتا الرسالة

---

(١) مرقس ١٦ : ١ — ٨ (٢) يوحنا ١٩ : ٤٠
(٣) يوحنا ١٩ : ٣٩ (٤) متى ٢٧ : ٦٦ (٥) متى ٢٨ : ١ — ٨ .

" فخرجتا سريعا لتخبرا تلاميذه " (١) بينما مرقس يقول إنهن لم يبلغن " ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات " (٢) ويقول لوقا : ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس ، فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر ، فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع . وفيما هن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة . وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالا لهن ، لماذا تطلبن الحي بين الأموات ، ليس هو ههنا لكنه قام . اذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل ... فتذكرن كلامه ورجعن من القبر ، وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله ، وكانت مريم المجدلية ويُوَنَّا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل " (٣) فقصة لوقا عن القبر الخالى تسير بمحاذاة " مرقس " لكنها تختلف معها فى عدة نقاط . فبينما يذكر " مرقس " شابا واحدا عند القبر نجد " لوقا " يذكر رجلين . وحسبما فى " مرقس " قيل للنسوة : اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه سبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم " (٤) لكن " لوقا " يشير بدلا من هذا إلى تعليم سبق إعطاؤه فى الجليل (٥) . فنفهم من ذلك أن ظهور المسيح بعد القيامة لم يحدث فى الجليل ، لكنه حدث فقط فى أورشليم وما حولها . كذلك نجد فى " مرقس " أن النساء فشلن فى توصيل الرسالة لأنهن كن خائفات ، (٦) بينما " لوقا " ذكر أنهن قدمن تقريرا كاملا عما رأينه وسمعنه إلى التلاميذ الآخرين . وأخيرا أن الأسماء مختلفة ، إذ أن " لوقا " يذكر " يُوَنَّا " (٧) بدلا من " سالومة " التى ذكرها " مرقس " .

أما رواية " يوحنا " فإنها مختلفة تماما عما روته الأناجيل الثلاثة فى عناصرها الرئيسية ، فيقول : وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق ، فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر ، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه ، وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ، ولسنا نعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر . وكان الاثنان يركضان معا ، فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا إلى القبر ، وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان ، بل ملفوفا فى موضع

---

(١) متى ٢٨ : ٨ — (٢) مرقس ١٦ : ٨ — (٣) لوقا ٢٤ : ١ — ١٠

(٤) مرقس ١٦ : ٧ — (٥) لوقا ٢٤ : ٦ — (٦) مرقس ١٦ : ٨

(٧) لوقا ٢٤ : ٩ — ١٠

وحده. فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى فآمن. لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب إنه ينبغى أن يقوم من الأموات. فمضى التلميذان أيضا إلى موضعهما. أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى، وفيما هي تبكى انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا، فقالا لها ياامرأة لماذا تبكين. قالت لهما إنهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه»(١). من الواضح أن هناك اختلافا بين ما ترويه الأناجيل عن زيارة النساء للقبر(٢). فعلم من "مرقس" أن الزائرات كن ثلاث نساء، وهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب وسالومة، وأنهن ذهبن ليدهنه بالحنوط الذى اشتريفه(٣). ولا ندرى من أين اشترينه واليهود لا يبيعون ولا يشترون فى السبت، فإن زيارتهن كانت باكرة جدا. أما "متى" فيذكر امرأتين فقط وهما "مريم المجدلية" و"مريم الأخرى" لتنظرا القبر فقط لا للدهان بالحنوط(٤). و"لوقا" جعل شراء الحنوط قبل الدخول فى السبت فإنهن قد أعددنه فور رجوعهن من مشاهدة الدفن(٥)، وأن الزائرات هن نساء كن حضرن مع المسيح من الجليل، مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، و"يُوَنَّا". فذكر "يُوَنَّا" بدل سالومة التى أثبتها مرقس، ومعهن أناس لم يبين عددهم، وهل كانوا رجالا أو نساء(٦). أما "يوحنا" فيجعل الزائرة إلى القبر "مريم المجدلية" وحدها، التى تذهب فورا لتحضر معها «بطرس» و"يوحنا" نفسه (التلميذ الآخر الذى كان المسيح يحبه) وأن الظلام كان باقيا(٧). ولم يذكر أن الشمس أشرقت كما قال "مرقس"(٨). فلم يتفق أصحاب الأناجيل إلا فى وجود مريم المجدلية، من بين الزائرات، وجعلها "يوحنا" الزائرة الوحيدة. وبذلك صارت "مريم المجدلية" هي المصدر الرئيسى لكل ما قيل عن قيامة المسيح من الأموات(٩).

واتفق "مرقس"(١٠) و"لوقا"(١١) على أن الزائرات تطلعن إلى القبر فوجدن الحجر قد دحرج. أما "متى" فذكر أن الزائرتين أتتا إلى القبر والحجر مطبق على بابه، وأن الملاك نزل من السماء أمامهما على الهيئة التى وصفها(١٢). بينما "يوحنا" يقول إن مريم

---

(١) يوحنا ٢٠: ١ — ١٣

(٢) اقرأ نقد ابن حزم رواية الأناجيل عن قيام المسيح وظهوره للتلاميذ فى ((الفصل فى الملل والأهواء والنحل)) ج ٢، ص ١٣٠ — ١٣٢.

(٣) مرقس ١٦: ١ (٤) متى ٢٨: ١ (٥) لوقا ٢٣: ٥٦

(٦) لوقا ٢٤: ١ (٧) يوحنا ٢٠: ١ (٨) مرقس ١٦: ٢

(٩) انظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل يوحنا) وليم باركلى، ج ٢، ص ٥٢٩.

(١٠) مرقس ١٦: ٤ (١١) لوقا ٢٤: ٢ (١٢) متى ٢٨: ٢

المجدلية " نظرت الحجر مرفوعا عن القبر"(١) وعند القبر رأت النساء شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء حسب رواية " مرقس"(٢). بينما هو في " متى " ملاك الرب .... وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج(٣). أما في " لوقا " فهما رجلان بثياب براقة(٤). بينما نجدهما في " يوحنا " ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند القدمين(٥).

الظهور .

ثم تتكلم الأناجيل عن ظهور المسيح بعد قيامه من القبر ، فيقول مرقس : وبعد ما قام باكرا في أول الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين ، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون ،فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا . وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين. أخيرا ظهر للأحد عشر، وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم ، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها "(٦)

هذه خاتمة إنجيل (مرقس) ،وهي تتكلم عن ظهور المسيح من ٩ — ٢٠ . واتفق العلماء(٧) النقاد : بأنها ليست من عمل " مرقس" كاتب ذلك الإنجيل إطلاقا ، ولكنها إضافات أدخلت إليه حوالي عام ١٨٠ م ،ولم تأخذ صفة قانونية إلا بعد عام ٣٢٥ م، ويقول العالم الكاثوليكي الكبير " لاجرانج " إن هذه الأعداد بالرغم من قانونيتها فإنها ليست قانونية بالمعنى الحرفي، أي ليست من عمل القديس " مرقس" وذلك لثلاثة أسباب :

١ — إن بعض أفضل النسخ من إنجيل " مرقس" تنتهي عند ١٦ : ٨

٢ — إن كبار العلماء في القرن الرابع — مثل "إيزيبيوس" و " جيروم " يشهدون — بأن هذه الأعداد كانت ساقطة من أفضل النسخ الإغريقية .

---

(١) يوحنا ٢٠ : ١ (٢) مرقس ١٦ : ٥ (٣) متى ٢٨ : ٣ (٤) لوقا ٢٤ : ٤

(٥) يوحنا ٢٠ : ١٢ (٦) مرقس ١٦ : ٩ — ١٥

(٧) منهم ،أكهارن ،و ،نورتن ،انظر : إظهار الحق ، جـ ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ ،وكذلك "نينهام" و " جون فنتون " انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ .

٣ ـ إن أسلوب تلك الأعداد ومفردات اللغة التي كتبت بها يعطى أسلوب القرن الثانى ، وهو شيئ يختلف تماما عما كتب به القديس مرقس (١).

واتفق " متى " مع " مرقس " فى هذه الحادثة إلا أنه زاد بقوله : وفيما هما (مريم المجدلية ومريم الأخرى) منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له " (٢) أما " لوقا " فقد خالف الأناجيل الثلاثة ، فإنه أسقط ظهور المسيح الأول لمريم المجدلية ـ وهو أمر متفق عليه بين الأناجيل الثلاثة ـ وجعل " لوقا " الظهور الأول لاثنين كانا منطلقين إلى قرية عمواس (٣). وخالف لوقا ومعه " يوحنا " " مرقس " و " متّى " فى أن الظهور للأحد عشر تلميذا حدث فى أورشليم ، بينما ظهر لهم فى الجليل حسب روايتى " مرقس " و " متى " . يقول لوقا : وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة (٤) اسمها عمواس .... وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه . وكان يمشى معهما ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته " (٥)

وجدير بالذكر أن " بولس " قد وقع فى خطأ فاحش ، وخالف الأناجيل الأربعة كلها ، حيث يقول : إن المسيح ظهر لصفا ثم للاثنى عشر " (٦) لأن يهوذا الخائن لم يكن منهم (٧) ، والتلاميذ لم يجتمعوا لاختيار تلميذ جديد بدلا منه ، إلا قبيل يوم الخمسين . ثم يذكر " يوحنا " أن المسيح صعد إلى السماء بعد قيامه من القبر ، فعندما ذهبت " مريم المجدلية " لزيارة القبر فى فجر أول الأسبوع ثم وجدته خاليا ، فإنها وقفت تبكى وهناك ظهر لها المسيح وقال لها : لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى " (٨) لكن " لوقا " ذكر أنه بينما كان المسيح على الصلب وسط مذنبين علقا معه ، كان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه .... فأجاب الآخر وانتهره قائلا : أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه .... فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس " (٩)

---

(١) انظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .
(٢) متى ٢٨ : ٩
(٣) بلدة بالقرب من القدس ، توفي فيه أبو عبيدة الجراح للطاعون سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م . (المنجد فى الأعلام ، ص ٤٧٩) .
(٤) مقياس يونانى الأصل يبلغ ٦٠٦ أقدام إنجليزى (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٦١)
(٥) لوقا ٢٤ : ١٣ ـ ١٦
(٦) ١ كورنثوس ١٥ : ٥
(٧) انظر : أعمال الرسل ١ : ٢١ ـ ٢٦
(٨) يوحنا ٢٠ : ١٧
(٩) لوقا ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣ .

فمما سبق يتضح لنا اختلاف بين الإنجيلين فى توقيت صعوده إلى السماء، فحسب رواية " لوقا " فقد حدث الصعود إلى السماء فى يوم الصلب، بينما هو حسب قول " يوحنا " قد حدث متأخرا عن ذلك بعدد من الأيام • على أن " لوقا " متناقض لنفسه، إذ يقول فى ختام إنجيله أنه « قام وظهر لتلاميذه فقد انفرد عنهم وأصعد إلى السماء »(١) وجاء فى أعمال الرسل الذى كتبه " لوقا " أن الصعود حدث « بعد أربعين يوما »(٢) وقد حاول " وليم باركلى " أن يؤول هذا التناقض بسرد عدة الآراء من المفسرين، لكنه يعترف أخيرا بقوله " لا يوجد أى تفسير نستطيع أن نقول إنه مقنع ......"(٣)

هذا، وبعد أن أطلنا فى جولاتنا المملة مع الأناجيل، فى سرد قصة حادثة صلب المسيح وملابساتها باختلافاتها وتناقضاتها نأتى إلى نهاية هذا الفصل، مع الانطباع فى أنفسنا بأن الأناجيل الأربعة المقدسة لدى المسيحيين، ليست وحيا إلٰهيا، ولا كتبت بإلهام، وأن عيسى عليه السلام برئ منها • فإنها كتابات ظرفية أو خصامية كما يقول " كانينجسر " فلا ينبغى الأخذ بحرفية الأحداث الواردة عن المسيح فى الأناجيل •(٤) يقول " ول ديورانت ": وملاك القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الأناجيل والبعض الآخر • وأن فيها نقطا تاريخية مشكوكا فى صحتها • وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة والشبهة بما يروى عن آلهة الوثنيين(٥) " وكما يقول " إيتين دينيه " إن كتاب الأناجيل قليلو الخبرة بعلم النفس، لم يدركوا أن ما يصح ذكره على لسان نبي لا يصح أن يقال على لسان ابن الله »(٦) ويقول « غوستاف لوبون » لا تبحث عن حياة مؤسس النصرانية فى الأناجيل كما صنع ذلك زمنا طويلا، وكما عدل العلم عن اعتقاد إمكانها فى الوقت الحاضر • فهذه الأناجيل — وأقدمها إنجيل مرقس الذى كتب بعد وفاة يسوع بنصف قرن على الأقل — هي المجموعة من الأوهام والذكريات غير المحققة التى يسلطها خيال مؤلفها »(٧) ويقول " شارل جينيبير " إن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل • وإنها تأثرت فى مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة فى الشرق • ثم إنها فسرت تفسيرات غيرت وجددت فى جوانب كثيرة أساسية منها »(٨) فصدق الحق الذى لا ريب فيه القائل ((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ))(٩) •

---

(١) لوقا ٢٤ : ٥١ (٢) أعمال الرسل ١ : ٣

(٣) انظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل يوحنا) وليم باركلى، ج ٢، ص ٥٣٥

(٤) انظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاى، ص ٦٨

(٥) قصة الحضارة، ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢١٠

(٦) انظر: أضواء على المسيحية، د • متولى يوسف شلبى، ص ٥٢ — ٥٣، الدار الكويتية، ط الثانية ١٩٧٣ م •

(٧) انظر: حياة الحقائق، غوستاف لوبون، ص ٦٢ •

(٨) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٣٨ •

(٩) النساء ١٥٧ •

* الفصل الخامس *

الدين الذى جاء به المسيح عليه السلام ٠

تمهيد ٠

وحدة الدين عند جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ٠

إذا أردنا أن نتبين وحدة الدين لدى الأنبياء والرسل أجمعين ، فلننظر إلى الطريقة التى أرسلوا بها من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى الغرض الذى صاحب هذا الإرسال ٠ وذلك يتلخص فى أن الأصل فى رعاية البشر من الله ،أن ينزل إليهم الدين ليكون دستورا يسيرون عليه فى حياتهم، ومبادئ يستطيعون بها أن يتفاهموا فيما بينهم ، ومنهجا يلتزمون به ليتعاونوا بينهم ، حتى يدوم بينهم الوفاق ٠ والدين المنزل من السماء هو وحده الذى يستطيع ذلك ، فلا يعقل أن يخلقهم الله دون أن يرسل إليهم أنبياء بدين يهديهم فى حياتهم ٠ فخلق الله آدم ثم أولاده وجعله فيهم رسولا ، ثم أرسل نوحا ثم إبراهيم ثم موسى وبقية أنبياء بنى إسرائيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ٠

وهكذا فلم يكن من الجائز عقلا ولا شرعا أن تحيا البشرية من يوم أن خلقت إلى الآن دون هؤلاء الرسل والأنبياء ٠ وقد تتابع هؤلاء الرسل لغرض واحد اتفقوا فى الدعوة إليه، وهو هداية الناس وتعريفهم بالله أنه خالق رازق محي مميت، وأنه تجب له الطاعة والعبادة وأن يتقيه الناس فى أنفسهم ٠ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ساق عديدا من الآيات التى تدل على وحدة الدين والرسالة : إن دين الأنبياء والمرسلين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاج ٠ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة رضي الله عنه : إنا معشر الأنبياء ديننا واحد وأنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي "(١) فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ٠ "(٢)

---

(١) الحديث كما رواه مسلم " أنا أولى الناس بابن مريم الأنبياء أولاد علات وليس بيني وبينه نبي " كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام ،انظر صحيح مسلم بشرح النووى ،ج ١٥ ، ص ١١٩

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ١ ، ص ٥ ٠

وفى الواقع أن الأنبياء يصدق بعضهم بعضا ويتفقون فيما جاؤا به، وتتحد المبادئ التى تقوم عليها دعوتهم . وهذا دليل على صدق كل منهم على حدة، منفردا عن الآخرين . لأنه إذا كانت دعوتهم واحدة لا تدابر ولا تعارض فيما بينهم، ثم أخبر السابق عن اللاحق، وآمن اللاحق بالسابق، كان هذا دليل صدقهم مع عدم رؤية بعضهم بعضا . ومن هنا كان الدين الذى أتوا به جميعا واحدا . وقد سماه الله تعالى " الإسلام " ((هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ))(١) فوصف الإسلام ليس منصبا على كل من آمن بدعوة محمد فحسب، بل هو وصف أطلقه الله من قبل على من آمن برسوله الذى بعث فى زمنه، وعلى من وحّد ربه وأسلم وجهه وقلبه وأمره كله لله رب العالمين . والأنبياء كلهم قد أقروا بأنهم على دين واحد وهو الإسلام، ونطقوا بهذه التسمية باللفظ الصريح . فقال نوح عليه السلام لقومه : " فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ "(٢) ودين إبراهيم عليه السلام كان هو الإسلام : " مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "(٣) وقال تعالى : " وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ، يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ، فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ، أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي، قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "(٤) . ويوسف عليه السلام ما جاء إلا بالإسلام، وذلك حيث كان يدعو الله تعالى ...... أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ "(٥) . وموسى عليه السلام كان يخاطب قومه ويقول لهم ..... يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ "(٦) . وهم يردون على فرعون تهديده وبعد أن أسلموا بقولهم : وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ "(٧) وفى النهاية يعترف فرعون بأن دين موسى هو الإسلام، ويعلن إسلامه حيث لا يقبل منه ذلك حين كان فى الحشرجة

---

(١) الحج ٧٨ (٢) يونس ٧٢ (٣) آل عمران ٦٧

(٤) البقرة ١٣٠ـ ١٣٣ (٥) يوسف ١٠١ (٦) يونس ٨٤ .

(٧) الأعراف ١٢٦

ووقت لفظ الروح فيقول ..... قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين "(١) وسليمان كان يستخدم البسملة التى جاء بها القرآن فى خطابه لمملكة سبأ ويدعوها وقومها إلى الإسلام : إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتونى مسلمين "(٢) ويتحدث سليمان عن علمه وإسلامه فيقول ..... وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين "(٣) . ثم تحدث بلقيس أخيرا بأن ذلك الدين الذى اعتنقه على يد سليمان عليه السلام إنما هو الإسلام فتقول ...... رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين "(٤) . ولوط عليه السلام إنما جاء بدين الإسلام ، والذين آمنوا به قد وصفهم القرآن بأنهم من المسلمين ، وذلك يحكى قصة إهلاك قرية قوم لوط وأن الله أذن للمؤمنين بالخروج منها قبل حلول الهلاك بها : فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين "(٥) . وأخيرا يتحدث القرآن عن إيمان الحواريين بعيسى عليه السلام ، وأنه كان الإسلام ، فيقول تعالى :

وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون "(٦)

: فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون "(٧) . ثم أمر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن : قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين "(٨)

فما دامت دعوة الأنبياء كلهم واحدة والهدف منها واحدا ، فإن كل من آمن بالله وحده وأسلم وجهه له واتبع أوامره وتجنب نواهيه فهو مسلم ، سواء كان من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أم من أتباع الرسل السابقين عليهم السلام . فليس الدين دين موسى ولا دين عيسى ولا دين محمد ولكنه دين الله . وليس موسويا ولا مسيحيا ولا محمديا ولكنه مسلم ، مسلم لله رب العالمين . ولهذا يفند القرآن ادعاء أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا : وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين ، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون "(٩) .

---

(١) يونس ٩٠ (٢) النمل ٣٠ — ٣١ (٣) النمل ٤٢
(٤) النمل ٤٤ (٥) الذاريات ٣٥ — ٣٦ (٦) المائدة ١١١
(٧) آل عمران ٥٢ (٨) الزمر ١١ — ١٢ (٩) البقرة ١٣٥ — ١٣٦

فالأنبياء والرسل كلهم يجتمعون على الإسلام ، وكانت دعوتهم إلى اعتناق الإسلام . فلا بد أن يعي المسلمون أتباع محمد صلى الله عليه وسلم كل هذا ، ويؤمنوا به ، ويروا أن الإسلام الحق ، أو الإسلام فقط إنما هو في الإيمان بجميع الأنبياء وبجميع ما أتوا به . فلا يكتمل إيمان المسلم ولا إسلامه إلا بالإيمان بجميع الأنبياء الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليهم ، لأن الإيمان لا يتبعض ، فيما أن الدين واحد فالذين جاؤا به أيضا هم كالشخص الواحد.[1]
قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[2] ويترتب على ذلك أن من أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم أو دينه من اليهود والنصارى فلكي يكون مؤمنا بنبيه لا بد أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإلا كان كافرا بنبيه . فإن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . فمن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به . فالتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم . يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : إنه لو لم يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة الأنبياء قبله ، لأنهم بشروا به وأخبروا . فكذلك إن لم يصدق ، لم يمكن تصديق نبي من الأنبياء قبله "[3]
فالتفريق بين رسل الله كفر . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[4] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار "[5] والخلاصة : أن مهمة رسل الله وأنبيائه الأساسية هو بث الإيمان الصحيح

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي ، الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة، ص ١٥ ، دار العلم للملايين بيروت، ط السابعة عشر ١٩٧٨ م .
(٢) البقرة : ٢٨٥
(٣) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص ٣٠٠ .
(٤) النساء : ١٥٠ — ١٥١
(٥) رواه مسلم في : كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

بأن هناك إلهًا واحدًا وتوطيد العدالة بين الناس. فتنبعث وحدة الإيمان بإله واحد، وتكون مجموعة متحدة من الأنبياء، وأتباعهم يشكلون معًا أمة روحانية فذة هي: أمة إسلامية»، والله قد اختتم الرسالات برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فيها كنه الدين الحق، وهو الدين الكامل الشامل، توافق شريعته ما اقتضاه تطور العقل الإنساني، وتصلح أهل كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة. " إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ "(١) " وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ "(٢) وهو الدين الوحيد الذي رضيه الله للبشر جميعا. " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا "(٣) وسأحاول في الفقرات الآتية أن أثبت بأن ما جاء به المسيح من الدين، هو نفس الدين الذي جاء به الرسل والأنبياء الذين سبقوه والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهو دين الإسلام والتوحيد لله وحده لا شريك له.

التوحيد.

أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى لم يرسل رسولا من الرسل ولم يتخذ نبيا من الأنبياء إلا بالدعوة إلى دينه الحق، وهو دين التوحيد الخالص الذي لا شبهة فيه. دين الوحدانية لله لا شريك له، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص. فلا نجد نبيا من الأنبياء أو رسولا من الرسل إلا وقد حذر قومه من خطر الوثنية والشرك. ورسالة سيدنا عيسى عليه السلام هي واحدة من رسالات الأنبياء التي جاؤا بها إلى الناس، وهي رسالة تدعو الناس إلى توحيد الله توحيدا مطلقا كاملا (الربوبية(٤) والألوهية(٥)، والأسماء

---

(١) آل عمران ١٩ (٢) آل عمران ٨٥ (٣) المائدة ٣

(٤) توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحي المميت النافع الضار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك. وهذا التوحيد هو الذي جبلت الفطرة على الاعتراف به. وقد أقر بهذا التوحيد المشركون، ومعظم أهل الملل السابقة كاليهود والنصارى وغيرهم، والدليل على هذا الإقرار، " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ "، (لقمان ٢٥) " قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ. (يونس ٣١)

(٥) توحيد الألوهية هو أن يعبد الله وحده ولا يشرك بعبادته أحد من خلقه، مهما سمت درجته وعلت منزلته. وهو مبني على إخلاص التأله لله من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء والقصد " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "، (الفاتحة ٥) وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا الله، لأن الرسل جاؤا بتقرير الربوبية الذي كانت أممهم تعتقده، ودعوتهم إلى توحيد =

والصفات) [١] ليعبدوا الله ربهم الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم ولا يشركون به أحدا ، فهو وحده الأحد الفرد الصمد ، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويتعاونوا على البر والتقوى ، بالأخوة والمحبة والسلام . قال تعالى : قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا » [٢] . فالقرآن يثبت أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل ، فيقول تعالى : ... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » [٣] . ويقول تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من إجابته ربه ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) [٤] .

فتحكى هذه الآيات مقالة المسيح فى الآخرة يوم يجمع الله الرسل ، وتفيد بصريحها أن المسيح ما دعا إلا إلى التوحيد ، فغيرت النصرانية دينه من بعده ، وهو برىء منها ، وماكان المسيح إلا رسولا لله رب العالمين " مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ، قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ » [٥] .

= الألوهية . كما أخبر الله عنهم ... فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » (الأعراف ٥٩) .

(١) توحيد الأسماء والصفات هو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وأنه سميع بصير ، رؤوف رحيم ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العليا ، " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (الشورى ١١) . انظر : تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ص ٣٣ — ٣٨ ، المكتب الإسلامى بيروت ط الخامسة ١٤٠٢ هـ . وانظر أيضا : فى العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ، د . محمود أحمد خفاجى ، ج ١ ، ص ٢٠٤ — ٢٢٢ . وقارن : شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق جماعة من العلماء تقديم محمد ناصر الدين الألبانى ، ص ٧٦ — ٧٧ ، المكتب الإسلامى بيروت ، ط الرابعة ١٣٩١ هـ .

(٢) مريم : ٣٠ — ٣٢

(٣) المائدة : ٧٢

(٤) المائدة : ١١٦ — ١١٧

(٥) المائدة : ٧٥ .

فالدين الذى جاء به المسيح عليه السلام هو دين الأنبياء والرسل أجمعين ، قال تعالى : شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ "(١) هذه الآية فى سورة الشورى تجمع وحدة الموضوع جملة واحدة بما تضفيه من المساواة على وحي الله لصفوة أنبياءه أولى العزم من الرسل.

ولقد جاء فى مطلع السورة : كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(٢) فكانت إشارة إجمالية إلى وحدة المصدر ووحدة الاتجاه، وهو أن يقيموا دين الله الواحد ولا يتفرقوا فيه(٣). ولقد ذكرت فيما سبق ، أن الدين الذى جاء به الأنبياء والرسل عن الله هو الإسلام ، وأحب هنا أن أزيد الأمر وضوحا فى وحدة دينهم فى عقيدة التوحيد.

فإذا كان الدين الذى أوحى الله به إلى أنبيائه واحدا فإن غايتهم كذلك واحدة ، وهو إخلاص الدين لله وحده وإفراد العبادة له. فلا نجد ديانات سماوية متعددة، بل نجد دينا سماويا واحدا عبر القرون والأزمان ، منذ الأزل إلى بعث محمد صلى الله عليه وسلم. يقول الله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ "(٤) ويقول أيضا : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ "(٥) ويقول أيضا : وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ "(٦) وقد حكى الله عن نوح عليه السلام فقال : لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ "(٧) وعن هود : وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ "(٨) وعن شعيب : وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ "(٩) كما حكى الله عما كان من إبراهيم مع قومه فقال : وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ "(١٠) ، وأخذ الله الميثاق من بنى إسرائيل قائلا ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ))(١١) وأمر الله تعالى نبيه محمدا بقوله ((قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ))(١٢) وقوله تعالى ((قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي))(١٣).

فالتوحيد هو أساس دين الله الواحد منذ أقدم رسول ، والقرآن يقرر هذه الحقيقة، حقيقة وحدة الرسالة المرتكزة كلها على التوحيد. فعلى الرسل أن يوجهوا المخلوق الضعيف

---

(١) الشورى ١٣   (٢) الشورى ٣

(٣) انظر تفسير : فى ظلال القرآن ، الأستاذ الشهيد سيد قطب ، ج ٥ ، ص ٣١٤٧ ، دار الشروق بيروت ، ط السادسة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

(٤) الأنبياء ٢٥ .   (٥) النحل ٣٦   (٦) الزخرف ٤٥

(٧) الأعراف ٥٩   (٨) الأعراف ٦٥   (٩) الأعراف ٨٥

(١٠) العنكبوت ١٦   (١١) البقرة ٨٣   (١٢) الزمر ١١   (١٣) الزمر ١٤ .

إلى خالقه العظيم ، وأن يصرفوا وجهة البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب الأرباب (١) .

" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ " (٢) إذن فالدين الذى جاء المسيح هو إحدى مراحل الرسالات الإلهية إلى الناس ليعبدوا الله ويطيعوه ويتقوه ، فهو يدعو إلى توحيد الله وتنزيهه عن كل معانى الشرك ، وإفراده وحده بالعبادة والطاعة ، وتنفيذ أوامره وتحقيق شرعه ، والتحلى بجميل الخلق ورفيع الشيم ومكارم الأخلاق (٣) . وهو استمرار لرسالة موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل . فقد حدد القرآن مهمة رسالة المسيح بأنها تكملة لما جاء به موسى والأنبياء من قبله . يقول تعالى :

" وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ " (٤) .

والزيادة على هذا غلو وكفر . يقول الإمام الشوكانى : " إن الشرائع كلها اتفقت على إثبات التوحيد على كثرة عدد الرسل المرسلين وكثرة كتب الله المنزلة على أنبيائه . فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره ، وسابقه ولاحقه . ومن خالف فى ذلك فقد جعل لله شريكا " (٥)

والقرآن الكريم قد نص صراحة على أن دعوة الرسل جميعا ثابتة لا تتغير ، وهي توحيد الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد والشريك ، وإرجاع الأمر والخلق والتدبير والتحاكم إلى الله تعالى وحده ، وشريعة تحكم حياة الناس بما يتناسب مع نموهم وتقدمهم . ومن بين الرسل الذين أرسلهم الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام . فلم يأت بدين جديد ولا بدعوة مبتدعة ، ولم يخرج عن دعوة إخوته الأنبياء والرسل التى جاؤا بها من مصدر واحد ، وهو الله . فعقيدة التوحيد هي أقدم ديانة ظهرت فى البشر ، ولم تنفك عنها أمة من الأمم فى القديم والحديث . وتكون الوثنية إن هي إلا أعراض طارئة أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة

---

(١) مقالة أصل الإسلام ، د ، محمد عبد الله دراز فى كتاب : الإسلام الصراط المستقيم ، ص ٣- ٤ كتبه مجموعة من العلماء الكبار ، من العالم الإسلامى ، بإشراف كنيث و ، مورغان ، ترجمة محمود عبد الله يعقوب ، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٣ م

(٢) البينة : ٥

(٣) أضواء على المسيحية ، د ، متولى يوسف شلبى ، ص ١٥ .

(٤) المائدة : ٤٦

(٥) انظر : إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، للشيخ محمد بن على الشوكانى ، ص ٢١ تحقيق د ، إبراهيم هلال ، دار الاتحاد العربى للطباعة القاهرة ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م .

العالمية الخالدة . وهي موجودة لدى القبائل الهمجية في أوستراليا وأفريقيا وأمريكا ، وعند الأجناس الآرية القديمة ، وعند الساميين قبل الإسلام ، وعند أقزام أواسط أفريقيا . وقد أثبت " شميت " أن فكرة الإله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية (١) . وكذلك أثبت الدكتور " ميلر " الذى كانت له اليد الطولى في حل رموز السنسكرتية بالهند قائلا : إن الناس كانوا في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص ، وإن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤساءهم الدينية (٢) " ، وبرهان آخر يدل على أن دين البشرية الأولى كان واحداً في شكله توحيدا في موضوعه ، أن آدم هو أبو البشر كلهم - كما يؤمن به اليهود والنصارى والمسلمون - وهو خلق الله المباشر ، وأول المؤمنين من البشر ، فالعقيدة الحقة التي كان عليها آدم هي التوحيد الخالص . تلك حقيقة أولية تتفق عليها الكتب المقدسة (٣) . فالعهد القديم الذى يؤمن به النصارى والذى جاء المسيح ليكمله ، فيه نصوص كثيرة جداً تصرح بالتوحيد . ويكفى لنا أن نذكر هنا بعضا منها على سبيل المثال لا الإحاطة (٤) : أنا الرب إلٰهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب إلٰهك إلٰه غيور (٥) " ، وأيضا : لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا ولا تجعلوا في أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له لأني أنا الرب إلٰهكم (٦) " ، وأيضا : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلٰهنا رب واحد ، فتحب الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك (٧) " ، وأيضا : فاعلم أن الرب إلٰهك هو الله الإلٰه الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه (٨) " ، وأيضا : فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلٰهك ، إلا أن تتقى الرب إلٰهك لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد

---

(١) انظر : الدين ، د . محمد عبد الله دراز ، ص ١٠٧ ، دار القلم الكويت ط الثانية ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

(٢) انظر : الرب والله وچوچو ، القس مندلسون ، ترجمة إبراهيم أسعد ، ص ١٠٨ ، دار المعارف مصر ١٩٧١ م .

(٣) انظر : النبوة والأنبياء ، مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ١٠

(٤) للتوسع اقرأ : إنجيل برنابا ، دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد ، سيف الله أحمد فاضل ، ص ٣٤٨ - ٣٥٠ ، دار القلم الكويت ط الأولى ١٣٩٣ هـ .

(٥) خروج ٢٠ : ٢ - ٥ (٦) لاويين ٢٦ : ١

(٧) تثنية ٦ : ٤ - ٥ (٨) تثنية ٧ : ٩

الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك »(١) وأيضا : الرب إلٰهك تتقى إياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف »(٢) وأيضا : وراء الرب إلٰهكم تسيرون وإياه تتقون وصاياه تحفظون وإياه تعبدون »(٣) وأيضا : انظروا الآن أنا أنا هو وليس إلٰه معى أنا أميت وأحيى سحقت وإنى أشفى وليس من يدى مخلص »(٤) أى لا شفيع ولا وكيل من دونه .

والآن نقرأ الأناجيل ، فهي مشحونة بالتوحيد ، وذم المشركين والمنافقين والمرائين. فقضية التوحيد فى عقيدة المسيح الصحيحة قد انحسمت تماما ، كما يستبان بوضوح من هذه القصص التى سجلها ثلاثة من الأناجيل : فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل ، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلٰهنا رب واحد ، وتحب الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هي الوصية الأولى . وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ، فقال له الكاتب (وهو نيقوديموس كما بينه برنابا) جيدا يا معلم بالحق قلت ، لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة . ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح . فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت الله »(٥) . فقد شهد المسيح بأن الله إلٰه واحد لا إلٰه غيره ، وأن من وحده فهو قريب من ملكوت الله . فيكون من أشرك به أو جعله ثالث ثلاثة بعيدا عن ملكوت الله ، ومن كان بعيدا عن ملكوت فهو عدو الله ! . وفى تجربة إبليس المزعومة للمسيح ما يأتى : ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلٰهك تسجد ، وإياه وحده تعبد »(٦) واضح من جواب المسيح لإبليس أن السجود والعبادة إنما هما لله وحده. كما يقول المسيح : وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته »(٧) . فقد بين المسيح بهذا القول أن الحياة الأبدية عبارة عن معرفة الناس بأن الله هو المعبود الحقيقى وأن عيسى رسوله . وإذا ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقى لله واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدها يكون موتا أبديا وضلالا بينا البتة.(٨)

---

(١) تثنية ١٠ : ١٢ (٢) تثنية ١٠ : ٢٠ (٣) تثنية ١٣ : ٤

(٤) تثنية ٣٢ : ٣٩ (٥) مرقس ١٢ : ٢٨ ــ ٣٤ (٦) متى ٤ : ٨ ــ ١٠

(٧) يوحنا ١٧ : ٣ (٨) البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل فى العبودية ، د . محمد تقي الدين الهلالى ، ص ٦ ــ ٩ دار الثقافة مكة ، ١٣٩٣ هـ.

فالتوحيد الحقيقى ضد التثليث، وكون المسيح رسولا ضد كونه إلٰها ، لأن التغاير بين الرسل والمرسل ضرورى (١) . ويقول أيضا : أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : أنا إلٰه إبراهيم وإلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب ،، (٢) فهذا اعتراف بإقرار المسيح بأن الله هو وحده إلٰه الأنبياء . وقد حدد المسيح حقيقة الأمر بينه وبين الله تحديدا قاطعا لا لبس فيه ، قائلا : لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الأب لأن أبى أعظم مني ،، (٣) ويقول المسيح : ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات " (٤) "إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلٰهى وإلٰهكم ،، (٥)

" وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية . فقال لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله ،، (٦) . فالمسيح قد بين أن الله ذات وأن المسيح ذات أخرى ، فهما اثنان وليسا واحدا . ومحال أن يكون الاثنان واحدا . وقد قال للفريسيين : فى ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق ، أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الآب الذى أرسلنى ،، (٧) وكذلك بين المسيح أن لله مشيئة وللمسيح مشيئة أخرى . فحين أحس المسيح بالخطر يتهدده يقول : يا أبا الآب كل شيئ مستطاع لك ، فأجز عنى هذا الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت ،، (٨) وقد ذكرت سابقا عند ذكر المعجزات التى جرت على يديه حمده لله وشكره له وحده بعد كل معجزة جرت على يديه ، وكثيرا ما يقول : أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض ،، (٩) أيها الأب أشكرك لأنك قد سمعت لى ،، (١٠) ولم يسم المسيح نفسه ابن الله ، وإنما كان يسمى نفسه ابن الإنسان، إلا أنه سمع تسميته بذلك فلم ينكرها بزعم الأناجيل . ولا خصوصية فى ذلك ، ففى الكتاب المقدس ، كل تقي بر يسمى ابن الله . كما يقول المسيح : طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون،، (١١) " لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ،، (١٢) " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماء كامل ،، (١٣) وكذلك إطلاق الأب على الله جاء فى

---

(١) انظر: إظهار الحق ، جـ ٢ ،ص ٢٤٣ .
(٢) متى ٢٢: ٣١ ـ ٣٢ ، ومرقس ١٢: ٢٦ ،ولوقا ٢٠: ٣٧ .
(٣) يوحنا ١٤: ٢٨ (٤) متى ٢٣: ٩ (٥) يوحنا ٢٠: ١٧
(٦) متى ١٩: ١٧ ، ومرقس ١٠: ١٨ ،ولوقا ١٨: ١٩ (٧) يوحنا ٨: ١٧ ـ ١٨
(٨) مرقس ١٤: ٣٦ (٩) متى ١١: ٢٥ ،ولوقا ١٠: ٢١ (١٠) يوحنا ١١: ٤١
(١١) متى ٥: ٩ (١٢) متى ٥: ٤٥ (١٣) متى ٥: ٤٨

مواضع لا تحصى في العهدين، القديم والجديد . وسنعود إلى الكلام عن هذا الموضوع بالتفصيل في الباب الثالث إن شاء الله . مما ذكرنا يتبين لنا أن الدين الذي جاء به المسيح هو دين التوحيد الخالص، وعدم الخلط بين الله والمسيح ولا تزال لها بقايا في الأناجيل . فوحدانية الله (في ربوبيته وألوهيته) هي دعوة المسيح ومازاد على ذلك فهو شرك وكفر، خارج عن دين المسيح الحق !

وهذا عبد الله الترجمان الميورقي (كان قسيسا اسمه أنسلم تورميدا فأسلم)(١) سأل أستاذه " نقلاوس " (وهو قسيس كبير صاحب الكنيسة، عالم متدين زاهد) قائلا : ما تقول في دين هؤلاء النصارى ؟ فقال : يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله، ولكن بدلوا وكفروا "(٢) فاعترف " نقلاوس " بكفر النصارى وانحرافهم عن دين المسيح الحق ! ويقول " شارل جنيبير " يجب أن لا ننسى أن المسيح لم يؤسس شيئا . لم يأت بدين جديد، ولا حتى بأي طقس جديد من طقوس العبادة . لم يأت إلا بتصور شخص فريد للتقوى في إطار الديانة اليهودية . تلك الديانة التي لم يزعم قط، أنه يبغي التغيير من معتقداتها أو من شرائعها وشعائرها أما أن تنسب إليه إرادة تأسيس كنيسة، كنيسة تكون كنيسته هو، كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعينها لها والتي يظهر فيها رضاه عنها، كنيسة يمهد لها فتح الأرض جميعا، فهذا قول لا يقره الأحداث، وصريح التسلسل التاريخي . ولن نتعدى الحق إن أضفنا : أن كل ذلك لا يمكن اعتباره إلا تحريفا "(٣) فهذا العالم المسيحي صاحب المركز العلمي الممتاز، لا يعتبر المسيحية الحالية إلا تحريفا للدين الذي جاء به المسيح .

ويقول " هرنك Harnack " في كتابه " What is Christianty " عن شخصية المسيح : وصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه ، وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء، وأن خضوعه له تام . ويدخل نفسه ضمن الناس معلنا أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله "(٤) وجاء في " دائرة المعارف الأمريكية Encyclopedia Americana " لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدا في التاريخ، وفي

---

(١) عبد الله الترجمان (٧٥٦ - ٨٣٢ هـ) هو أبو محمد عبد الله الترجمان الميورقي، ولد في جزيرة ميورقا بأسبانيا وعاش فيها منذ صغره وتعلم الإنجيل هناك، ثم دخل الإسلام عند قدومه إلى تونس وكان عمره حينئذ ٣٥ سنة بإرشاد أستاذه " نقلاوس " صاحب الكنيسة . وقدم نفسه إلى الأمير " أبي العباس أحمد الحفصي " واشتغل لديه بترجمة الرسائل التي ترد من قبل الفرنجة، فلقب بالترجمان، ثم زوجه السلطان من ابنة الشيخ محمد الصفار، ولقبه ابن أبي دينار بسيدي تحفة . توفي بتونس وقبره معروف إلى الآن في سوق السراجين . (انظر مقدمة : تحفة الأريب، للطالب عمر وفيق الداعوق) .

(٢) انظر : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان الميورقي تحقيق عمر وفيق الداعوق، ص ٧٠ - ٧١، رسالة الماجستر فرع العقيدة كلية الشريعة جامعة أم القرى مكة، سنة ١٤٠١ هـ .

(٣) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها ، ص ٦٢ . (٤) انظر : المسيحية، د . أحمد شلبي، ص ١٤٩

حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ...... فعقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بذات الله. لقد كانت على العكس من ذلك انحرافا عن هذا التعليم ، فإنها تطورت ضد التوحيد (١).

كما يقول " برنتن "، إن المسيحية الظافرة فى مجلس نيقية (٢) مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى الجليل . ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائى عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا ، لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأنها لم تكن مسيحية بتاتا " (٣). أما المؤرخ الإنجليزى المشهور " هـ.ج.ولز H.G.Wells " (٤) فيقول : من الضرورى أن نستلفت نظر القارئ إلى الفروق العميقة بين مسيحية نيقة هذه التامة التطور ، وبين تعاليم يسوع الناصرى ...... فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصرى تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذى ابتدأ بظهور الأنبياء العبرانيين . وهي لم تكن كهنوتية ، ولم يكن لها معبد مقدس حبسا عليها ولا هيكل ، ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس " (٥).

ولقد جاء فى كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار ، أن " مرقس " كان ينكر ألوهية المسيح ، هو وأستاذه " بطرس الحوارى " (٦) و " مرقس " هو ابن أخت " برنابا " و " برنابا " كذلك ينكر ألوهية المسيح وبنوته لله . فالثلاثة ينكرون ألوهية المسيح ، بل كانوا متمسكين بالتوحيد الخالص . يقول الشيخ محمد أبو زهرة : إن المسيحية قد أتى عليها حين من الزمان كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها ، حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م" (٧)

الفرق المسيحية الموحّدة .

وجدت فى القرون القديمة فرق مسيحية ظلت عقائدها على التوحيد ، ومن أهمها :

---

(١) نقلا عن : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ، مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٩ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م .

(٢) اسمها الحالى " أزنيق " فى بيثنية جمهورية تركيا ، مدينة قديمة أسست فى القرن ٤ ق م . كانت مركزا تجاريا مزدهرا فى ظل الحكم الرومانى ومقرا لمجمعين كنسيين (٣٢٥م ، و ٧٨٧ م) أصبحت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ١٢٠٤ — ١٢٦١م (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٧) .

(٣) نقلا عن كتاب : مذاهب فكرية معاصرة ، للأستاذ محمد قطب ، ص ١١ دار الشروق بيروت ط الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .

(٤) هربرت جورج ولز (١٨٦٦ — ١٩٤٦م) أديب مؤرخ صحفي إنجليزى ، ولد فى برومل ، تخرج من جامعة لندن ١٨٨٨م تأثر بدروس توماس هنرى هكسلى (الموسوعة العربية الميسرة ١٩٦٢)

(٥) انظر: معالم تاريخ الإنسانية ، هـ.ج.ولز ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، ج ٣ ، ص ٧٢٠

(٦) انظر: محاضرات فى النصرانية ، للشيخ محمد أبو زهرة ، ص ٥٤ .

(٧) نفس المرجع ، ص ١٧٦ .

١ - فرقة " الأبيونيين Ebionites "عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل (أبيونيم) التي ربما تعني الأغمار، لأنهم كانوا من نكرات اليهود . وقيل إن هذا الاسم هو الذي أطلقوه على أنفسهم بمعنى أنهم الفقراء إلى الله . (١) وزعم صاحب كتاب " تاريخ الكنيسة " أنهم سموا بالأبيونيين، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة ووضيعة، فهذا الاسم يعبر عن فقرهم في التفكير . (٢) ؟! وليس " أبيون " اسم زعيم هذه الفرقة فتنسب إليه، كما يزعم ذلك الدكتور " علي عبد الواحد وافي " (٣) فإن زعيمها يدعى " سيرنيش الفريسي " . (٤) والأبيونيون هم اليهود المتنصرون، قبلوا المسيح بمعنى المخلص المنتظر، ورفضوا الإقرار بألوهيته . وقالوا إن المسيح ليس سوى نبي، وأنكروا رسولية " بولس "، فإنه مجدّف في حق الله ومستحق اللعنة . كما يعتقدون أن المسيح ورث الشريعة عن موسى، ولا كتاب سوى الأسفار الخمسة . (٥) وهؤلاء كانوا من الزهاد وعاشوا كبطرس على الخبز والزيتون، ولم يقبلوا الخمر، وعافوا الزواج ثم عادوا فأباحوه من بعد . (٦)

ظهرت هذه الفرقة بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م وانتشرت أفكارهم في فلسطين والأقطار المجاورة ومراكز الشتات، بل وبلغت روما . (٧) ثم انقرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي (أي ما بعد انعقاد مجمع نيقية ٣٢٥م حيث أصدر هذا المجمع قرارا رسميا بألوهية المسيح، وطمس التوحيد والموحدين، بتدخل الإمبراطور قسطنطين) وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية يعرف " بإنجيل الأبيونيين-Evangile des Ebionites " (٨) وهو - بالطبع - من ضمن الأناجيل التي رفضها مجمع نيقية .

٢ - فرقة " الشمشاطي "، وهم أتباع " بولس الشمشاطي Paul de somo sate " يقول فيه " ابن حزم ": كان بطريكا (٩) بأنطاكية (١٠) . وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وإن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر، وإنه

---

(١) راجع : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د . عبد المنعم الحفني، ص ٤٣
(٢) انظر : تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص ١٥٥
(٣) انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٢٤
(٤) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص ٤٣
(٥) انظر : تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص ١٥٦
(٦) انظر : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص ٤٤
(٧) راجع : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الأنبا يؤانس، ص ٢٦٦
(٨) انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د . عبد الواحد وافي، ص ١٢٤، وانظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مهندس أحمد عبد الوهاب، ص ٣٧
(٩) يطلق على بعض الرؤساء الدينيين الذين تمتد سلطتهم إلى عدد من الأساقفة . (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٣٧٨) . (١٠) مدينة في جنوب تركيا على نهر العاصي عند =

إنسان لا إلٰهية فيه البتة. وكان يقول: لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس»،(١) هذا ما قاله "ابن حزم»، فى معتقد "بولس الشمشاطى»، وهو موافق لكلام "ابن البطريق» عنه إذ يقول فى بيان مذهبه – إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره. وإن ابتداء الابن من مريم (أى إنه محدث وليس قديما). وإنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلٰهية، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة .... ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد. ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس. وهي مقالة "بولس الشمشاطى» بطريك أنطاكية. وهم البوليقانيون»(٢)، وجاء فى "تاريخ الكنيسة»(٣)، أن "بولس الشمشاطى»، كان من أكبر هراطقة الكنيسة فى العصور الأولى. وقد كان أسقفا لأنطاكية(٤)، وفى نفس الوقت نائبا للملكة "زنوبيا»، ملكة بالميرا. وكانت رسامته أسقفا حوالى سنة ٢٦٠ م وخلعه سنة ٢٦٥ م. وقد أعاد "بولس» هذا بدعة "أرتيمون»(٥)، القائل بأن المسيح كان مجرد إنسان. وقبل "أرتيمون»، كان "أبلّس Apelles»(٦)، قد نادى بإلٰه واحد، وأن الخالق هو الله نفسه الأزلى. وقد عقدت مجامع مختلفة فى أنطاكية، بقصد حرمه فلم تفلح. وأخيرا حرمه أحد المجامع فخلعه "دومنوس»، وذلك فى سنة ٢٦٨ م. وقد بقي لمذهبه أتباع حتى القرن السابع الميلادى.

٢ – فرقة "الآريوسيين»، فهم أتباع "آريوس Arius»، (٢٥٠ – ٣٣٦م)(٧) كان شماسا ثم شيخا لكنيسة بوكالِس وكان محترما. فقد نسب إليه الطهر والتقشف، كما أنه كان لطيف المعشر ذا خلق جذّاب. ولقد عرف بنشاطه الدينى كما اعترف به الأسقف

= سفح جبل سيليبيوس أنشأها سلوقوس الأول ٣٠٠ ق م فيها اتخذ النصارى لأول مرة اسم "المسيحيين»، فأصبحت كرسيا رسوليا وعلى رأسه بطرس، سقطت فى قبضة الغرس ٥٣٨ م وفتحها المسلمون ٦٣٧ م، استولى عليها المماليك ١٢٦٨ م والعثمانيون ١٥١٦ م انتقلت إلى سورية ١٩٢٠م (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٢٤٥).

(١) انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ ١، ص ١٠٩ – ١١٠.

(٢) انظر: محاضرات فى النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٧٩

(٣) راجع، ص ٣٧٩

(٤) كلمة يونانية Episkopos أى الناظر أو الرقيب، وهو رئيس الكنيسة ومدبرها وراعيها ومعلمها (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل، الأنبا يؤانس، ص ١٦٤).

(٥) بخصوص أرتيمون راجع: تاريخ الكنيسة، ص ٢٨١

(٦) بخصوص أبلس راجع "تاريخ الكنيسة، ص ٢٥٩

(٧) انظر: المورد معجم أعلام Biographical Names، منير بعلبكى ص ٩.

" ألكسندروس "، وإنه كان داعيا قوى التأثير واضح الحجة، جريئا فى المجاهرة برأيه (١) .

يقول " ابن حزم " فى بيان هذه الفرقة : منهم (أى النصارى) أصحاب " آريوس " وكان قسيسا بالإسكندرية . ومن قوله التوحيد المجرد ، وإن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وإنه كلمة الله التى بها خلق السموات والأرض . وكان فى زمن " قسطنطين " (٢) الأول بانى القسطنطينية (٣) . وأول من تنصر من ملوك الروم . وكان على مذهب " آريوس " (٤) .

ويعلق الشيخ " أبو زهرة " على كلام " ابن حزم " قائلا : إن هذا الكلام يحتاج جزؤه الأخير إلى نظر ، فهو يزعم أن " قسطنطين " كان على مذهب " آريوس " مع أنه هو الذى تدخل بنفوذه وسلطانه فى إصدار قرار بألوهية المسيح فى مجمع نيقية " (٥) ولكنى أرى أن الامام " ابن حزم " لا يبتعد عن الصواب ، ولا حاجة إلى نظر فى كلامه إذا عرفنا من هو قسطنطين ؟ .

إن " قسطنطين " إنما عطف على المسيحية سياسيا فقط ، لأجل الحفاظ على مقومات النصر له على خصومه ، لا إيمانا بها . يقول " ول ديورانت " ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصا على عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينه ؟ أو هل ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمة السياسة ؟ أكبر الظن أن الرأى الأخير هو الصواب .... فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية " (٦) .

ويوضح أكثر المؤرخ " فاسيليف Vasilief " إذ يقول : إن " قسطنطين " كان على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية بل الدينية ، وفق ما تطلبه مصالحه السياسية . ذلك أنه ظل يؤيد " المذهب الأثناسيوسى " (مذهب التثليث) طالما كانت عاصمته فى الغرب ، وطالما اعتمد على الغرب فى قوته . ولكنه عندما شرع فى نقل عاصمته إلى الشرق وأحس بالحاجة إلى

---

(١) انظر : طائفة الموحدين عبر القرون ، مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ١٢ — ١٣

(٢) قسطنطين فيكتور مكسيموس أغسطس الكبير (٢٧٤ — ٣٣٧ م) ابن قسطنتيوس كلوروس من أمه القديسة هيلانة إمبراطور رومانى ٣٠٦ م هزم خصمه ماكسانس على أبواب روما ٣١٢ م وأطلق الحرية للدين المسيحي وشجعه ٣١٣ م تخلص من ليقينيوس ٣٢٤ م فوحد الإمبراطورية واضعا حدا للنظام الرباعى . أسس عاصمة جديدة سماها القسطنطينية ٣٣٠ م (المنجد فى الأعلام ص ٥٥٢) .

(٣) Costantinopel ، الآن إستنبول أو الآستانة فى تركيا ، على ضفتي البوسفور هي بيزنطية القديمة ، أسسها الإغريق الأقدمون القرن ٧ ق م ، جعلها قسطنطين عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية وأسماها اسم القسطنطينية ٣٣٠ م واستمرت قاعدة الإمبراطورية البيزنطية إلى أن فتحها الأتراك العثمانيون ١٤٠٣ م وفيها استقر السلاطين إلى أن نقل مصطفى كمال العاصمة إلى أنقرة ١٩٢٣ م . هي كرسى بطريرك القسطنطينية ، عقدت فيها أربع مجامع مسكونية (سنة ٣٨١ م ، ٥٥٣ م ، ٦٨٠ — ٦٨١ م ، ٨٦٩ م) (المنجد فى الأعلام ، ص ٤٠)

(٤) انظر : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ، ص ١٠٩

(٥) انظر : محاضرات فى النصرانية ، ص ١٧٨

(٦) قصة الحضارة ، ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٣٨٧ .

استرضاء سكان القسم الشرقي من الإمبراطورية لم يجد غضاضة في تغيير عقيدته أو ميوله نحو " المذهب الآريوسي ".....[١] ولم يلبث أن توفي " آريوس " سنة ٣٣٦م، ولم يلبث أن لحق به الإمبراطور سنة ٣٣٧م بعد أن تم تعميده على فراش الموت وفق المذهب " الآريوسي " على يد " يوسابيوس الآريوسي " أسقف نيقوميدية "[٢].

فالأمر إذن لا يعدو التلفق السياسي لأجل مصلحة ملكه. ويقول المؤرخ " هـ.أل.فشر " بات الإمبراطور (قسطنطين) يؤمن بالمسيح وبإله الشمس القهار. فحبا المسيحيين بكثير من التسامح، على حين احتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم ((Pontifex Maximus)) وهو المنصب الإمبراطوري في الديانة الرومانية الوثنية. ثم إن العملة في أيامه ضربت على وجه منها علامة الصليب، وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس "[٣] ويقول: وكان " قسطنطين " ابنا غير شرعي لضابط روماني يرجع أصله إلى إقليم أبلليريا، من صاحبة خانة بمدينة نيش بالصرب الحالية. وتولى أبوه المنصب الإمبراطوري على النظام " الدقلديانوسي " فلما مات بمدينة يورك ببريطانيا، نادت حاميتها الرومانية بقسطنطين الصغير إمبراطورا سنة ٣٠٦م حسب الطريقة الوبيلة التي عمل " دقلديانوس " ما عمل من إصلاحات ابتغاء الحيلولة دون وقوعها بعده "[٤]. فهو إذن ابن غير شرعي من امرأة ساقطة، ووصل إلى الحكم بالأسلوب الدموي. ويكشف لنا المؤرخ " كيم " عن حقيقة دينه، فيقول: يمكن القول إن " قسطنطين " ظل حتى أواخر حياته وثنيا مع الوثنيين، وأثناسوسيا مع الأثناسوسيين، وآريوسيا مع الآريوسيين "[٥] وجاء في كتاب " أثناسيوس الرسولي " في بيان مذهب الآريوسيين ما نصه: كان آريوس يقول إن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب حينما لم يكن الابن "[٦]. وكان لرأي

---

(١) عن: يا أهل الكتاب، د. رؤف شلبي ص ٢١٠
(٢) هي أزميت الآن، مدينة في تركيا على شاطئ بحر مرمرة، كانت مرفأ للأسطول العثماني على الوزراء كبر ولوق ١٧ (المنجد في الأعلام ص ٣٨).
(٣) انظر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، هـ.أل.فشر، ترجمة محمد مصطفى زيارة، والسيد الباز العريني، ص ٧ ـ ٨، دار المعارف مصر ط السادسة ١٩٧٦م.
(٤) نفس الكتاب، ص ٤
(٥) انظر: يا أهل الكتاب، د. رؤف شلبي، ص ٢٠٩.
(٦) انظر: القديس أثناسيوس الرسولي، تأليف الأب متى المسكين، ص ٣٧ مطبعة دير القديس أنبا مقار مصر ط الأولى ١٩٨١م.

" آريوس "، في اعتبار المسيح مخلوقا لله مشايعون كثيرون . فقد كانت كنيسة ليكوبوليس (أسيوط) على هذا الرأى، وعلى رأسها " ميليتوس "، وكان أنصاره في الإسكندرية كثيرون من حيث العدد ، أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون . كما كان لهذا الرأى مشايعون في فلسطين ومقدونية (١) والقسطنطينية (٢) . فالخلاف محصور إذن بين " آريوس "، ومعه أسيوط وفلسطين ومقدونية، وبين بطريرك الإسكندرية (٣) . وقد حدث أن قام " يوسابيوس "، أسقف نيقوميديا (٤) ، و " شيوجنس "، أسقف نيقية بعقد مجمع في أنطاكية عام ٣٢٩م، وقرر المجمع على تثبيت معتقد " آريوس "، وكان أكثر أهل مصر آريوسيين ، فوثبوا على " أثناسيوس"، بطريرك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى (٥) . ثم عقد مجمع في صور (٦) عام ٣٣٥م حضره كثيرون من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية، وأخيرا أصدر المجتمعون قراراتهم بخلع " أثناسيوس " من منصبه (٧) . ولقد دعاهم الإمبراطور إلى القسطنطينية للمداولة، وهناك نجحوا في جعله يقرر نفي " أثناسيوس "، إلى تريفس (٨) . واشتد نفوذ الآريوسيين في عهد " قسطنتيوس "، الذى (٩)

---

(١) Macedonia بلاد في شبه جزيرة البلقان نشأت فيها دولة مقدونية في القرن ٦ ق م، سيطرت على العالم اليوناني في عهد فيليبس ٢ (٣٥٦ — ٣٣٦ ق م) وابنه الإسكندر ٣ ، مقاطعة رومانية ١٦٨ قم ثم سيطر عليها الأتراك ١٣٧١م تقاسمها بعد الحرب العالمية الأولى كل من بلغاريا ويوغوسلافيا واليونان (المنجد في الأعلام ، ص ٦٧٩) .

(٢) مدينة قديمة في مصر على الشاطئ الغربي للنيل ، اسمها القديم ليكوبوليس مسقط رأس أفلوطين (المنجد في الأعلام ، ص ٤٧) .

(٣) مدينة بمصر على ساحل البحر المتوسط أنشأها الإسكندر الأكبر ٣٣٢ قم ظلت عاصمة مصر حتى سنة ٦٤١م احتلها الرومان ٣٠ قم اشتهرت بمكتبتها ومنارتها ثم أصبحت مركزا مسيحيا ، وقاعدة المدرسة اللاهوت من ملافنتها كلمينت وأوريجنس وأثناسيوس، فتحها عمرو بن العاص ٦٤١هـ ونقل العاصمة إلى الفسطاط (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٥٢) .

(٤) أسقف نيقوميدية ، كان صديقا للإمبراطور قسطنطين ، هو الذى شجع الميليتيون أتباع (ميليتوس) في مصر ضد أثناسيوس كان هو وآريوس من تلاميذ مدرسة لوسيان بأنطاكية ، مات سنة ٣٤٢م ، (أثناسيوس الرسولى ، الأب متى المسكين ، ص ٣٦)

(٥) انظر : أثناسيوس الرسولى ، الآب متى المسكين ، ص ٥٧

(٦) مدينة في جنوب لبنان ميناء على البحر المتوسط أسسها الفينيقيون الألف ٣ قم . فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٨م (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١١٣٥) .

(٧) انظر : أثناسيوس الرسولى ، الآب متى المسكين ، ص ٧٠

(٨) مدينة تريفس أو ترير هي على حدود ألمانيا الجنوبية وفرنسا ، وقد صارت من أهم مراكز انتشار الرهبنة المصرية في الغرب بعد نفى أثناسيوس سنة ٣٤٠م (المنجد في الأعلام ، ص ١٨٦) .

(٩) قسم قسطنطين مملكته وهو حي على أولاده الثلاثة ، وترك لهم وصية مكتوبة بذلك وسلمها للسيد يوسابيوس النيقوميدى الذى عمده في فراش موته ، وأوصاه أن لا يسلمها ليد أخرى سوى ابنه قسطنتيوس ، وهم =١= قسطنطين الابن الأكبر ودعى بقسطنطين الثاني (٣٠٦ — ٣٦١م) تولى أقاليم الغال (فرنسا الآن وبلجيكا ولمباروبا وسردينيا) وبريطانيا وأسبانيا وجزء من أفريقيا ، =٢= قسطنتيوس ٢ (٣١٧ — ٣٦١م) وتولى الإمبراطورية الشرقية وهي الجزء =

وافق على طلبهم بتعيين " غرينوريوس "، أسقفا على الكرسي الإسكندري، بدلا من " أثناسيوس"، في عام ٣٤٠م. ثم عقد في أنطاكية مجمع حضره ٩٧ أسقفا في عام ٣٤٠م سنوا مجموعة من القوانين تتفق والآريوسية (١). وفي عام ٣٥٧م عقد الآريوسيون مجمعا في مدينة " سرميوم " في جنوب فرنسا برئاسة الأسقفين الغربيين هما : أورساكيوس "Ursacius of Belgrad" و " فالانس Valance of Mursa "، وحضره الإمبراطور " قسطنتيوس " بنفسه. وقد وضع ذلك المجمع صورة إيمانية جديدة أنكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر (٢). وفي عام ٣٥٩م عقد الإمبراطور مجمعين أولهما في مدينة " أريمينم Ariminum "، وخصه بالغربيين. والثاني في مدينة " سلوقية "، حضره من أساقفة مصر الآريوسيين عشرة. وقد خص الإمبراطور هذا المجمع بالشرقيين. فأيد كلاهما الآريوسية كل التأييد. وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها آريوسية. وقد غير مجمع أريمينمي صيغة مجمع نيقية، وأعلن لواء الآريوسية في العالم المسيحي كله (٣). وفي عام ٣٦١م قام الآريوسيون بعقد مجمع في أنطاكية، ووضعوا فيه صيغة إيمان جديدة، بأن الابن غريب عن أبيه، مختلف عنه في الجوهر والمشيئة. وقام الآريوسيون بنشرها في أنحاء العالم (٤).

إذن كانت عقيدة التوحيد التي حمل لواءها الآريوسيون هي عقيدة الغالبية العظمى من المسيحيين إطلاقا، سواء شيوخ الكنائس أو عامة الشعب، وسواء من قبل أن تعلن المسيحية

---

* الأكبر من العالم آنئذ. وهو أكثر أبنائه قدرة وموهبة. وحد الإمبراطورية بعد موت أخيه قسطانيس ٣٥٠م أيد الآريوسيين، وأرسل منهم وفدا إلى جنوبي الجزيرة العربية عدن وحمير ٣٥٦م. = ٣ = قسطانيس، تولى أقاليم الليركم وإيطاليا وبقية أفريقيا نازعه الحكم أخوه قسطنطين الثاني سنة ٣٤٠م لكنه تغلب عليه في معركة أكويلا وقتله، وهو مدافع عن العقيدة الكاتوليكية ضد الآريوسيين. (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٧٩ - ١٣٨٠).

(١) أثناسيوس الرسولي، ص ١٠٨

(٢) نفس المرجع، ص ٥٤

(٣) نفس المرجع، ص ٢٧٠ - ٢٧٧

(٤) للتوسع في معرفة الآريوسيين اقرأ : أثناسيوس الرسولي، للأب متى المسكين، ص ٣٧٥ - ٣٩٤.

دينا للدولة في عهد " قسطنطين "، أو من بعد ما أعلنت. وما أن جاء منتصف القرن الرابع الميلادي كانت الآريوسية عقيدة العالم المسيحي شرقه وغربه. حتى يقول القديس " جيروم "(١) عن انتشار الآريوسيين : كان العالم كله يئن ويتوجع ويتعجب كيف ولماذا وجد نفسه قد صار كله آريوسيا "(٢).

٤ — فرقة " مقدونيوس "(٣) فقد أنكرت هذه الفرقة أن يكون الروح القدس إلهاً. وقاومت دعوة ألوهيته. يقول " ابن حزم " وكان منهم أصحاب " مقدونيوس "، وكان بطريقا في القسطنطينية ..... وكان من قول " مقدونيوس " هذا التوحيد المجرد، وإن عيسى عليه السلام عبد مخلوق إنسان نبي رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام، وإن عيسى هو روح القدس وكلمة الله، وإن روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك "(٤). فهذه الفرقة من الموحدين الذين يتابعون في عقيدتهم " آريوس ". ويقول " ابن البطريق " : وفي عشر سنين في ملكه (قسطنطين بن قسطنطين) صير " مقدونيوس " بطريقا على القسطنطينية. وكان يقول إن روح القدس مخلوقة. وأقام عشر سنين ومات "(٥). ولكن مقالته لم تمت بموته، بل كان له أشياع وأتباع من الموحدين الذين لم يزولوا من المملكة الرومانية، وأن أصبحوا في الجملة لا سلطان لهم. لأجل ذلك انعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م برئاسة بطريرك الإسكندرية " شيموثاوس "(٦) فاتفق المجتمعون على لعن " مقدونيوس " وأتباعه.

٥ — ثم ظهرت فرقة " النسطوريين "(٧) أتباع " نسطور "، وقد كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨م (وليس في أيام المأمون كما زعمه الشهرستاني)(٨) ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين، فهم ينكرون ألوهية المسيح. جاء في تاريخ الأمة القبطية عن نحلته ما نصه :

---

(١) القديس جيروم إيرونيموس (٣٤٧ — ٤١٩م) من آباء الكنيسة ولد في دلماتيا تنسك في شمالي سورية ثم في بيت لحم، مؤرخ ومفسر للأسفار المقدسة، وقد ترجمها بكاملها إلى اللاتينية فأصبحت النص المعتمد عليه في الكنيسة الغربية، عيده ٣٠ سبتمبر. (المنجد في الأعلام، ص ١٠٠ والموسوعة العربية الميسرة، ص ٢٨٣).

(٢) أثناسيوس الرسولي ، ص ٢٨٠

(٣) بطريرك القسطنطينية (٣٥١ — ٣٦٠م) تعصب للآريوسيين، أنكر لاهوت الروح القدس (المنجد في الأعلام، ص ٦٧٩).

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج ١، ص ١١٠

(٥) محاضرات في النصرانية ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ص ١٨٤

(٦) راجع : أثناسيوس الرسولي ، الأب متى المسكين ، ص ٢٦٠

(٧) نسطوريوس (٣١٠ — ٤٥١م) ولد في قيصرية سورية بطريرك القسطنطينية ٤٢٨م لعنه مجمع أفسس ٤٣١م (المنجد في الأعلام، ص ٧٠٨).

(٨) انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني، ج١، ص ٢٢٤ .

إن " نسطور "، ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلٰها في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله. فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرا إدّا (١). فكان " نسطور " لا يعتقد بألوهية المسيح وإن كان يعتقد أنه فوق الناس. وعقد المجمع لأجل محاكمته في أفسس (٢) سنة ٤٣١م، فقرر المجتمعون بإبعاد " نسطور " عن منصبه ونفي إلى مصر، حيث مات في أخميم (٣). واتفقوا على لعنه ولعن أتباعه. لكن النسطوريين الذين جاؤا من بعده قد انحرفوا عن مبادئ زعيمهم، إذ يقولون بامتزاج اللاهوت في الناسوت كما يقول غيرهم (٤).

وكان الإمبراطور " قسطنتيوس " أرسل وفدا من الآريوسيين إلى جنوبي الجزيرة العربية، فانتشرت عقيدة التوحيد في نجران (٥) وعدن (٦) وحمير (٧). جاء في كتاب الاكتفاء (٨) ما نصه: كان بنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له " عبد الله التامر "، وإن استقامة أهل نجران على أصل دين المسيح كانت قائمة فيهم حتى عصر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى ذكرهم القرآن (٩):

((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

---

(١) عن: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص ١٦٠

(٢) Epheses من مدن تركيا مدينة قديمة على بحر إيجه، كانت مركزا تجاريا هاما منذ القرن ٨ قم أقام فيها يوحنا الإنجيلي، ووجه إليها بولس إحدى رسائله (المنجد في الأعلام، ص ٥٤).

(٣) مدينة في مصر على الشاطئ الشرقي للنيل (محافظة سوهاج) اشتهرت في العصر المسيحي بأديرتها الكبيرة. (المنجد في الأعلام، ص ٢٨)

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١١١، وانظر: محاضرات في النصرانية، ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٥) مدينة في شمال اليمن على حدود عسير، ازدهرت المسيحية في عهد يوستينيا فس كانت مسرحا لاضطهادات عنيفة، واشتهرت بشهدائها هم مسيحيو بني الحارث بن كعب، أكرههم ذو نواس ملك حمير على اعتناق اليهودية فأبوا فحرقهم مع ملكهم الحارث في أخدود النار ٥٢٣م (المنجد في الأعلام، ص ٧٠٦ - ٧٠٧)

(٦) عرفت قديما بـ " أدانا "، مدينة ومرفأ في الجزيرة العربية قرب باب المندب، عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (المنجد في الأعلام، ص ٤٥٧).

(٧) حمير شعب قديم في بلاد اليمن، وريث الحضارة السبائية المعينية، ذكرته الآداب اللاتينية، دخلت اليمن المسيحية في عهد قسطنتيوس على يد تيوفيلس الهندي الآريوسي (المنجد في الأعلام، ص ٢٦٠)

(٨) نقلا عن كتاب: خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، للشيخ محمد أبو زهرة، ج ١، ص ٤٤، دار الفكر العربي مصر ١٩٧٩م.

(٩) المائدة: ٨٢ - ٨٥.

فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ›› • (١)

وقالوا فى أخبار نجران إنه مع مكانة " عبد الله ›› كان رجل صالح من نصارى الشام ممن فرّ بدينه هاربا من أرض الرومان ، لأنه رأى أن الرومان وجهوا المسيحية وجهة وثنية ، وانحرفوا بها عن التوحيد ، اسمه " فيميون ›› كان رجلا زاهدا صالحا عاملا لا يأكل إلا من كسب يده • وأخذ يدعو أهل نجران إلى عبادة الله وحده فأتبعه الكثيرون • وبذلك دخلت نجران فى دين " فيميون ›› فحملهم على الشريعة الحقة من دين عيسى عليه السلام • (٢) وكان أهل نجران أخلصوا فى المسيحية وقبلوا فى سبيلها العذاب الشديد ، ورضوا به عن أن يغيروا دينهم غير مطمئنين إلى عقيدة سواها ، وابتلوا فى ذلك بلاء حسنا وصبروا • وهؤلاء هم الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم ((وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ، قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)) (٣) (٤) • فنرى أن الذين عذبوا ذلك العذاب سماهم القرآن الكريم مؤمنين مما يدل على سلامة اعتقادهم وحسن إيمانهم ، وأنهم يؤمنون بالعزيز الحميد ، لا يؤمنون بشيئ سواه • فلا تثليث ولا شريك ، فهم الموحدون •

فالخلاصة إذن :

أن الديانة الأصلية التى جاء بها المسيح كانت عقيدة التوحيد الكامل ، عقيدة الوحدانية الخالصة • أما غيرها فهو شيئ لاحق ، خارج عن دينه الذى بعثه الله لأجله ، أدخل عليها والتصق بها حتى صار هو الصورة التقليدية التى تعرف به • لأن التوحيد هو أساس الفطرة التى جعلت عليها المخلوقات • قال تعالى :

---

(١) قال قتادة : هم قوم كانوا على دين عيسى ابن مريم فلما رأوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعثموا ، واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت فى صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها • (انظر تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٨٥) وقال السهيلى : هم وفد نجران وكانوا نصارى ، فلما سمعوا القرآن من النبى بكوا مما عرفوا من الحق ، وآمنوا وكانوا عشرين رجلا وكان قدومهم عليه بمكة ، وأما الذين قدموا عليه بالمدينة من النصارى من عند النجاشى فهم آخرون ، وفيهم نزل صدر سورة آل عمران ، منهم حارث بن علقمة وأخوه كرز وأسلم ، ولم يسلم حارث ، ومنهم العاقب بن عبد المسيح وفيهم نزلت (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) انظر : مختصر ابن كثير ، ج ١ ، هامش ص ٥٤٠ • وفى ، ظلال القرآن ، قال مقاتل والكلبى : كانوا أربعين رجلا من أهل نجران من بنى الحرث بن كعب ، واثنين وثلاثين من الحبشة ، وثمانية وستين من أهل الشام • (انظر ، فى ظلال القرآن ، ج ٢ ص ٩٦٥) •

(٢) الشيخ أبو زهرة ، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، ج ١ ، ص ٤٥ •

(٣) البروج : ١ — ٨

(٤) يقول الرازى فى تفسير هذه الآية إنه وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم =

((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))(١) وقال تعالى : ((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ))(٢) • وقال تعالى :

((لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً))(٣) • فدين عيسى هو دين الله الحق الذى حمله الرسل أجمعون ، وإن الاختلاف الذى كان فيه عبر العصور هو بسبب البغى والعدوان على الدين ، وتحريفه من قبل القائمين عليه بما يوافق مصالحهم للوصول إلى الرياسة وحظوظ الدنيا •

يقول الله تعالى : . . . وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ))(٤) •

لهذا أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بدعوة اليهود والنصارى جميعا إلى الوحدانية الخالصة ، " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "(٥) •

* المسئولية الفردية *

خلق الله الإنسان بطبيعة خاصة • ذلك أنه جعله فى بعض جوانب حياته خاضعا لسنن الكون لا يستطيع الخروج عنها ، فهو كالمعادن والجمادات • ولكنه من جهة أخرى خلق له قدرة وإرادة حرة مختارة ، تختار ما تريد من الأفعال والتصرفات ، دون إكراه ولا إجبار • فسهل له السبيل إلى ما يختار أيا كان اختياره ، فلا يحمله عليه كرها ولا يجبره ، يقول تعالى :

((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ))(٦) ويقول أيضا : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ))(٧) وأيضا : ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا))(٨) •

= فأجابوه فصار إليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الأخاديد ، وقيل سبعين ألفا • وعن النبي أنه إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء (انظر : تفسير الرازى ج ٣١ ، ص ١١٨ ، وانظر : فتح القدير للشوكانى ج ٥ ، ص ٤١٦ — ٤١٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٤٩٢ — ٤٩٤ ، وروى مسلم عن صهيب تفاصيل قصة أصحاب الأخدود • فى حديث طويل فى "كتاب الزهد " باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ، ص ١٣٠ — ١٣٣ •)

(١) الروم ٣٠ (٢) آل عمران ٧٩ (٣) النساء ١٧٢
(٤) آل عمران ١٩ (٥) آل عمران ٦٤ (٦) الليل ٥ — ١٠
(٧) يونس ٩ (٨) العنكبوت ٦٩

وأمثال هذه الآيات كثيرة جدا فى القرآن الكريم، وكلها يلاحظ فيها أن العبد هو الذى يبدأ باختيار السبيل الأقوم، فتكون حينئذ هداية الله بفتح باب الخير له، وتيسير سبله ووسائله. أو باختيار طريق الشر ويتبع ذلك الإضلال من الله لمن بادر بالضلال واختاره لنفسه. وفى مقابل الحرية التى أعطاها الله للإنسان، وفى حدود القدرة التى منحه إياها، جعله مكلّفا ومسئولا (١). فلا يكفى ليكون الإنسان مؤمنا حقيقيا أن يؤمن إيمانا عميقا بالحقائق المنزلة فحسب، وإنما يجب أيضا أن يكرس حياته فى خدمة هذه العقيدة. يقول الله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)) (٢) وأيضا: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٣).

ويقول أيضا: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (٤). أراد الله بهذه الآية، أن حال الملل كلها يرجع إلى شيئ واحد. وهو أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، استحق ماذكره الله من الأجر، ومن فاته ذلك فاته الخير كله (٥). لأن تلك الأمور الثلاثة هي أركان الدين الأساسية التى بعث الله تعالى بها جميع رسله، وناط بها سعادة البشر. فالدين الحق هو عقيدة وقانون أى اعتقاد وطاعة (٦). وإذا كان دين جميع الأنبياء والرسل واحدا، فالمطلوب من العبد واحد. ألا وهو تحمل الفرد المسئولية الكاملة، مسئولية مباشرة لقاء أعماله فى الحياة الأخرى أمام الله. وهي مسئولية عظمى تتعلق بمصير الإنسان النهائى. وإن الذى يحكم بها هو خالق الكون والحياة وهو الله وحده (٧). وإذا كان القرآن قد تحدث كثيرا عن الحياة الآخرة فالحقيقة التى تتكرر دائما فى كل موضوع تذكر فيه الحياة الآخرة،

---

(١) انظر: نظام الإسلام العقيدة والعبادة، الأستاذ محمد المبارك، ص ٧٣ وما بعدها، دار الفكر بيروت ط الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨٨م، قارن: دستور الأخلاق فى القرآن، د. محمد عبد الله دراز، ص ١٤٨ — ١٥٠ تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مراجعة، د. السيد محمد بدوى دار البحوث الكويت ط الأولى ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٢) الحجرات ١٥

(٣) الحج ٧٧ (٤) البقرة ٦٢

(٥) فتح القدير، جـ ١، ص ٩٣، وفيه أخرج ابن أبى حاتم عن سلمان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت الآية.

(٦) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز، ص ٨٨ دار القلم الكويت ط الثانية ١٩٧٨م.

(٧) انظر: روح الإسلام، سيد أمير على، تعريب عمر الديراوى، ص ٢٢٦ دار العلم للملايين بيروت ط الأولى ١٩٦١م

ويلح القرآن ويؤكد في الدعوة إلى الإيمان بها ، ويكرر التذكير بها ، هي مسئولية الإنسان عن أعماله في الحياة الأولى . حتى إنه ليبدو أنها هي المقصود الأساسي من ذكر الآخرة وما فيها من بعث وحساب ثم ثواب أو عقاب . يقول الله تعالى : ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا))(١) . ويقول أيضا : ((وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا))(٢) ، وأيضا : ((يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))(٣) وأيضا .... وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))(٤) وأيضا : ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى))(٥) ، ((مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))(٦) ، ((وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا))(٧) ((وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا))(٨) ، ((وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ))(٩) . وأمثال هذه الآيات كثيرة جدا .

اتفاق الأديان على مبدأ المسئولية الفردية .

هذا المبدأ (المسئولية الفردية) من الأمور التي تتفق فيها الأديان كلها . يقول العقاد : وللديانة الإنسانية مناط واحد ، هو ضمير كل فرد من أفرادها . فما لم يكن لهذا الضمير حساب وعليه تبعة فلا ديانة لإنسان ولا لجملة الناس . وفكرة التبعة الفردية ، والمسئولية الفردية ، بسيطة سهلة الفهم ، تتجدد الحاجة إلى تطبيقها كل يوم في كل بيئة اجتماعية . فلو كانت الفكرة تروج بمقدار بساطتها وسهولة فهمها وتجدد الحاجة إلى تطبيقها ، لما خلا المجتمع الإنساني قط من مبدأ المسئولية الفردية ، منذ أوائل عهد الإنسان بالاجتماع ،،(١١) . وفي كتاب " الرسل والرسالات ،،(١٢) أن من الأمور التي تتفق الشرائع السماوية فيما بينها تقرير القواعد العامة ، التي لابد أن تعيها البشرية في مختلف العصور ، كقاعدة الثواب والعقاب ،

---

(١) نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ص ١٣٦

(٢) آل عمران ٣٠ (٣) الإسراء ١٣ — ١٤ (٤) الزلزلة ٦ — ٨

(٥) الأنعام ١٦٤ (٦) الفاطر ١٨ (٧) الإسراء ١٥

(٨) مريم ٨٠ (٩) مريم ٩٥ (١٠) الأنعام ٩٤

(١١) انظر : موسوعة العقاد الإسلامية ، ج ١ توحيد وأنبياء ، ص ٨٥٠

(١٢) الرسل والرسالات ، د . عمر سليمان الأشقر ، ص ٢٤٧ ، مكتبة الفلاح الكويت ط الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

وهي أن الإنسان يحاسب بعمله . فيعاقب بذنوبه وأوزاره ، ولا يؤاخذ بجريرة غيره ، ويثاب بسعيه وليس له سعي غيره ، قال تعالى : أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى » (١) ، فكل فرد مسئول عن عمله وسيحاسب عما أتت يداه . ولا يؤاخذ الولد بخطيئة الوالد ، ولا يعاقب أحد على ذنب ارتكبه آخر . وهذا هو أصل دين الله لجميع رسله . وقد يدخل في عموم عمله ما يكون سببا له ، كالذي يعمله ولده أو تلميذه بتأثير تربيته وتعليمه ، وما يسنه من سنة حسنة أو سيئة ، فله مثل جزاء من يعمل بهما من بعده (٢) . أما الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ أكل من الشجرة في الجنة ، فلا يرثها أبناؤه . نعم لقد عصى آدم ربه ، ونزل منها بسبب معصيته ، لكنه قد تاب ومحا الله بتوبته آثارها . يقول تعالى . . . وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)) (٣) . والآن لنقرأ الكتاب المقدس ، فمما ورد في العهد القديم عن هذا المبدأ ، أن الابن لا يحمل شيئا من إثم أبيه ، بل يجني كل ثمار عمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر . " النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » (٤) وفي التوراة : لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يُقتل » (٥) ، واضح من هذين النصين من العهد القديم ، أن مسئولية الإنسان فردية وشخصية بينه وبين الله . فلا يسأل عن خطأ غيره ، ولا يتحمل خطيئة أبيه وجده ، أو ابنه وأخيه . ثم جاء عيسى عليه السلام مرسلا بني إسرئيل ليكمل شريعة موسى عليه السلام ، فحفظها واحترمها وقدسها ، بحيث من الأهون عليه أن تزول السماء والأرض ولا يزول حرف أو كلمة من الناموس الإلهي . وأوصى إلى بني إسرائيل بحفظها واتباعها فيقول : على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه » (٦) . يفهم من تلك النصوص أن رسالة المسيح هي نفس

---

(١) النجم ٣٦ ـ ٤١

(٢) انظر : الوحي المحمدي ، الشيخ محمد رشيد رضا ، ص ١٧٧ ، المكتب الإسلامي بيروت ط الثامنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

(٣) طه : ١٢١ ـ ١٢٢

(٤) حزقيال ١٨ : ٢٠

(٥) تثنية ٢٤ : ١٦

(٦) متى ٢٣ : ٢ ـ ٣ .

رسالة موسى والأنبياء السابقين له، وفيها تقرير مبدأ المسئولية الفردية. فلاخلاص لإنسان إلا بالإيمان بالله وحده والعمل الصالح. يقول الشيخ "أبو زهرة": لقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على أساس أنه لاتوسط بين الخالق والمخلوق، ولاتوسط بين العابد والمعبود، فكل مسيحي يتصل بالله في عباده بنفسه، من غير حاجة إلى توسط. وليس شخص مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه وسيطا بين العبد والرب" (١) أما مااعتراها بعد رفعه من الفداء والكفارة بالصلب وسفك الدم، فالمسيح برئ منه. والشاهد على ذلك من نصوص العهد الجديد كثير جداً. منها قول المسيح: فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (٢).

وفي إنجيل "متى": إذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعوني صالحا، ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله. لكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له أية الوصايا. فقال يسوع لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك. فقال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتي، فماذا يعوزني بعد. قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني" (٣) وأيضا ذكر في إنجيل "متى" أن النجاة في يوم الدينونة إنما هي تكون بالعمل الصالح بعيدا عن الصلب وفلسفاته. فهناك: ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني .... بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم. ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني .... بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (٤) هكذا يدان الناس، أهل البر والعمل الصالح إلى حياة أبدية، وأهل الشر والبخل إلى عذاب أبدي، فلا كفارة ولا فداء في إنقاذ أهل الشر أو إهلاك أهل البر. ويقول المسيح أيضا: فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، ص ١٥، وانظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ص ٩٩. وانظر: المسيحية، أحمد شلبي، ص ٦٣.

(٢) يوحنا ٥: ٢٨ — ٢٩ (٣) متى ١٩: ١٦ — ٢١

(٤) متى ٢٥: ٣٤ — ٤٦.

عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان "(١) . وفي إنجيل متى ضرب المسيح مثلا للمؤمنين العاملين وغير العاملين، إذ يقول : وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله، فأعطى واحدا خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة، كل واحد على قدر طاقته، وسافر للوقت. فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح خمس وزنات أخر. وهكذا الذى أخذ الوزنتين ربح أيضا وزنتين أخريين . وأما الذى أخذ الوزنة فمضى وحفر فى الأرض وأخفى فضة سيده. وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم. فجاء الذى أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلا: ياسيد خمس وزنات سلمتنى، هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها . فقال له سيده نعمّا أيها العبد الصالح والأمين، كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك . ثم جاء الذى أخذ الوزنتين وقال يا سيد وزنتين سلمتنى هوذا وزنتان أخريان ربحتها فوقها . قال له سيده نعمّا أيها العبد الصالح الأمين، كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك .ثم جاء أيضا الذى أخذ الوزنة الواحدة وقال يا سيد عرفت أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض، هوذا الذى لك . فأجاب سيده ...... اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان "(٢) . فهذا إعلان من المسيح بأن لا نجاة ولا خلاص لإنسان إلا من ثمرات عمله وسلوكه، ولا علاقة فيه بالصلب ولا بسفك الدم على الإطلاق . لقد تصفحنا الأناجيل كثيرا، وقرأنا ما نسب إلى المسيح من أقواله وتعاليمه فنجد فيها أن فكرة الخلاص لا تذهب إلى تقرير امتيازات لطائفة من الخلق لمجرد أنهم يؤمنون بالمسيح، بل لابد من العمل بتعاليمه كي يتحقق لهم الخلاص. وهذا واضح جدا فى أقواله عليه السلام : ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط، اذهبوا عنى يافاعلى الإثم . فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الريح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسسا على الصخر . وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الريح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما "(٣) .

---

(١) متى ١٨ : ٨ — ٩ .

(٢) متى ٢٥ : ١٤ — ٣٠ .

(٣) متى ٧ : ٢١ — ٢٧ .

وأيضا : قال له واحد ياسيد أقليل هم الذين يخلصون . فقال لهم اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق ، فإني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون ، من بعد مايكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون الباب ، قائلين يارب يارب افتح لنا ، يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . حينئذ تبتدئون تقولون أكلنا قدامك وشربنا وعلمت فى شوارعنا . فيقول أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم ، تباعدوا عنى ياجميع فاعلى الظلم . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجا "(١) . وقد رفض المسيح أن يجيب أم تلميذين (يعقوب ويوحنا ابنى زبدى) بأن يجلس ابناها عن يمينه ويساره فى ملكوته فيقول : وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أُعِدَّ لهم من أبى "(٢) .

والآن لننتقل إلى إحدى رسائل الرسل ، وهي رسالة يعقوب . فمن الحقائق البارزة أن هذه الرسالة تسقط كل ما يتعلق بالصلب والقيامة ، بل إنها لتقر بوضوح طريق الخلاص والديانة الحقة . فتقول إنه إيمان بالله وعمل صالح ، كما سنرى فيما بعد . وبخصوص هذه الرسالة (رسالة يعقوب) يقول " أ.م. هودجكن " فى كتابه " المسيح فى جميع الكتب " إن هذه الرسالة الرائعة قد تكون أسبق أسفار العهد الجديد إلى الوجود . وهي موجهة إلى أسباط إسرائيل الاثنى عشر . ويظهر للمطالع تناقض بين هذه الرسالة وبين أقوال " بولس " الرسول من حيث الإيمان والأعمال وأيهما يبرر صاحبه "(٣) . ويقول الدكتور " أحمد شلبى " عن هذه الرسالة بأنها طراز وحدها . وعجيب أن أفلتت من التدمير واستطاعت أن تأخذ مكانها فى العهد الجديد . إذ ليس فيها حديث عن ألوهية المسيح ولا عن أنه نزل ليقدم نفسه فداء لخطيئة البشر ، ولا أنه قام من الأموات ، وجلس على يمين أبيه ، بل هي عظة هادئة وأمثال سهلة التناول دون صناعة أو زخرفة أو ثورة . تلك هي رسالة فريدة بين رسائل الرسل وأناجيل العهد الجديد ، وربما كان فى أصولها الأولى معارضة واضحة لآراء بولس "(٤) . يقول " يعقوب " : كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم ، لأنه إن كان أحد سامعا للكلمة وليس

---

(١) لوقا ١٣ : ٢٣ — ٢٨

(٢) متى ٢٠ : ٢٣ ، وانظر مرقس ١٠ : ٤٠ مع الفرق فى مرقس أن التلميذين جاءا بدون أمهما إلى يسوع وطلبا منه ذلك بأنفسهما .

(٣) المسيح فى جميع الكتب ، أ.م. هودجكن ، ص ٤١٦ دار منشورات النفير بيروت ط الثالثة ١٩٨٠ م .

(٤) انظر : المسيحية ، ص ١٢١ .

عاملا ، فذاك يشبه رجلا ناظرا وجه خلقته فى مرآة ، فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت نسي ما هو . ولكن من اطلع على الناموس الكامل ، ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة ، فهذا يكون مغبوطا فى عمله . إن كان أحد فيكم يظن أنه دين وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه ، فديانة هذا باطلة . الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه ، افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم »(١) . ويقول أيضا : ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال . هل يقدر الإيمان أن يخلصه . إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى ، فقال لهما أحدكم امضيا بسلام ، استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوها حاجات الجسد فما المنفعة . هكذا الإيمان أيضا إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته . لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال ، أرنى إيمانك بدون أعمالك ، وأنا أريك بأعمالى إيمانى . أنت تؤمن بأن الله واحد حسنا تفعل ، والشياطين يؤمنون ويقشعرون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح . فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان . وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فَحُسِب له برا ودعى خليل الله . ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده . كذلك راحاب الزانية أيضا أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر . لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت »(٢) . فالدينونة التى تحدد المصير الأبدى لإنسان تقوم على ركيزتين ، هما إيمان بالله الواحد يصحبه عمل صالح وبدونهما لا فائدة ترجى . ويقول " يعقوب " أيضا : لا يذم بعضكم بعضا أيها الإخوة . الذى يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس . وإن كنت تدين الناموس فلست عاملا بالناموس بل ديانا له . واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك . فمن أنت يا من تدين غيرك »(٣) . بناء على ما مر أن دعوة المسيح تخلو من فكرة الفداء والتكفير والوساطة بين العبد وربه . فكل امرئ مسئول عن عمله ، وأن الخطيئة لا يحمل وزرها غير مقترفها . ثم الدين الحق هو الإيمان بالله الواحد الذى يثمر العمل الصالح ، ولا شيئ غير هذا . فتلك هي عقيدة الحق وعقيدة النجاة ، سواء قبل المسيح أو بعده . وبها يكون المسيح عليه

---

(١) يعقوب ١ : ٢٢ — ٢٧ (٢) يعقوب ٢ : ١٤ — ٢٦

(٣) يعقوب ٤ : ١١ — ١٢ .

السلام مصدقا للأنبياء السابقين لا مكذبا لهم . بهذا المبدأ استقام سلوك الإنسان ، واستقلت شخصيته استقلالا تاما ، ولم يعد الإنسان غير مبال فى أمر الخطيئة ، وأصبح الخير مرجوا منه .

أما عقيدة الصلب والفداء — وهي الأساس الثانى بعد عقيدة التثليث — التى تقوم عليها الديانة المسيحية ، فالمسيح عليه السلام برئ منها . وهي عقيدة بولسية . فإن " بولس ،، هو مبتدع هذه الفكرة ، ويؤكدها دائما فى رسائله ، إذ يقول : الذى أُسلِمَ من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا،، (١) " إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب،، (٢) " الذى بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا ،، (٣) " صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ،، (٤) " مسامحا لكم بجميع الخطايا ،، (٥) . وكذلك نجدها فى رسائل " بطرس ،، إذ يقول : الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر ،، (٦) " إن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكي يقربنا إلى الله ،، (٧) وأيضا نجدها فى رسائل " يوحنا ،، " يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم ،، (٨) " فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا العالم أيضا ،، (٩) " أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه ،، (١٠) وفى أعمال الرسل : قال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ،، (١١) وأيضا " له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا ،، (١٢) . هذه الفكرة معناها أن الإنسان مسئول عن أعمال غيره ، وغيره مسئول عن أعماله . وهذا تضييع المسئولية الفردية التى يحس بها الإنسان أنه مسئول عن أعماله فقط صغيرها وكبيرها ، وليس مسئولا عن عمل غيره بتاتا . ويترتب على هذه الفكرة أمر خطير وهو ، أنه مادام غيره مسئولا عن ذنوبه ، فإنه لا يبالى بالذنوب ، فيصبح إباحيا فاتكا ليس للفضيلة فى نفسه نصيب . وعندئذ تمتلئ الأرض بالذنوب والخطايا . وسنعود إلى الكلام عن عقيدة الصلب من أجل الفداء مع الرد عليها فى الباب الثالث إن شاء الله . فصدق الله القائل فى كتابه الكريم :

---

(١) رومية ٤ : ٢٥ — (٢) ١ كورنثوس ١٥ : ٣ — (٣) غلاطية ١ : ٤
(٤) العبرانيين ١ : ٣ — (٥) كولوسى ٢ : ١٣ — (٦) ١ بطرس ٢ : ٣
(٧) ١ بطرس ٣ : ١٨ — (٨) ١ يوحنا ١ : ٩ — (٩) ١ يوحنا ٢ : ١ — ٢
(١٠) ١ يوحنا ٢ : ١٢ — (١١) أعمال الرسل ٢ : ٣٨ — (١٢) أعمال الرسل ١٠ : ٤٣

((لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا))(١) وقال أيضا : ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))(٢) .

* الشريعة *

إن الدين الحق المنزل من عند الله تعالى كان دائما " عقيدة وشريعة " عقيدة التوحيد بالله الثابتة، لا تغيير ولا تبديل ، (وقد ذكرت سابقا بأن الرسل كلهم جاؤا بالتوحيد وهو عقيدة الحق) وشريعة تنظم حياة الناس في الأرض في إطار أوامر الله ونواهيه ، فهي قد تغيرت بحسب الظروف الملائمة لأحوال الأقوام الذين أرسل المرسلون إليهم . وتترابط العقيدة والشريعة لتؤلف منهجا متكاملا يهيمن على حياة الناس كلها من غير تناقض ولا تعارض. ومن تكريم الله الإنسان أن جعل التشريع الديني حقا من حقوقه وحده، وإنما الرسل والأنبياء مبلغون عنه(٣) . إذ قال تعالى ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا))(٤) . وإن من أهمية رسالاتهم التعريف بحقائق الدين وأحكام الشريعة ليقوم الناس بالعدل . قال تعالى ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ))(٥) . لذا أمر الله تعالى أتباع كل رسول بطاعة رسولهم ، وجعل طاعتهم للرسول جزءا من طاعته تعالى . قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ "(٦) وينص القرآن الكريم على أن الله جعل

---

(١) النساء ١٢٣ ـ ١٢٤ (٢) البقرة ١٧٧

(٣) للتوسع في تلازم العقيدة والشريعة في كل دين اقرأ : مذاهب فكرية معاصرة ، لأستاذي الفاضل محمد قطب ، ص ١٣ ـ ٣٠ والوحي المحمدي ، للشيخ رشيد رضا، ص ١٩٩ ومابعدها .

(٤) الأحزاب ٣٩ (٥) الحديد ٢٥

(٦) النساء ٦٤

لكل أمة شريعة . قال تعالى ... ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (١)، يقول الإمام " الطبرى "، في تفسير هذه الآية : معنى الكلام لكل قوم جعلنا طريقا إلى الحق يؤمه وسبيلا واضحا يعمل به " (٢) وقال "الإمام القرطبى "، ومعنى الآية أنه جعل التوراة لأهلها والإنجيل لأهله . وهذا فى الشرائع والعبادات ، والأصل التوحيد لا اختلاف فيه " (٤) . فالشرائع تختلف باختلاف زمان الأمم ، وتباين تحمل أبدانهم قوة وضعفا ، واستعداد أمزجة نفوسهم قبولا ورفضا . فكان من رحمة الله بعباده أن يبعث لكل قوم رسولا من أنفسهم بلسانهم بشريعة تلائمهم ، إلى أن جاءت خاتمة الشرائع وهي الشريعة الإسلامية . فإنها شريعة عامة كاملة شاملة ناسخة لما قبلها (٥) . إذ قال تعالى ... ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٦) .

وقد جاء عيسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل خاصة ، فوجد قومهم قد انحرفوا عن دينهم وعقيدتهم ، وخالفوا شريعتهم وكتابهم التوراة التى نزلت على نبيهم موسى عليه السلام . وهي شريعة كاملة حافلة بالتشريعات التفصيلية . إذ قال تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٧) وظلت هي شريعة أنبيائهم وقضاتهم الذين جاؤا من بعده . فقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (٨) . فما كان يجوز لهم أن يستمدوا تشريعاتهم من غيره لكن الواقع فى حياتهم مخالف لها وخارج عن شريعتها ، فأرسل الله عيسى عليه السلام إليهم

---

(١) المائدة ٤٨ .

(٢) انظر : جامع البيان فى تفسير القرآن ، للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ج ٦ ، ص ١٧٤ المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر ط الأولى ١٣٢٥ هـ .

(٣) محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجي الأندلسي القرطبى المالكى (أبو عبد الله) توفي ٦٧١ / ١٢٧٣م ، مفسر فقيه توفي بمنية بنى خصيب بمصر (معجم المؤلفين ج٨ ص ٢٣٩) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٦ ، ص ٢١١ دار الكتب المصرية ط الثانية ١٣٥٧هـ ، وانظر : تفسير الرازى ، ج ١٢ ، ص ١٤ .

(٥) للتوسع انظر : خصائص الشريعة الإسلامية ، د . عمر سليمان الأشقر ، ص ٢٥ إلى آخر الكتاب ، مكتبة الفلاح الكويت ط الأولى ١٩٨٢ م .

(٦) المائدة ٣ (٧) الأعراف ١٤٥

(٨) المائدة ٤٤ .

ليصلح ما فسد ويقيم ما انحرف من عقائدهم وأخلاقهم، وليردهم إلى الحق. وهو توحيد الله وعبادته وحده، وتحكيم شريعته وأحكامه، ولينبه قلوبهم وعقولهم للإقبال على الله واتباع كتابه القائم بينهم. قال تعالى :

((وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ، وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ، وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))(١). ولم يكن الإنجيل ناسخا للتوراة وإنما كان يصدقها ويعدل بعض أحكامها. قال تعالى على لسان عيسى : وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ »(٢)، وقال أيضا : وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ »(٣).

فعيسى كان مصدقا ومشرعا(٤). وفي الإنجيل : لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ماجئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلّم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات »(٥) والناظر فيما ورد في القرآن الكريم عن المحرمات على بني إسرائيل يجد أن منها ما حرمه إسرائيل (يعقوب) على نفسه. والسبب في ذلك كما ثبت في الحديث أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه. وكان من أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها(٦). وهذا الذي حرمه إسرائيل على نفسه حرمه الله على بنيه، وحرم في التوراة. قال تعالى :

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ، قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ »(٧) ومنها ما حرم عليهم كعقوبة إلهية على تمردهم وعصيانهم. قال تعالى : فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا »(٨) وقال تعالى : وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ

---

(١) المائدة ٤٦ ـ ٤٧ (٢) آل عمران ٥٠ (٣) الزخرف ٦٣

(٤) انظر : مريم والمسيح، الشيخ محمد متولي الشعراوي، ص ٥٢، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ١٩٨٣ م.

(٥) متى ٥ : ١٧ ـ ١٩

(٦) انظر : تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٨١

(٧) آل عمران ٩٣

(٨) النساء ١٦٠

ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ، ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ،، (١) . فقد حرم الله عليهم كل ذى ظفر وهو البهائم والطير مالم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعام والوز والبط ، وحرم عليهم شحوم البقر والغنم إلا الشحم الذى على ظهور البقر والغنم ، أو ما حملت الحوايا وهو ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار وهى بنات اللبن وهى المباعر وتسمى المرابض أو ما اختلط بعظم (٢) . ثم جاء المسيح ليرفع التحريم بعض المحرمات عليهم . فالجديد فى شريعة الإنجيل ، التخفيف من بعض التشريعات التى لم تنزل شرعا دائما ، وإنما جاء عقوبة مؤقتة لليهود ، مع اشتماله على مواعظ بليغة اقتضاها ما جبل عليه اليهود من غلظة فى القلوب وجفاف الأرواح ، وإغراق مفرط فى عبودية المادة ، وحرص شديد على الحياة الدنيا . يقول الأستاذ الكبير " محمد قطب ،، كانت كل تعاليم المسيح عليه السلام دعوة للتطهير والروحانية . دعوة ترتفع بالإنسان عن نفسه وتصل به إلى الآفاق العليا التى تسمو عن الجسد والمادة . الآفاق الطليقة من قيود الأرض ومن نوازع الشهوات ،، (٣) . إذن قد كانت التوراة مضموما إليها تعديلات الإنجيل ، شريعة يجب أن تطبق ، لينبثق منها كل منهج الحياة . قال تعالى :

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ،، (٤)

قال الأستاذ الشهيد " سيد قطب ،، طيب الله ثراه فى تفسير هذه الآية : لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة واقعة . جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية ، وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها ، ولم يجئ دين من عند الله ليكون مجرد عقيدة فى الضمير ، ولا ليكون كذلك لمجرد شعائر تعبدية تؤدى فى الهيكل والمحراب . فهذه وتلك لا تكفيان وحدهما لقيادة الحياة وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها ، مالم يقم على أساسها منهج ونظام وشريعة تطبق عمليا فى حياة الناس ،، (٥) . هكذا جاءت التوراة تتضمن عقيدة وشريعة ، وكلف أهلها أن يتحاكموا إليها فى كل شئون حياتهم . ثم جاء المسيح أرسله الله إلى بنى إسرائيل مصدقا لشريعة التوراة مع بعض تعديلات خفيفة لرفع بعض الأثقال التى فرضت عليهم . وقد أقرت هذه الشريعة المعدلة

---

(١) الأنعام ١٤٦

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ١٨٥

(٣) انظر : الإنسان بين المادية والإسلام ، الأستاذ محمد قطب ، ص ١١ دار الشروق بيروت ط الرابعة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م

(٤) المائدة : ٤٧

(٥) انظر : فى ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٨٩٥ .

لتكون نظاما للحكم والحياة أيضا ، لا أن يجعلوها مواعظ تهذيبية لا تتجاوز وجدانهم ، ولا شعائر تعبدية يقيمونها في معابدهم » (١) إذن إن عيسى عليه السلام رسول من رسل الله ، أرسله إلى بني إسرائيل خاصة ، وأتاه الله الإنجيل ، وهو مصدق ومطابق للتوراة إلا بعض التعديلات الخفيفة . فكان المسيح يدعو قومه إلى إخلاص العبادة لله وحده ، وتحكيم شريعته المكتوبة في كتابهم ، في شئون حياتهم . قال تعالى : ((وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٢) . وذكر في إنجيل " متّى » أن المسيح قد حدد لنفسه ولتلاميذه مجال عمله ، ودائرة الدعوة التي ينبغي التجول فيها . فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الإسرائيلي فقط . " ثم خرج يسوع من هناك إلى نواحي صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني ياسيد يا ابن داود ، ابنتي مجنونة جدّا فلم يجبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال لم أُرْسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (٣) وأمر تلاميذه بذلك . ففي إنجيل " متّى » هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (٤) . ونجد تلاميذ المسيح وأتباعه قد وجهوا نشاطهم التبشيري خلال ربع القرن بعد رفع المسيح ، إلى الأمة اليهودية فقط . وبعد قتل " إستفانوس » (٥) وتشتت أغلبهم ، استمر التبشير المسيحي منحصرا في اليهودية . ففي أعمال الرسل " أما الذين تشتتوا من جرّاء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى فينيقية (٦) ، وقبرص (٧) ، وأنطاكية وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط » (٨) . وقد خاصم التلاميذ

---

(١) انظر : المستقبل لهذا الدين ، الشهيد سيد قطب ، ص ١٩ — ٢٠ دار الشروق بيروت ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

(٢) آل عمران : ٤٨ — ٤٩ .

(٣) متّى ١٥ : ٢١ — ٢٤ (٤) متّى ١٠ : ٥ — ٦

(٥) أول شهداء المسيحية ، قتله اليهود بالرجم ، وكان بولس راضيا برجمه ، ويحرس ثياب الذين رجموه (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٢) .

(٦) هي البلاد الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من مصب العاصي شمالا حتى رأس الناقورة جنوبا ، أهم مدنها عكا وصور وصيدا (المنجد في الأعلام ، ص ٥٣٨) .

(٧) جزيرة في شرقي البحر المتوسط تقع على مسافة ٤٠ ميلا جنوبي كيليكيا ، بدأ اليهود يستوطنون قبرص بأعداد كبيرة في عصر البطالسة ، أما المسيحيون فقد هجروا إليها إثر استشهاد إستفانوس ، (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧١٣) .

(٨) أعمال الرسل ١١ : ١٩ .

" بطرس ،، لأنه دخل على غير اليهود وتكلم معهم . وفى أعمال الرسل " فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا فى اليهودية أن الأمم أيضا قبلوا كلمة الله . ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان ، قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم ،، (١) وبعد أن أدخل " بولس ،، نفسه عنوة فى زمرة التلاميذ ، اصطحبه برنابا للتبشير بين اليهود." ومن هناك سافرا (برنابا وبولس) فى البحر إلى قبرص. ولما صار فى سلاميس (٢) ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود ،، (٣) .

يقول " شارل جينيبير ،، كانت الجماعة الأولى من المؤمنين بعيسى فى القدس جماعة يهودية صرفة . وكان أعضاء هذه الجماعة لا يفترقون عن اليهود الآخرين الأتقياء إلا فى إيمانهم أن عيسى الناصرى قد شرفه الله فجعل منه مسيحا ، وأنه قد تحققت به الآمال (٤) .... ،، وكان أصحاب عيسى لا يزالون على الإيمان بعيسى وبما قاله ، وعلى اتصال دائم بالمعبد الأكبر واحترام لشعائره ،، (٥) .

* بداية انحراف الشريعة فى المسيحية *

إن تلك الحالة مالبثت أن تغيرت تماما ، وتغير تبعا لذلك مفهوم الدعوة ومسارها ، حين اشتبك " بولس ،، فى صراع مع " بطرس ،، رئيس التلاميذ واتهمه بالنفاق . ومع " برنابا ،، واتهمه بالرياء . يقول : لما أتى " بطرس ،، إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما .... ورأى معه باقى اليهود أيضا حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم ،، (٦) . وذكر " موريس بوكاى ،، خلاصة الدراسات التى قام بها الكاردينال " دانيلو Danielou ،، والتى نشرت بمجلة " دراسات Estuds ،، فى ديسمبر ١٩٦٧م قائلا : كونت مجموعة الحواريين الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها . ومع ذلك فعندما تنضم إليها

---

(١) أعمال الرسل ١١ : ١ — ٣ .
(٢) مدينة على شاطئ جزيرة قبرص الشرقي ، كانت ميناء عظيما عامرا بالسكان ، وكان لليهود مجمع هناك (قاموس الكتاب المقدس ٤٧٥) .
(٣) أعمال الرسل ١٣ : ٤ — ٥ .
(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ، ص ١١٣ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١١٩ .
(٦) غلاطية ٢ : ١١ — ١٣ .

طائفة الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم إن جاز القول نظاما خاصا إذ يحلهم مجمع القدس المسكوني سنة ٤٩م من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية. ورفض كثير من اليهود المسيحيين هذا التنازل، وانفصلت هذه المجموعة تماما عن "بولس"... فالطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت وديانة المعبد، كانت أمورا بالية في نظر "بولس" حتى بالنسبة لليهود أنفسهم. فيجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسي والديني إلى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود. أما اليهود المسيحيون الذين ظلوا يهودا مخلصين فإنهم يعتبرون "بولس" كخائن. وتصفه وثائق يهودية مسيحية بالعدو، وتتهمه بتواطؤ تكتيكي. ولكن اليهودية المسيحية كانت تمثل حتى عام ٧٠ غالبية الكنيسة. وكان بولس منعزلا في ذلك الوقت. كان رئيس الجماعة "جاك Yacques" قريب المسيح وكان معه في البداية "بطرس" ثم "يوحنا" ويمكن اعتبار "جاك" كعمود اليهودية المسيحية الذي ظل عن إرادة ملتزما بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية"(١). ويقول "Berry": كان "عيسى" يهوديا وقد ظل كذلك أبدا. ولكن "شاول" كون المسيحية على حساب عيسى. فشاول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية"(٢). إذن "بولس" قد حرف دين المسيح، إذ جعله دينا عالميا، وليست خاصة لليهود. وتروى لنا أعمال الرسل(٣) أن العروض التي قدمها "بولس" لآرائه في معابد القدس، معابد اليهود أثارت ضجة كبرى اضطر "بولس" بسببها إلى الإسراع في مغادرة المدينة، وارتحل إلى الشام وإلى سيليقيا. معنى ذلك أن هناك صراعا ضخما قام بين بولس وأنصاره وبين المسيحيين الحقيقيين. وقد طال مدى هذا الصراع، وامتد قرونا بعد موت "بولس". فالذي يطالع رسائل "بولس إلى الغلبيين والكولوسيين والغلاطيين ورسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس، يجد من ذلك شيئا كثيرا. ويجد شيئا آخر مهما، هو سلوك "بولس" مع مخالفيه في الرأي وتحقيره وإغراؤه بهم. يقول "شارل جنيبير": لاشك أن الحواريين وأتباعهم الذين أشربوا بتعاليم المسيح وظلوا على يهوديتهم العميقة، يستنكفون كثيرا من قبول المشركين ديانتهم — هذه النتائج التي ترصل إليها "بولس" — فيبدون أمامها ترددا قويا. إلا أنه فرضها عليهم فرضا، إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمدا على

---

(١) انظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، ص ٧١ — ٧٢
(٢) المسيحية، د. أحمد شلبي، ص ١٠٩.
(٣) جاء فيه: وكان يخاطب ويباحث فحاولوا أن يقتلوه، فلما علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس (أعمال الرسل ٩: ٢٩ — ٣٠)

تحليل أوجه النجاح التي لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى في ربوع آسيا الصغرى . ثم إن مجتمع القدس كان فقيرا ، وكانت كنائس تضم أحيانا بين أتباعها أثرياء القوم وكرامهم . ومن ناحية أخرى كيف لا يعترف إنسان بفضل تلك القوة البشرية ، بعد أن نشرت اسم المسيح الممجد في كل تلك البلدان المختلفة .... ؟ . ولما أصبح مبدأ دخول المشركين في الدين الجديد مقبولا ، وجد أنه من الصالح تيسير تطبيقه . وكان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم . فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح ، بل بأن هذا المسيح أتى خصيصا ليبدل عهدا قديما بعهد جديد . وأذعن الحواريون لبولس مرة أخرى فتقبلوا فكرة إعفاء الأتباع الجدد في ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود . وكان المعنى الضمني لهذا الإجراء ، التفرقة بين المسيحية واليهودية ودفع الأولى إلى أن تصبح دينامتميزا "(١)

بهذا يتبين لنا أن "بولس" قد حرف دين المسيح وجعله دينا مستقلا على حساب المسيح ، والمسيح برىء منه . فلم يقتصر تحريف "بولس" لدين المسيح على العقيدة فقط ، وإنما بالإضافة إلى تحريفه للعقيدة ـ تعداها إلى الشريعة أيضا إذ دعا إلى الخروج على شريعة التوراة .

فبولس قد نقض الناموس وخرج عن دائرة الدين اليهودي الذي لم تكن المسيحية إلا حلقة منها . ووضع مبادئ المسيحية وشعائرها وشرع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة . فالمسيحية التي بدأت دعوة محلية أصبحت ديانة عالمية واسعة الانتشار بفضل "بولس" الذي اعتنقها وتفانى في خدمتها ، فإنها سرعان ما تمخضت عن نظام وأدب(٢) . فإذا نتصفح رسائل "بولس" نجده دائما فيها (أي في كل أعدادها وإصحاحاتها) يدعو إلى إبطال شريعة التوراة ، لأنها بالية وعتيقة . بل يهاجمها ويسخر منها ، إذ نفى عنها إمكانية لتبرير الإنسان ونجاته . يقول "بولس" : إن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به(٣) .... قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان ، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب"(٤) ، وقال أيضا : نعلم أن الإنسان

---

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جنيبير ، ص ١٣٣

(٢) انظر : موسوعة تاريخ العالم ، وليم لانجر ج ١ ، ص ٢٠٧ ت محمد مصطفى زيادة .

(٣) غلاطية ٣ : ١٠

(٤) غلاطية ٣ : ٢٤ ــ ٢٥ .

لايتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح ٠٠٠٠ لأنه بأعمال الناموس لايتبرر جسد ما ،، (١) وأيضا : قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس ، سقطتم من النعمة ،، (٢) " إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئا ،، (٣) " أما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال ،، (٤) ٠ إن هذه النصوص تكفى للبرهنة على أن مسيحية " بولس ،، تختلف أساسا عن دين المسيح عليه السلام ٠ بالإضافة إلى مااخترعه " بولس ،، من إلغاء فرضية الختان واستبداله بالمعمودية ، وتحليل الخنزير ، والعشاء الربانى ، والحث على العزوبة ، وتحريم الطلاق ، والتسابيح والأغانى الروحية والمزامير والتراتيل وما إلى ذلك من تشريعات أخرى التى سنفصلها إن شاء الله فى الباب الثالث ٠

فالخلاصة الواضحة أن مصادر المسيحية الموجودة الآن هي من عمل بولس ومريديه ، وأن رسائله هي وحدها مصدر التشريع فى المسيحية ٠ أما التشريعات التى وردت فى الرسائل الأخرى فكانت تكرارا وصدى لآرائه وتشريعاته ٠ فبولس — لا المسيح — هو مؤسس المسيحية وواضع تشريعاتها ! ٠ وهذا ماأقره العلماء من النقاد والباحثين ٠ يقول " غوستاف لوبون ،، : كان بولس مفطورا على فرط الخيال ، وكانت نفسه مملوءة بذكريات الفلسفة اليونانية والأديان الشرقية ٠ فأسس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيا ٠٠٠٠٠٠ وكانت جهوده تهدف إلى تجريد النصرانية من عناصرها اليهودية ، فتجعل من النصرانية دينا عاما ٠ وهذا ما تم للنصرانيين ،، (٥) ٠ ويقول " ول ديورانت ،، لقد عثر بولس خفايا الشريعة اليهودية على حلم يصور لليهود فلسفة الحشر والنشر ، فحرره ووسع نطاقه ٠٠٠٠ وأوجد طقوسا خفيفة جديدة ٠٠٠٠٠٠ وأحل العقيدة محل العمل ٠ وكان فى هذه الناحية بداية العصور الوسطى ٠ ولسنا ننكر أن هذا كان تغييرا يؤسف له كل الأسف ،، (٦) ويقول " مايكل هارت ،، فى كتابه " المائة ،، إن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة المسيحية هو بولس وليس المسيح ٠ وليس من المنطق فى شيئ أن يكون المسيح نفسه مسئولا عما أضافه بولس وأتباعه ٠ فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه ،، (٧) وهذا ما اعترف به الكاتب المسيحى

---

(١) غلاطية ٢ : ١٦ (٢) غلاطية ٥ : ٤ (٣) العبرانيين ٧ : ١٨ — ١٩
(٤) العبرانيين ٨ : ١٣
(٥) انظر : حياة الحقائق ، ص ٦٢
(٦) انظر : قصة الحضارة ، ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٦٩
(٧) انظر : المجلة العربية ، عدد ١ السنة الثالثة محرم ١٣٩٩ هـ / ديسمبر ١٩٧٨ م ص ٢٨ ٠

المتعصب " حبيب سعيد ،،إذ يقول : كافح " بولس ،،كفاحا مريرا مع المتزمتين من متنصرى اليهود ، لجعل المسيحية دينا جامعا متحررا من قيود الشريعة اليهودية. وقد أفلح في ذلك ، حتى قال بعض المعلقين إنه واضع أركان العلوم اللاهوتية المسيحية ....

ولانكران أن " بولس ،، أدخل على علم اللاهوت المسيحي الشيئ الكثير من اليهودية واختباراته اليونانية. ولا نكران أيضا أنه قد حظى ببعد نظر دقيق حاد فى فكر المسيح ، أكثر من سائر التلاميذ الأولين. يمكن القول إن "بولس،، يرسم للمسيح صورة تختلف نوعا عن صورته فى بشائر الإنجيل، ولكن " بولس،، هو هو رسول الجهاد ، وصاحب الفضل الكبير فى وضع أركان المسيحية الأولى ،، (١).

فالمسيحية بعد المسيح بعدت جدّا ، واختلفت كل الاختلاف عن مسيحية المسيح. كما يقول " برنتن ،،: لو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائى عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا ،لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب، بل أنها لم تكن مسيحية بتاتا ،، (٢).

يقول " شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : أما النصارى فليست الصلوات التى يصلونها منقولة عن المسيح عليه السلام ، ولا الصوم الذى يصومونه منقولا عن المسيح . بل جعل أولهم الصوم أربعين يوما ، ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقلوه إلى الربيع ، وليس هذا منقولا عندهم عن المسيح عليه السلام . وكذلك حجهم لقمامة وبيت لحم وكنيسة صيد نايا ، ليس شيئ من ذلك منقولا عن المسيح ، بل وكذلك عامة أعياد هم مثل عيد القلندس وعيد الميلاد وعيد الغطاس وهو القداس وعيد الخميس وعيد الصليب الذى جعلوه فى وقت ظهور الصليب ، لما أظهرته هيلانة الحرانية الفندقانية أم قسطنطين بعد المسيح بمائتين من السنين، وعيد الجمعة والسبت التى فى آخر صومهم ، وغير ذلك من أعياد هم التى رتبوها على أحوال المسيح ، والأعياد التى ابتدعوها لكبرائهم .فإن ذلك من بدعهم التى ابتدعوها بلا كتاب نزل من الله تعالى ،، (٣).

---

(١) انظر: تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) جـ ١ ، ص ٤٥ حبيب سعيد
(٢) نقلا عن كتاب : مذاهب فكرية معاصرة ، للأستاذ محمد قطب ص ١١ — ١٢ .
(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

وأكد ذلك "الإمام ابن القيم" رحمه الله حيث يقول :

وأما شريعتهم ودينهم فليسوا متمسكين بشيء من شريعة المسيح ولا دينه البتة، فأول ذلك أمر القبلة فإنهم ابتدعوا الصلاة إلى مطلع الشمس، مع علمهم أن المسيح عليه السلام لم يصل إلى المشرق أصلا. بل قد نقل مؤرخوهم أن ذلك حدث بعد المسيح بنحو ثلثمائة سنة. وإلا فالمسيح إنما كان يصلي إلى قبلة بيت المقدس، وهي قبلة الأنبياء قبله ..... ومن ذلك أن طوائف منهم - وهم الروم وغيرهم - لا يرون الاستنجاء بالماء. فيبول أحدهم ويتغوط، ويقوم بأثر البول والغائط إلى صلاته بتلك الرائحة الكريهة، فيستقبل المشرق ويصلب على وجهه ..... وإن دعته الحاجة إلى البول في الصلاة بال وهو يصلي صلاته "(١)

ثم يقول رحمه الله : وتعظيمهم للصليب مما ابتدعوه في دين المسيح بعده بزمان. ولا ذكر له في الإنجيل البتة. وإنما ذكر في التوراة باللعن لمن تعلق به، فاتخذته هذه الأمة معبودا يسجدون له، وإذا اجتهد أحدهم في اليمين بحيث لا يحنث ولا يكذب، حلف بالصليب، ويكذب إذا حلف بالله، ولا يكذب إذا حلف بالصليب ..... (٢) وإذا شئت أن ترى التغيير في دينهم فانظر إلى صيامهم الذي وضعوه لملوكهم وعظمائهم فلهم صيام للحواريين، وصيام لماري مريم، وصيام لماري جرجس، وصيام للميلاد "(٣)

واضح مما تقدم أن " بولس " لعب دورا كبيرا في تحريف المسيحية " عقيدة وشريعة " فبعد أن قام بتحريف العقيدة الذي هدم أساس الديانة المسيحية، قام بتحريف الشريعة. فحرم ما أحل الله واستحل ما حرم الله. ثم جاء الرؤساء الروحانيون فتسلموا تراث التشريع منه، وظلوا يباشرونه حتى تم الاعتراف بالمسيحية، فانتقل حق التشريع إلى المجامع التي لم تكتف بالتقنين حول أمور الدنيا بل راحت تقرر حق الغفران وعصمة البابا. فقد قرر مجمع رومة سنة ١٨٦٩م عصمة البابا. بذلك انتقل حق التشريع إليه كرأس الكنيسة وعن طريقه نعمت الكنيسة بهذا الحق (٤). وقد نسبوا عصمة الكنيسة إلى المسيح إذ زعموا أنه قال لبطرس كبير الحواريين : أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات، وكل ما تحله على الأرض

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج ٢، ص ٢٨٥، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي دار المعرفة بيروت بدون سنة.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ (٣) نفس المرجع ص ٢٨٧.

(٤) المسيحية، د. أحمد شلبي، ص ٢٣٣.

يكون محلولا في السموات ››. وقال أيضا : كما أرسلني الآب أرسلكم أنا ›› (١) يقول الأب (٢) بولس إلياس›› : لقد حول السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذى تلقاه من أبيه السماوى. وذلك يشمل سلطان الكهنوت والتدبير والتعليم .... وعصمة الكنيسة هذه امتياز تنعم به هي والبابا رأسها نائب المسيح ›› (٣). فالكنيسة هي وريثة المسيح. ومن ثم فإن لها ذات الوضع وذات السلطان الذى كان للمسيح، فهي مقدسة، وقداسة البابا، ومن يكل الأمر إليهم من الكرادلة وغيرهم ـ هم الوسطاء الذين تمر بهم مشاعر الناس وأعمالهم لكي تصل إلى الله، كما تمر من خلالهم كلمة الله إلى الناس، وفى قمتهم البابا، فهو المتحدث باسم الرب الإله فى الأرض، وإنه مقدس الذات ومقدس الكلمات. فالمسيحي منذ مولده إلى مماته مرتبط بهم. وهذا الرباط هو الصلة التى تصل قلبه بالله. ولا يستطيع مهما كانت حرارة وجدانه أن يعقد صلة مباشرة بالله بعيدة عن سلطانهم، لدرجة أن الكنيسة تمتلك حق الغفران ومسح الذنوب للمذنب مهما يكن مقدارها، ومهما تكن قد دنست فى النفس وأركست القلب. وأفرطوا فى إعطائهم ذلك الحق، حتى أنشأوا لهم صكوكا تباع وتشترى، فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ومتعة من متعها. وما كان على العصاة من حرج فى أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات ما دام ذلك يفتدى بمال قل أو جل. فإن الصك يمحو ذنوب العاصي ما تقدم منها وما تأخر، حتى يصير طاهرا، ثم لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا وينغمس فى المعاصى. كأن ذلك الصك جواز المرور إلى النعيم المقيم. فصدق القائل (٤) : اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٥).

---

(١) متى ١٦ : ١٨ ـ ١٩ (٢) يوحنا ٢٠ : ٢١ (٣) المسيحية، د. أحمد شلبى ص ٢٣٣

(٤) وهذه صورة من صك الغفران : ربنا يسوع المسيح يرحمك يا .... ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسى الرسولى. وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التى ربما جبلتها على نفسك فى هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة. وأقرنك فى شركة القديسين، أردك ثانية إلى الطهارة والبر الذين كانا لك عند معموديتك، حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس ›› (انظر محاضرات فى النصرانية : للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥، وانظر: تحفة الأريب فى الرد على عباد الصليب، لعبد الله الترجمان الميورقى ص ١٨٦ ـ ١٩١، وانظر أيضا : المسيحية، د. أحمد شلبى ص ٢٥٤). (٥) التوبة ٣١ .

وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عدى بن حاتم (١) قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفى عنقي صليب من ذهب، فقال ياعدى اطرح عنك هذا الوثن. وسمعته يقرأ في سورة براءة ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)) قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم. ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه (٢). بهذا نستطيع أن ندرك مدى التحريف البشع الذى أحدثه "بولس" والذين اتبعوه من رجال الكنيسة في دين الله المنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام، سواء تحريف العقيدة أو الشريعة.

* الإيمان باليوم الآخر *

إن الإيمان بالله تعالى يقتضى الإيمان باليوم الآخر. والإيمان باليوم الآخر يقتضى الإيمان بكل ما سيكون فيه من أمر الله، من بعث ونشور وحشر واجتماع ووقوف للحساب ثم الثواب أو العقاب، حيث يمضى من يستحق المثوبة إلى الجنة، ومن يستحق العقوبة إلى النار. وبعد الدخول إلى الجنة أو النار لا يكون فناء بل بقاء سرمدى بلا نهاية. والأديان السماوية كلها اتفقت على الدعوة إلى الإيمان بالدار الآخرة، إذ الإيمان بالآخرة من أسس العقائد التى جاء بها الرسل جميعا. والقرآن الكريم يوضح لنا عقيدة عيسى عليه السلام باليوم الآخر قال تعالى : ... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ)) (٣). وما أكثر الآيات التى ورد فيها الإيمان بالله مقرونا باليوم الآخر في مجال الوعد الكريم والثناء الطيب وفى مجال الوعيد والتنديد. قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (٤).

---

(١) عدى بن حاتم توفي ٦٨هـ/ ٦٨٧م. بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائى (أبو وهب أو أبو طريف) أمير صحابى من الأجواد العقلاء كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام، وقام في حرب الردة بأعمال كبيرة، أسلم سنة ٩هـ مات بالكوفة، روى عنه المحدثون ٦٦ حديثا، عاش أكثر من ١٠٠ سنة وهو ابن حاتم الطائى الذى يضرب بجوده المثل. (الأعلام جـ ٤ ص ٢٢٠).

(٢) رواه الترمذى في أبواب تفسير القرآن من سورة التوبة، انظر صحيح الترمذى بشرح الإمام أبى بكر ابن العربى المالكى جـ ١١، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ مطبعة الصاوى مصر ط الأولى ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

(٣) المائدة ٧٢.

(٤) البقرة ٦٢.

وقال تعالى : ((ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمةٌ قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين)) (١) وقال أيضا : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)) (٢) . جاء عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل . وهم قوم قد انحرفوا عن دين موسى عليه السلام ، وتهالكوا على المادة وجمع المال ، وساد هم إنكار الروح في أقوال بعضهم وأفعال جميعهم . وكما ذكرت سابقا أن فرقة الصدوقيين كانوا ينكرون القيامة والنشر والحساب والثواب والعقاب . وأن جزاء الأعمال الصالحة أن يبارك الله لصاحبها في الدنيا ، وجزاء الأعمال الرديئة أن يعاقبه في الدنيا (٣) . والفريسيون كانوا يعتقدون أن البعث سيحصل في هذه الدنيا . فالصالحون من الأموات عند هم سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ، ويدخلهم جميعا في ديانة موسى (٤) . فكان من مهمة المسيح أن يرد اليهود الذين ينكرون الحياة الآخرة (ومن لم ينكرها بقوله منهم أنكرها بفعله) إلى عقيدة اليوم الآخر ، وهو يوم الجزاء . وأن يثبت الإيمان بها في قلوبهم ، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا . إذ الدنيا ليست إلا طريقا غايته الآخرة ، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية . يقول الفيلسوف الفرنسي " رينان " في كتابه " حياة المسيح " : الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في نفس هذا العالم . فإنه يؤخذ من أقوال شيوخهم ، إن الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس إلى الأبد . وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ، ويكونون معروفين عند الله . أما الأشرار فلا . هذا كان جزاء أولئك وعقاب هؤلاء . ويزيد الفريسيون على ذلك أن الصالحين ينشرون في هذه الأرض يوم القيامة ، ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس ، ويصبحوا ملوك العالم وقضاته . وهكذا ينعمون بانتصارهم واتخاذ الأشرار أعدائهم . وعلى ذلك تكون مملكتهم في هذا العالم نفسه (٥) " فإذا نظرنا إلى التوراة التي بين أيدينا نجدها خلت من ذكر اليوم الآخر نعيمه أو جحيمه . وإنما ذكرت العقوبات والمكافآت تتعلق بأشياء مادية ، وينالها المرء سواء كانت عقوبة أو ثوابا — في الحياة الدنيا .

---

(١) آل عمران ١١٣ — ١١٤ (٢) التوبة ٢٩ .

(٣) انظر : الصفحة ٧٥ من هذه الرسالة . (٤) انظر: الصفحة ٧٢ من هذه الرسالة .

(٥) نقلا عن : محاضرات في النصرانية ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ص ١٦ .

فعلى سبيل المثال نقرأ ما فى سفر " اللاويين " حيث يقول الرب : إذا سلكتم فى فرائضى و حفظتم وصاياى و عملتم بها ، أعطى مطركم فى حينه و تعطى الأرض غلتها ، و تعطى أشجار الحقل أثمارها ، و يلحق دِراسكم بالقطاف و يلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع و تسكنون فى أرضكم آمنين • و أجعل سلاما فى الأرض فتنامون ، و ليس من يزعجكم . و أبيد الوحوش الرديئة من الأرض ، و لا يعبر سيف فى أرضكم ، و تطردون أعدائكم فيسقطون أمامكم بالسيف . يطرد خمسة منكم مئة ، و مئة منكم يطردون ربوة ، و يسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف . و ألتفت إليكم و أثمركم و أكثركم و أفى ميثاقى معكم ، فتأكلون العتيق المعتّق ، و تخرجون العتيق من وجه الجديد . و أجعل مسكنى فى وسطكم و لا ترذلكم نفسى ، و أسير بينكم و أكون لكم إلٰها و أنتم تكونون لى شعبا . أنا الرب إلٰهكم الذى أخرجكم من أرض مصر من كونكم لهم عبيدا و قطع قيود نيركم و سيّركم قياما • لكن إن لم تسمعوا لى و لم تعملوا كل هذه الوصايا ، و إن رفضتم فرائضى و كرهت أنفسكم أحكامى فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى ، فإنى أعمل هذه بكم ، أسلط عليكم رعبا و سِلاًّ و حُمّى تفنى العينين ، و تتلف النفس ، و تزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم . و أجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم و يتسلط عليكم مبغضوكم و تهربون و ليس من يطردكم "(١) • فالعقاب قحط و هلاك و عار ، و استعباد الأعداء لهم • و الثواب زيادة فى غلة الأرض و ثمارها ، و زيادة فى نسلهم ، و نصر على أعدائهم • و المسكن الذى ورد فى قول موسى : ترشد برأفتك الشعب الذى فديته ، تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك "(٢) فليس المراد به جنة فى الدار الآخرة ، بل هى الأرض الموعودة وراء نهر الأردن ، و هى بلد الكنعانيين . يؤيد ذلك ما جاء فى فقرة أخرى " بل المكان الذى يختاره الرب إلٰهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه سكناه تطلبون و إلى هناك تأتون ، و تقدمون إلى هناك محرقاتكم و ذبائحكم و عشوركم و رفائع أيديكم و نذوركم و نوافلكم و أبكار بقركم و غنمكم "(٣) • و هكذا لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان فى دينهم • غير أن القرآن الكريم يحدثنا أن موسى ذكر لهم الدار الآخرة و أنبأهم بالبعث بعد الموت • فموسى يتوسل إلى الله تعالى قائلا : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾(٤)

---

(١) لاويين ٢٦ : ٣ — ١٧ وانظر: تكوين ٤ : ١١ — ١٢ وتكوين ٢٣ : ١٦ — ١٧ وانظر خروج ٢٣ : ٢٥ — ٣٠ وانظر تثنية ٧ : ١٢ — ١٦ وتثنية ١١ : ١٣ — ١٧ •

(٢) خروج ١٥ : ١٣

(٣) تثنية ١٢ : ٥ — ٦ (٤) الأعراف ١٥٦ •

يقول " سبينوزا ،، (١) : لم يرد في التوراة ذكر للدار الآخرة. فلم توعد اليهود بشيء مقابل طاعتهم إلا باستمرار دولتهم ،التي يسعدون بها وبنعيم الدنيا . وفي مقابل ذلك فإنها أنذرتهم بسقوط الدولة ، وبأفدح المصائب لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه . وكما أن غاية كل مجتمع وكل دولة هي العيش في أمن ، والحصول على مزايا معينة ، فإن الوعود التي نجدها في التوراة مقابل المحافظة على الشريعة لم تكن سوى الأمن في الحياة والنعم المادية . وعلى العكس من ذلك فلم يتنبأ لهم بعذاب أكيد ، مقابل عصيانهم سوى انهيار الدولة ، وما ينتج عن ذلك عادة من الشرور . وكذلك بعض المصائب التي تحل بهم خاصة وذلك نتيجة لانهيار دولتهم ،، (٢) . فكانت أحوالهم تستدعي إصلاحا قويما ومصلحا مخلصا . فجاء المسيح لتخليصهم جميعا من الأحوال التي ارتطموا في حمأتها . ففي العهد الجديد نصوص عديدة ، تشير إلى الجزاء الأخروي . فإذا قرأناه نجد فيه نغمة جديدة كل الجدة لم توجد في العهد القديم . فنحس بأننا ننتقل من طرف إلى أقصى طرف مقابل له . نجد أمثال هذه الكلمات " الحياة الأبدية ،، و " الحساب يوم الدين ،، و " الجحيم ،، و " النار ،، و " ملكوت السموات ،، و " ملكوت الله ،، و " انقضاء العالم ،، .

ففي إنجيل " متّى ،، : حينئذ قُدِّم إليه أولاد لكي يضع يديه عليهم ويصلي ، فانتهرهم التلاميذ ، أما يسوع فقال دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات ،، (٣) وأيضا : قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني ، فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة ، فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضا إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله .... قال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ،

---

(١) باروك Spinoza (١٦٣٢ — ١٦٧٧م) فيلسوف هولندي من أصل يهودي ، ولد في أمستردام أعظم من تصدى لقومه بالنقد في أشهر كتبه " البحث اللاهوتي السياسي " مبينا تهافت أسطورة الشعب المختار ، وحمل على التوراة محللا أسفارها ومؤكدا أن الذي كتبها إنسان آخر عاش بعد موسى بمدة طويلة ، وسميت الأسفار بأسماء الأنبياء لا لأنهم كتبوها بل لأنها تدور حولهم ، صدر الحكم عليه بالحرمان (١٦٥٦م) (الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٢٣ — ١٢٥) .

(٢) انظر : رسالة في اللاهوت والسياسة ،، سبينوزا ترجمة وتقديم حسن حنفي ص ١٧٧ ، مراجعة د . فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧١ م .

(٣) متّى ١٩ : ١٣ — ١٤ .

وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية »(١) وأيضا : فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان . وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان »(٢) وأيضا : طوبى للمطرودين من أجل البر . لأن لهم ملكوت السموات . طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين ، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات »(٣) وأيضا : إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات . وأما بنو الملكوت فيُطْرَحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان »(٤) وأيضا :

« ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم »(٥) وأيضا : يا أولاد الأفاعي ، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ، فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم . الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخْرِج الصالحات ، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخْرِج الشرور . ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين »(٦) وأيضا : يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم . لأني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ، كنت غريبا فأويتموني ، عريانا فكسوتموني ، مريضا فزرتموني ، محبوسا فأتيتم إلي . فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك ، أو عطشانا فسقيناك ، ومتى رأيناك غريبا فآويناك ، أو عريانا فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك . فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم . ثم يقول أيضا : للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته . لأني جعت فلم تطعمني ، عطشت فلم تسقوني كنت غريبا فلم تأووني عريانا فلم تكسوني ، ومريضا فلم تزوروني . حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين ، يارب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك . فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد

---

(١) متى ١٩ : ٢١ — ٢٩ (٢) متى ١٨ : ٨ — ٩ (٣) متى ٥ : ١٠ — ١٢

(٤) متى ٨ : ١١ — ١٢ (٥) متى ١٠ : ٢٨ . (٦) متى ١٢ : ٣٤ — ٣٦ .

هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا . فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية ››(١).

فى هذه الشواهد الإنجيلية صورة حسية لليوم الآخر . ويجب علينا أن نبعد عنها مالا يتفق مع كمال الله وصفاته وذاته وأسمائه . فإن الأخوة لله لا تتفق مع الكمال الإلهى . فالله ليس أخا لغيره حتى يقال على لسانه " أنكم فعلتموه بأحد إخوتى ››. وفى إنجيل يوحنا " فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة ››(٢) وفى رسائل " بولس ›› نجد نصوصا كثيرة تدعو إلى الإيمان باليوم الآخر . فمثلا : أوص الأغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحي الذى يمنحنا كل شيئ بغنى للتمتع . وأن يصنعوا صلاحا وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة . وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل لكى يمسكوا بالحياة الأبدية ››(٣). ويقول أيضا : لأنه لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ماكان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا ››(٤).

وجدير بالانتباه إلى أن " بولس ›› يدعى بأن المسيح هو الذى سيدين الخلق وسيحاسبهم جميعا يوم القيامة بدلا عن الآب . وأيضا : حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم فى كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم فى جميع اضطهاداتكم والضيقات التى تحتملونها ، بيّنةً على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله الذى لأجله تتألمون أيضا . إذ هو عادل عند الله ، إن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقا . وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته ››(٥). وأيضا : فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى بيسوع المسيح ››(٦).

وفى رسالة " يوحنا ›› لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون ، وتعظّم المعيشة ليس من الآب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته . وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد . أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة ...... وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية ››(٧).

وهكذا نجد العهد الجديد يجعل أمل المؤمنين دائما هو الجزاء فى الآخرة فى حياة مابعد الموت . على العكس من العهد القديم الذى ركز على تحقيق ما يعد المؤمنين به من ثواب وما ينذرهم من عقاب فى الحياة الدنيا . بل نجد فى العهد الجديد جزاء مزدوجا فى الحياة المقبلة وفى هذه الحياة(٨)

---

(١) متى ٢٥ : ٣٤ ـ ٤٦ (٢) يوحنا ٥ : ٢٨ ـ ٢٩ (٣) ١ تيموثاوس ٦ : ١٧ ـ ١٩

(٤) ٢ كورنثوس ٥ : ١٠ (٥) ٢ تسالونيكى ١ : ٤ ـ ٧ (٦) رومية ٢ : ١٦

(٧) ١ يوحنا ٢ : ١٥ ـ ٢٥

(٨) راجع للتوسع : إنجيل برنابا دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد ، سيف الله أحمد فاضل ، ص ٣٨٥ ـ ٤١٩ .

الدنيا . ففي إنجيل " مرقس"، وعد المسيح الذى تبعه مؤمنا بقوله : الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا لأجلي ولأجل الإنجيل، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتا وإخوة وأخوات وأمهات وأولادا وحقولا مع اضطهادات، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية "(١). وكذلك نجد " بولس" قد وعد المطيعين للمسيح بجزاء مادى كما فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس إذ يقول : والله قادر أن يزيدكم كل نعمة لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين فى كل شيئ تزدادون فى كل عمل صالح، كما هو مكتوب فَرَّقَ، أَعْطَى المساكين، برّه يبقى إلى الأبد . والذى يقدّم بذارا للزارع وخبزا للأكل سيقدّم ويُكثِر بذاركم وينمى غلّات بركم، مستغنين فى كل شيئ لكل سخاء ينشئ بنا شكرًا لله ،........ إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع. وبدعائهم لأجلكم مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم . فشكرا لله على عطيته التى لا يعبَّر عنها "(٢). ويقول أيضا : أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق. أكرم أباك وأمك، التى هي أول وصية بوعد، لكي يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض "(٣). وفسر " بولس" كثرة الوفيات والمرضى والضعفاء بسبب التقصير ببعض الواجب الدينى، إذ يقول : لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب، من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون. لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكِمَ علينا، ولكن إذ قد حُكِم علينا نؤدَّب من الرب لكي لا ندان مع العالم "(٤). ومع أن الإشارة إلى الجنة كانت أقل ترديدا فى العهد الجديد من موضوع النار، فإنها تحمل كثيرا طابع السعادة الحسية، بجانب السعادة الروحية . كما يقرر المسيح فى أكثر العبارات صراحة وعموما : وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا، لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى "(٥). وقال أيضا للذى دعاه : إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضا فتكون لك مكافأة . بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجُدْع العُرْج العُمى، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك، لأنك تُكَافَىْ فى قيامة الأبرار "(٦). وأكثر من ذلك وضوحا قوله فى آخر اجتماع له مع تلاميذه " وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم

---

(١) مرقس ١٠ : ٢٩ — ٣٠ (٢) ٢ كورنثوس ٩ : ٨ — ١٥ (٣) أفسس ٦ : ١ — ٣
(٤) ١ كورنثوس ١١ : ٢٩ — ٣٢ (٥) لوقا ٢٢ : ٢٩ — ٣٠
(٦) لوقا ١٤ : ١٢ — ١٤ .

حينما أشرب معكم جديدا في ملكوت أبي ،، (١) .

إذن إن الإيمان باليوم الآخر — وما فيه من حساب وثواب وعقاب وجنة ونار — ثابت في العهد الجديد ، ولعله — في أصل الفكرة — بقية من بقايا تعاليم المسيح. غير أنه يستحيل أن يدعى المسيح بأنه هو الذى سيدين العالم جميعا بدلا عن الله ، فضلا عن تلاميذه الاثنى عشر . قال تعالى ((الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)) (٢) و قال أيضا : ((لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (٣) فالله وحده هو الذى سيحاسب الخلق كله ، ولا يقام بجانبه كرسي نبى أو غير نبي ، وهو منزه عن شريك ، سواء كان هذا الشريك ملكا مقربا أم رسولا .

وهكذا لقد تكلمنا بإسهاب ، عن المسيح عليه السلام ، وما يتعلق به من حمله وولادته ونشأته وبعثته وما قام به من معجزاته ، ثم نهايته على الأرض ورفعه إلى السماء كما ورد في القرآن الكريم والأناجيل - مع الإيمان في أنفسنا أن ما جاء في القرآن لهو الحق . أما ما جاء في الأناجيل فساقط من أى اعتبار . إذ أنها لا تحكى شيئا يتعلق بالمسيح عليه السلام إلا وفيه خلاف وتناقض وتعارض واضطراب ، بالإضافة إلى أن نسبتها لكتابها أمر مشكوك فيه إلى الوقت الحاضر . وكذلك تكلمنا بما فيه الكفاية عن الدين الذى جاء به المسيح عليه السلام من عند الله سبحانه وتعالى . وهو دين التوحيد دين جميع الأنبياء والمرسلين ، إذ المسيح عليه السلام ما هو إلا واحد منهم ، ورسالته مثل رسالات الرسل الآخرين . وهي رسالة وحدانية الله ، وإخلاص عبادته وحده . أما ما اعتقده المسيحيون من أن المسيح ابن الله أو الله ، وأنه جاء ليصلب فداء عن البشر ، فالمسيح عليه السلام برئ منه ولا دخل له فيه ، كما سنعرف بالتفصيل في الباب الثالث إن شاء الله . وبعد أن اتضح لنا حقيقة كل الأمور المتعلقة بالمسيح عليه السلام من حياته ودينه ورسالته نأتى إلى ختام هذا الباب . وننتقل الآن إلى الباب الثانى ، لنتكلم فيه عن رسائل الرسل المعتمدة لدى المسيحيين ، والأمور التى تتعلق بها . الرسائل التى تمثل جزءا أساسيا بالنسبة للديانة المسيحية . إذ أنها رسائل تعليمية ، فيها عقائدها وشرائعها وعباداتها وأخلاقها .

---

(١) متى ٢٦: ٢٩ ، ومرقس ١٤: ٢٥ ، ولوقا ٢٢: ١٨ .
(٢) الحج ٥٦ — ٥٧ (٣) غافر ١٦ — ١٧ .

الباب الثاني

الرسائل المعتمدة وأصحابها -

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول -

الفصل الأول : الرسائل المعتمدة وقانونيتها
الفصل الثاني : أصحاب الرسائل
الفصل الثالث : أهم محتويات الرسائل

تمهيد •

الأسفار المقدسة عند المسيحيين •

الأسفار المقدسة (الكتاب المقدس Bible) عند المسيحيين التى نجدها بين أيدينا اليوم تتكون من جزئين رئيسيين : الجزء الأول يسمونه " العهد القديم " والجزء الثانى يسمونه " العهد الجديد " • ويتكون العهد القديم - حسب عقيدة البروتستانت - من تسعة وثلاثين سفرا • أما العهد الجديد فيتألف من سبعة وعشرين سفرا • وتنقسم أسفار العهد القديم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : أسفار موسى الخمسة (الناموس أو التوراة) وهي : ١ - سفر التكوين ٢ - سفر الخروج • ٣ - سفر التثنية • ٤ - سفر اللاويين • ٥ - سفر العدد •

والقسم الثانى : الأسفار التاريخية وعددها اثنا عشر سفرا وهي : أسفار ١ - يشوع ٢ - القضاة ٣ - راعوث • ٤ و ٥ - صموئيل الأول والثانى ٦ و ٧ - الملوك الأول والثانى ٨ و ٩ - أخبار الأيام الأول والثانى • ١٠ - عزرا • ١١ - نحميا • ١٢ - أستير •

والقسم الثالث : أسفار الأناشيد أو الشعرية ، وعددها خمسة أسفار ، وهي : أسفار ١ - أيوب ٢ - المزامير لداود ٣ - أمثال سليمان ٤ - الجامعة من كلام سليمان ٥ - نشيد الأنشاد لسليمان • والقسم الرابع : أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا • وهي : أسفار ١ - أشعياء ٢ - أرمياء ٣ - مراثى أرمياء ٤ - حزقيال ٥ - دانيال ٦ - هوشع ٧ - يوئيل ٨ - عاموس ٩ - عُوبَديَا ١٠ - يونان ١١ ميخا ١٢ - ناحوم ١٣ - حبقوق ١٤ - صَفَنيَا ١٥ - حجى ١٦ - زكريا ١٧ - ملاخى •

والكنيسة الكاتوليكية تزيد على العهد القديم " أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراح وباروك ، والمكابيين (الأول والثانى) "(١) • أما العهد الجديد فيتألف من سبعة وعشرين سفرا ، وتنقسم أسفار العهد الجديد إلى ثلاثة أقسام • القسم الأول : الأسفار التاريخية وعددها خمسة وهي : (١) إنجيل متّى (٢) إنجيل مرقس (٣) إنجيل لوقا (٤) إنجيل يوحنا (٥) أعمال الرسل للوقا • وتسمى هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية ، لأن الأربعة منها وهي الأناجيل ، تعنى بشرح حياة المسيح

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٤ •

وحكاية أحواله منذ الولادة إلى القيامة، ورواية أقواله ومواعظه . كما أن سفر أعمال الرسل يعنى بشرح حياة الرسل (الحواريين) والتلاميذ وأحوالهم وجهودهم فى التبشير وإنشاء كنائس . رغم أن تاريخ بولس يحتل قسطا أكبر من غيره، حيث يبدأ من الإصحاح التاسع إلى آخر السفر الذى يتألف من ثمانية وعشرين إصحاحا . والقسم الثانى : الأسفار التعليمية وعددها إحدى وعشرون رسالة (وهى التى نحن بصدد بحثها فى هذه الرسالة). أربع عشرة منها لبولس ، وهى : (١) رسالة إلى أهل رومية (٢ و ٣) رسالتان إلى أهل كورنثوس (الأولى والثانية) .(٤) رسالة إلى أهل غلاطية. (٥) رسالة إلى أهل أفسس. (٦) رسالة إلى أهل فيلبى . (٧) رسالة إلى أهل كولوسى . (٨ و ٩) رسالتان إلى أهل تسالونيكى (الأولى والثانية) . (١٠ و ١١) رسالتان إلى تيموثاوس (الأولى والثانية) . (١٢) رسالة إلى تيطس . (١٣) رسالة إلى فليمون . (١٤) رسالة إلى العبرانيين . (١٥) رسالة يعقوب . (١٦ و ١٧) ـ رسالتا بطرس (الأولى والثانية) . (١٨ و ١٩ و ٢٠) ـ رسائل يوحنا (الأولى والثانية والثالثة) . (٢١) رسالة يهوذا . وتسمى السبعة الأخيرة " الرسائل الكاتوليكية "، أى العامة، أو الجامعة"، لأنها ليست كرسائل بولس الموجهة إلى كنائس خاصة أو أشخاص معينة ، بل لكل الكنائس . وتسمى هذه الرسائل الإحدى والعشرون بالأسفار التعليمية، لأنها تعرض عقائد المسيحية وشرائعها وحلالها وحرامها ومعاملاتها وطقوسها . وأكبر ما فيها النص على ألوهية المسيح وأنه ابن الله بل أنه الله، ومبدأ التثليث وبقية التعاليم المسيحية ...... إلخ .

والقسم الثالث : السفر النبوى وهو سفر رؤيا رآها " يوحنا "عن سلطان المسيح فى السماء، وعلمه بحال الكنيسة فى الأرض، والقوانين من بعده .(١)

ويراد بكلمة " العهد " فى هاتين التسميتين ما يراد فى معنى الميثاق . أى أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه . فأولاهما تمثل ميثاقا قديما من عهد موسى ، والأخرى ميثاقا جديدا من عهد المسيح .(٢) والذى أطلق كلمة " العهد العتيق / القديم " على الجزء الأول (الأسفار اليهودية) هو بولس . حيث يقول وهو يصف بنى إسرائيل بالغلظة وعدم الخضوع لأوامر موسى فى عهده : ....

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٤

(٢) انظر: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام "، د . على عبد الواحد وافى ، ص ١٣ .

بل أُغلِظَتْ أذهانهم. لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف ،، (١)
وكذلك بولس هو الذى أطلق على هذه الأسفار كلها " بالكتب المقدسة ،، إذ يقول : وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع ،، (٢) فالمسيحيون أطلقوا على كتبهم الخاصة بهم من الأناجيل الأربعة وما يتبعها من رسائل الرسل كلمة " العهد الجديد ،، بعد أن أطلق رسولهم بولس على الأسفار اليهودية " العهد العتيق ،، (٣). وذلك للمقابلة بين العصرين عصر موسى وعصر المسيح . وهم مستندون على نبوة " أرمياء ،، حيث ورد فيها : ها أيام تأتى يقول الرب : وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضهم " (٤) والحق أن المراد بالعهد الجديد فى كلام " أرمياء ،، هو خروج اليهود من سبى بابل وعودتهم إلى فلسطين. لكن بولس فسره بعهد الإنجيل أى أن النصارى هم أهل العهد الجديد (٥). وهذا تحريف واضح ! فالتقسيم إذن تقسيم بولسى ، والتسمية تسمية بولسية ، والمسيح برئ من ذلك . يقول " فردريك جرانت ،، إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم . فقد كان العهدان (اللذان نعرفهما الآن) شيئا واحدا متصلا ،، (٦) . وأجمع المسيحيون على ادعائهم بأن العلاقة بين العهدين علاقة مقدسة ، إذ الإنجيل أى البشرى اسم يقع لفظا ومعنى على جميع الأسفار الإلهية. لأنها بأسرها تشف عن هذه البشرى وتعرب عن مضمونها (٧) . يقول " القديس أغسطينس ،، : إن ما أنبأت به التوراة والنبوات آتيا قد تحقق فى الإنجيل واقعا فعلا . فإن العهد العتيق

---

(١) ٢ كورنثوس ٣ : ١٤ (٢) ٢ تيموثاوس ٣ : ١٥
(٣) انظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ،، متى بهنام ، جـ ١ ، ص ٥ ، مكتبة الإخوة القاهرة ، ط الثانية ١٩٦٧ م .
(٤) أرمياء ٣١ : ٣١ — ٣٢ .
(٥) إظهار الحق ، هامش جـ ١ ، ص ٣٠٠ .
(٦) F.C. Grant . " The Gospels ،، ص ١٢ ، نقلا عن مهندس أحمد عبد الوهاب " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ،، ص ١٥ .
(٧) القديس أوغسطينس (٣٥٤ — ٤٣٠ م) أسقف هيبون (أفريقيا) أشهر آباء الكنيسة الغربية خطيب لاهوتى فيلسوف وكاتب حاول التوفيق بين العقل والإيمان (المنجد فى الأعلام ، ص ٩٦) .

هـو العهد الجديد المحجـوب، كما أن العـهد الجديد هو العهد العتيق المكشوف ! ؟

وقال " إيريناوس " : إن التوراة وكـتب الأنبياء هي الإنجيل ولكن محتجبا مطويا . وأما الإنجيل فإن فيـه التوراة والنبوات مـكشوفة منشورة " (١) . وهـذا ما أراده بولس في قـوله: إن غـاية الناموس هو المسيح للبر لكـل من يؤمـن " (٢) وقوله : قـد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتـبرر بالإيمان " (٣) . ويقـول " مـتى بهنام " : إن موسى هو الذى بوحي إلٰهى افتتـح الإعلان الإلٰهى ، و " بولس " هو الذى تـمّمـه ، و " يوحنا " هو الذى اختتم هـذا الإعلان الإلٰهى " (٤) ! لأجـل ذلك كله أقر المسيحيون بالعهد القـديم (الأسفار اليهودية) واعتبروه أسفارا مـقـدسة ، بالإضافة إلى العـهد الجـديد . مع أن اليهـود رفضوا العـهد الجديد (الأناجيل والرسائل) ولا يعتبرونه أسفارا مـقـدسة إطلاقـا . ولم تقسم الأسفار المقدسـة أولا إلى إصحاحات وأعـداد ، بل فقط إلى فصول للقراءة في أوقات معينة . إلا سفر المزاميـر ، فإنـه السفر الوحـيد المقسـم إلى مزامير مرتبة ترتيبا متـقنا . وأول من قـسم الأناجيل الأربعة إلى عـدة أجزاء هو " عـمونيوس " الشـماس الإسـكندرى . أما الذى قـسم الكتاب المقدس إلى ما هو عليه الآن من الإصحاحات فهو الكردينال " هـوجو " فى سنة (١٠٤٠م) (وقيل " ستيفن لانجـتون " رئيس أساقفـة كـنتربرى المتوفى عـام ١٢٢٩م) (٥) . وأما التقـسيم إلى أعـداد ، فـأول من أتاه فى العهد القديم الراهب " بجـنينوس " سـنة (١٥٢٧م) . وفى سنة (١٥٤٥م) قـسم إصحاحات العـهد الجديد إلى أعداد كما هي الآن " روبرت إسـتفانوس " العالـم الفرنـساوى (٦) . لكـن هـذه التقـسيمات فـيها أخـطاء كـثيرة التى جعلتها لا تتناسب تمـاما مع المعنى الموجود فيها (٧) . لذلك أصلح كـثير من هذه الأخطاء فى بعض الترجـمات العربية .

---

(١) مـقدمة الكتاب المقـدس ، ص ١ ـ ٢ طبع بيروت سنة ١٨٧٠ م

(٢) رومـية ١٠ : ٤ (٣) غـلاطية ٣ : ٢٤

(٤) انظر : مفاتيح كـنوز الأسفار الإلٰهية " مـتى بهنام ، ج ١ ، ص ١١

(٥) قـاموس الكتاب المقـدس ، ص ٧٦٥ .

(٦) انظر : مـفاتيح كـنوز الأسفار الإلٰهية " مـتى بهنام ، ج ١ ، ص ١٩ ـ ٢٠ ، وانظـر: Bible Sejarah Jadinya dan Perkembangannya serta hal-hal yang bersangkutan. أى : الكتاب المقـدس تاريخ تدوينه وتطوره وما يتعلق بـه " البروفيسور ح . س . طارق شهاب ، ص ٩ باللغة الإندونيسية ، موتيارا جاكرتا ط الثالثة ١٩٧٩م .

(٧) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٦٥ .

وهذا جدول يتضمن عدد إصحاحات الكتاب المقدس وأعداده

* العهد القديم *

الرقم	أسماء الأسفار	عدد الإصحاحات	الأعداد	
١	سفر التكوين	٥٠	١٥٤٢	أسفار موسى (التوراة أو الناموس)
٢	« الخروج	٤٠	١٢٢٤	
٣	« اللاويين	٢٧	٨٥٩	
٤	« العدد	٣٦	١٣٨٨	
٥	« التثنية	٣٤	٩٦٤	
٦	« يشوع	٢٤	٦٧٧	الأسفار التاريخية
٧	« القضاة	٢١	٦٨١	
٨	« راعوث	٤	٨٥	
٩	« صموئيل الأول	٣١	٨٠٦	
١٠	« صموئيل الثاني	٢٤	٦٩٧	
١١	« الملوك الأول	٢٢	٨١٦	
١٢	« الملوك الثاني	٢٥	٧٢٠	
١٣	« أخبار الأيام الأول	٢٩	٩٤٢	
١٤	« أخبار الأيام الثاني	٣٦	٨٢٢	
١٥	« عزرا	١٠	٢٨٠	
١٦	« نحميا	١٣	٤١٦	
١٧	« أستير	١٠	١٧٦	
١٨	« أيوب	٤٢	١٠٩٠	الأسفار الشعرية (الأناشيد)
١٩	« المزامير	١٥٠	٢٤٣٩	
٢٠	« أمثال سليمان	٣١	٩١٧	
٢١	« الجامعة لسليمان	١٢	٢٢٢	
٢٢	« نشيد الأنشاد لسليمان	٨	١١٧	
٢٣	« أشعياء	٦٦	١١٩٠	أسفار الأنبياء
٢٤	« أرمياء	٥٢	١٣٦٤	
٢٥	« مراثي أرمياء	٥	١٥٣	
٢٦	« حزقيال	٤٨	١٢٥٣	

تابع للجدول

الرقم	أسماء الأسفار	عدد الإصحاحات	الأعداد	
٢٧	سفر دانيال	١٢	٣٥٨	أسفار الأنبياء
٢٨	« هوشع	١٤	١٩٧	
٢٩	« يوئيل	٣	٧٣	
٣٠	« عاموس	٩	١٤٦	
٣١	« عُوبَدْيَا	١	٢١	
٣٢	« يونان	٤	٤٨	
٣٣	« ميخا	٧	١٠٥	
٣٤	« ناحوم	٣	٤٧	
٣٥	« حبقوق	٣	٥٦	
٣٦	« صَفَنْيَا	٣	٥٣	
٣٧	« حجّي	٢	٣٨	
٣٨	« زكريا	١٤	٢١١	
٣٩	« ملاخي	٤	٥٥	
		٩٢٩ إصحاحا	٢٣٢٤٨ عددا	

* العهد الجديد *

الرقم	أسماء الأسفار	عدد الإصحاحات	الأعداد	
٤٠	إنجيل متّى	٢٨	١٠٧١	الأسفار التاريخية.
٤١	« مرقس	١٦	٦٧٨	
٤٢	« لوقا	٢٤	١١٥٣	
٤٣	« يوحنا	٢١	٨٧٦	
٤٤	أعمال الرسل للوقا	٢٨	١٠٠٧	
٤٥	رسالة بولس إلى أهل رومية	١٦	٤٣٣	
٤٦	« « « كورنثوس الأولى	١٦	٤٣٧	

تابع للجدول ٠

الرقم	أسماء الأسفار	عدد الإصحاحات	الأعداد	
٤٧	رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الثانية	١٣	٢٥٧	الأسفار التعليمية ٠
٤٨	،، ،، ،، غلاطية	٦	١٤٩	
٤٩	،، ،، ،، أفسس	٦	١٥٥	
٥٠	،، ،، ،، فيلبى	٤	١٠٤	
٥١	،، ،، ،، كولوسى	٤	٩٥	
٥٢	،، ،، ،، تسالونيكى الأولى	٥	٨٩	
٥٣	،، ،، ،، ،، الثانية	٣	٤٧	
٥٤	،، ،، إلى تيموثاوس الأولى	٦	١١٤	
٥٥	،، ،، ،، ،، الثانية	٤	٧٩	
٥٦	،، ،، ،، تيطس	٣	٤٦	
٥٧	،، ،، ،، فليمون	١	٢٥	
٥٨	الرسالة إلى العبرانيين	١٣	٣٠٣	
٥٩	رسالة يعقوب	٥	١٠٨	
٦٠	،، بطرس الأولى	٥	١٠٥	
٦١	،، ،، الثانية	٣	٦١	
٦٢	،، يوحنا الأولى	٥	١٠٥	
٦٣	،، ،، الثانية	١	١٣	
٦٤	،، ،، الثالثة	١	١٥	
٦٥	،، يهوذا	١	٢٥	
٦٦	رؤيا يوحنا اللاهوتى	٢٢	٥٠٤	السفر النبوى ٠

٢٦٠ إصحاحا ٠ ٨٠٥٤ عددا ٠

مجموع الكل ٩٢٩ ٢٣٢٤٨

٢٦٠ ٨٠٥٤

(١١٨٩) إصحاحا (٣١٣٠٢) عددا ٠

(١)

واستغرق الكتاب المقدس فى ترجمته للغة العربية الموجودة بين يدى ١٧٧٦ صفحة

العهد القديم استغرق ١٣٥٦ ،،

والعهد الجديد استغرق ٤٢٠ ،،

---

(١) طبعة دار الكتاب المقدس القاهرة مصر ١٩٨٣ م ٠

* الفصل الأول *

الرسائل المعتمدة وقانونيتها

أهمية الرسائل .

سبق أن ذكرت أن العهد الجديد يتكون من سبعة وعشرين سفرا ، تنقسم إلى ثلاثة أقسام . والتى نحن بصدد البحث فيها القسم الثانى منها التى تسمى " الأسفار التعليمية "، وهي رسائل الرسل التى تتألف من إحدى وعشرين رسالة . وتمثل هذه الرسائل جزءا أساسيا ومهما فى العهد الجديد من ناحيتي الكم والكيف . فمن ناحية الكم أنها تستغرق ثلثي العهد الجديد تقريبا ، ومن ناحية الكيف أن موضوعها أهم الموضوعات فى الديانة المسيحية . فإنها " الأسفار التعليمية " التى تشرح فى صورة مفصلة كثيرا من العقائد المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها ، وتوجه قسطا كبيرا من عنايتها إلى توضيح العقيدة ، وتقرير ألوهية المسيح ، وبنوته لله ومبدأ التثليث .... إلخ .

وكما يقول " وليم باركلى " : إن الرسائل شرح الرسل الموحى إليهم كلام المسيح ، إفادة لمؤمنى الكنيسة ، ليكون موضوع اعتقادهم وقانون سيرتهم " (١) . وإذ علمنا أن هذه الرسائل تضمنت التعاليم الأساسية للمسيحية ، علمنا بالتالى مدى أهمية هذه الرسائل ، وخاصة رسائل " بولس " ، فإن المسيحيين يأتمرون بها تماما كما يأتمرون بما ورد فى الأناجيل منسوبا للمسيح نفسه . ولهذه الأسفار أيضا قيمة كبرى من الوجهة التاريخية لدى المسيحيين ، لأنها أولى أسفار العهد الجديد كله كتابة وتدوينا . إذ أن معظمها كتبت قبل الأناجيل وأسفار أخرى . وإن أسبقها هو رسالة يعقوب على القول الراجح عندهم (٢) ، إذ كتبها يعقوب – وهو من أقرباء المسيح – سنة ٤٥ م ، فى مدينة أورشليم كما سنرى فيما بعد .

وكانت الرسائل تقرأ فى اجتماعات العبادة مع كتب العهد القديم ، كما أمر به بولس " أناشدكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الإخوة القديسين " (٣) ، وأيضا : متى قرئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضا فى كنيسة اللاودكيين " (٤) ، لذا

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص ٩ ، وليم باركلى ، ترجمة القس منيس عبد النور ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الأولى ١٩٧٥ م

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٠٤ .

(٣) ١ تسالونيكى ٥ : ٢٧ .

(٤) كولوسى ٤ : ١٦ .

نستطيع أن نجزم بدون تردد بأن الديانة المسيحية تأسست على هذه الرسائل !

ولبولس النصيب الأكبر من مجموع هذه الرسائل ، حيث تنسب إليه وحده أربع عشرة رسالة .

والسبع الباقية — التى تسمى الرسائل الكاتوليكية (العامة) — توزع لباقى الرسل الأربعة .

إذن إن ثلثي هذه الرسائل التعليمية هى رسائل بولس ! مع أن هناك حقيقة ثابتة يجب

أن نلفت انتباهنا إليها ، وهي أن بولس نفسه لم يكن يقصد أن يكتب وثائق لاهوتية ، ولكن مجرد

حقائق روحية من صديق لأصدقائه . ولم تكن رسائله بحوثا أو عظات ، بل رسائل بكل

معنى الكلمة ، كتبت على نسق الرسالة اليونانية المألوف فى ذلك العصر فى ديباجتها

ووضعها وختامها . يقول " دايسمان Deissmann.A. " فى كتابه " Paul "

: لم يكن فى فكر بولس أن يضيف كتابات جديدة إلى الرسائل اليهودية الموجودة ، ولا أن

يغنى الأدب الدينى فى أمته ...... ولم يكن يعلم أن ما كتبه سيحتل مكانة فى التاريخ .

بل ربما لم يفكر فى أنه سيبقى للجيل التالى ، وبالطبع لم يتوقع أن ينظر الناس إلى كتاباته

ككتابات مقدسة "(١) . وأكد هذه الحقيقة الكاتب المسيحي المتعصب " حبيب سعيد "

قائلا : لم يدر بخلده (بولس) عند كتابتها أنه يسطر ألفاظا ستبقى ذخرا ثمينا تعتز به

الأجيال القادمة ، وتتخذ مستقى عميقا تستخرج منه أسمى ما عرف البشر من أخلاق وعظات

وبينات . وقد كتب رسائله بموحيات الساعة الناشئة عن حاجات عاجلة حاتمة "(٢) . ولم يكن

بولس جالسا على مكتبة مؤلفا رسائله يعيد ما يكتب ويعد له ، ليتفنن فى صياغة الألفاظ

وإبداع التراكيب . لكنه يملى بسرعة ، وسكرتير يحاول اللحاق فى الكتابة . وعندما كان

يملى كانت صورة المكتوب إليهم ماثلة فى ذهنه ، فكان يسكب قلبه لهم فى الكلمات التى تندفع من

فمه فى محاولة لمساعدتهم . وعلى هذا فإن كتابات بولس ليست بلاغة لفظية منظومة فى

عقد ، لكنها خطرات قلبه تنصب إلى قلوب أصدقائه الذين يكتب إليهم.(٣) وقد نرى بعض

الجمل من كلامه تبدأ ولا تنتهى ، وبعضها يطول مع جمل اعتراضية . وينبغى أن أذكر

بأن أربع عشر رسالة لبولس تتكون من ١٠٠ إصحاح ، و ٢٣٣٣ عددا ، وتستغرق ١٢٣

---

(١) انظر: تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) وليم باركلى ص ١٢ ، وانظر: الفكر اللاهوتى فى رسائل الرسول بولس ، ص ١٢ — ١٣ ، د. القس فهيم عزيز دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الأولى ١٩٨١ م .

(٢) نقلا عن : دعوة الحق " القاضى منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٤٦ .

(٣) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) وليم باركلى ، ص ١٣ ، و : دعوة الحق " القاضى منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٤٨ .

صفحة من صفحات العهد الجديد كلها البالغ عددها ٤٢٠ صفحة فى النسخة الموجودة عندى.
بينما الرسائل السبع الكاتوليكية تتكون من ٢١ إصحاحا و ٤٣٢ عددا وتستغرق ٢١ صفحة
فقط. بل أن الرسائل الثلاث الأخيرة منها وهي الرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا
تتكون من إصحاح واحد فقط، ولا تتجاوز كل رسالة منها صفحة واحدة. لذا تعتمد المسيحية
على رسائل بولس أكثر من اعتمادها على ماعداها من أسفار العهد الجديد، بل من أسفار الكتاب
المقدس كلها. وينسب هذا الدين إلى بولس أكثر مما ينسب إلى سواه. حتى إن كلمة
الرسول إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده (١). فرسائل بولس إذن هي وحدها مصدر
الديانة المسيحية، وإن الرسائل الأخرى كانت تكرارا وصدى لآراء بولس وتشريعاته. صحيح
أن الأسفار الأخرى قد عرضت كذلك للعقائد والشرائع والأخلاق، لكنها عرضت لهذه الأمور
فى صور مجملة، وبعض ما ذكرته عن هذه الأمور قد أوردته فى عبارات غامضة يعوزها
الشرح والتوضيح. على حين أن رسائل بولس قد جعلت هذه الأمور موضوعها الأصيل،
وعالجتها فى صورة مفصلة واضحة، وكانت صريحة كل الصراحة فى إثبات ألوهية المسيح
وبنوته لله حسب زعمهم. وكما يقول "ف.ب.ماير" إن تفكير "يوحنا" يميل
إلى التعمق فى الروحانيات، وبصيرته الروحية ترى الطريق إلى حقائق الإنجيل أكثر من
مناقشتها. وكان تفكير "بطرس" عبرانيا بصفة خاصة، ينظر إلى كل شيئ من وجهة
نظر تعليمه. أما الرسول "بولس" فمع أنه يكتب كعبراني، ويستخدم طرقا فى تفسير
الكتاب المقدس عويصة وغريبة على أفهامنا، إلا أن رسائله تتميز بقوة التعبير والتناسق
المنطقى، وأسلوب تقديم الحجج والتوفيق فى الكلمات والعبارات. فكانت لرسائله أثر
فعال فى زيادة انتشار المسيحية بين أمم الغرب (٢). ويمتاز بولس أيضا بأنه هو الوحيد
الذى يتكلم عن الكنيسة باعتبارها جسد المسيح وأن المسيح هو رأسها (٣). ولقد أصبحت
رسائل بولس هي الإنجيل الأول للمسيحيين، وعليها اعتمادهم أكثر من غيرها. وكما قد
ذكرت أكثر من مرة فى الصفحات السابقة أن المسيحية الحاضرة هي مسيحية بولس باتفاق العلماء.

---

(١) الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، د. على عبد الواحد وافى، ص ١١٦.
(٢) انظر: حياة بولس، فعب.ماير، ص ١٨١ تعريب القمص مرقس داود مكتبة المحبة القاهرة ط الثالثة ١٩٧٨ م.
(٣) انظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، متى بهنام، ج ٢، ص ١٢٤، مكتبة كنيسة الإخوة القاهرة ط الثانية ١٩٦٨ م.

بل تذكر دائرة المعارف الفرنسية الجزء الخامس ص ١١٧ أن كتب العهد الجديد كلها من تأليف بولس وتلامذته. وليست الأسماء التي وضعت على الأناجيل هي أسماء مؤلفيها الحقيقيين، بل نسبت إليهم لتعطى مكانتهم . كما قرر به الأب " كانينجسر "[1] بعد قيامه بدراسة قيامة المسيح، حيث وصل إلى أنه ليس هناك أي كاتب للعهد الجديد سوى بولس "[2]. ولكن هناك رأي يناقض ذلك، وهو رأي " أكليمنضس "[3] و " أوريجين "[4] وهما من أشهر أساتذة المدرسة اللاهوتية. فإن " أكليمنضس " صرح بأن بولس الذي فاق الجميع في قوة التعبير وغزارة التفكير لم يكتب إلا أقصر الرسائل[5]. أما باقي أتباع مخلصنا الاثني عشر رسولا والسبعون تلميذا وآخرون كثيرون لا يحصى عددهم فلم يترك لنا أحد منهم شيئا مكتوبا سوى متّى ويوحنا. وإنهما لم يكتبا إلا تحت ضغط الحاجة "[6] وأما " أوريجين "، فقد قرر في كتابه ((شرح إنجيل يوحنا)) المجلد الخامس بأن بولس لم يكتب شيئا إلى جميع الكنائس. والذي كتبه إلى بعضها سطران أو أربعة سطور. كما أنه قد صرح بشكه في نسبة معظم رسائل الرسل لكاتبيها . وهذا نصه : .... أما ذاك الذي جعل كفئا لأن يكون خادم عهد جديد لا الحرف بل الروح، أي بولس الذي أكمل التبشير بالإنجيل من أورشليم وما حولها إلى الليريكون، فإنه لم يكتب إلى كل الكنائس التي علمها، ولم يرسل سوى أسطر قليلة لتلك التي كتب إليها . وبطرس الذي بنيت عليه كنيسة المسيح، التي لا تقوى عليها أبواب الجحيم ترك رسالة واحدة ... ولعله ترك رسالة ثانية

---

(١) انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، ج ٣ ص ٢٧٩-٢٨٠. وانظر أيضا : المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية، الدكتور محمد الصادقي الطهراني ج ١ ص ٥٠، مكتبة جبل عامل لبنان، ط الأولى ١٣٨٨هـ .

(٢) انظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، ص ٩٠-٩١ .

(٣) أكليمنضس ثالث أسقف على روما بعد القديس بطرس (٩٢- ١٠١م) وأحد الآباء الرسوليين خلفا لأنكليتس، كان على ملامح بولس كما ذكره في رسالته إلى أهل فيلبي (٤ : ٣) كتب رسالة باسم كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس، وهو يوناني وقيل روماني، مات مقتولا في بلاد القرم التي نفاه إليها الإمبراطور تراجان، وقيل مات ميتة طبيعية (انظر تاريخ الكنيسة ص ١٣٩) وهو غير كليمنت الإسكندري، وقد وقع في خطأ فاحش كتاب الموسوعة العربية الميسرة في ترجمة كل منهما، انظر ص ١٩٠ .

(٤) أوريجين (١٨٥-٢٥٤م) ولد بالإسكندرية نشر الإنجيل بست صور مختلفة، وشرح الأسفار المقدسة، وأصبح من أشهر أساتذة مدرستها اللاهوتية، ترك آثارا واسعة في اللاهوت، وتطرف في بعض تعاليمه (الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٦١) .

(٥) راجع تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص ١٤٨، ترجمة وتعليق القمص مرقس داود، ويقول المترجم: إن لبولس رسائل أخرى غير منسوبة إليه في العهد الجديد، وهو مصداق قول أكليمنضس !؟

(٦) نفس المرجع، ص ١٤٩ .

أيضا ولكن هذا أمر مشكوك فيه ... وذاك الذى اتكأ فى حضن يسوع أى يوحنا ....
ترك رسالة قصيرة جدا ، وربما أيضا رسالة ثانية وثالثة ولكنهما ليسا معترفا بصحتهما من الجميع،
وهما معا لايحتويان على مائة سطر (١)". وبخصوص الرسالة إلى العبرانيين قرر "أوريجين"
بما يأتى : إن كل من يستطيع تميز الفرق بين الألفاظ اللغوية ، يدرك أن أسلوب الرسالة
إلى العبرانيين ليس عاميا كلغة الرسول الذى اعترف عن نفسه بأنه عامي فى الكلام أى فى التعبير،
بل تعبيراتها يونانية أكثر دقة وفصاحة . بل لابد أن يعترف كل من يفحص النص الرسولى
بدقة أن أفكار الرسالة عجيبة، وليست دون الكتابات الرسولية المعترف بها (٢)". فمن هو
إذن كاتب الرسائل الأربع عشرة المنسوبة إلى بولس ؟ أجاب "أوريجين" بقوله الصريح
: وإن سمح لى بإبداء رأيى قلت إن الأفكار هي أفكار الرسول (بولس) ، أما الأسلوب
والتعبيرات فهي لشخص تذكر تعاليم الرسول ، ودوّن ما قاله معلمه عندما سنحت له الفرصة .
لذلك إن اعتقدت أية كنيسة أن بولس هو الذى كتب هذه الرسائل فلتقبل لأجل هذا ، لأنه
لابد أن يكون للأقدمين تعليلهم عندما سلموها إلينا على أساس أنها للرسول . أما من كتب
الرسائل يقينا فالله يعلم . يقول بعض من سبقونا إن "أكليمنضس" أسقف روما
كتب الرسائل ، والآخرون إن كاتبها هو "لوقا" مؤلف الإنجيل وسفر الأعمال (٣)" .

إذا تأملنا فى النص المذكور ظهر لنا أن "فاستس" على حق عندما يقول :
إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم
ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم (٤)" . على كل حال سواء كانت نسبة الرسائل لكاتبيها صحيحة
أم لا ، فإن آثار هذه الرسائل وخصوصا الرسائل الأربع عشرة المنسوبة لبولس، فى تحريف دين
المسيح واضحة كل الوضوح ،بل أكثر تأثيرا من الأناجيل ، فإن الأناجيل أسفار تاريخية وأما
الرسائل فتعليمية . وبولس نفسه هو المتهم الأول فى هذا التحريف.علاوة على أن "أوريجين"
قد أقر بأن الأفكار هي أفكار بولس،أما التعبيرات فهي لشخص آخر . وأيضا هناك فرقة فى القرن
الأول عاصرت بولس كانت تنكر عليه أشد الإنكار ، وتتهمه بالردة وهي فرقة الأبيونية (٥) . وكان غالبية
المسيحيين حتى عام ٧٠م يعتبرون بولس خائنا ،يصفونه بالعدو ويتهمونه بالمكر والخداع ،كما
قد ذكرت ذلك من قبل (٦) .

---

(١) تاريخ الكنيسة، ص ٣١٧ (٢) تاريخ الكنيسة ، ص ٣١٨ .
(٣) نفس المرجع، ص ٣١٩ . (٤) انظر : إظهار الحق ، ج ١ ، ص ١٠٣ ،
وانظر : المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية ، د. محمد الصادق الطهرانى ،
ج ١ ، ص ٤٨ .
(٥) انظر الصفحة ١٦١ من هذه الرسالة.
(٦) انظر الصفحة ١٨٤ ــ ١٨٥ من هذه الرسالة.

* الجانب التاريخي للرسائل *

متى كتبت الرسائل ...؟ وأين كتبت ...؟ ولأي سبب .....؟

سأحاول هنا الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة إن شاء الله . ولكن بادئ ذي بدء

لابد أن أذكر أمورا ثلاثة مهمة وهي :

الأول - أن الرسائل رتبت في الكتاب المقدس بالنظر إلى طولها وأهميتها ، لا إلى تاريخ كتابتها . لذلك قدمت رسائل بولس على غيرها لمكانتها في الديانة المسيحية .

الثاني - أن الرسائل لم تجمع إلا حوالي سنة (٩٠م وقيل سنة ١١٠م) في مدينة "أفسس" وكانت كنائس كثيرة تحتفظ بأجزاء من هذه الرسائل التي كانت مكتوبة على قطع من أوراق البردي. ولم يكن أمر جمعها وترتيبها الترتيب الصحيح سهلا ميسورا[١].

الثالث - أن عناوين الرسائل ليست على الإطلاق جزءا منها ، وإنما أضيفت فيما بعد عندما جمعت الرسائل ، ونشرت لتقرأها كل الكنائس[٢].

١ - رسالة بولس إلى أهل رومية .

تقول المراجع المسيحية إن هذه الرسالة كتبها "بولس" سنة ٥٨م وقيل سنة ٥٦م أثناء وجوده في بيت "غايُس" بمدينة كورنثوس ، وكان بولس ضيفا له[٣]،كما ذكره "بولس" نفسه في هذه الرسالة بقوله : يسلم عليكم غايُس مضيف الكنيسة كلها[٤]" وغايس هذا واحد من اثنين من أهل كورنثوس اللذين عمدهما "بولس"،كما يقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: أشكر الله أني لم أعمد أحدا منكم إلا "كِرِيسْبُسْ وغَايُسْ"[٥]. وعندما كتبت هذه الرسالة كان بولس مشتاقا جدا إلى زيارة رومية .

---

(١) انظر: تفسير العهد الجديد (رسالتا كورنثوس) وليم باركلي ، ص ١٥ تعريب القس باقي صدقة دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الثانية ١٩٧٩ م، وانظر : Bible Sejarah dan Perkembangannya Serta hal-hal yang bersangkutan. ص ٤٤ .

(٢) انظر: تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) وليم باركلي ، ص ١٠١ ترجمة القس الدكتور عبد المسيح إسطفانوس، دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الأولى ١٩٨٠ م .

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤١٨ ، وانظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، متى بهنام جـ ٢ ص ١٢٥ ، وانظر: Analisa Al-Kitab (الكتاب المقدس دراسة وتحليل) باللغة الإندونيسية ، تأليف "Howard Gering" ، مكتبة عمانوئيل جاكرتا ط الثانية بدون سنة.

(٤) رومية ١٦ : ٢٣ (٥) ١ كورنثوس ١ : ١٤ .

يقول : لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم ››(١) ، وأيضا : فهكذا ما هو لي مستَعَدّ لتبشيركم أنتم الذين في رومية ››(٢) ، ولكن لم يبلغ إلى تحقيق حلمه في زيارة رومية . وذلك لأن كنيسة أورشليم (أم الكنائس) كانت تعاني الفقر ، فكتب هذه الرسالة إلى أهل رومية . ثم غادر مدينة كورنثوس متوجها إلى أورشليم حاملا معه المساعدة المالية للقديسين الفقراء فيها . يقول : ولكن الآن أنا أذهب إلى أورشليم لأخدم القديسين ، لأن أهل مكدونية وإخائية(٣) استحسنوا أن يصنعوا لفقراء القديسين الذين في أورشليم ››(٤) . وأرسلت هذه الرسالة على يد " فيبى ›› خادمة الكنيسة التي في كنخريا(٥) من أعمال كورنثوس . إذ ذكر بولس في الإصحاح الأخير بقوله : أوصى إليكم بأختنا فيبى التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين ، وتقوموا لها في أي شيئ احتاجته منكم ، لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضا ››(٦) . وقد أرسلت هذه الرسالة إلى مسيحيي رومية حيث كان له هناك أصدقاء كثيرون . إذ اعتقد أن كنيسة رومية تدخل ضمن دائرة خدمته كرسول للأمم . كما يقول : وأنا نفسي أيضا متيقن من جهتكم يا إخوتي إنكم أنتم مشحونون صلاحا ومملؤون كل علم ، قادرون أن ينذر بعضكم بعضا ، ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئيا أيها الإخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التي وهبت لي من الله ، حتى أكون خادما ليسوع المسيح لأجل الأمم ، مباشرا لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم ، مقبولا مقدسا بالروح القدس ››(٧) . وكان أهل رومية من ضمن الغرباء الذين حضروا في أورشليم في يوم الخمسين ، فآمنوا بالمسيح وحملوا بشارة الإنجيل معهم إلى رومية كما ذكر في أعمال الرسل . . . . . . والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء . ››(٨)

أما السبب في كتابة بولس هذه الرسالة فهو أمور آتية :

١ — كان بولس سيد الإستراتيجية الكرازية . وكان يرى أراضي الغرب العذراء التي لم تصلها رسالة المسيح ، ولكنه كان محتاجا إلى قاعدة ينطلق منها بالرسالة . كما كان محتاجا إلى مركز للعمل . وكانت هناك قاعدة ممتازة وحيدة في نظره ، هي مدينة روما . ولذلك كتب بولس

---

(١) رومية ١ : ١١ (٢) رومية ١ : ١٥

(٣) ولاية رومانية تشمل بلاد اليونان الواقعة جنوبي مقدونية ، وكانت عاصمتها كورنثوس (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣١) .

(٤) رومية ١٥ : ٢٥ — ٢٦ .

(٥) ميناء كورنثوس على بعد ٧ أميال شرقي المدينة على الخليج السارونى ، وكانت مركزا تجاريا ، واسمها الحالي كخريس (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٨٧) .

(٦) رومية ١٦ : ١ — ٢ . (٧) رومية ١٥ : ١٤ — ١٦ .

(٨) أعمال الرسل ٢ : ١٠ .

رسالته إلى أهل رومية[1] ، ورومية هي عاصمة الإمبراطورية الرومانية فكانت قبلة أنظار العالم كله ، وملتقى ساسة العالم وقادته . وفيها يهود كثيرون ، وهم الذين تشتتوا فيما بعد في كل أرجاء العالم[2] . والحقيقة أن بولس دائما كان يحلم بالتوسع في التبشير . وهذا الحلم يسيطر على كل فكره . وكان دائما يريد الوصول إلى مناطق جديدة لنشر الرسالة ، حتى يريد الوصول إلى أسبانيا[3] . يقول : فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر فسأمضي مارّا بكم إلى أسبانيا ،، وأيضا : فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم[4] ،، . وكانت روما قد فتحت أسبانيا وشقت الطرق الموصلة إليها .

٢ — وقع خلاف شديد نشأ بين المسيحيين الذين هم من الأمم وبين المسيحيين اليهود . وكان كل منهم يتفاخر على الآخر بأمجاده وتراثه . فالذين من الأمم كانوا يتباهون بأن الفلاسفة منهم ، وأن منهم من عرفوا الإله الحق . واليهود يتفاخرون بأنهم شعب الله المختار ، وأن الله أنزل عليهم الوحي فالأنبياء منهم وكان المسيح نفسه منهم[5] . فكتب بولس لهم هذه الرسالة موضحا لهم ، بأن اليهود والأمم كلاهما أخطأ وتنكب الطريق السوى قبل مجيئ المسيح ، وأن نعمة الإيمان إنما هي هبة مجانية لا اليهود استحقوها ولا الأمم ، وأنهم كانوا محتاجين إلى نعمة الإيمان التي جاء بها المسيح . يقول : وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهودا له من الناموس والأنبياء . بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون . لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجانا بنعمة الفداء الذي بيسوع المسيح . . . . فأين الافتخار ، قد انتفى . بأي ناموس ، أبناموس الأعمال ؟ كلا ، بل بناموس الإيمان ! إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس . أم الله لليهود فقط ؟ أليس للأمم أيضا ؟ بلى للأمم أيضا ! لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان[6] ،، .

٣ — كان بولس يعلم أن كنيسة روما تعرف اسمه ، ولكنه كمفكر واقعي كان يعلم أن التقارير التي وصلتهم عنه ربما كانت مشوشة غير واضحة . فقد نشر أعداؤه اتهامات كثيرة ضده . فأراد أن يسجل إيمانه وعقيدته في هذه الرسالة ، حتى إذا حضر إلى روما يجد

---

(١) وليم باركلى ، تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص ١٦ .
(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤١٧ . والآن هي عاصمة إيطاليا منذ سنة ١٨٧٠ م .
(٣) رومية ١٥ : ٢٨ (٤) رومية ١٥ : ٢٤
(٥) انظر : حاشية الكتاب المقدس ، ص ٥٠٤ ط بيروت سنة ١٧٨٠ م .
(٦) رومية ٣ : ٢١ — ٣٠ .

أهلها متعاطفين معه (١). وكان يطلب الدعاء منهم لأجله، فيقول : فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله، لكي أنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية، ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين (٢) ". أما السبب في تقديم رسالة رومية على سائر رسائل بولس رغم أنها ليست أولى الرسائل التي كتبها، فيرجع إلى عدة أسباب ذكرها قاموس الكتاب المقدس وهي (٣) :

١ - إنها أكثر بلاغة وعباراتها منطقية.

٢ - سمو تعاليمها.

٣ - كثرة إصحاحاتها.

٤ - عظمة المدينة التي كتبت إليها.

من أجل ذلك وضعت هذه الرسالة بعناية خاصة لأنها تحمل رسائل بولس وإنجيله، حتى سماها " مارتن لوثر " الإنجيل الأكمل، واعتبرها " كولرج " أعمق سفر في الوجود (٤).

أما المفسر ((ساندى)) فقد دعاها " وصية بولس " و ((برتن)) فقد دعاها " مناعة " أي أنها تعطي مناعة ضد الفساد (٥). فهم جميعا يعتبرونها " الرسالة الأساسية " أو " الجوهرية للتعليم المسيحي (٦) ". بقي لي هنا أن أذكر أن العلماء اللاهوتيين يجدون في هذه الرسالة مشكلتين كبيرتين لا حل لهما : الأولى - أن الإصحاح السادس عشر من هذه الرسالة ذكر فيه بولس أسماء لستة وعشرين شخصا. وكأنه يعرفهم جيد المعرفة. فكيف يعرف بولس ستة وعشرين شخصا في كنيسة لم يزرها أبدا ولم يؤسسها ؟ إنه يحيي في هذه الرسالة عددا أكبر من الذي يحييه في أي رسالة أخرى، مع أن قدميه لم تطآ روما. فكيف يكون هذا ؟!

لذلك فقد ظن البعض أن الإصحاح السادس عشر ليس جزءا من رسالة رومية، بل هو جزء من رسالة أخرى ألحق برسالة رومية عند جمعها (٧).

الثانية - أن بعض النسخ القديمة تورد أعداد ٢٥ - ٢٧ من الإصحاح السادس عشر في ختام الإصحاح الرابع عشر. وتوردها مخطوطتان قديمتان مرتين، مرة في نهاية الإصحاح.

---

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص ١٧

(٢) رومية ١٥ : ٣٠ - ٣١ (٣) انظر ص ٤١٨ .

(٤) أ. م. هودجكن : المسيح في جميع الكتب " ص ٣٩٩ .

(٥) وليم باركلي، تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص ١٤

(٦) متى بهنام : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " ج ٢، ص ١٢٦ .

(٧) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص ١٩ .

١٤ وأخرى في نهاية الإصحاح ١٦ . كما تورد ها مخطوطة أخرى في نهاية الإصحاح ١٥ .(١)

وهذا نصها : ((وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذي كان مكتوما في الأزمنة الأزلية ، ولكن ظهر الآن وأُعْلِم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين))(٢) .

فكيف يعتبر المسيحيون هذه الرسالة أعظم الرسائل بل أعظم الأسفار كلها ، ويقدسونها أكبر تقديس مع وجود هاتين المشكلتين ؟ ! وأخيرا أود أن أذكر بأن هذه الرسالة تتكون من ١٦ إصحاحا و ٤٣٣ عددا و ٥٨٥٧ كلمة وتستغرق ٢١ صفحة ، في النسخة الموجودة أمامي .

٢ — رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس .

يقولون إن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٥٧ م وقيل سنة ٥٨م وقيل سنة ٥٥م(٣) من مدينة أفسس . كما يقول في الإصحاح السادس عشر : ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخمسين . لأنه قد انفتح لي باب عظيم فعّال ويوجد معاندون كثيرون ،،(٤) . وكورنثوس هي عاصمة مقاطعة إخائية في بلاد اليونان . وكانت مركزا تجاريا عظيما لوقوعها في الطريق بين رومة وبلاد الشرق ، تقع على بعد ٤٠ ميلا غربي أثينا . وقد اشتهرت بغناها وانتشار الفساد والخلاعة بين أهلها ، حتى أصبحت مضربا للمثل في ذلك . فإذا قيل امرأة كورنثية فإنهم كانوا يقصدون أنها فاجرة سيئة السيرة(٥) . كما يقول بولس في الإصحاح السادس : أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله . لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكّيرون ولا شتّامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله . وهكذا كان أناس منكم ،،(٦) . وكان سكان هذه المدينة خليطا من عناصر مختلفة . منهم الجنود الرومانيون الذين منحهم " يوليوس قيصر ،،(٧) امتياز الإقامة . ومنهم نفر من الفنيقيين والفريجيين . كما كان منهم عدد كبير من اليهود الذين وجدوا في هذه المدينة فرصا كثيرة للتجارة(٨) . أما الآن فقد صارت قرية صغيرة تدعى " جوتو Gartho ،،

---

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص ٢١ .

(٢) رومية ١٦ : ٢٥ — ٢٧ .

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس ،، ص ٧٩٧ ، وانظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، وانظر : Analisa Al-Kitab ص ٧٥ .

(٤) ١ كورنثوس ١٦ : ٨ — ٩ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٩٦ — ٧٩٧ .

(٦) ١ كورنثوس ٦ : ٩ — ١٠ .

(٧) يوليوس قيصر Cesar (١٠١ — ٤٤ ق م) من كبار رجال الدولة والقواد في روما والعالم ، عشق كليوبترة ملكة مصر ، تآمرت عليه الطبقة الأرسطقراطية في مجلس الشيوخ . فاغتيل (المنجد في الأعلام ، ص ٥٦٠) .

(٨) وليم باركلي ، تفسير العهد الجديد (رسالة كورنثوس) ص ١٣ .

وكان بولس قد زارها ثلاث مرات. الأولى حوالي سنة ٥٣م. ففي أعمال الرسل : ((وبعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس)) (١) والثانية سنة ٥٤ ـ ٥٧م كما يقول في الإصحاح السادس عشر : وربما أمكث عندكم أو أشتى أيضا لكي تشيعونى إلى حيثما أذهب ..... لأني أرجو أن أمكث عندكم زمانا إن أذن الرب ،، (٢) . والثالثة ربما مر أثناء بقاءه ثلاث أشهر في هلاس (بلاد اليونان). " ولما كان قد اجتاز في تلك النواحي ...... جاء إلى هلّاس فصرف ثلاثة أشهر ،، (٣) في شتاء سنة ٥٧ ـ ٥٨ م . وهناك كتب الرسالة الرومية كما سبق ذكرها . وقد آمن به كثيرون من أهل كورنثوس ، وعلى رأسهم " كِرِيسْبُس ،، رئيس المجمع الذي آمن به مع جميع بيته . وكان عندما وصل إلى هذه المدينة أقام فيها مع أكيلا (٤) وبريسكلا (٥) ثم انتقل إلى بيت " يوستس ،، بعد أن قاومه اليهود في المجمع. (٦)

أما الداعي لكتابة هذه الرسالة فهو كالآتي : أولا : وصول الخبر إلى بولس من مصادر متنوعة عن الانشقاقات الحادثة في كورنثوس . فقد سمع من أهل خلوى عن الخصومات والمنازعات التي مزقت كنيسة كورنثوس . يقول : لأني أُخْبِرتُ عنكم من أهل خلوى أن بينكم خصومات ،، (٧) وبلغته الأخبار أيضا عند زيارة " إستفاناس ،، و " فرتوناتوس ،، و " إخائيكوس ،، لأفسس يقول : ثم إني أفرح بمجيء إستفاناس وفرتوناتوس وإخائيكوس لأن نقصانكم هؤلاء قد جبروه ،، (٨) . ويكمل هؤلاء ماكان ينقص بولس من المعلومات . وذكر في كتاب " Ana-lisa Al-Kitab ،، (الكتاب المقدس دراسة وتحليل) : أنه كان المسيحيون في كورنثوس (٩) قد اختلفوا فيما بينهم وانقسموا إلى أربع فرق . ومن أسباب ذلك الانقسام أن كنيسة كورنثوس تأسست بتبشير بولس مدة إقامته فيها ، كما ذكر في سفر الأعمال (١٠) . ففرقة تنتسب

---

(١) أعمال الرسل ١٨ : ١ (٢) ١ كورنثوس ١٦ : ٦ ـ ٧ .

(٣) أعمال الرسل ٢٠ : ٢ ـ ٣ .

(٤) أكيلا يهودي ولد في بنش من أعمال آسيا الصغرى وقد اعتنق المسيحية على يد بولس ، وأصبح زميلاله في الخدمة . وقد أقام أكيلا مع زوجته بريسكلا مدة من الزمن في رومية ولكنهما اضطرا إلى تركها عندما أصدر الإمبراطور " كلوديوس ،، أمرا إلى كل سكانها اليهود بتركها ، فانتقل إلى كورنثوس حيث أخذ معه صناعته وهي صناعة الخيام . وقد أقام معه بولس هناك لأنه كان من أبناء صناعته . (قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠١) .

(٥) بريسكلا امرأة أكيلا كانت تساعد زوجها في التبشير وفي أعماله الخيرية وضيافاته الكثيرة التي كانت تصنعها في بيتها . (قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٧٢) .

(٦) أعمال الرسل ١٨ : ٢ ـ ٨ . (٧) ١ كورنثوس ١ : ١١ (٨) ١ كورنثوس ١٦ : ١٧

(٩) Analisa Al-Kitab (الكتاب المقدس دراسة وتحليل) باللغة الإندونيسية تأليف : Howard M.Gering ،، ص ٧٥ ، قارن : المسيح في جميع الكتب ، أ.م. هودجكن ، ص ٤٠١

(١٠) اقرأ أعمال الرسل إصحاح ١٨ : ١ ـ ١٧ .

إلى " بولس ،، وانحازت إليه، وهم الرومانيون . ثم أتاها " أَبُلُّوس،، فانتسبت إليه فرقة وانحازت له، وهم اليونانيون. لأن " أبلوس ،، فصيح اللسان وتعلم الفلسفة في الإسكندرية . ففي أعمال الرسل : ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس إسكندري الجنس رجل فصيح مقتدر في الكتب (١) ...... فحدث فيما كان " أبلوس ،، في كورنثوس ......،، (٢) بينما تعلق اليهود ببطرس ، الذين أنكروا على رسولية بولس وتعاليمه لأنه مغاير في تعاليم " بطرس،، . وطائفة أخرى لايعترفون لأحد من الرسل المذكورين وتمسكوا بالمسيح وتعاليمه فقط، مستندين على أنهم رأوا المسيح بالجسد . وقد ذكر ذلك في الإصحاح الأول إذ يقول بولس: فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبلوس وأنا لصفا وأنا للمسيح ؟ ألعل بولس صُلِب لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم ؟ ..... لأن المسيح لم يرسلني لأعمد بل لأبشر، لابحكمة كلام لئلا يتعطل صلب المسيح . فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله . لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء . أين الحكيم ؟ أين الكاتب ؟ أين مباحث هذا الدهر ؟ ..... لأن اليهود يسألون آية، واليونانيين يطلبون حكمة، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة ،، (٣) .

ثانيا – رد بولس على كل الاستفسارات التي سألت عنها كنيسة كورنثوس وهذا واضح من قوله : وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لايمس امرأة ....،، (٤) . وهذه الرسالة أرسلت من أفسس إلى كورنثوس بيد " تيموثاوس ،، .وهذا واضح من قوله: لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابن الحبيب والأمين في الرب الذي يذكركم بطرقي في المسيح كما أعلِّم في كل مكان في كل كنيسة ،، (٥) . وبقي لنا أن أقول إن كل من يقرأ هذه الرسالة لا بد منه أن يتسأل : هل صحيح أن هذه الرسالة هي الرسالة الأولى لبولس إلى أهل كورنثوس ؟ فإن هذه الرسالة ليست رسالة حزينة أو كئيبة . لكن المشكلة جاءت

---

(١) أعمال الرسل ١٨ : ٢٤ . (٢) أعمال الرسل ١٩ : ١

(٣) ١ كورنثوس ١ : ١٢ – ٢٣ . من هذه النصوص اتضح لنا صورة كانت عليها المسيحية الأولى من تحزب وانقسام وانضمام كل فريق لواحد من الرسل حسب العنصر والثقافة، وكما ذكرت أكثر من مرة أن غالبية المسيحيين حتى عام ٧٠ يتهمون بولس بالردة ، ويعتبرونه كمرتد وخائن . كما اتضح لنا أن العنصر الروماني كان يتشيع إلى بولس .

(٤) ١ كورنثوس ٧ : ١

(٥) ١ كورنثوس ٤ : ١٧ .

من قول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس الثانية . إذ يقول فيها : ولكني جزمت بهذا في نفسي أن لا آتي إليكم أيضا في حزن . لأنه إن كنت أحزنكم أنا فمن هو الذي يفرحني إلا الذي أحزنته ...... لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت بدموع كثيرة "(١) وأيضا : لأني وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة لست أندم مع أني ندمت. فإني أرى أن تلك الرسالة أحزنتكم ولو إلى ساعة "(٢) . فالسؤال هنا إلى أية رسالة أشار بولس ؟ إنها رسالة كتبت بدافع من حزن كثير وقلب كئيب، رسالة شديدة حتى أن بولس نفسه كان شاعرا بالأسف. لأنه اضطر إلى إرسالها . ومن المستحيل أن المشار إليها هي الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس الموجودة في الكتاب المقدس . فإنها ليست رسالة حزينة أو كئيبة . فالسؤال الذي لايزال ينتظر الجواب هو : كم رسائل كتبها بولس إلى أهل كورنثوس ؟ وهل الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس المذكورة في العهد الجديد هي رسالته الأولى حقا ؟ أم هناك رسائل أخرى كتبها بولس إلى أهل كورنثوس، وإن هذه الرسالة الأولى ليست أولاها حقا ؟ ومن بينها تلك الرسالة الحزينة والكئيبة المشار إليها في رسالته الثانية ؟.

هذا، وإن هذه الرسالة (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس) تتألف من ١٦ إصحاحا و ٤٣٧ عدد و ٥٨٦٩ كلمة وتستغرق ٢١ صفحة .

٣ - رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس .

يقولون إن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٥٧ م بعد أشهر قليلة من الرسالة الأولى . وقيل سنة ٥٥ م وقيل سنة ٦٠ م وقيل سنة ٦٢ م(٣)، كتبها في مدينة مكدونية كما في الإصحاح السابع(٤) . يقول بولس: لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة ..." وأيضا : ثم نعرفكم أيها الإخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية "(٥) وأيضا : لأني أعلم نشاطكم الذي أفتخر به من جهتكم لدى المكدونيين ..."(٦) والسبب في كتابتها هو ما سمعه بولس من " تيطس "، وربما من " تيموثاوس " أيضا عن تأثير رسالته الأولى ، فمع أن نتيجة تلك الرسالة كانت جيدة عند أكثر أعضاء كنيسة كورنثوس ، فإن البعض ما يزالون ينكرون سلطته. فكتب إليهم هذه الرسالة مبينا لهم أهمية الإيمان والالتزام .

---

(١) ٢ كورنثوس ٢ : ١ - ٤ (٢) ٢ كورنثوس ٧ : ٨

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٧، وانظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية"، ج ٢ ، ص ١٥٧، وانظر : "Analisa Al-Kitab" ص ٧٩ .

(٤) ٢ كورنثوس ٧ : ٥ (٥) ٢ كورنثوس ٨ : ١

(٦) ٢ كورنثوس ٩ : ٢ .

بالتعاليم والتمسك بها (١) . ثم دافع نفسه عن رسوليته كما فى الإصحاح ١٠ إلى ١٣ . وهذه الرسالة حملها " تيطس "، يقول : لم تكن لى راحة فى روحى لأنى لم أجد تيطس أخى ...... " (٢) وأيضا : ولكن فرحنا أكثر جدا بسبب فرح تيطس لأن روحه قد استراحت بكم جميعا " (٣) . وكالعادة توجد مشكلة كبيرة فى هذه الرسالة وهي كما يقول " وليم باركلى " فى تفسيره : إن الإصحاحات التسعة الأولى (١ – ٩) توضح لنا أن كل المشاكل التى حصلت فى كورنثوس قد سويت ، وأن الجميع قد تصالحوا وعادوا أصدقاء من جديد . لكن حينما نقرأ الإصحاح العاشر إلى ١٣ نجد فيها أعظم صرخة حزينة سجلها بولس فى حياته . فقد ذكر فيها كم قاسى من الشتائم والاضطهادات والافتراآت مالم يقاسه قبل ذلك أو بعد ذلك من أية كنيسة أخرى . وكم وجه إليه من طعن فى رسوليته وأمانته وكلامه . لذا يظن معظم الباحثين أن هذه الإصحاحات الثلاثة ١٠ – ١٣ وضعت فى هذا المكان خطأ عند جمع الرسائل (٤) . ومضى يقول : وإننا إذا كنا نريد أن نلتزم بدقة الترتيب لرسالتى كورنثوس كما كتبها بولس فإننا يجب أن نقرأ الإصحاحات من ١٠ إلى ١٣ قبل الإصحاحات التسعة الأولى . وبعد أن علم بولس أن الجميع كانوا بخير وأن الأمور أصبحت على ما يرام ، كتب لهم (وربما كان فى فيلبى فى ذلك الوقت) الإصحاحات التسعة الأولى وهي رسالة المصالحة " (٥) . وتعتبر هذه الرسالة رسالة شخصية أكثر من أية رسالة أخرى . هذا ، وتتكون هذه الرسالة من ١٣ إصحاحا و ٢٥٧ عدد و ٣٧٧٥ كلمة وتستغرق ١٣ صفحة .

٤ – رسالة بولس إلى أهل غلاطية .

اختلف الأقوال فى زمان كتابة بولس رسالته الموجهة إلى أهل غلاطية . فقيل كتبت هذه الرسالة سنة ٥٥م وقيل ٥٦م وقيل ٥١م (٦) وقيل ٥٤م وقيل ٦٠م (٧) . أرسلها بولس من مدينة أفسس وقيل من مدينة كورنثوس . ولم تذكر المراجع من الذى حملها إلى غلاطية .

---

(١) انظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية "، متى بهنام ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .
(٢) ٢ كورنثوس ٢ : ١٣ (٣) ٢ كورنثوس ٧ : ١٣ .
(٤) انظر : تفسير العهد الجديد (رسالتا كورنثوس) وليم باركلى ، ص ١٧
(٥) نفس المرجع ، ص ١٨ (٦) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٦١ .
(٧) انظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ، وانظر : Analisa Al-Kitab ص ٨٢ .

وغلاطية هي ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى، ويحدها شمالا بيثينية وشرقا بنطس وكيد وكية وكباد وكيا. سميت غلاطية لأن سكانها دخلوا إليها سنة ٢٨٠ قم من غالة (فرنسا). وقد صارت بعدئذ مقاطعة رومانية (١). وكانت غلاطية من ضمن البلاد التي اهتم لها الرسل الأوائل لدعوة سكانها من يهود ووثنيين إلى الإيمان بالمسيح (٢). وفي أعمال الرسل الإصحاح ١٣ و ١٤ أن بولس أسس الكنائس في رحلته التبشيرية الأولى في ولاية غلاطية التي تضم أنطاكية وبيسيدية وإيقونية ولِسْتْرَة ودَرْبَة.

وقد زارها مرتين: الأولى مع "سيلا" و "تيموثاوس" (٣) سنة ٥١م. ففي سفر الأعمال: وبعدما اجتازوا في فِرِيْجِيَة وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في آسيا" (٤). وكان أهل غلاطية قبلوه بأحسن قبول، إذ يقول: ولكنكم تعلمون أني بضعف الجسد بشّرتكم في الأول، وتجربتي التي في جسدي لم تَزْدَرُوا بها ولا كرهتموها، بل كملاك من الله قبلتموني كالمسيح يسوع. فماذا كان إذًا تطويبكم، لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني" (٥). والثانية حوالي سنة ٥٤م. وكان في هذه الزيارة يشدد جميع التلاميذ." وبعدما صرف زمانا خرج واجتاز بالتتابع في كورة غلاطية وفريجية يشدد جميع التلاميذ" (٦) والمرجح أنه بعد زيارته الثانية هذه بوقت وجيز كتب إليهم هذه الرسالة. أما السبب الداعي لكتابة هذه الرسالة هو: ١ — ظهور كثير من المسيحيين يقولون: إن بولس ليس رسولا على الإطلاق (٧). فإن التعريف الأساسي للرسول موجود في سفر أعمال الرسل وهو: ينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان، الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج، منذ معمودية يوحنا إلى اليوم، الذي ارتفع فيه عنا يصير واحد منهم شاهدا معنا بقيامته" (٨). فالرسول إذن يجب أن يكون إنسانا اجتمع مع يسوع إبان خدمته. فواضح أن بولس لم يكن مؤهلا للرسالة، بالإضافة إلى أنه منذ عهد قريب

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٦٠.
(٢) مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، ج ٢، ص ١٦٤.
(٣) سيلا أو سلوانس أو شاول خادم بولس، أحد أعضاء كنيسة أورشليم البارز، كان مواطنا رومانيا. (قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٩٦).
(٤) أعمال الرسل ١٦: ٦ (٥) غلاطية ٤: ١٣ — ١٥ (٦) أعمال الرسل ١٨: ٢٣.
(٧) تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) وليم باركلي، ص ١١ — ١٥.
(٨) أعمال الرسل ١: ٢١ — ٢٢.

كان قائد اضطهاد المسيحيين. " أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب..."[1] فقد رد بولس عليهم فى الآية الأولى من هذه الرسالة بقوله : بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل يسوع المسيح والله الآب الذى أقامه من الأموات "[2] . فيصر بفخر على أن مصدر رسوليته ليس إنسانيا ، ولكن جاءت من الله رأسا. وأنه قد تقابل مع المسيح وجها لوجه فى الطريق إلى دمشق ، كما ثبت فى الإصحاح التاسع من أعمال الرسل[3] . كما أصر بولس على أن الإنجيل الذى نادى به قد جاء مباشرة من الله ((وأُعَرِّفُكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمْتُه ، بل بإعلان يسوع المسيح))[4] .

وأكد بولس فى هذه الرسالة أن رسوليته معترف بها من قبل الرسل المُعْتَبَرِيْن ، فيقول : فإن هؤلاء المُعْتَبَرِيْنَ لم يشيروا عليّ بشيئ بل بالعكس إذ رأوا أنى أُؤْتُمِنْتُ على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان ، فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىّ أيضا للأمم ، فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان "[5] . كما يقولون أيضا: إن الالتزام بالناموس والشريعة الموسوية ضرورة للخلاص والإيمان . فإن المسيح لم يبطل الناموس بل تمسك به. فإن أراد أممى أن يصبح مسيحيا فليصبح يهوديا أولا . أى يجب عليه أن يختن وأن يعمل كل الشريعة اليهودية . وإن بولس قد أخطأ فى تعاليمه التى ينادى بها أن نعمة الخلاص مجانية، وأن التبرير بالإيمان بالمسيح دون أعمال الناموس . فرد بولس عليهم بهذه الرسالة مؤكدا أن الإيمان وحده يبرر الإنسان ، لأن الإيمان يجعل الإنسان ابنا لإبراهيم. فيقول : أريد أن أتعلم منكم هذا فقط أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان ، أهكذا أنتم أغبياء .... فالذى يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان ؟ كما آمن إبراهيم بالله فحُسِب له برا ...... إذًا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن ، لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة "[6] . لذا فإن هذه الرسالة من أهم الوثائق فى الديانة المسيحية. فإنها إعلان من بولس بأن المسيحية أصبحت دينا عالميا مستقلا ، وليس مجرد تتمة الدين اليهودى . يقول " وليم باركلى " إن لرسالة غلاطية

---

(١) أعمال الرسل ٩: ١ (٢) غلاطية ١: ١ (٣) اقرأ أعمال الرسل ٩: ٣ — ٢٠
(٤) غلاطية ١: ١١ — ١٢ (٥) غلاطية ٢: ٦ — ٩ (٦) غلاطية ٣: ٢ — ١٠

تأثيرا عظيما على الكنيسة . ولا تقربنا رسالة إلى قلب بولس مثل الرسالة إلى غلاطية، حتى شبهها أحدهم بسيف مسلول في يد فارس عظيم . إذ لولا هذه الرسالة لأصبحت المسيحية مجرد جماعة من الجماعات اليهودية، ومحدودا في نطاق اليهود وحدهم (١) . ومن أجل ذلك قام كثير من اللاهوتيين الكبار بتفسير هذه الرسالة، منهم " مارتن لوثر " و " ج.ب.ليتفوت " و " د. بيرثون " و " أ. د. ف بلانت " و " ج.س.د تكان ". هذا، وتتكون الرسالة من ٦ إصحاحات و ١٤٩ أعداد و ١٩٤٩ كلمة، وتستغرق ٧ صفحات .

٥ — رسالة بولس إلى أهل أفسس .

يزعم المسيحيون أن هذه الرسالة كتبها بولس يوم أن كان بولس سجينا في رومية سنة ٦٢م وقيل ٦١م وقيل ٦٤م (٢) . ففيها يقول : " بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم " (٣) ، وأيضا : " فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعِيتُم بها " (٤) ، وأيضا : " الذي لأجله أنا سفير في سلاسل لكي أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم " (٥) . على أن البعض يظن أن هذه الرسالة كتبها بولس أثناء سجنه في قيصرية . ففي أعمال الرسل : " ولكن لما كملت سنتان قَبِل " فِيلِكس " (٦) " بوركيوس فستوس " خليفة له، وإذ كان فيلكس يريد أن يودع اليهودية منه ترك بولس مقيَّدًا " (٧) . وهذه الرسالة حملتها " تيخيكس " (٨) كما حمل أيضا رسالة بولس إلى أهل كولوسي . يقول بولس : " ولكن لكي تعلموا أنتم أيضا أحوالي ماذا أفعل يعرّفكم بكل شيئ تيخيكس، الأخ الحبيب والخادم الأمين في الرب الذي أرسلته إليكم لهذا بعينه. لكي تعلموا أحوالنا ولكي يعزّي قلوبكم " (٩) . وجدير بالذكر أن بين

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ٩

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٣، وانظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، متى بهنام، ج٢ ص ١٧٤، وانظر: Analisa Al-Kitab، ص ٨٦ .

(٣) أفسس ٣ : ١ (٤) أفسس ٤ : ١ (٥) أفسس ٦ : ٢٠

(٦) فيلكس عبد أعتقه الإمبراطور كلوديوس وعينه حاكما على السامرة ثم على كل اليهودية سنة ٥٢ م. وكان طاغية صارما . جاءت الشكوى على بولس بتهمة تنجيس الهيكل فحاكمه، وكان يأمل منه مالا ليطلقه . وعندما عزل من منصبه ترك بولس في قيوده . وقد خلفه على كرسي الولاية بوركيوس فستوس (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٥) .

(٧) أعمال الرسل ٢٤ : ٢٧ .

(٨) مسيحي من ولاية آسيا وسافر مع آخرين لما قدم بولس من مقدونية إلى تَرُواس. أرسله بولس إلى كريت وإلى أفسس (قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٢٧) .

(٩) أفسس ٦ : ٢١ — ٢٢ .

الرسالتين اللتين حملهما " تيخيكس،، (أفسس وكولوسى) تشابها شديدا فى اللغة والأفكار وقد بلغ هذا التشابه مبلغا عظيما ، فنجد ٥٥ آية بنفس الكلمات فى الرسالتين . وقال " كوليريدج ،، إن رسالة كولوسى إما أن تكون بمثابة ما فاضت عنه رسالة أفسس ، أو أن رسالة أفسس بمثابة نسخة أخرى مفصلة من رسالة كولوسى (١) . ورغم أن هذه الرسالة قدمت على الرسالة إلى أهل كولوسى لكنها كتبت بعدها . لأنه يوجد فيها التوسع فى الفكر والتفصيل فى البيان على ما هو عليه فى الرسالة إلى أهل كولوسى (٢) . لذلك فالسبب الداعى لكتابتها واحد . وسأذكره فيما بعد عند الكلام عن رسالة كولوسى إن شاء الله .

وأفسس هي عاصمة المقاطعة الرومانية آسيا ،على الشاطئ الأيسر فى نهر الكايستر، وعلى مسافة ثلاثة أميال من البحر وتجاه جزيرة ساموس . وكان فيها هيكل " أرطاميس ،، آلهة اليونانيين والرومانيين العظيم (٣)، مما جعلها مركزا دينيا ومزارا لكثيرين من الحجاج . أما معظم سكانها اليونانيون وعدد كبير من اليهود المشتغلين فى التجارة (٤) . وكان بولس يبشر فى المجمع اليهودى فى أفسس أثناء رحلته التبشيرية الثانية ، وترك هناك بريسكلا وزوجها أكيلا . ففى سفر الأعمال : وأما بولس فلبث أيضا أياما كثيرة ثم ودع الإخوة وسافر فى البحر إلى سورية ومعه بريسكلا بعد ما حلق رأسه فى كنخريا ، لأنه كان عليه نذر، فأقبل إلى أفسس وتركهما هناك . وأما هو فدخل المجمع وحاجّ اليهود . وإذ كانوا يطلبون أن يمكث عندهم زمانا أطول لم يجب ، بل ودّعهم قائلا ينبغى على كل حال أن أعمل العيد القادم فى أورشليم ، ولكن سأرجع إليكم أيضا إن شاء الله فأقلع من أفسس ،، (٥) . وفى رحلته الثالثة أقام بولس فى أفسس مدة لا تقل عن سنتين وثلاثة شهور " وكان يبشر فى المجمع وفى مدرسة " تيرانس (٦) ،، وفى بيوت خاصة . " ثم دخل المجمع وكان يجاهر مدة ثلاثة أشهر محاجا ومقنعا فى ما يختص بملكوت الله . ولما كان قوم يتقسّون ولا يقنعون شاتمين الطريق أمام الجمهور اعتزل عنهم وأفرز التلاميذ محاجّا كل يوم فى مدرسة إنسان اسمه تيرانُس . وكان ذلك مدة سنتين حتى

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) وليم باركلى ، ص ١٠٠
(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩٤ ، و Analisa Al-Kitab ، ص ٨٦ .
(٣) انظر أعمال الرسل ١٩ : ٢٤ (٤) أعمال الرسل ١٩ : ١٧ .
(٥) أعمال الرسل ١٨ : ١٨ _ ٢١ .
(٦) رجل من أفسس كان معلما للفلسفة والخطابة والكتابة والقانون فى مدرسته (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٢٧).

سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيين ». (١) وإن هذه الرسالة مثل رسائل بولس الأخرى، فيها صعوبات كثيرة . فلكل مطالع لهذه الرسالة بدقة وتأمل يجد فيها مشكلتين كبيرتين : الأولى تتعلق بنسبة هذه الرسالة لكاتبها . وذلك :

أولا — إن مفردات الرسالة تختلف عن المفردات التى يتميز بها بولس. بدليل أن فيها يوجد مايقرب من سبعين كلمة غير موجودة فى أى من الرسائل الأخرى التى كتبها بولس .

ثانيا — إن أسلوب هذه الرسالة ليس أسلوب بولس. فإن أسلوب بولس فى رسائلها أسلوب حماسى، كأن كلماتها سيل منهمر. بينما أسلوب هذه الرسالة هادئ ومنتظم، حتى قيل إنها شعر منثور. بالإضافة إلى طول جملها . وهذا يختلف تماما عن أسلوب بولس.

إذن نسبة هذه الرسالة إلى بولس فيها إشكال وصعوبة ! وهنا نتساءل : من كاتب هذه الرسالة ؟ أجاب العالم الأمريكى " أ. ج. جود سبيد » بقوله : إن الشخص الذى قام بجمع رسائل بولس كان تلميذا محباله. وهو الذى كتب رسالة أفسس لتكون بمثابة مقدمة وتمهيد للمجموعة كلها ». (٢) وكما سبق أن ذكرت أن رسائل بولس تم جمعها حوالي سنة ٩٠م وقيل ١١٠م فى مدينة أفسس، ثم نشرت وأرسلت من هذه المدينة إلى جميع الكنائس.

أما الثانية فتتعلق بالمرسل إليهم . فكل من يقرأ هذه الرسالة لابد أن يشك فى أنها أرسلت إلى أهل أفسس، وذلك لعدة أمور :

أولا : إن هذه الرسالة خالية تماما من اللمسة الشخصية . فمن بدايتها إلى نهايتها خلت من أية تحية شخصية، مما تفيض به رسائل بولس الأخرى. مع أن بولس قضى فى أفسس مدة أطول من الوقت الذى قضاه فى أية بلدة أخرى . فكما ذكرت أن بولس قد أقام فيها — أثناء رحلته التبشيرية الثالثة فقط — مدة لا تقل عن سنتين (٣)، بالإضافة إلى إقامته فيها أثناء رحلته الثانية. (٤) ثم ورد فى أعمال الرسل خطاب بولس الوداعى لشيوخ أفسس قبل أن يغادر ميليتُس فى رحلته الأخيرة. (٥) ولا يوجد فى العهد الجديد كله ما يفوق هذه الفقرة فى مشاعر الحب والقرب. فمستحيل جدا أن يكتب بولس هذه الرسالة لأهل أفسس وتأتى خالية تماما من اللمسة الشخصية، ودون علامات الود والقرب .

ثانيا : إن الخطاب فى هذه الرسالة يدل على أن الراسل والمرسل إليهم لم يعرف بعضهما

---

(١) أعمال الرسل ١٩ : ٨ — ١٠

(٢) انظر: تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) وليم باركلى، ص ١٠٩، وانظر : Bible، البروفيسور ح. س. طارق شهاب، ص ٤٤ — ٤٥ .

(٣) اقرأ أعمال الرسل ١٩ : ٨ — ١٠ (٤) أعمال الرسل ١٨ : ١٨ — ٢١ .

(٥) اقرأ أعمال الرسل ٢٠ : ١٧ — ٣٥ .

البعض معرفة شخصية ، وأن معرفتهما إنما تعتمد على الأخبار من الآخرين وليس عن صلة شخصية . حيث يقول فيها : " أنا أيضا إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين "(١) . وأيضا أن ولاء المرسل إليهم ليس عن طريق الاختبار ، وإنما بالسماع عن الغير . ففيها : إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم "(٢) . ومعنى هذا : إن كنتم قد سمعتم بأن الله أعطاني رسول الأمم أمثالكم " . فمعرفتهم ببولس في هذه الحالة باعتبار كونه رسول الأمم كانت شيئا قد سمعوا عنه ، ولكنهم لم يتعرفوا إليه عن طريق الاتصال الشخصي به(٣) . فالرسالة إذن تحوي من الداخل علامات لا تتناسب مع العلاقة الشخصية التي كانت تربط بولس بكنيسة أفسس .

ثالثا : فيها نص يدل على أنها لم تكتب لكنيسة خاصة أو لأشخاص معينة ، بل للعامة . ففي الإصحاح الثاني يقول : " اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلا في الجسد ، المدعوين غرلة من المدعو ختانا ... بدون مسيح . أجنبيين عن رعوية إسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد "(٤) .

رابعا : إن المخطوطات اليونانية القديمة كلها لا تحوي كلمة " أفسس " . فالرسالة تبدأ بقوله : " بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القديسين والمؤمنين في المسيح يسوع "(٥) . بينما توجد كلمة أفسس في تراجم العهد الجديد المنتشرة الآن بعد كلمة " القديسين " : فالآية الأولى من هذه الرسالة تقول : " بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القديسين الذين في أفسس .... "(٦) . فلنسأل الآن : إلى من وجهت هذه الرسالة .... ؟

أجاب عليه قاموس الكتاب المقدس بقوله : إن الرأي الراجح أن الرسالة كانت دورية قصد بها كل الكنائس في مقاطعة آسيا . وبما أن أفسس كانت الكنيسة الرئيسية في هذه المقاطعة ، فقد جرى التقليد المسيحي المبكر على اعتبارها مرسلة إلى أفسس(٧) . وأكد ذلك مفسر العهد الجديد " وليم باركلي " بقوله : إن النسخ المبكرة من رسالة أفسس لا تحوي اسم أي كنيسة . لأن هذه الرسالة لم تكتب في الواقع لكنيسة واحدة ، ولكنها كتبت كخطاب دوري لكل كنائس بولس في آسيا . وطبيعي أن كون الرسالة قد كتبت لكل كنائس آسيا لا يعني أنها لم تكتب لأفسس . ثم يقول : وهذا ما نعتقد أنه صواب "(٨) . لكن هذا الرأي يتحطم بالحقيقة .

---

(١) أفسس ١ : ١٥ (٢) أفسس ٣ : ٢
(٣) وليم باركلي ، تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ١٠٢
(٤) أفسس ٢ : ١١ — ١٢
(٥) وليم باركلي ، تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ١٠٣ .
(٦) أفسس ١ : ١ (٧) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩٣ .
(٨) تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ١١٠ .

الثانية، وهي أن أقدم الآراء أثبت أن هذه الرسالة كتبت إلى لادوكية.[١] ولقد كان " مرقيون الأسفوبي "، أول من كوّن مجموعة من رسائل بولس، وكتبت قائمة في منتصف القرن الثاني تقريبا. وقد أطلق فعلا على رسالة أفسس اسم الرسالة إلى لادوكية.[٢] وهي المشار إليها في رسالة بولس إلى أهل كولوسي بقوله : ومتى قرئت هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضا في كنيسة اللادوكيين، والتي من لادوكية تقرأونها أنتم أيضا ".[٣] واضح من هذه العبارة أن بولس قد أرسل خطابا إلى أهل لادوكية، لكن ليست بين أيدينا رسالة بهذا الاسم. فيحتمل جدّا أن تكون هي رسالة أفسس كما أثبته " مرقيون الأسفوبي ". هذا، وإن هذه الرسالة تحتل مركزا أساسيا بين الكتابات اللاهوتية في الكنيسة المسيحية. لقد أطلق عليها اسم " ملكة الرسائل " وكثيرون يعتبرونها " قمة العهد الجديد ". ويقول " كوليربدج "، الشاعر اللاهوتي عن هذه الرسالة : إنها أعظم الكتب اللاهوتية التي أنتجتها البشرية بالوحي الإلهي".[٤] ولقد كانت محظوظة بمن قاموا بشرحها. فمن ناحية النص اليوناني هناك ثلاثة تفاسير هامة للمؤلفين " ج. أرميتاج روبنسون، ب.ف. وستكون، و" ت.ك. أبوت " في سلسلة " International Critical Commentary ". أما من ناحية تفسير النص الإنجليزي فهنالك تفسير " ج. أرميتاج روبنسون " وهي التي يقدمها أ. ف. سكوت"، و" هـ. ج. س مول " في سلسلة تفسير كمبردج.[٥] وهذه الرسالة تتألف من ٦ إصحاحات و١٥٥ عدد و١٨٥١ كلمة وتستغرق ٧ صفحة.

٦ — رسالة بولس إلى أهل فيلبي.

ورد في المصادر المسحية أن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٦٣ م وقيل ٦١ م وقيل ٦٢ وقيل ٦٤ م،[٦] مشاركا معه " تيموثاوس " إلى أهل فيلبي. كما نص في الآية الأولى : بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح إلى جميع

---

(١) مدينة قديمة أسسها أنطيوخوس الثاني (٢٦١ — ٢٤٧ قم) من المدن الرئيسية في مقاطعة فريجيا باكاتيانا في آسيا الصغرى، دمرها الزلزال سنة ٦٥م والآن يدعى أسكي حصار قرب دنيزلو على مسافة ٥٦ ميلا إلى الجنوب الشرقي من أزمير (قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٠٥)

(٢) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ١١١، وانظر : قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٠٦

(٣) كولوسي ٤ : ١٦

(٤) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ٩٩

(٥) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ٩٧

(٦) قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٠٣، وانظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ج ٢، ص ١٨٦ وانظر : Analisa Al-Kitab ، ص ٨٨

القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي مع أساقفة وشمامسة "(١) . كتب بولس هذه الرسالة وهو سجين في رومية . وكانت أمامه أغراض معينة محددة . ففيها يقول : كما يحق لي أن أفتكر هذا من جهة جميعكم، لأني حافظكم في قلبي في وُثُقي وفي المحاماة عن الإنجيل وتثبيته، أنتم الذين جميعكم شركائي في النعمة "(٢) وأيضا : حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع . وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوُثُقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف ...... فهؤلاء عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص ، ظانين أنهم يضيقون إلى وُثُقي ضيقا "(٣) . وكان بولس عندما كتب هذه الرسالة يأمل الإفراج عنه قريبا . إذ يقول : فإذ أنا واثق بهذا أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان "(٤) وأيضا : هذا أرجو أن أرسله أول ما أرى أحوالي حالا، وأثق بالرب أني أنا أيضا سآتي إليكم سريعا "(٥) . وذلك لأنه قد مكث في سجنه الذي كتبت فيه الرسالة مدة طويلة من الزمن : ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل "(٦) .

وفيلبي هي مدينة في شرق "مكدونية" . واسمها القديم "كيرينيدس" بناها "فيلب المقدوني" أبو "الإسكندر الأكبر" ولذلك تحمل اسمه، عام ٣٦٨ ق م، لتكون الممر الرئيسي الذي يربط الشرق والغرب . وأصبحت كولونية بحيث تتمتع به الرومان من حقوق وامتيازات(٧) . وهي أول مدينة في أوربا زارها بولس سنة ٥١ م وقيل عام ٥٢ م . وبشر فيها فآمن فيها على يده كثيرون أهمهم ثلاثة : "ليدية" من مدينة ثياتيرا(٨) ، والفتاة العرافة وضابط السجن . ففي سفر الأعمال : ومن هناك إلى فيلبي التي هي أول مدينة من مقاطعة مكدونية وهي كولونية ، فأقمنا في هذه المدينة أياما ، وفي يوم السبت خرجنا إلى خارج المدينة ...... وكنا نكلم النساء اللواتي

---

(١) فيلبي ١ : ١ (٢) فيلبي ١ : ٧ (٣) فيلبي ١ : ١٣ – ١٦
(٤) فيلبي ١ : ٢٥ (٥) فيلبي ٢ : ٢٣ – ٢٤ (٦) فيلبي ١ : ١٢
(٧) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٠٢ ، و : Analisa Al-Kitab " ص ٨٨
(٨) مدينة في آسيا الصغرى في مقاطعة ليديا وهي الآن إلى الجنوب الشرقي من أزمير ، (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٤٠) .

اجتمعن.فكانت تسمع امرأة اسمها ليدية بياعة أرجوان من مدينة تياتيرا ... وحدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة أن جارية بها روح عرافة استقبلتنا .. هذه اتبعت بولس وإيانا ...... (١) ،،. ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما ، فحدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن ...... ولما استيقظ حافظ السجن ..... فنادى بولس بصوت عظيم ..... فطلب ضوءا واندفع إلى داخل وخر لبولس وسيلا وهو مرتعد ، ثم أخرجهما وقال يا سيدى ماذا ينبغى أن أفعل لكي أخلص.فقالا آمن بالرب .... وكلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب (٢) ،،.

وكان الاعتزاز بالجنسية الرومانية هو الطابع المسيطر على هذه المدينة فى كل شيئ . فى اللغة والأزياء والألقاب والأوسمة ، وفى العادات والتقاليد . ولم يحدث فى أى مكان أن اعتز إنسان بأنه مواطن رومانى مثل اعتزاز أهل هذه المدينة. سجل ذلك أعمال الرسل : فلما رأى مواليها (الفتاة العرافة) أنه قد خرج رجاء مكسبهم أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحكام . وإذ أتوا بهما إلى الولاة قالوا هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا وهما يهوديان. وينا ديان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها ولا نعمل بها، إذ نحن رومانيون (٣) ،،. فاضطر بولس وسيلا إلى مغادرة فيلبى بعد دخولهما السجن واضطهادهما العنيف . وكان بولس أكثر اتصالا وارتباطا بكنيسة فيلبى من أية كنيسة أخرى . إذ كان يقبل أن يأخذ هدية منها وحدها ولم يأخذ من أية كنيسة أخرى . وكان أهل فيلبى قد أرسلوا له هدية وهو فى تسالونيكى : وأنتم أيضا تعلمون أيها الفيلبيون أنه فى بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركنى كنيسة واحدة فى حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم ، فإنكم فى تسالونيكى أيضا أرسلتم إلىّ مرة ومرتين لحاجتى (٤) ،،. كما كانوا قد أرسلوا له هم وحدهم الهدايا عندما وصل بولس إلى كورنثوس : وإذ كنت حاضرا عندكم واحتجت لم أثقل على أحد ،لأن احتياجى سده الإخوة الذين أتوا من مكدونية (٥) ،،. لذلك لاعجب إن قال لهم : ياإخوتى الأحباء والمشتاق إليهم يا سرورى وإكليلى

---

(١) اقرأ أعمال الرسل ١٦ : ١٢ — ١٧

(٢) اقرأ أعمال الرسل ١٦ : ٢٥ — ٣٢

(٣) أعمال الرسل ١٦ : ١٩ — ٢١

(٤) فيلبى ٤ : ١٦

(٥) ٢ كورنثوس ١١ : ٨ — ٩ .

أثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباء ،، [١] . وهناك أربعة أسباب داعية لكتابة هذه الرسالة [٢] :

١ — التعبير عن عواطف شكره وامتنانه لأهل فيلبي على معروفه الذي أرسلوه إليه بيد " أبَفْرُودِتُس ". وقد مرت السنون وهو الآن في العام الثالث والستين ، وإذا بالفيلبيين يذكرونه كعادتهم بهدية . فيقول : ثم إني فرحت بالرب جدّا لأنكم الآن قد أزهر أيضا مرة اعتناؤكم بي الذي كنتم تعتنونه ولكن لم تكن لكم فرصة . ليس أني أقول من جهة احتياج فإني قد تعلمت أن أكون مكتفيا بما أنا فيه ،، [٣] .

٢ — الوصية لهم بأ بَفْرُودِتُس خيرا : وذلك لأن أهل فيلبي قد أرسلوا " أبفرودتس " ليس فقط كحامل هديتهم ، ولكن ليبقى مع بولس ويكون خادمه الشخصي . ولكنه مرض مرضا شديدا فلازم الفراش وكان مشتاقا للعودة إلى بيته . فأرسله بولس إلى فيلبي . لكن بولس كان يخامره الشعور أنّ أهل فيلبي ربما لا يحسنون استقباله . لذا كتب هذه الرسالة ، ويقول فيها : ولكني حسبت من اللازم أن أرسل إليكم أبَفْرُودِتُس أخي والعامل معي والمتجند معي ورسولكم والخادم لحاجتي . إذ كان مشتاقا إلى جميعكم ومغموما لأنكم سمعتم أنه كان مريضا ، فإنه مرض قريبا من الموت . لكن الله رحمه وليس إياه وحده بل إياي أيضا ، لئلا يكون لي حزن على حزن . فأرسلته إليكم بأوفر سرعة . حتى إذا رأيتموه تفرحون أيضا وأكون أنا أقل حزنا . فاقبلوه في الرب بكل فرح ، وليكن مثله مكرّما عندكم . لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطرا بنفسه ، لكي يجبر نقصان خدمتكم لي ،، [٤] .

٣ — تشجيع لهم في تجاربهم التي كانوا يكتوون بنارها من أجل المسيح . فكان يطلب إليهم أن لا يخافوا من مقاوميهم . فيقول : فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح . حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائبا أسمع أموركم أنكم تثبتون في روح واحد ،

---

(١) فيلبي ٤ : ١

(٢) انظر: تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) وليم باركلي ، ص ١٢ — ١٣ ، ترجمة القس جرجس هابيل دار الثقافة المسيحية القاهرة ، ط الثانية ١٩٧٩ م .

(٣) فيلبي ٤ : ١٠ — ١١

(٤) فيلبي ٢ : ٢٥ — ٣٠ .

مجاهدين معا بنفس واحدة لإيمان الإنجيل ، غير مخوّفين بشيئ من المقاومين. الأمر الذى هو لهم بينة للهلاك وأما لكم فللخلاص،وذلك من الله.لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضا أن تتألموا لأجله. إذ لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه فيّ والآن تسمعون فيّ" (١) .

٤ — دعوة إلى الاحتفاظ بوحدة الكنيسة. إذ حدثت مشاجرة بين امرأتين من أعضاء الكنيسة . فيقول : أطلب إلى أفودية وأطلب إلى سِنْتيخى أن تفتكرا فكرا واحدا فى الرب . نعم أسئلك أنت (٢) أيضا ياشريكى المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معى فى الإنجيل مع أكليمندس أيضا وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سفر الحياة" (٣) .

ونفهم من النصوص السابقة أن حامل هذه الرسالة هو " أَبَفْرُودِتُس " . هذا، وإن هذه الرسالة تعتبر أحب رسائل بولس إلى المسيحيين . لقد سميت بأنها "رسالة الفرح الدائم " فى المسيحية (٤) . رغم أنها وليدة السجن لكنها تفيض بالفرح العميق . حتى أعيدت كلمة الفرح وما فى معناها ست عشرة مرة . وجاءت فى هذه المواضع كلها مصحوبة بالضيقات . إذ حرض بولس أهل فيلبى أن يفرحوا ، لأنهم حسبوا أهلا ليشتركوا فى ألام المسيح (٥) .فيقول : يا إخوتى افرحوا فى الرب" وأيضا : افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضا افرحوا ، ليكن حلمكم معروفا عند جميع الناس . الرب قريب.لاتهتموا بشيئ فى كل شيئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعْلَم طلباتكم لدى الله" (٦) . وأيضا : أشكر إلٰهى عند كل ذكرى أيامكم دائما فى كل أدعيتى مقدما الطلبة لأجل جميعكم بفرح لسبب مشاركتكم من أول يوم إلى الآن" (٧) .

ولاتختلف هذه الرسالة عن أخواتها ، فإن فيها مشكلة مفاجئة . وهي كما تعلمون أن هذه الرسالة رسالة الفرح الدائم فى المسيح ، وكان كل شيئ من بدايتها يسير فى هدوء . ويبدو أنها تسير نحو نهايتها . لكن فجأة ينفجر بولس قائلا : " انظروا الكلاب انظروا فعلة الشر انظروا القَطْع" (٨) . ولايوجد ارتباط بين الكلام السابق وهذا الكلام . ولسبب هذه الوقفة المفاجئة يرى البعض أن رسالة

---

(١) فيلبى ١ : ٢٧ — ٣٠

(٢) المخاطب غير معروف

(٣) فيلبى ٤ : ٢ — ٣

(٤) انظر : المسيح فى جميع الكتب" أ.م.هودجكن ، ص ٤٠٧ .

(٥) فيلبى ٣ : ١

(٦) فيلبى ٤ : ٤ — ٦

(٧) فيلبى ١ : ٣ — ٥

(٨) فيلبى ٣ : ٢ .

فيلبى – كما هي بين أيدينا – ليست رسالة واحدة بل رسالتين • فالجزء من ٣ : ٢ – ٣ : ٣ هو رسالة شكر وتقدير ، أرسلها إليهم حالا بعد وصول أبفرودتس إلى رومية• والجزء من ١ : ١ – ٣ : ١ ومن ٤ : ٤ – ٢٣ هما رسالة أخرى كتبها بعد ذلك وأرسلت إليهم بيد أبفرودتس عندما اضطر إلى العودة (١) • وهذه الرسالة تتكون من ٤ إصحاحات و ١٠٤ عدد و ١٤٤٨ كلمة وتستغرق ٦ صفحات •

٧ – رسالة بولس إلى أهل كولوسى •

يدّعون أن هذه الرسالة كتبها بولس أثناء سجنه فى رومية سنة ٦٢ م وقيل ٦١ م وقيل ٦٤ م (٢) • إذ يقول فيها : واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر • مصلين فى ذلك لأجلنا نحن أيضا ليفتح الرب لنا بابا للكلام لنتكلم بسر المسيح الذى من أجله أنا موثق أيضا ،، (٣) وأيضا : يسلم عليكم أرِسْتَرْخُوس (٤) المأسور معى ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا إن أتى إليكم فاقبلوه ،، (٥) ، وأيضا : السلام بيدى أنا بولس اذكروا وُثُقى• النعمة معكم ،، (٦) • ويظن البعض أنها ربما كتبت فى قيصرية (٧) ، كما ظن ذلك بالنسبة لرسالة أفسس من قبل • وقد أرسلت هذه الرسالة بيد " تيخيكس " الذى حمل أيضا الرسالة إلى أهل أفسس : جميع أحوالى سيعرّفكم بها " تيخيكس " الأخ الحبيب والخادم الأمين والعبد معنا فى الرب ، الذى أرسلته إليكم لهذا عينه ليعرف أحوالكم ويعزى قلوبكم ،، (٨) • وقد ذهب معه " أنسيمس " الذى حمل أيضا الرسالة إلى " فليمون " الذى يسكن فى كولوسى ، والذى كان " أنسيمس " عبدا له : مع أنسيمس الأخ الأمين الحبيب الذى هو منكم •هما سيعرّفكم بكل ماههنا ،، (٩) • وكانت مدينة كولوسى •

---

(١) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى)ص ١٤

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٩٩ ، ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ وانظر: Analisa Al-Kitab ، ص ٩١ •

(٣) كولوسى ٤: ٢ – ٣

(٤) رجل مكدوني من تسالونيكى رافق بولس من اليونان إلى مكدونية ورومية وسجن معه (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٩) •

(٥) كولوسى ٤: ١٠

(٦) كولوسى ٤ : ١٨

(٧) انظر: أعمال الرسل ٢٤ : ٢٧

(٨) كولوسى ٤ : ٧ – ٨ وانظر: أفسس ٦ : ٢١ – ٢٢

(٩) كولوسى ٤ : ٩ •

من إحدى المدن الكبيرة فى فريجية بآسيا الصغرى بالقرب من لاودكية وهيرابوليس يقول بولس: "فإنى أشهد فيه أن له غيرة كثيرة لأجلكم ولأجل الذين فى لاودكية والذين فى هيرابوليس" (١). وكانت تلك المدن الثلاثة من أعظم المراكز الصناعية للصوف فى العالم. وكولوسى فى وقت من الأوقات على قدم المساواة مع المدينتين الأخريين. ولكن لسبب أو لآخر زال عنها مجدها. وحتى عندما كتب بولس هذه الرسالة إليها كانت مدينة صغيرة، بل أنها أصغر مدينة كتب لها بولس رسالته. وفى تلك المدن الثلاث سكن عدد كبير من اليهود، قيل حوالى خمسين ألف شخص (٢). ويظهر أن بولس لم يزر تلك المدينة إلى وقت كتابة هذه الرسالة. إذ يضع أهل كولوسى ولاودكية فى قائمة الأشخاص الذين لم يروا وجهه. فيقول: "فإنى أريد أن تعلموا أى جهاد لى لأجلكم ولأجل الذين فى لادوكية وجميع الذين لم يروا وجهى فى الجسد، الذين فى لادوكية يروا وجهى فى الجسد" (٣).

ولا يعرف من كان مؤسس الكنيسة فيها؟ ولكن "وليم باركلى" يرجح أن يكون "أبَفْراس" (٤) الذى يوصف بأنه شريك بولس والخادم الأمين. والذى يرتبط اسمه فيما بعد بالعمل فى هيرا بوليس ولاودكية. معتمدا على قول بولس: "كما تعلمتم أيضا من أبفراس العبد الحبيب معنا الذى هو خادم أمين للمسيح لأجلكم الذى أخبرنا أيضا بمحبتكم فى الروح" (٥). وأيضا: "يسلم عليكم أبغراس الذى هو منكم عبد للمسيح مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات، لكي تثبتوا كاملين وممتلئين فى كل مشيئة الله. فإنى أشهد فيه أن له غيرة كثيرة لأجلكم ولأجل الذين فى لاودوكية والذين فى هيرا بوليس" (٦). ومن الواضح أن كنيسة كولوسى كانت غالبا من الأمم. يقول بولس: "وأنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن" (٧). وأيضا: "فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع الذى هو عبادة الأوثان، الأمور

---

(١) كولوسى ٤ : ١٣

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٨٩، و "Analisa Al-Kitab" ص ٩١

(٣) كولوسى ٢ : ١

(٤) وليم باركلى: تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص ١١٨ وقارن قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٠٠.

(٥) كولوسى ١ : ٧

(٦) كولوسى ٤ : ١٢ — ١٣. (٧) كولوسى ١ : ٢١.

التى من أجلها غضب الله على أبناء المعصية، الذين بينهم أنتم أيضا سلكتم قبلا حين كنتم تعيشون فيها ،، (١) •

أما السبب الذى حرك بولس لكتابة هذه الرسالة هو نفس السبب الذى دعاه لكتابة الرسالة إلى أهل أفسس • وهو : ظهور المعلمين من اليهود الأسينيين الذين نشروا آراءهم المصطبغة بالغنوسية • وكانوا يحاولون جهدهم لتحويل المسيحيين إلى فلسفة وتصوف • وقد جاء إليه بخبر ظهور هؤلاء الأسينيين الغنوسيين " أبغراس " • يقول " ف.ب. ماير " : كانت الفلسفة المسيحية المزعومة وقتئذ تحاول أن تسد الثغرة بين الإنسان الخاطئ والله القدوس بسلم من الخرافات لتصعد عليه إلى الله صلوات الإنسان • وتنحدر عليه بركات الله للإنسان • كانت الفكرة كلها خيالية ،، (٢) • أما " وليم باركلى " فيحكى لنا أقوال هؤلاء الغنوسيين : نحن على يقين تام أن الأمر يحتاج إلى معرفة خاصة فى سبيل الوصول إلى الله • ونعلم تماما أن يسوع وإنجيله هما من البساطة، بحيث لا يمكنهما أن يوصلانا إلى هذا الغرض • وأن هذه المعرفة الخاصة لن نجدها إلا فى الشرائع اليهودية • وأننا فى حاجة إلى معرفة القوانين الطقسية التى نستعين بها للوصول إلى الله ،، (٣) • لكن كان " أبغراس " كما جاء بالأنباء المحزنة لبولس ، جاء بأخبار طيبة وسارة ، من ازدياد انتشار تعاليمه فى كولوسى • وهو ما أوجب على بولس أن يشكر الله من أجلهم • ففيها : إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ومحبتكم لجميع القديسين ،، (٤) • فكان بولس يفرح لأجل الثمر المسيحى الذى يظهرونه ." الذى قد حضر إليكم كما فى كل العالم أيضا وهو مثمر كما فيكم أيضا منذ يوم سمعتم وعرفتم نعمة الله بالحقيقة •••••• الذى أخبرنا أيضا بمحبتكم فى الروح ،، (٥) • وأيضا : فإنى وإن كنت غائبا فى الجسد لكنى معكم فى الروح فرحا وناظرا ترتيبكم ومتانة إيمانكم فى المسيح ،، (٦) •

---

(١) كولوسى ٣ : ٥ ــ ٧ •
(٢) انظر : حياة بولس ،، ف.ب. ماير ، ص ١٨٩ ترجمة القمص مرقس داود •
(٣) انظر : تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص ١٢٤
(٤) كولوسى ١ : ٤
(٥) كولوسى ١ : ٦ ــ ٨
(٦) كولوسى ٢ : ٥ •

وهذه الرسالة لاتخلو من عدة مشاكل، حتى إن كثيرين من علماء الكتاب المقدس لايعتقدون إطلاقا أن بولس هو الكاتب لهذه الرسالة (١). وذلك لسببين :

١ - إن الرسالة تتضمن كلمات وعبارات كثيرة ليس لها ذكر في أية رسالة من رسائل بولس.

٢ - إن انتشار الفكر الغنوسي كان في الواقع بعد زمن بولس بكثير. وإذا كانت هذه الرسالة قد كتبت لأجل بدعة الغنوسية، فلا بد أن تكون الرسالة كتبت بعد زمن بولس.

هذا، وإن هذه الرسالة تتكون من ٤ إصحاحات و ٩٥ عدد و ١٠٤٩ كلمة وتستغرق ٥ صفحات.

٨ - رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي.

يظنون أن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٥٢م وقيل ٥٣م وقيل ٥٠م وقيل ٥٤م، أثناء وجوده في مدينة كورنثوس وإقامته بها سنة ونصف (٢). ففي سفر أعمال الرسل : وبعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس ...... فأقام سنة وستة أشهر يعلّم بينهم بكلمة الله،، (٣). ويشترك معه " سِلْوَانُس " و " تيموثاوس " وأرسلت الرسالة إلى أهل تسالونيكي. ففي العدد الأول : بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة التسالونيكيين في الله الأب والرب يسوع المسيح. نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح ،، (٤). وهذه الرسالة هي باكورة رسائل بولس جميعها. أما تسالونيكي فهي مدينة كبيرة واقعة على ساحل بحر مكدونية، واسمها الأصلي " ثرماي " وتدعى الآن سالونيك. وكان دائما مرفأ شهيرا، وعلى هذا المرفأ أقام " أحشويرش الفارسي " (٥) قاعدته البحرية عندما غزا أوربا. وظلت هكذا حتى الحكم الروماني من أكبر موانيء.

---

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) ص ١٢٤ - ١٢٥

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٢١٨، ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، ج ٢، ص ٢٠٢، وانظر : Analisa Al-Kitab،، ص ٩٤.

(٣) أعمال الرسل ١٨ : ١ - ١١ (٤) ١ تسالونيكي ١ : ١

(٥) XEREXES بن داريوس هستاسيس ملك فارسي تزوج أستير، كان طاغية قاسيا وكانت أمه ابنة كورش. غزا اليونان وانهزم سنة ٤٧٩ ق م اغتاله أحد حراسه سنة ٤٦٥ ق م. (قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٩).

العالم. وفى عام ٣١٥ م أعاد " ألكسندر الأول بن أنتيباتير " بناء المدينة وخلع عليها اسم " تسالونيكا " باسم امرأته " تساليا بنت فيلب المكدونى " و " أخت إسكندر الأكبر " (١). وكانت المدينة الثانية بعد مدينة القسطنطين. وقد تلاقى المشرق بالمغرب فى هذه المدينة العظيمة. ولهذا السبب قطنها كثير من اليهود الذين بنوا فيها مجمعا. وقد زار بولس هذه المدينة أولا ومعه سيلا سنة ٥٢ م، بعد ما طرد من فيلبى ليبشر بالإنجيل فى رحلته التبشيرية الثانية. فآمن بعض اليهود وجمهور كثير من اليونانيين ومن النساء المتقدمات. وأسس هناك كنيسة. يقول : لأنكم أنتم أيها الإخوة تعلمون دخولنا إليكم أنه لم يكن باطلا، بل بعد ما تألمنا قبلا وبُغِى علينا كما تعلمون فى فيلبى جاهرنا فى إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله فى جهاد كثير ،، (٢). وكان بولس قد أقام فيها مدة ثلاثة أسابيع متوالية. ففى أعمال الرسل : فاجتازا (بولس وسيلا) فى أمفيبوليس وأبولونية وأتيا إلى تسالونيكى حيث كان مجمع اليهود ، فدخل بولس إليهم حسب عادته وكان يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب ،، (٣). وقد نجح نجاحا عظيما مما هيّج اليهود عليه وأثاروا الفتن والقلاقل مما اضطر تلاميذه إلى تهريبه إلى بيرية. ثم ترك " سيلا " ومعه " تيموثاوس " وراءه. أما هو فذهب سرّا إلى أثينا. ففى الأعمال : وأما الإخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلا إلى بيرية وهما لما وصلا مضيا إلى مجمع اليهود ..... فآمن منهم كثيرون ..... فلما علم اليهود الذين من تسالونيكى أنه فى بيرية أيضا نادى بولس بكلمة الله جاؤا يهيّجون الجموع هناك أيضا ، فحينئذ أرسل الإخوة بولس للوقت ليذهب كما إلى البحر. وأما سيلا وتيموثاوس فبقيا هناك. والذين صاحبوا بولس جاؤا به إلى أثينا. ولما أخذوا وصية إلى سيلا وتيموثاوس أن يأتيا إليه بأسرع ما يمكن مضوا ،، (٤). أما الأمر الذى دفع بولس لكتابة هذه الرسالة إلى أهل تسالونيكى فهو كالآتى (٥) :

---

(١) Analisa Al- Kitab ص ٩٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٢١٧ .
(٢) ١ تسالونيكى ٢ : ١
(٣) أعمال الرسل ١٧ : ١ - ٢ .
(٤) أعمال الرسل ١٧ : ١٠ - ١٥ .
(٥) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص ٢١٣ - ٢١٥ .

١ — أخبار سارة وطيبة حملها " تيموثاوس " إلى بولس . إذ كان يطلب من "تيموثاوس" الذى كان مرافقا له فى أثينا أن يعود إلى تسالونيكى ليستقي المعلومات. فرجع بأخبار فرح لها قلبه . لأن أتباع بولس فى تسالونيكى لايزالون أقوياء ثابتين فى الإيمان ، كما كانوا من قبل . كما يقول : لذلك إذ لم نحتمل أيضا استحسنا أن نُترَك فى أثينا وحدنا ، فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح . حتى يثبتكم ويعظكم لأجل إيمانكم كي لايتزعزع أحد فى هذه الضيقات . فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا ..... من أجل هذا إذ لم أحتمل أيضا أرسلت لكي أعرف إيمانكم ، لعل المجرِّب يكون قد جرّبكم فيصيرَ تعبُنا باطلا . وأما الآن فإذ جاء إلينا تيموثاوس من عندكم ، وبشرنا بإيمانكم ومحبتكم وبأن عندكم ذكرا لنا حسنا كل حين ، وأنتم مشتاقون أن ترونا كما نحن أيضا أن نراكم ". (١)

٢ — ظهور طائفة يهاجمون على بولس وأوعزوا إلى الناس أنه يكرز الإنجيل لما يرجو أن يجنيه من الربح من وراء وعظه ، وأنه كان دكتاتورا مستبدا برأيه . فردّ على ذلك بقوله : فإننا لم نكن قط فى كلام تملّق كما تعلمون ولا فى علة طمع. الله شاهد . ولا طلبنا مجدا من الناس لامنكم ولا من غيركم مع أننا قادرون أن نكون فى وقار كرسل المسيح . بل كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها .... فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا ، إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله ونحن عاملون ليلا ونهارا كي لا نثقل على أحد منكم ..... كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم ". (٢)

٣ — وجود بعض الانقسامات داخل الكنيسة . فأراد بولس أن يعالجها فيقول: وأما المحبة الأخوية فلاحاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضا ". (٣) وأيضا : وأن تعتبروهم كثيرا جدّا فى المحبة من أجل عملهم . سالموا بعضكم بعضا ". (٤) هذا ، وإن هذه الرسالة تتكون من ٥ إصحاحات و ٨٩ عدد و ١١٩٥ كلمة ، وتستغرق ٥ صفحات .

---

(١) ١ تسالونيكى ٣ : ١ — ٦ .

(٢) ١ تسالونيكى ٢ : ٥ — ١١ .

(٣) ١ تسالونيكى ٤ : ٩

(٤) ١ تسالونيكى ٥ : ١٣ .

٩ — رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي .

هذه الرسالة — كما قيل — كتبها بولس إلى أهل تسالونيكي لمرة ثانية ، بعد كتابته الرسالة الأولى بأسابيع قليلة ، بل ربما أيام معدودة (١) . والرسالتان متشابهتان إلى حد كبير . لماذا كتب بولس رسالتين إلى أهل تسالونيكي ولم يكتف برسالة واحدة ؟ فالجواب : أن الرسالة الثانية كتبت خصيصا لإزالة التباس يتعلق بمجيئ المسيح الثاني (٢) . كانت الرسالة الأولى تؤكد أن يوم الرب يجيئ كلص في الليل ، وتحث على وجوب السهر . يقول فيها : لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيئ ،، (٣) . ((فلا ننم إذًا كالباقين بل لنسهر ونصح)) (٤) . ولكنهم أساؤا فهم هذه النصيحة ، وانقطعوا عن أعمالهم اليومية ، لكي يتفرغوا للسهر والانتظار . ولذلك جاءت الرسالة الثانية موضحة أن هناك علامات معينة لا بد أن تسبق المجيئ الثاني . فيقول فيها : لا يخدعنكم أحد على طريقة ما . لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولا ، ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك ، المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلٰها أو معبودا حتى إنه يجلس في هيكل الله كإلٰه مُظهِرا نفسه أنه إلٰه ...... لأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ، لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سرّوا بالإثم ،، (٥) . بالإضافة إلى إعادة ما سبق له من النصائح والإنذارات التي قدمها لهم في الرسالة الأولى . ومن هاتين الرسالتين نرى أن بولس كان يعتقد أن يوم القيامة قريب ، وكان يبشر على هذا الأساس . كما كان يعتقد أن يوم القيامة سيدركه وهو حيّ . وهذه الفكرة الخاطئة قد سيطر على جميع الذين كتبوا العهد الجديد . وكان لها آثار هامة على العقائد المسيحية ومصادرها .

وقد حدد متّى في إنجيله موعد مجيئ المسيح الثاني بأنه يحدث قبل أن يكمل التلاميذ التبشير في مدن إسرائيل ، فيقول : فإني الحق أقول لكم لا تكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان (المسيح) (٦) . ومرقس حدد ذلك الموعد .

---

(١) انظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلٰهية ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .
(٢) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) ص ٢٤ ، و: Analisa Al-Kitab ، ص ٩٧ .
(٣) ١ تسالونيكي ٥ : ٢
(٤) ١ تسالونيكي ٥ : ٦
(٥) ٢ تسالونيكي ٢ : ٣ — ١٢
(٦) متّى ١٠ : ٢٣ .

بأنه يحدث قبل أن يفنى الجيل الذى عاش فى القرن الأول من الميلاد ، ويقول : ٠٠٠٠
وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لايذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة ». (١) وكذلك لوقا يقول : فاعلموا أن ملكوت الله قريب ٠ الحق أقول لكم إنه لايمضى هذا الجيل حتى يكون الكل ». (٢) لذلك يقول الإمام ابن حزم : إن هذا وحده كفاية لوكان عقل فى أن الذين كتبوا الأسفار كانوا كذابين قوم سوء ، وإن كذب هذا القول قد ظهر علانية ٠ فإن العالم لايزال قائما إلى الآن ولم يأت المسيح ٠٠٠٠٠٠ حاشا لله أن يكذب نبي ، فكيف إله ». (٣) وهذه الرسالة تتألف من ٣ إصحاحات و٤٧ عدد و ١٣٨ كلمة وتستغرق ٣ صفحات ٠

١٠ — رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٠

تقول المصادر المسيحية إن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٦٤م أو ٦٥م أو ٦٧م أو ٦٨ م ، من مكدونية بعد إطلاق سراحه من سجنه الأول ، إلى " تيموثاوس " الموجود فى أفسس ٠ (٤) ففى الإصحاح الأول يقول : كما طلبت إليك أن تمكث فى أفسس إذ كنت أنا ذاهب إلى مكدونية لكي توصى قوما أن لايعلّموا تعليما آخر ». (٥)

كان " تيموثاوس " شابا من مدينة لسترة بإقليم غلاطية بآسيا الصغرى ، آمن على يد بولس ٠ فهو تلميذه ورفيقه فى أسفاره وشريكه فى أتعاب الكرازة ٠ وكثيرا ما يدعو بولس أخاه وخادم الله وابنه فى الإيمان والابن الصريح والابن الحبيب والأمين ٠ ففى الإصحاح الأول : إلى تيموثاوس الابن الصريح فى الإيمان نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا ». (٦) وأيضا : هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعك إياها حسب النبوات التى سبقت عليك لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة ». (٧) وأيضا : إلى تيموثاوس الابن الحبيب ، نعمة ورحمة وسلام من الله الآب والمسيح يسوع ربنا ». (٨) وأيضا : لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب والأمين فى الرب ». (٩) وأيضا : فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح ». (١٠) وتيموثاوس كلمة يونانية معناها : عابدا لله أو المكرم لله ٠ (١١) وكانت أمه " أفنيكى " يهودية

---

(١) مرقس ٨ : ٣٩ (٢) لوقا ٢١ : ٣١ — ٣٢ ٠
(٣) انظر : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ج ٢ ، ص ٥٩ ٠
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٩ ، ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢ ، ص ٢١٢ و : Analisa Al-Kitab ص ١٠٣ (٥) ١ تيموثاوس ١ : ٣
(٦) ١ تيموثاوس ١ : ٢ (٧) ١ تيموثاوس ١ : ١٨ (٨) ٢ تيموثاوس ١ : ٢
(٩) ١ كورنثوس ٤ : ١٧ (١٠) ١ تسالونيكى ٣ : ٢ ٠ (١١) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٨

لكن أباه يوناني . لهذا لم يكن تيموثاوس مختتنا. فأخذه بولس وختنه لئلا يثير غضب اليهود . وعندما زار بولس لِسْتْرَة فى رحلته الثانية وجده قد اشتهر بين الإخوة فى لسترة وإيقونية . ففى أعمال الرسل : ثم وصل إلى دَرْبة ولِسْتْرَة وإذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس ابن امرأة يهودية مؤمنة ولكن أباه يونانى . وكان مشهودا له من الإخوة الذين فى لسترة وإيقونية . فأراد بولس أن يخرج معه فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين فى تلك الأماكن. لأن الجميع كانوا يعرفون أباه أنه يونانى ،، (١) .

وقد نشأ نشأة تقوية إذ كان منذ الطفولية يعرف الكتب المقدسة . وأشار بولس إلى الإيمان العديم الرياء الذى كان فيه، كما كان فى أمه وجدته " لَوْئِيس " فيقول : إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك الذى سكن أولا فى جدتك لَوْئيس وأمك أفنيكى ولكننى موقن أنه فيك أيضا ،، (٢) وأيضا : وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع ،، (٣) .

فرسمه بولس أسقفا على أفسس بإعلان نبوى، وتمت هذه الرسالة بوضع اليد على رأسه . كما يقول : هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعك إياها حسب النبوات التى سبقت عليك لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة ،، (٤) . وأيضا : لاتهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة ،، (٥) . وأيضا : فلهذا السبب أذكرك أن تُضْرِم أيضا موهبة الله التى فيك بوضع يدى ،، (٦) . رغم أنه كان حديث السن. فيقول : لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة ،، (٧) . وكان بولس قد اختاره ليكون رفيقا فى أسفاره ومعاونا له فى الكرازة، لما رآه من مواهب واستعداد للخدمة . فاصطحبه معه إلى فريجية وغلاطية وتَرُواس وطافا معا بلاد اليونان . وبشرا فى مدن فيلبى وتسالونيكى وبيرية . وقد بقي مع " سيلا " فى بيرية ، بينما ذهب بولس إلى أثينا ثم لحقه أيضا فى أثينا وكورنثوس (٨) . ففى أعمال الرسل : فحينئذ أرسل الإخوة بولس للوقت ليذهب كما إلى البحر وأما سيلا وتيموثاوس فبقيا هناك (بيرية)

---

(١) أعمال الرسل ١٦ : ١ — ٣ (٢) ٢ تيموثاوس ١ : ٥ (٣) ٢ تيموثاوس ٣ : ١٥

(٤) ١ تيموثاوس ١ : ١٨ (٥) ١ تيموثاوس ٤ : ١٤ (٦) ٢ تيموثاوس ١ : ٦

(٧) ١ تيموثاوس ٤ : ١٢

(٨) انظر: الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ،، الأنبا إيسذورس ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٢٩ .

والذين صاحبوا بولس جاؤا به إلى أثينا . ولما أخذوا وصية إلى سيلا وتيموثاوس أن يأتيا إليه بأسرع ما يمكن مضوا "(١) . ثم أرسل بولس تيموثاوس إلى تسالونيكى . كما يقول بولس : لذلك إذ لم نحتمل أيضا استحسنا أن نُترَك فى أثينا وحدنا ، فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح حتى يثبتكم ويعظكم لأجل إيمانكم "(٢) . ولم يصحبه تيموثاوس وسيلا حتى وصل بولس إلى كورنثوس . ففى سفر الأعمال : وبعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس ..... ولما انحدر سيلا وتيموثاوس من مكدونية كان بولس منحصرا بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع "(٣) . فمكث " تيموثاوس " و " سيلا " مع بولس فى كورنثوس حيث كتب منها رسالتيه الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكى . " بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة التسالونيكيين فى الله الآب والرب يسوع المسيح "(٤) . ونجده مرة أخرى مع بولس مدة إقامته الطويلة فى أفسس ، ومنها أرسله إلى مكدونية . كما يخبر به سفر أعمال الرسل : فأرسل إلى مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه تيموثاوس وأرَسْطُوس ولبث هو زمانا فى آسيا "(٥) . ثم أرسله أيضا إلى كورنثوس ليصلح العيوب هناك .: لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب والأمين فى الرب الذى يذكركم بطرقى فى المسيح، كما أعلّم فى كل مكان فى كل كنيسة "(٦) وأيضا : ثم إن أتى تيموثاوس فانظروا أن يكون عندكم بلا خوف. لأنه يعمل عمل الرب كما أنا أيضا "(٧) . كما قد ذكرت أن رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس كتبها فى أفسس . ثم نراه أيضا مع بولس فى مكدونية حيث شاركه فى كتابة رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس : بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله وتيموثاوس الأخ إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس "(٨) . ويحتمل أن يكون قد صحبه أيضا إلى أورشليم فى زيارته الخامسة والأخيرة لتلك المدينة . كما يقول بولس : ومتى حضرت فالذين تستحسنونهم أُرسِلُهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم . وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضا فسيذهبون معى "(٩) .

---

(١) أعمال الرسل ١٧ : ١٤ : ١٥
(٢) ١ تسالونيكى ٣ : ١ — ٢
(٣) أعمال الرسل ١٨ : ١ — ٥
(٤) تسالونيكى الأولى والثانية ١ : ١
(٥) أعمال الرسل ١٩ : ٢٢
(٦) ١ كورنثوس ٤ : ١٧
(٧) ١ كورنثوس ١٦ : ١٠
(٨) ٢ كورنثوس ١ : ١
(٩) ١ كورنثوس ١٦ : ٣ — ٤ .

ويظهر لنا أن بولس قد طلب من " تيموثاوس " أن يذهب إلى رومية . إذ يقول : بادر أن تجئ إليّ سريعا "(١) وأيضا : بادر أن تجئ قبل الشتاء "(٢) . لذلك ورد ذكره في الرسائل التي كتبت في رومية ، مما يدل على أنه كان مع بولس في تلك المدينة . وقد شاركه في كتابة ثلاث من الرسائل . الرسالة إلى فيلبي ، فيقول في افتتاحها : بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي مع أساقفة وشمامسة "(٣) . والرسالة إلى كولوسي ، ففي افتتاحها : بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله وتيموثاوس الأخ إلى القديسين في كولوسي "(٤) ، والرسالة إلى فليمون : بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمون المحبوب والعامل معنا "(٥) . ونعلم أيضا أن تيموثاوس كان قد أسر مع بولس في سجن رومية ، ثم أطلق منه . ففي الرسالة إلى العبرانيين يقول بولس : اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم أن أتى سريعا "(٦) . وهذا آخر ذكره في الكتاب المقدس . وذكر الأنبياؤانس أن تيموثاوس عمر طويلا بعد موت معلمه بولس . فقد قيل إنه قتل سنة ٩٧م . قتله الوثنيون في أفسس ضربا بالعصى ورجما بالحجارة في يوم من أيام أعيادهم "(٧) .

ولابد أن ألفت الانتباه إلى أن الرسالة الأولى والرسالة الثانية إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس ، هذه الرسائل الثلاث كلها كتبت لغرض واحد . لذا سوف أذكر ذلك الغرض فيما بعد إن شاء الله . وتسمى " رسائل رعوية " كما تسمى " برسائل بابوية " . إنها مجموعة منفصلة مختلفة عن بقية رسائل بولس . لأن هذه الرسائل الثلاث — مع الخطاب القصير إلى فليمون — كتبت إلى أشخاص ، بينما كتبت جميع رسائل بولس الأخرى إلى كنائس . فهي إذن بمثابة رسائل خاصة لتعبر عن شعور وعواطف شخصية . هذا ، وإن هذه الرسالة تتألف من ٦ إصحاحات و ١١٤ عدد و ١٥١٩ كلمة وتستغرق ٦ صفحات .

---

(١) ٢ تيموثاوس ٤ : ٩
(٢) ٢ تيموثاوس ٤ : ٢١
(٣) فيلبي ١ : ١
(٤) كولوسي ١ : ١
(٥) فليمون ١ : ١
(٦) عبرانيين ١٣ : ٢٣
(٧) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، ص ٣٤٨ .

١١ ـ رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ·

يقولون إن هذه الرسالة كتبها بولس بعد القبض عليه للمرة الثانية سنة ٦٧م أو ٦٦م أو ٦٨ م، من مدينة رومية قرب نهاية حياته (١) · معنى ذلك أن هذه الرسالة هي آخر رسالة كتبها بولس قبل موته · يقول بولس : فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بي أنا أسيره بل اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله ····· ليعط الرب رحمة لبيت أنيسيفورس (٢) لأنه مرارا كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي ،، · وأيضا (٣) : الذى فيه أحتمل المشقات حتى القيود كمذنب ، لكن كلمة الله لا تقيد. لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيئ لأجل المختارين لكي يحصلوا هم أيضا على الخلاص، الذى في المسيح يسوع مع مجد أبدى ،، (٤) · وكان بولس قد توقع على أن يُقتل إذ يقول : فإني أنا الآن أُسكب سكيبا ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعي حفظت الإيمان ، وأخيرا قد وضع لي إكليل البر الذى يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا ،، (٥) ·

وفى هذه الرسالة أظهر حزنه العميق. لأن جميع الذين فى آسيا الصغرى بما فيها أفسس قد ارتدوا عنه وتركوه، إلا " لوقا " وحده صديقه الأول لايزال معه. كما يقول بولس : بادر أن تجيء إليّ سريعا، لأن ديماس (٦) قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكى ، وكريسكيس (٧) إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية، لوقا وحده معي ····· إسكندر النحّاس (٨) أظهر لي شرورا كثيرة ،ليجازه الرب حسب أعماله. فاحتفظ منه أنت أيضا لأنه قاوم

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٣٠ ، ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، جـ ٢ ، ص ٢١٩ ، و: Analisa Al-Kitab ،،ص ١٠٦ ·

(٢) اسم رجل مسيحي خدم فى كنيسة أفسس. ولما كان بولس سجينا فى روما زاره وساعده· توفي عندما كتب بولس رسالته الثانية إلى تيموثاوس (قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٢٧) ·

(٣) ٢تيموثاوس ١ : ٨ ـ ١٦ (٤) ٢ تيموثاوس ٢ : ٩ ـ ١٠

(٥) ٢ تيموثاوس ٤ : ٦ ـ ٨

(٦) أحد زملاء بولس فى الخدمة ،ثم هجره لأنه لا يحتمل الألم والاضطهاد فذهب إلى تسالونيكى (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٨١) ·

(٧) رجل مسيحي كان فى رومية عندما كان بولس مسجونا فيها ،ثم تركه وسافر إلى غلاطية (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٨٠) ·

(٨) رجل نحاس من أفسس صار مسيحيا ثم قاوم تعاليم بولس لذلك وبخه بولس ولعنه (قاموس =

أقوالنا جدّا . في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني "[1] .
فالرسالة تعتبر وصية أخيرة من المعلم إلى تلميذه المخلص، لتشجيعه على عمله
التبشيري . وتتكون هذه الرسالة من ٤ إصحاحات و ٧٩ عدد و ١٠٥٤ كلمة
وتستغرق ٤ صفحات .

١٢ - رسالة بولس إلى تيطس .

يقولون إن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٦٤م أو ٦٥ أو ٦٦ أو ٦٧ م[2]،
أثناء وجوده في مكدونية بعد إفراجه من سجنه الأول في رومية ، قبل سجنه
الثاني . أي إنها كتبت بعد رسالته الأولى لتيموثاوس وقبل رسالته الثانية إليه .
ووجهت الرسالة إلى " تيطس " الموجود وقتئذ في كريت[3]، وحملها " أرتيماس "[4].
ففي الإصحاح الثالث : حينما أرسل إليك أرتيماس .... بادر أن تأتي إليّ "[5].
كان " تيطس " يونانيا أمميا ولد من أبوين أمميين، ومعنى اسمه " مربى
أو مشقّف ". آمن على يد بولس فأصبح تلميذا وفيا ، فأخذه معه إلى أورشليم
لحضور أول المجامع في المسيحية الذي انعقد برئاسة " يعقوب " سنة
٥٠ م ، ولكنه لم يختتن . يقول بولس عنه : ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت
أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معي تيطس أيضا .... لكن لم يضطر ولا
تيطس الذي كان معي وهو يوناني أن يختتن "[6] معنى ذلك أن إيمانه كان في وقت مبكر .

= الكتاب المقدس، ص ١٠٢) .

(١) تيموثاوس ٤: ٩- ١٦ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٢٨ ، ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، ج ٢ ، ص ٢٢٤، و : Analisa Al-Kitab ، ص ١٠٩ .

(٣) كريت أو إقريطش Crete جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط، واقعة جنوبي شرقي بلاد اليونان عاصمتها كانيا . وهي جزيرة جبلية إلى درجة كبيرة . استولى عليها الرومان (٦٨- ٦٧ ق م) والمسلمون (٨٢٦ م) الذين انتزعوها من الأباطرة البيزنطيين . استعادها نسفورس ٢ (٩٦١م) ثم استولت عليها البندقية (١٢١٤م) ثم تركيا (١٦٦٩م) ولكن الدول العظمى أجبرت تركيا على الجلاء عنها (١٨٩٨م) واحتلت الجزيرة (١٩٠٩م) وفي (١٩١٣م) اتحدت مع اليونان. وكان من سكانها يهود كثيرون . ودخلت المسيحية إليها في وقت مبكر. وقد مر بولس بقرب شواطئها في سفره إلى رومية . واشتهر أهلها برمي الأقواس الحربية ، ولكن سيرتهم كانت رديئة وأخلاقهم منحطة وأكاذيبهم مضرب الأمثال ، (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٤٥٨ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٧٩- ٧٨٠) .

(٤) أو أرتيمادورس وهو أحد رفقاء بولس في الجزء الأخير من حياته (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٥) .

(٥) تيطس ٣ : ١٢

(٦) غلاطية ٢ : ١ - ٣ .

وكان بولس يدعوه الابن الصريح، وشريك له في العمل. ففي الإصحاح الأول يقول : إلى تيطس الابن الصريح حسب الإيمان المشترك "(١). ويصفه بولس لأهل كورنثوس بقوله : أما من جهة تيطس فهو شريك لي وعامل معي لأجلكم "(٢). إذن كان "تيطس" رفيق بولس المؤتمن. إذ أرسله إلى أهل كورنثوس حاملا رسالته الثانية إليهم بعد أن كتب بولس لهم رسالته الأولى، بينما كان هو نفسه في أفسس. ثم عاد منها مخبرا إياه بتأثير رسالته الأولى إليهم. ففي الرسالة الثانية إلى كورنثوس يقول : حتى إننا طلبنا من تيطس أنه كما سبق فابتدأ كذلك يتمم لكم هذه النعمة أيضا "(٣) وأيضا : ولكن شكرًا لله الذي جعل الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس "(٤) وأيضا : طلبت إلى تيطس وأرسلت معه الأخ هل طمع فيكم تيطس "(٥). ولما ترك بولس أفسس كان يأمل أن يقابل " تيطس " في تَرُواس(٦). ولما لم يأت ذهب إلى مقدونية فاتصل به هناك وأخبره أخبارا سارة كما ذكره بولس : ولكن لما جئت إلى تَرُواس لأجل إنجيل المسيح وانفتح لي باب في الرب لم تكن لي راحة في روحي، لأني لم أجد تيطس أخي. لكن ودعتهم فخرجت إلى مكدونية "(٧). " لكن الله الذي يعزي المتّضعين عزانا بمجيء تيطس. وليس بمجيئه فقط، بل أيضا بالتعزية التي تعزى بها بسببكم، وهو يخبرنا بشوقكم ونوحكم وغيرتكم لأجلي حتى إني فرحت أكثر "(٨)، وأيضا : من أجل هذا قد تعزّينا بتعزيتكم. ولكن فرحنا أكثر جدّا بسبب فَرَحِ تيطس، لأن روحه قد استراحت بكم جميعا. فإني إن كنت افتخرت شيئا لديه من جهتكم لم أُخْجَل بل كما كلمناكم بكل شيء بالصدق، كذلك افتخارنا أيضا لدى تيطس صار صادقا "(٩). ثم أرسله بولس إلى كريت، ليتولى تنظيم الكنائس في تلك الجزيرة، ويقيم في كل مدينة

---

(١) تيطس ١ : ٤ (٢) ٢ كورنثوس ٨ : ٢٣ (٣) ٢ كورنثوس ٨ : ٦

(٤) ٢ كورنثوس ٨ : ١٦ (٥) ٢ كورنثوس ١٢ : ١٨ .

(٦) ميناء بحرية من أعمال ميسية، أسسها أنتيجنوس أحد خلفاء الإسكندر . وبعد موته غير اسمها منافسه ليسماخوس ملك تراقية باسم الإسكندرية، وأضاف إليها ترواس تمييزا من إسكندرية مصر. واسمها الآن أسكي ستامبول . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٧) .

(٧) ٢ كورنثوس ٢ : ١٢ — ١٣ (٨) ٢ كورنثوس ٧ : ٦ — ٧

(٩) ٢ كورنثوس ٧ : ١٣ — ١٤ .

فيها شيوخا . وهذا قد عمله تيطس باعتباره مفوضا من بولس فى ذلك المكان بالذات . يقول بولس : من أجل هذا تركتك فى كريت،لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخا،كما أوصيتك ". (١) ولم يمكث هناك مدة طويلة بل غادرها ورافق بولس إلى نيكوبوليس (٢) ، إذ يقول بولس: " حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتي إليّ إلى نيكوبوليس.لأني عزمت أن أشتي هناك ". (٣) ثم رافقه إلى رومية ورحل من هناك أخيرا إلى دلماطية (٤) فى بداية أسره الثاني: ...... وتيطس إلى دلماطية ". (٥)

ويقول " الأنبا يؤانس " (٦) : إن تيطس كان على صلة وثيقة ببولس وبرنابا فى أنطاكية ، فيحتمل أن يكون تيطس أنطاكيا . وكان عمره طويلا ، ومات فى جزيرة كريت التى مازال أهلها حتى الآن يعتبرونه شفيعهم . وتتكون الرسالة إلى تيطس من ٣ إصحاحات و٤٦ عدد و ٦٢٤ كلمة ، وتستغرق ٣ صفحات .

هذا،وسبق أن ذكرت أن الرسائل الثلاث ، الرسالتين إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس تسمى " الرسائل الرعوية ". وكان أول اسم أطلق عليها هو " الرسائل البابوية " لكن شيئا فشيئا اتجهت التسمية إلى الاسم المعروف حتى الآن (الرسائل الرعوية) . ففى عام ١٢٧٤ م ذكر " توما الأكويني " (٧) عن الرسالة الأولى إلى تيموثاوس قوله : إن هذه الرسالة تبدو كما كانت قانونا رعويا .

---

(١) تيطس ١ : ٥

(٢) أغلب الظن أن نيكوبوليس هي فى أبيروس على بعد ٤ أميال من أكتيوم ، بناها أغسطس قيصر سنة ٣٠ ق‌م وتسمى اليوم ريفا (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩٨٨) .

(٣) تيطس ٣ : ١٢

(٤) Delmate إقليم على الشاطئ الشرقي من البحر الأدرياتيكي. ويشمل الإقليم عددا كبيرا من الجزر الصغيرة المجاورة له . وقد أخضعها أغسطس قيصر سنة ٩م ، وأصبح مقاطعة رومانية من ذلك الحين. وهي اليوم جزء من يوغسلافيا . (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٧٥) .

(٥) تيموثاوس ٤ : ١٠

(٦) انظر: الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل "، ص ٣٤٦ .

(٧) القديس توما الأكويني (١٢٢٥ — ١٢٧٤م) فيلسوف ولاهوتي إيطالي ، من أشهر وأهم ممثلي الفكر الكاثوليكي . تعلم فى ديرمونت كسينو ، ثم فى نابولي وانتظم فى رهبنة الدومينيكان. وتتلمذ لألبير الكبير فى باريس ثم عين أستاذا فى جامعة باريس، توفي فى طريقه إلى مجمع ليون ١٢٧٤م . مؤلفاته كثيرة تناول فيها الفلسفة واللاهوت، ويستعين بأرسطو وأفلاطون وابن سينا وابن رشد فى بحثه عن الحقيقة (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٥٦٢) .

وفى مقدمة الرسالة الثانية يقول : فى هذه الرسالة الثانية يعالج موضوع العناية الرعوية ،، لكن هذا الاسم لم يصبح علما رسميا إلا فى عام ١٧٢٦ م حينما أطلقه " بولس أنطون " أحد كبار الأساتذة اللاهوتيين (١) • وكتبت هذه الرسائل الرعوية الثلاث لغرضين (٢) :

أولا — رعاية وتنظيم الكنيسة وتعليم الناس كيف يتصرفون فيها وكيف يخدمها ، وأى نوع من الناس يجب أن يكون قادتها ورعاتها • يقول ترتوليان : إن بولس كتب رسالتين إلى تيموثاوس وواحدة إلى تيطس الغرض منها الاهتمام بحالة الكنيسة •

ثانيا — كتبت لمواجهة موقف نادت به هرطقة خطيرة هددت مصالح الكنيسة وهي هرطقة الغنوسية •

لكن منذ البداية واجهت دارسى العهد الجديد مشاكل كبيرة تتعلق بهذه الرسائل الرعوية الثلاث :

أولا — نجد فى هذه الرسائل الثلاث صورة كنيسة على درجة عالية من التنظيم الكنسى • فهناك شيوخ كما فى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس إذ يقول : لا تزجر شيخا بل عظه كأب والأحداث كإخوة ،، (٣) • وأيضا : أما الشيوخ المدبرون حسنا فليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم ••••• ولا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود ،، (٤) •

وفى الرسالة إلى تيطس يقول : من أجل هذا تركتك فى كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخا كما أوصيتك ، إن كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة له أولاد مؤمنون ليسوا فى شكاية الخلاعة ولا متمردين ،، (٥) •

وهناك أساقفة أو نظار • ففى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس يقول : صادقة هي الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحا ، فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة صاحيا عاقلا محتشما مضيفا للغرباء صالحا للتعليم ،

---

(١) انظر : تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون) وليم باركلى ، ص ٨ ، ترجمة لطيف زكي بدروس ، دار الثقافة المسيحية ط الأولى ١٩٧٩م القاهرة •

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ — ٨ •

(٣) ١ تيموثاوس ٥ : ١ (٤) ١ تيموثاوس ٥ : ١٧ — ١٩ (٥) تيطس ١ : ٥ — ٦ •

غير مدمن الخمر ولاضراب ولاطامع بالربح القبيح، بل حليما غير مخاصم ولامحب للمال "[1]. وفي الرسالة إلى تيطس يقول: لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولاغضوب ولامدمن الخمر ولاضرّاب ولاطامع في الربح القبيح، بل مضيفا للغرباء محبا للخير متعقلا بارا ورعا ضابطا لنفسه، ملازما للكلمة الصادقة ..... "[2]. وهناك شمامسة. ففي الرسالة الأولى إلى تيموثاوس يقول: كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين غير مولعين بالخمر الكثير ولاطامعين بالربح القبيح، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر. وإنما هؤلاء أيضا ليختبروا أولا ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم. كذلك يجب أن تكون النساء ذوات وقار غير ثالبات صاحيات أمينات في كل شيئ. ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة ......"[3]. كما ذكر أن الشيوخ موظفون يتغاضون أجرا، والشيوخ الذين يعملون جيدا يستحقون ضعف الأجر. إذ يقول: أما الشيوخ المدبرون حسنا أهلا لكرامة مضاعفة ولاسيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم، لأن الكتاب يقول لاتَكُمَّ ثَوْرًا دَارِسًا، والفاعل مستحق أجرته "[4].

يبدو واضحا هنا وجود تنظيم ضخم داخل الكنيسة. والمشكلة هي: هل هذا التنظيم الدقيق داخل الكنيسة قد تم رسمه بيد بولس؟ معنى ذلك أن الكنيسة قد قطعت الخطوات الأولى نحو مؤسسة دقيقة التنظيم. وهي التي صارت إليها الآن. يرى كثير من الباحثين أن هذا التنظيم الدقيق يستحيل أن يكون قد تم في تلك الأيام التي عاش وعمل فيها بولس[5]. بالإضافة إلى أن مرقيون الأسقوبي — وهو أول من كتب قائمة أسفار العهد الجديد — ورغم كونه هرطقا — لم يضع الرسائل الرعوية بين رسائل بولس[6]. لذلك فإن الكثيرين الذين درسوا العهد الجديد يقولون: إن هذه الرسائل لايمكن أن تكون قد أتت مباشرة من يد وقلم بولس! .

---

(١) ١ تيموثاوس ٣: ١ — ٣

(٢) تيطس ١: ٧ — ٩

(٣) ١ تيموثاوس ٣: ٨ — ١٢

(٤) ١ تيموثاوس ٥: ١٧ — ١٨ .

(٥) انظر: تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون) وليم باركلي ص ٩ .

(٦) نفس المرجع، ص ٩ — ١٠ .

ثانيا — إن الغنوسية لم تظهر إلا بعد وقت طويل من بولس بيد معلميها "باسيليدس" و "فالنتينوس" فى القرن الثانى • لذلك لا يمكن لبولس أن تكون له علاقة بكتابة هذه الرسائل الرعوية الثلاث • (١)

ثالثا — إن مجموع كلمات الرسائل الرعوية فى اللغة اليونانية هو ٩٠٢. منها يوجد مالايقل عن ٣٠٦ كلمة لم ترد مطلقا فى أى من خطابات بولس الأخرى • بمعنى أن ٣٦ فى المائة أى أكثر من ثلث كلمات الرسائل الرعوية لم تستخدم فى لغة بولس فى رسائله الأخرى • كما أن ١٧٥ كلمة فى الرسائل الرعوية لاتتكرر مرة أخرى فى العهد الجديد كله على الإطلاق • بالإضافة إلى ذلك كثير من كلمات بولس المفضلة لديه غائبة كلية من الرسائل الرعوية • فكلمة الصليب ومشتقاتها تتكرر ٢٧ مرة فى خطابات بولس الأخرى، ولاترد إطلاقا فى الرسائل الرعوية • والكلمات التى تصف الحرية ترد ٢٩ مرة فى رسائل بولس الأخرى، ولاترد إطلاقا فى الرسائل الرعوية • وكلمة الابن والتبنى تأتى ٤٦ مرة فى رسائل بولس الأخرى • ولانجدها ولامرة واحدة فى الرعويات • وبالنسبة لبلاغة اللغة

---

(١) يقول الأستاذ يوسف كرم: فى القرن الثانى ظهر غنوسيون مسيحيون متفلسفون أصابوا نجاحا كبيرا • وأشهرهم ثلاثة" باسيليدس"و « فالنتين »و « مرقيون » باسيليدس" علّم بدعته بالإسكندرية فيما بين سنتى ١٢٠ و ١٤٠ م • و« فالنتين » ولد فى شمال مصر وتعلم بالإسكندرية وعلّم بها • ثم قصد إلى روما وأقام بها ثلاثين سنة (١٣٦—١٦٥م) وهناك انشق عن الكنيسة وكون شيعته •و « مرقيون » هبط روما من آسيا الصغرى حوالي ١٤٠ م • ويشترك هؤلاء الثلاثة فى قوة العاطفة الدينية، وفى الجزع من سلطان الأهواء على النفس، وفى تنصرهم لاعتقادهم أنهم يجدون فى النصرانية رضاء حاجاتهم العقلية والروحية ، ويتحررون من نير الأهواء، وفى انقلابهم إلى الغنوسية ، وهم يؤولون العقائد المسيحية تبعا لمذهبهم ويصوغون أساطيرهم بألفاظها • وكان المسيحيون ينكرون كل ذلك أشد الإنكار. كما كانوا ينكرون القضايا الأساسية فى الغنوسية • وهي أن للعالم صانعا مغايرا له ، وأن للنفس حياة سابقة على الحياة الأرضية ، وأن الخطيئة الأصلية ارتكبت فى العالم المعقول ، وأن المادة رديئة بالذات، وأن الأجسام لاتبعث ... إن الشريعة القديمة قائمة على أن العين بالعين والسن بالسن ، والشريعة الجديدة هي العظة على الجبل • ولاصلة بين المسيح المخلص والمسيح الحربى الذى وعد به أنبياء العهد القديم الناطقون عن وحي إلٰههم .... إلخ • (راجع : تاريخ الفلسفة اليونانية ،، ص ٢٥٦ — ٢٥٨ ، دار القلم بيروت ط الأولى ١٩٧٧ م • قارن : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، د • على سامى النشار ، ج ١ ، ص ١٨٧ — ١٨٩ ، دار المعارف القاهرة ط السابعة ١٩٧٧ م) •

والأسلوب يصعب تصديق أن بولس كتب الرسائل الرعوية[1] . بقي لنا أن نتساءل فمن إذن كتب هذه الرسائل الرعوية ..... ؟

يقول « وليم باركلي » يجب أن نتذكر أن العالم القديم لم ير هذه الأمور كما نراها نحن . لم ير العالم القديم مأخذا في كتابة رسالة باسم معلم عظيم، طالما كان مؤكدا أن الرسالة ذكرت نفس الأشياء التي كان هذا العالم يقولها تحت ظروف متشابهة . بالنسبة للعالم القديم كان طبيعيا للغاية أن يكتب تلميذ باسم أستاذه. لم يتواجد واحد سواء في العالم أو في الكنيسة يشعر أن هناك خطأ ما إذا واجه تلميذ بولس موقفا جديدا خطيرا برسالة تحت اسم بولس[2] . إذن فالرأي الراجح أن أحدا من تلاميذ بولس كتب هذه الرسائل تحت اسم بولس بعد سنوات من موته ، وفي وقت بلغت الكنيسة فيه شأوا بعيدا في التنظيم ، أعلى بكثير مما كان في حياة بولس .

١٣ — رسالة بولس إلى فليمون .

يقولون إن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٦٢م وقيل ٦١م وقيل ٦٤م، من مدينة روما أثناء سجنه فيها ، موجهة إلى فليمون أحد سكان كولوسي[3] . كان « فليمون » — ومعناه محب — من الذين اعتنقوا المسيحية على يد بولس ، أثناء تبشيره في أفسس . وكان ذا غيرة مسيحية وسخاء ومودة صادقة . يقول بولس : سامعا بمحبتك والإيمان الذي لك نحو الرب يسوع .... لأن لنا فرحا كثيرا وتعزية بسبب محبتك. لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ "[4] . وقد أقام في بيته كنيسة . وكان بولس يدعوه « المحبوب » . ففي الآية الأولى يقول : بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمون المحبوب والعامل معنا ، وإلى أَبْفِيَّة المحبوبة وأَرْخِبُّس المتجند معنا ،

---

(١) تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون) وليم باركلي ، ص ١٧—١٨
(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢— ٢٣ بتصرف .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٩٨ ، و : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية" ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، و : "Analisa Al kitab" ص ١١١ .
(٤) فليمون ٥ — ٧ .

وإلى الكنيسة التى فى بيتك . نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح ،، (١) .
أرسلت هذه الرسالة بيد " أُنِسيمُس " عبد " فليمون " الهارب منه ، كما أرسلت
فى نفس الوقت الرسالتان إلى أهل أفسس وكولوسى بيد " تيخيكس " . يقول
بولس لأهل كولوسى : جميع أحوالى سيعرفكم بها تيخيكس الأخ الحبيب والخادم
الأمين والعبد معنا فى الرب ، الذى إليكم لهذا عينه ليعرف أحوالكم ويعزى
قلوبكم ، مع أنسيمس الأخ الأمين الحبيب الذى هو منكم هما سيعرفانكم
بكل ما ههنا ،، (٢) . وهذه الرسالة القصيرة تتميز بين رسائل بولس الأخرى . فهى
الرسالة الخاصة الوحيدة لبولس . ووضعت بعد الرسائل المعروفة بالرسائل الرعوية .
وقد كتبت بسبب " أنسيمس " العبد الهارب من سيده " فليمون " : ثم إن كان قد
ظلمك بشيئ أو لك عليه دين فاحسب ذلك عليّ . أنا بولس كتبت بيدى ، أنا أوفى
حتى لا أقول لك إنك مديون لى بنفسك أيضا ،، (٣) .

كان " أنسيمس " — ومعناه نافع — سارقا فهرب إلى روما ، ليفقد نفسه
بين أفواج الجماهير فى شوارع المدينة الكبيرة . وبطريقة ما توصل إلى بولس ،
فصار مسيحيا بيده . كما يقول بولس بأنه : .... ابنى أنسيمس الذى
ولدته فى قيودى ،، (٤) . وكان بولس يود أن يبقيه عنده ليخدمه ، ولكن لا يفعل
شيئا بدون موافقة " فليمون " سيده . لهذا يرد إليه رغم أنه يعلم جيدا المخاطرة
التى يأخذها . فلم يكن العبد فى اعتبار القانون إلا آلة حية ، والسيد له حق
الحياة والموت على عبيده . فيقول بولس : الذى رددته فاقبله الذى هو
أحشائى الذى كنت أشاء أن أُمسِكَه عندى لكي يخدمنى عوضا عنك فى قيود
الإنجيل . ولكن بدون رأيك لم أُرِد أن أفعل شيئا ، لكي لا يكون خيرك كأنه على
سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار ،، (٥) . أعطى بولس هذه الرسالة لأنسيمس
ليسلم لسيده . وأراد بولس أن يطلب " أنسيمس " الصفح من سيده ، وأن يصفح عنه
سيده لإساءته إليه ويقبله كأخ محبوب . فيقول : الذى كان قبلا غير نافع لك ،

---

(١) فليمون ١ : ٢ (٢) كولوسى ٤ : ٧ — ٩ (٣) فليمون ١٨ — ١٩
(٤) فليمون ١٠ (٥) فليمون ١٢ — ١٤ .

ولكنه الآن نافع لك ولي „ (١) . ثم يقول في رجائه وحثه على قبوله : لا كعبد فى ما بعدُ بل أفضل من عبد أخا محبوبا ولاسيما إليّ فكم بالحريّ إليك في الجسد والرب جميعا . فإن كنت تحسبني شريكا فاقبله نظيرى ، وإن كان قد ظلمك بشيئ أولك عليه دين فاحسب ذلك عليّ „ (٢) . وقد تعجب كثير من الباحثين إزاء إغفال بولس قول أى شيئ بخصوص موضوع الرقيق بأكمله . إذ أن بولس لايدينها ولايطلب من " فليمون " ليحرر عبده ، بل يعيده إليه كعبد (٣) .

والمفروض على بولس أن ينتهز هذه الفرصة ليدين العبودية في جملتها والتى تأسس عليها العالم القديم . وهذا مايؤدى إلى أمر خطير بالنسبة للديانة المسيحية . فالمسيحية لاتهاجم العبودية ، ولاتحث أبدا على تحرير العبيد!!! .

بقي لنا أن نتساءل : لماذا تأخذ هذه الرسالة الصغيرة التى لاتزيد عن صفحة صغيرة واحدة ، والتى لا تبحث في مبدأ عظيم ، ولاتهاجم هرطقة خطيرة مكانا بين الأسفار المقدسة ؟ فالجواب على ذلك كما يقول " وليم باركلى " : إن الرسائل تم جمعها في أفسس سنة ٩٠م وقيل سنة ١١٠ م ثم نسخت وطبعت ، ونشرت في كل الكنائس . وحول هذا الوقت بالضبط كان " أنسيمس " أسقفا لأفسس . فكان هو الذى أصر على ضم هذا الخطاب إلى مجموعة رسائل بولس ، رغم قصرها وصغرها وخصوصيتها (٤) . ! وكان "أنسيمس" العبد السارق الهارب قد أُصبح فيما بعد أسقفا عظيما لكنيسة أفسس . وكان " أغناطيوس " أسقف أنطاكية خلفا لبطرس – حينما يؤخذ من أنطاكية إلى روما ليصبح طعاما للوحوش البرية ووصل أزمير ، كتب رسالة إلى كنيسة أفسس . وفي الفصل الأول من هذه الرسالة تكلم كثيرا عن أسقفه العجيب . وذكر أن اسم هذا الأسقف هو " أنسيمس " (٥) . هذا ، وإن هذه الرسالة وجهت إلى " فليمون " وامرأته " أبفية " وابنه " أرخبّس " . وتتكون من إصحاح واحد و٢٥ عددا و٣٠٦ كلمة ، وتستغرق صفحة واحدة فقط .

---

(١) فليمون ١١ (٢) فليمون ١٦ – ١٨ .

(٣) انظر: تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون) وليم باركلى ، ص ٣٧١ – ٣٧٢ .

(٤) انظر: تفسير العهد الجديد (الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس وفليمون) وليم باركلى ، ص ٣٧٧ .

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة „ يوسابيوس القيصرى ، ص ١٦٩ .

١٤ ـ الرسالة إلى العبرانيين .

يظن البعض أن هذه الرسالة كتبها بولس سنة ٦٣م أو ٦٤م أو ٦٥م أو ٦٧م أو ٦٨م ، من إيطاليا. إذ يقول : يسلم عليكم الذين من إيطاليا "(١) . ووجهت إلى اليهود الذين آمنوا بالمسيح في فلسطين وبلاد الشرق عموما (٢) . وفي الواقع .... لا يوجد بين علماء الكتاب المقدس إجماع على حقيقة كاتب هذه الرسالة. فمنذ عهد آباء الكنيسة الأول ، دار الجدال حول اسم الكاتب ، بالرغم من اعتراف الكنيسة بها . فالرسالة إلى العبرانيين قد أحاطها الغموض واكتنفتها الأسرار .

وصدق " سكوت "(٣) في قوله : إن الرسالة إلى العبرانيين من وجوه كثيرة هي لغز العهد الجديد . وعندما نتساءل : متى كتبت ؟ ولمن كتبت ؟ ومن كتبها ؟ لن نجد أمامنا إلا الحدس والتخمين ! فإن القائمة الأولى لأسفار العهد الجديد ، وهي المعروفة بالقانون الموراتوري (نسبة إلى الكاردينال موراتوري الذي اكتشفها) المنشور سنة ١٧٠ م لم تذكر فيه هذه الرسالة إطلاقا (٤) . فمن كتب هذه الرسالة ؟ هذه مشكلة من أصعب المشاكل ، كما قال " وليم باركلي " في تفسيره ، ولن نجد لها حلا . وكان عدم اليقين في اسم الكاتب هو السبب الحقيقي الذي جعل هذه الرسالة تبقى على هامش أسفار العهد الجديد زمنا طويلا . ومن أقدم الأزمنة كان اسم هذه الرسالة بكل بساطة هو " الرسالة إلى العبرانيين " ولم يوضح لها اسم كاتبها . ومن أقدم العصور لم يقرنها أحد باسم بولس (٥) . فأكد " يوسابيوس " مؤرخ الكنيسة ، أن هذه الرسالة كانت من بين الأسفار التي أثير حولها الجدال . فإن أكثرهم رفضوها قائلين: إن كنيسة روما تشككت فيها على أساس أن بولس لم يكتبها (٦) .

---

(١) عبرانيين ١٣ : ٢٤ .
(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٨ ، و: مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢ ، ص ٢٣ ، و Analisa Al-Kitab: " ص ١١٣ .
(٣) " Douns Scot " (١٢٦٦ ـ ١٣٠٨م) من كبار علماء اللاهوت الإنجليز ، عارض بآرائه الفلسفية تعاليم توما الأكويني (المنجد في الأعلام ، ص ٢٩٢) .
(٤) انظر: تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) وليم باركلي ، ص ١٣ ، ترجمة القس جرجس هابيل ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ، ط الأولى ١٩٧٥ م .
(٥) الكتاب السابق ، ص ١٦ (٦) انظر: تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصري ص ١١٣ .

ويقول فى موضع آخر: إن " كايوس " وهو من جهابذة العلماء فى عهد " فيرينوس " أسقف روما سنة (١٨٩ — ٢١٧ م) يذكر فقط ثلاث عشرة رسالة للرسول بولس، غير حاسب رسالة العبرانيين . وإلى يومنا هذا لا يزال بين أهل روما من لا يعتبرونها ضمن كتابات الرسول ،،(١) . وإليه ذهب " ف.ب.ماير " فى كتابه " حياة بولس " إذ نسب ثلاث عشرة رسالة فقط إلى بولس(٢) .

وكما سبق أن ذكرت رأى " أوريجين " بخصوص هذه الرسالة : بأن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لا يعرفه أحد معرفة اليقين إلا الله وحده . فيقول البعض إن " أكليمنضس " أسقف روما هو كاتبها ، والآخرون إن كاتبها هو " لوقا " مؤلف الانجيل وسفر الأعمال(٣) . واتفق " أوريجين " و " كليمنت " — وهما عالما الإسكندرية العظيمان — على أن موضع هذه الرسالة فى أسفار العهد الجديد هو موضع مناقشة . وكذلك الآباء الأفريقيون العظماء(٤) . فإن " كبريانوس " و " ترتوليان " لم يذكراها أبدا . وبقيت هذه الرسالة موضع نقاش وجدال حتى القرن الرابع، إذ أعلن " أثناسيوس الرسولى " قبولها بصفة قاطعة على أنها رسالة بولس . واعترفت تبعا له الكنيسة الشرقية ، بالرغم من افتقارها إلى الإثبات العلمى . أما الكنيسة الغربية فقد شكت فى أنها من وضع بولس . وظل " مارتن لوثر " مترددا فى قبولها، وصرح بأنه لا يمكن أن يكون بولس كاتبها ، لأن الأفكار ليست أفكاره(٥) . ويقول " جيروم " إن الكنيسة اللاتينية لم تقبلها كرسالة من رسائل بولس ،، وإذا تكلم عن الكاتب كان يكتفى بالقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين أيا كان اسمه . وشعر " أغسطينوس " بنفس الشعور بإزائها . وكذلك صرح " كلفن " بأنه لا يقدر أن يقول إن هذه الرسالة هى رسالة بولس ، ولم يخطر ببال أحد فى كل تاريخ الكنيسة أن بولس هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين ،،(٦) . فالناس يعرفون جيد

---

(١) انظر : تاريخ الكنيسة ،، يوسابيوس القيصرى ، ص ٣١٣ .
(٢) انظر : حياة بولس ،، ف.ب. ماير ، ص ١٨٢
(٣) تاريخ الكنيسة ، ص ٣١٩ ، وراجع من هذه الرسالة ، الصفحة ٢١٠ — ٢١١ .
(٤) تاريخ الكنيسة ، ص ١٤٨ و ص ١٥٢ وص ٣٠٢ .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٩٩
(٦) تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) ص ١٧

المعرفة أن الأسلوب ليس أسلوب بولس ، وأن مجرى الفكر ليس شبيها بفكر بولس.
ولايزال السؤال الحائر على ألسنتهم : من يكون إذن الكاتب لرسالة العبرانيين .... ؟
أجاب قاموس الكتاب المقدس بقوله : إننا نستطيع أن نعرف من الرسالة نفسها ،
أن كاتبها لم يكن من الرسل . وأنه أخذ الإنجيل عن غيره . وأنه كان معروفا
عند القراء ، وكان بعيدا عنهم لظروف فوق قدرته . ففي الإصحاح الثاني : لذلك
يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته . لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم
بها ملائكة قد صارت ثابتة ، وكل تَعَدٍّ و معصية نال مجازاة عادلة ، فكيف ننجو
نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ، ثم تَثَبَّتَ لنا من الذين
سمعوا شاهدا اللهُ معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدُس
حسب إرادته ،، (١) . وأيضا : صلوا لأجلنا لأننا نثق أن لنا ضميرا صالحا راغبين
أن نتصرف حسنا في كل شيئ . ولكن أطلب أكثر أن تفعلوا هذا لكي أرد إليكم
بأكثر سرعة ،، (٢) . ونستطيع أن نعرف أيضا من أسلوبها أنها لم تترجم عن
العبرية ، وأن الكلاسيكية في الأسلوب تختلف عن أسلوب بولس في رسائله
الأخرى (٣) . وقد ادعى كاذبا " الأنبا يؤانس " في كتابه " الكنيسة المسيحية في عصر
الرسل " : بأن الرسالة إلى العبرانيين هي للقديس بولس بإجماع عام من آباء
الكنيسة منذ فجر تاريخها . ويقول : إنها الرسالة الوحيدة التي أغفل بولس
ذكر اسمه . وقد فعل ذلك عن عمد حتى ما يجد كلامه قبولا لدى اليهود
الذين وجه إليهم الرسالة ، والذين كانوا يناصبونه العداء ،، (٤) . كما ادعى
كذبا أيضا " متى بهنام " في كتابه " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " : بأن
معظم الآباء القدماء أجمعوا على أن كاتبها بولس . ثم يقول : إن موضوع شخصية
الكاتب لا تمس بأي حال من الأحوال حقيقة كتابتها بوحي إلهي ، الأمر الذي لاريب
فيه ،، (٥) . إذن فمن كاتب هذه الرسالة في الحقيقة ؟ اختلف الآراء في إجابة
هذا السؤال ! فإن أشخاصا كثيرين رشحوا الكتابتها . وأذكر فقط ثلاثة من هؤلاء .

---

(١) عبرانيين ٢ : ١ — ٤ (٢) عبرانيين ١٣ : ١٨ — ١٩
(٣) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٩٩ .
(٤) انظر : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ،، الأنبا يؤانس ، ص ٢٩٥
(٥) انظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، متى بهنام ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

المرشحين :

الأول — ظن " ترتليان "أن برنابا هو الكاتب لرسالة العبرانيين[1]. وذلك لأمور آتية:

١ — إن برنابا أقدر رجال العهد الجديد في معرفة نظام الكهنوت والذبائح الدقيقة. وهو النظام الذى بنيت عليه الرسالة إلى العبرانيين . لأن " برنابا " كان لاويا. ففى أعمال الرسل : ويوسف الذى دُعِى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ وهو لاوى قبرسى الجنس "[2]

٢ — إن " برنابا " يدعى ابن الوعظ . والرسالة إلى العبرانيين أعطاها كاتبها اسم "كلمة الوعظ " . ففيها : وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ "[3].

٣ — كان " برنابا " مواطنا قبرصيا . وذاع صيت القبارصة بإتقانهم للغة اليونانية التى كانوا يتكلمون بها . والرسالة مكتوبة بأعظم أسلوب لغوى فى العهد الجديد .

٤ — إضافة إلى أن " برنابا " كان واحدا من الرجال القلائل الذين كانوا مقبولين عند اليهود واليونانيين . كما أنه كان على اتصال وثيق بعالمى الفكر اليهودى واليونانى . لكن لو كان " برنابا " هو كاتب هذه الرسالة لكان أمرا غريبا أن لا يكون اسمه مرتبطا بها ! .

الثانى — قال " مارتن لوثر " بصيغة التأكيد : إن " أَبُلُّوس " هو الذى كتب الرسالة إلى العبرانيين . فإن أبلّوس كان يهوديا إسكندرى الجنس فصيحا مقتدرا فى الكتب المقدسة ، ولابد أن يكون فصيحا مثل أعلام الإسكندرية ، ولا بد له أن يفكر ويجادل كما يفكر ويجادل المثقفون الإسكندريون. وبكل تأكيد كان الرجل الذى كتب الرسالة إلى العبرانيين من طراز " أبلّوس " فى الفكر والثقافة[4] . ففى سفر الأعمال : ثم أقبل إلى أفسس يهودى اسمه أبلّوس إسكندرى الجنس رجل

---

(١) انظر : تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) وليم باركلى ، ص ١٨
(٢) أعمال الرسل ٤ : ٣٦ .
(٣) عبرانيين ١٣ : ٢٢
(٤) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) ، ص ١٨

فصيح مقتدر فى الكتب . وكان هذا خبيرا فى طريق الرب . وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلّم بتدقيق ما يختص بالرب عارفا معمودية يوحنا ...." (١).

الثالث — رأى " هارنك " (٢) — وهو اللاهوتى الألمانى الكبير — أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين قد يكون " أكيلا " و " بريسكلا " . وذلك فإن " أكيلا " كان معلما . ففى سفر الأعمال : فلما سمعه (أبلّوس) أكيلا وبريسكلا أخذاه إليهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق " (٣) . وكان بيتهما فى روما كنيسة. ففى الرسالة إلى أهل رومية يقول بولس : سلّموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع .... وعلى الكنيسة التى فى بيتهما " (٤).

وقد خلا مطلع الرسالة من التحيات واختفى اسم الكاتب . لأن الكاتب الأصلى للرسالة كان امرأة ، ولم يكن مسموحا للمرأة أن تعلّم . لذلك آثرت أن يكون اسمها مخفيا ؟! . فكان " أوريجين " على حق حينما يقول : " إن الله وحده هو الذى يعلم كاتب الرسالة إلى العبرانيين . وبعد ذلك نتساءل: لمن كتبت هذه الرسالة ؟ قيل : إنها كتبت لليهود المؤمنين بالمسيح فى فلسطين وبلاد الشرق كما ذكره قاموس الكتاب المقدس (٥) . لكن نفهم من الإصحاح الثانى ، أنها إنما كتبت إلى كنيسة لم تكن قد تأسست على أيدى الرسل . إذ يقول : فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تَثَبَّت لنا من الذين سمعوا " (٦) . ويبدو أن تلك الكنيسة مؤسسة من زمن بعيد . إذ يقول : لأنكم إذ كان ينبغى أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلّمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى " (٧) . وكذلك نفهم من هذا النص أنها كتبت إلى جماعة من ذوى الثقافة العالية والاطلاع الواسع ، الذين كانوا يتدربون لأن يكونوا معلّمين فى الكنيسة المسيحية . وأرسلها إليهم معلّمهم الخاص الذى حالت الظروف دون الاجتماع بهم شخصيا . أو بعبارة أخرى أنها كتبها معلّم وأرسلها إلى جماعة

---

(١) أعمال الرسل ١٨ : ٢٤ — ٢٥ .

(٢) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) ، ص ١٨

(٣) أعمال الرسل ١٨ : ٢٦ (٤) رومية ١٦ : ٣ — ٥

(٥) انظر ص ٥٩٩ ، وقارن مفاتيح وكنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢ ص ٢٣١ .

(٦) عبرانيين ٢ : ٣ (٧) عبرانيين ٥ : ١٢ .

من العلماء . ونفهم من الإصحاح السادس ،أنها كتبت إلى كنيسة مشهورة بخدمة القديسين . : لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه،إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم "(١). وأنها ظلت بعض الوقت تعانى قسوة الاضطهاد : ولكن تذكروا الأيام السالفة التى فيها بعد ما أُنِرْتم صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة،من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات، ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصُرِّف فيهم هكذا "(٢).

فمن إذن ياترى المرسل إليهم ؟ إذا قرأنا التحية فى ختام الرسالة نجد فيها هذه العبارة : يسلم عليكم الذين من إيطاليا "(٣) . فأثبت قاموس الكتاب المقدس مستندا على هذه العبارة أن الرسالة كتبت فى إيطاليا "(٤). لكن الأكثر احتمالا والأقرب إلى الصواب ، أن هذه العبارة تدل على أن الرسالة كتبت إلى إيطاليا . فإنه لو كتبت من إيطاليا لقال : يسلم عليكم الذين فى إيطاليا . فمن المحتمل أن يكون هناك جماعة من إيطاليا مقيمون فى الخارج ، وهم يسلمون على أهل إيطاليا . وقرر " وليم باركلى " أن الرسالة كتبت إلى إيطاليا ، وهي بشيئ من اليقين ، وبالذات إلى مدينة روما "(٥). أما بالنسبة لتاريخ كتابة الرسالة فإنها كتبت بين الاضطهادين .لأن الرسالة تشير إلى الاضطهاد السابق . إذ يقول : اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم "(٦). كما تشير إلى الاضطهاد المتوقع عليهم . فأثبت " وليم باركلى " أنها لابد أن تكون قد كتبت بين الاضطهادين. وكان الاضطهاد الأول فى زمن " نيرون " أى فى عام (٦٤م) ، أما الاضطهاد الثانى فكان فى زمن " دومشيان " عام (٨٥ م) . إذن فالرسالة كتبت مابين عام (٦٤م) وعام (٨٥م) وأكثر اقترابا من أيام " دومشيان " (٧) . هذا،وتتكون الرسالة من ١٣ إصحاحات و٣٠٣ عدد و ٤٢١٤ كلمة وتستغرق ١٦ صفحة .

---

(١) عبرانيين ٦ : ١٠ (٢) عبرانيين ١٠: ٣٢ ــ ٣٣ (٣) عبرانيين ١٣: ٢٤

(٤) انظر، ص ٥٩٩ وقارن : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية،ج ٣ ،ص ٢٣٣ .

(٥) انظر : تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) ، ص١٥

(٦) عبرانيين ١٣ : ٧

(٧) " تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) ،ص ١٤ .

* رسالة يعقوب *

هي أولى الرسائل الكاثوليكية (العامة أو الجامعة) بل أولى رسائل الرسل كلها عند القول الراجح . إذ كتبت سنة ٤٥ م.وقيل كتبت سنة ٦٠م أو ٦١م أو ٦٣م في مدينة أورشليم ، كتبها " يعقوب بن حلفي "(١) (كلوبا في اليونانية) الصغير والبار والعادل ، المشهور " بأخي الرب ". وهو أحد الاثني عشر رسولا، وأول أسقف لأورشليم. وكان ذا مقام رفيع في مجمع الرسل والمشيخة في أورشليم. والرسالة وجهت للاثني عشر سبطا الذين في الشتات(٢) . وفي الحقيقة ثار جدل عنيف منذ القرون الأولى حول هذه الرسالة . فلم تبرز في كتابات الآباء في الكنيسة اللاتينية حتى منتصف القرن الرابع ، ولم يدرج اسم الرسالة في أول قائمة بكتب العهد الجديد . التي صدر بها مرسوم كنسي في روما حوالي سنة ١٧٠ م يعرف باسم مرسوم « لائحة موراتوري » .

وإن أول كاتب استشهد برسالة " يعقوب " هو " أوريجين ". إذ يقول في كتاباته المشهورة : إن كان الإيمان يمكن أن يوجد بدون أعمال فهو إيمان ميت. كما قرأنا في الرسالة التي ينسبها الكثيرون إلى " يعقوب " . ويبين أنه مؤمن أن " يعقوب " هو " أخو الرب "(٣) . كما أثير جدل حول اللقب الذي عرف به " أخ الرب ". و سيأتي بيانه في الفصل التالي إن شاء الله(٤) .

و ظهرت رسالة " يعقوب " لأول مرة في مخطوطة لاتينية للكتاب المقدس تسمى " مخطوط كوربينسس " (Codex Corb iensis).وذلك في عام ٣٥٠ م. وتنسبها هذه المخطوطة إلى " يعقوب الكبير ابن زبدي " شقيق " يوحنا الإنجيلي " . وإليه موء لف كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر ونقل عنه الشيخ « محمد أبو زهرة » في كتابه " محاضرات في النصرانية "(٥) .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٧٦ ، وانظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلٰهية، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ و : Analisa Al-Kitab ‹‹ ص ١١٩ .

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ،، الأنبا يؤانس ، ص ٣١٧ .

(٣) انظر: تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، وليم باركلي ص ١٩ ،ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الثانية ١٩٧٩ م.

(٤) ففي متى : أليس هذا ابن النجار أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا (١٣: ٥٥ ومرقس ٦ : ٣).

(٥) انظر ، ص ٨١ .

والفضل الأكبر في إدراج هذه الرسالة في العهد الجديد يرجع إلى " جيروم ". حيث أدخلها دون تردد في طبعته عن العهد الجديد، ونسبها إلى " يعقوب " أخى المسيح . يقول " جيروم " في كتابه " مشاهير الرجال " : إن " يعقوب " الذى يدعى أخا الرب كتب رسالة واحدة فقط. وهي إحدى الرسائل السبع العامة، والتي يقول بعض الناس عنها إنها كتبت بيد شخص آخر غير " يعقوب "، ولكن تحت اسم " يعقوب " . وأخيرا أعلن " أغسطينوس " عن قبوله لها، وأنه لم يكن في شك من أن " يعقوب " هذا هو أخو الرب ".(١)

وهذا هو الراجح وإليه جمهورهم . لكن صاحب كتاب " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " أثبت أن كاتب هذه الرسالة ليس " يعقوب الكبير بن زبدى "، ولا " يعقوب الصغير بن حلفى "، وليس من أحد الاثنى عشر رسولا، بل شخص آخر سمي بيعقوب .(٢) فهذه الرسالة إذن ظهرت متأخرة . وكانت هناك علامة استفهام كبيرة حولها ، ثم سوى الأمر نهائيا عندما أدخلها " جيروم " في طبعة العهد الجديد اللاتينية المسماة بالفولجات " Vulgate " وعندما اعترف بها " أغسطينوس " . ثم جاء " مارتن لوثر " مهاجما هذه الرسالة، وكان يفضل أن لا يدرجها ضمن كتب العهد الجديد . فيقول : وبالإجمال فإن الإنجيل ورسالة يوحنا الأولى ورسائل بولس، وخاصة الرسائل إلى رومية وغلاطية وأفسس، ورسالة بطرس الأولى هي الكتب التى تقدم لكم المسيح . وهي تعلمكم كل ما يختص بخلاصكم ، حتى ولو لم تقع عيونكم أو تسمع آذانكم أى كتاب آخر أو تعليم آخر . وأما رسالة يعقوب فهي رسالة مملوءة بالغش . لأنها لا تحتوى التعاليم الإنجيلية .... وإنى لا أعتبرها ذات أصل رسولى "

ويستمر لوثر في تقديم الأسباب التى تؤيد موقفه من الرسالة .

أولا — إن الرسالة بخلاف رسائل بولس وباقى الكتاب المقدس، تعزو التبرير إلى الأعمال، مع الاستشهاد بإبراهيم كالشخص الذى تبرر بالأعمال . وهذا يعد دليلا على أن الرسالة ليست ذات أصل رسولي .

---

(١) " الكنيسة المسيحية في عصر الرسل " ، ص ٣٢١ ، و Analisa Al-Kitab " ص ١١٩
(٢) انظر ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

ثانيا - إنها لاتقدم للمسيحيين أي تعليم عن آلام المسيح أو قيامته أو عن روح المسيح . إنها تذكر المسيح مرتين فقط .(١)

ويقول " لوثر " إن المحك الحقيقي لاختبار أي كتاب هو تقديم المسيح بصورة بارزة . فأي كتاب لا يعلم بالمسيح فهو ليس رسوليا ، حتى ولو كان كاتبه "بطرس" أو " بولس ". وإن أي كتاب يقدم المسيح يعتبر رسوليا حتى ولو كان كاتبه " يهوذا الإسخريوطي "أو " يوحنا " أو " بيلاطس " أو " هيرودس " ....!!

وإن رسالة يعقوب ترجع بنا إلى الناموس وأعماله . وإن كاتبها يأتي بشيئ من هنا وهناك ، لدرجة أني أشك في أن يكون كاتب الرسالة هو أحد الأتقياء الذى قد جمع بعض الأقوال ، التي فاه بها بعض تلاميذ الرسل ، ثم دونها على القرطاس. أو أن يكون كاتب الرسالة شخصا كان يدون بعض الملاحظات على عظة من عظاته . فهو يسمى الناموس " ناموس الحرية " إذ يقول : ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطا في عمله ،،(٢) . وأيضا : هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية ،،(٣) . مع أن بولس يدعوه " ناموس العبودية " "والغضب " والموت " والخطية " . ففي رسالته إلى أهل رومية يقول : لأن الناموس ينشئ غضبا إذ حيث ليس ناموس ليس أيضا تعد ،،(٤) . وأيضا : أما أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا ، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا . فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت ،،(٥). وأيضا : لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون ، و لكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن ،،(٦) . ويختم " لوثر " حديثه بقوله : وبالاختصار فإننا نجد أن كاتب الرسالة يريد أن يهاجم الذين

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٧٧ .
(٢) يعقوب ١ : ٢٥
(٣) يعقوب ٢ : ١٢
(٤) رومية ٤ : ١٥
(٥) رومية ٧ : ٩ - ١٠
(٦) غلاطية ٣: ٢٢ - ٢٣ .

يعتمدون على الإيمان بدون الأعمال .... إنه يتحدى الكتب المقدسة. ولذا نراه يعارض بولس والباقين . لهذا فإني أرفض أن أفسح له مكانا بين كتاب الوحي "[1]. وفي الواقع كلما ازددنا بحثا في كاتب الرسالة كلما وجدنا صعوبات كثيرة . فإن الأدلة التي تؤيد أن يعقوب أخا المسيح هو كاتب الرسالة تساوي الأدلة التي تعارضها .

أما الأدلة المؤيدة فهي كالآتي :

١ — إن يعقوب لم يكن كبولس ، فقد كان " يعقوب " يترأس اليهود المتنصرين.[2]
فلا بد أن تكون الرسالة التي كتبها رسالة عامة ، لأنها موجهة لجميع اليهود المتنصرين ، لا لكنيسة معينة . وهذا هو الحال بالنسبة لهذه الرسالة.

٢ — كل ما في الرسالة مقبول لدى أي يهودي . فمثلا عبارة " الاثنى عشر سبطا في الشتات "[3] يفهمها أي يهودي على أنها تخص اليهود المتشتتين في العالم ، أكثر من أن يفسرها المسيحي على أنها تعني الكنيسة المسيحية . وعبارة " الناموس الكامل "[4] و " الناموس الملوكي "[5] تفيد الشريعة اليهودية. وكلمة " مجمعكم "[6] وهي « Sunagoge » تعني المجمع اليهودي أكثر مما تعني المحفل المسيحي .

وهذه الأمور كلها تتفق مع شخصية " يعقوب " تماما . فإن " يعقوب" كان قائد الطائفة اليهود المسيحيين ،ولم تكن المسيحية وقتئذ ديانة مستقلة. وإنما كانت هي ديانة يهودية مع بعض التعديلات التي أدخلها المسيح . فرسالة يعقوب تمثل طائفة مسيحية كانت في بداية عهدها. أي قبل إعلان بولس بأنها ديانة عامة ، مستقلة عن اليهودية . وهذا هو السبب في التناقض الظاهر بين هذه الرسالة وبين تعاليم بولس[7] .

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) وليم باركلي ، ص ٢٢ — ٢٣ .
(٢) موريس بوكاي : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ،، ص ٧١ — ٧٢ .
(٣) يعقوب ١ : ١ (٤) يعقوب ١ : ٢٥
(٥) يعقوب ٢ : ٨ (٦) يعقوب ٢ : ٢
(٧) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٧٧ و : Analisa Al-Kitab ،، ص ١١٩ .

فعند قراءة الإصحاح الثانى من الرسالة يظهر لنا هجوم صريح على المبادئ البولسية. إذ يقول فيه : ما المنفعة ياإخوتى إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلّصه. إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى، فقال لهما أحدكم امضيا بسلام، استدفئا واشبعاء ولكن لم تعطوها حاجات الجسد فما المنفعة. هكذا الإيمان إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته. لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال، أرنى إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالى إيمانى. أنت تؤمن أن الله واحد، حسنا تفعل، والشياطين يؤمنون ويقشعرون. ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل، أن الإيمان بدون أعمال ميت. ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح. فترى أن الإيمان عَمِل مع أعماله وبالأعمال أُكْمِل الإيمان. وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحُسِب له برا ودُعِي خليل الله. ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده. كذلك راحاب الزانية أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر. لأنه كما أن الجسد بدون الروح ميت. هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت "(١). فالرسالة تنادى أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده. وذلك يناقض تماما التعاليم التى ينادى بها بولس عن التبرير بالإيمان فقط.

٣ - هناك شيئان متشابهان فى كل من رسالة يعقوب وكتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم إلى كنائس الأمم. فكلاهما يبدأ بإهداء السلام.

ففى رسالة يعقوب : يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح يهدى السلام إلى الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات "(٢). وفى أعمال الرسل : "حينئذ رأى الرسل والمشايخ مع كل كنيسة أن يختاروا رجلين منهم فيرسلوهما إلى أنطاكية ..... وكتبوا بأيديهم هكذا. الرسل والمشايخ والإخوة يهدون سلاما إلى الإخوة الذين من الأمم فى أنطاكية وسورية وكيليكية "(٣).

---

(١) يعقوب ٢: ١٤ - ٢٦ (٢) يعقوب ١: ١ (٣) أعمال الرسل ١٥: ٢٢ - ٢٣.

والكلمة المستعملة هي « Chairein » وهي كلمة التحية المألوفة في اليونانية التي يبدأ بها أي خطاب. ولكنها مع ذلك لم ترد في أي مكان آخر من كتب العهد الجديد سوى في هذين الموضعين فقط. وتوجد عبارة وردت في كتاب مشايخ أورشليم يتكلم فيها عن الأمميين، « الذين دُعِي اسمي عليهم » (١) ولا تتكرر هذه العبارة مرة أخرى في العهد الجديد سوى في رسالة يعقوب حيث وردت « أما هم يجدفون على الاسم الحسن الذي دُعِي به عليكم » (٢). وهذا دليل على أن كتاب مشايخ أورشليم قد كتبه يعقوب، وبالتالي فهو دليل أيضا على أن رسالة يعقوب قد كتبها يعقوب أخو المسيح، ورئيس كنيسة أورشليم (٣).

وهناك أدلة أخرى معارضة لتلك الأدلة المذكورة، وهي :

١ - إن كان كاتب الرسالة هو يعقوب أخو المسيح، فمن المستغرب أن لا يشير إلى هذه الحقيقة عن طريق مباشر أو غير مباشر، وكل ما يدعو به نفسه هو عبد الله والرب يسوع المسيح (٤). فلو أشار الكاتب إلى أنه أخو المسيح لكان في ذلك تدعيم للرسالة، وليس لمجده الشخصي على الإطلاق. ولكان في تلك الإشارة تأكيد لأهمية الرسالة خارج أورشليم، في بلاد لا تعرف عن يعقوب شيئا يذكر.

٢ - إن كان يعقوب أخو المسيح ورئيس كنيسة أورشليم هو كاتب الرسالة فمن المستغرب أن لا يشير إلى أنه رسول من الرسل الاثنى عشر، على الأقل في بداية الرسالة. لأن ذلك ليس مجدا شخصيا ولكنه تأكيد لأهمية ما يكتب وضمان لصحته.

٣ - إن لغة يعقوب الأصلية هي اللغة الآرامية وليست اليونانية. فلو كتب الرسالة كان من المؤكد أن يكتبها بالآرامية. وهذه الرسالة قد كتبت باليونانية وبلغة يونانية سليمة.

---

(١) أعمال الرسل ١٥ : ١٧ (٢) يعقوب ٢ : ٧

(٣) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٤٠، وانظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) يعقوب ١ : ١.

يقول " روبز " إنه لابد أن تكون اللغة اليونانية هي اللغة الأصلية لكاتب الرسالة» ويقول " مايور " — وهو من أعظم علماء اليونان : إني أعتقد أن الرسالة كتبت بلغة يونانية سليمة تقرب من درجة الكمال . ومن المستحيل أن يكون يعقوب قد أتقن اللغة اليونانية القديمة هذا الإتقان الذي كتبت به الرسالة . وإن نشأته اليهودية الصحيحة تحتم عليه أن يحتقر ويتجنب اللغة اليونانية كلغة أممية ملعونة " .

٤ — وأغرب من هذا كله هو خلو الرسالة من أية إشارة إلى يسوع المسيح . فلم يرد ذكر المسيح فيها سوى مرتين مع عدم ذكر أية حوادث متعلقة بذلك . وذلك في الآية الأولى من الإصحاح الأول « يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » وفي الآية الأولى من الإصحاح الثاني « يا إخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحاباة » . كما ليس في الرسالة إشارة إلى قيامة المسيح مع أن الكنيسة الأولى بنيت على أساس الإيمان بالمسيح المقام . وما يزيد الأمر دهشة هو أن يعقوب قد ظهر له المسيح شخصيا بعد القيامة . كما يقول بولس « وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين »[(١)] .

ثم إن الرسالة لم تشر إلى يسوع كالمسيح المنتظر . فإن كان يعقوب رئيس القسم اليهودي من المسيحيين يكتب إلى مسيحيين كانوا يهودا ، فلابد أن يكون غرضه تقديم يسوع لهم كالمسيح المنتظر ، أو إبراز إيمانه بتلك الحقيقة على الأقل . ومع ذلك فالرسالة خلو من كل ذلك[(٢)] . وهذا ما جعل " مارتن لوثر " رفض هذه الرسالة رفضا قاسيا . وهجمها هجوما شديدا حتى يفضل أن لا يدرجها ضمن كتاب العهد الجديد . وحكم عليها بأنها مملوءة بالغش ! .

إذن توجد أشياء يصعب فهمها إذا كنا نريد أن نثبت بأن يعقوب أخا المسيح رئيس كنيسة أورشليم هو كاتب هذه الرسالة . فمن إذن يا ترى كاتب هذه الرسالة ؟ هناك نظريتان :

---

(١) ١ كورنثوس ١٥ : ٧

(٢) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) وليم باركلي ، ص ٤٠ — ٤١

الأولى : يقول « ميير (Meyer) : إنه قد جرت العادة قديما أن تنشر كتب كثيرة تحت أسماء مستعارة لعظماء الرجال فى الماضى . فالأدب اليهودى فى الفترة ما بين العهد القديم والجديد حافل بكتب كهذه .. فهناك كتب تحمل أسماء مختلفة كموسى والأسباط الاثنى عشر وباروخ وأخنوخ وأشعياء وغيرهم . وهذه الرسالة ليست إلا مؤلفا يهوديا كتب تحت اسم يعقوب . وقد كان الهدف منه تقوية وتشجيع اليهود الذين تشتتوا من فلسطين إلى أقصى الأرض . كان القصد تقويتهم فى الإيمان وسط التجارب التى مروا فيها فى أرض غريبة » . وهذه النظرية (نظرية ميير) قد أوضحها بالتفصيل " إيستون " فى كتابه « مفسر الكتاب المقدس » - Interpreter's Bible » .

الثانية : يميل " موفات " إلى الأخذ بالنظرية القائلة : إن كاتب الرسالة شخص يدعى يعقوب ونحن لا نعرف عنه شيئا « فيعقوب هذا ليس هو يعقوب أخا الرب أو أى يعقوب آخر نعرفه ، ولكنه بكل بساطة معلم يدعى يعقوب . لم تصل إلينا عن حياته أو قصته أية معلومات »(١). ويبدو أن هذا هو ما كان " جيروم " يعنيه حين قال : إن الرسالة أصدرها شخص تحت اسم يعقوب . وإليه " متى بهنام " مؤلف كتاب « مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية »(٢) .

أما تاريخ كتابة هذه الرسالة فعند ما أردنا البحث عنه سوف نجد نفس التعارض السابق عندما بحثنا عن نسبة الرسالة لكاتبها . إذ من الممكن أن يقال(٣) : إن الرسالة كتبت فى وقت مبكر وإليه جمهورهم . ومن الممكن أيضا أن يقال : إنها كتبت مؤخرة (سنة ٦٠م أو ٦١م أو ٦٣م) كما يميل إليه كتاب « مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية »(٤) . وهذان دليلان يثبتان على أن الرسالة كتبت فى وقت مبكر ، وهما(٥) :

---

(١) " تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) وليم باركلى ، ص٤٨ ـ ٥٠ .
(٢) انظر ج ٢ ، ص ٢٥٠ .
(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص١٠٧٦ ، وانظر: المسيح فى جميع الكتب، أ.م.هودجكن ، ص ٤١٦ ، وانظر: Analisa Al-Kitab ص ١١٩ .
(٤) انظر ج ٢ ، ص ٢٥٠ .
(٥) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، ص ٤٢ ـ ٤٣

١ - في وقت كتابة يعقوب الرسالة، كان توقع مجيئ المسيح الثاني على أشده. إذ يقول في الإصحاح الخامس « فتأنوا أيها الإخوة إلى مجئ الرب . هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنيا عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر . فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم لأن مجئ الرب قد اقترب. لايئن بعضكم على بعض أيها الإخوة، لئلا تُدَانوا . هوذا الديان واقف قدام الباب »[(١)] . إن انتظار المجئ الثاني لم يفارق الكنيسة أبدا، ولكنه ضعف إلى حد ما بعد ذلك حتى لم يصبح الفكر الشاغل للكنيسة كما كان من قبل. فعلى هذا الأساس يمكن أن يقال: إن الرسالة ظهرت في وقت مبكر من تاريخ المسيحية .

٢ - دليل مأخوذ من نظام الكنيسة الوارد في الرسالة . فمكان اجتماع المسيحيين كان يسمى " بالمجمع Sunagoge " ففي الإصحاح الثاني يقول : فإنه إن دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب في لباس بهي ..... »[(٢)] . وهذا يشير إلى وقت مبكر في تاريخ المسيحية . لأن اجتماع المسيحيين بعد ذلك يسمى " الكنيسة Eklesia " فإن الاصطلاح اليهودي قد أبطل . وفي الإصحاح الخامس ذكر شيوخ الكنيسة، فيقول : أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنون بزيت باسم الرب ....»[(٣)]. ولم يرد ذكر شمامسة أو أساقفة . وهذا أيضا يعني وقتا مبكرا . لأن إقامة الشيوخ كان نظاما يهوديا قبل أن يصبح طقسا مسيحيا . لكن يعارضهما دليلان آخران يثبتان على أن الرسالة كتبت مؤخرة[(٤)] . وهما :

١ - إن الرسالة تخلو من ذكر اسم المسيح (سوى مرتين فقط في افتتاح الإصحاح الأول والثاني ، وبدون ذكر أية حوادث متعلقة به) إذ أن موضوع الرسالة ينصب على أخطاء وعثرات وضعفات ونقص أعضاء الكنيسة . وهذا يبين لنا بوضوح أنها كتبت في وقت متأخر . فقد كان التبشير في أول عهده

---

(١) يعقوب ٥ : ٧ - ٩ (٢) يعقوب ٢ : ٢ (٣) يعقوب ٥ : ١٤
(٤) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، ص ٤٣ - ٤٤ .

مليئا بالحماسة عن قوة ومجد المسيح المقام . ولكنه بعد ذلك — كما هو الحال اليوم — يهاجم نقصات وعثرات أعضاء الكنيسة .

٢ — يهاجم يعقوب فى الرسالة الأغنياء . ففى الإصحاح الثانى يقول : ياإخوتى لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد فى المحاباة. فإنه إن دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب فى لباس بهي ، ودخل أيضا فقير بلباس وسخ، فنظرتم إلى اللابس اللباس البهي ، وقلتم له اجلس أنت هنا حسنا، وقلتم للفقير أنت هناك أو اجلس تحت موطئ قدمى . فهل لاترتابون فى أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة. اسمعوا ياإخوتى الأحباء أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان ، وورثة الملكوت الذى وعد به الذين يحبونه، وأما أنتم فأهنتم الفقير . أليس الأغنياء يتسلّطون عليكم وهم يجرونكم إلى المحاكم ؟ (١) . ويقول أيضا فى الإصحاح الخامس : هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة . غناكم قد تهرّأ وثيابكم قد أكلها العُثّ . ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار . قد كنزتم فى الأيام الأخيرة. هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المنجوسة منكم تصرخ، وصياح الحصادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود . قد ترفّهتم على الأرض وتنعّمتم وربّيتم قلوبكم كما فى يوم الذبح . حكمتم على البار، قتلتموه لايقاومكم (٢) " .

يظهر لنا من هذه النصوص أنه من ضمن المشاكل البارزة فى المجتمع المسيحى وقتئذ مشكلة زهو الأغنياء وتعاليهم على الفقراء . ومن المؤكد أن فى بداية عهد الكنيسة لم يكن هناك أغنياء . كما أكد ذلك بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس " فانظروا دعوتكم أيها الإخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء. بل اختاره الله جهال العالم ليخزى الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم والمُزْدَرَى وغير الموجود ليبطل الموجود. لكي لايفتخر كل ذى جسد أمامه . ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى

ش .

---

(١) يعقوب ٢ : ١ — ٦ (٢) يعقوب ٥ : ١ — ٦ .

صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء. حتى كما هو مكتوب من افتخر فليفتخر بالرب » (١) .

وهناك أمران يدلان على أن الرسالة كتبت فى وقت مبكر، وفى نفس الوقت يدلان على أنها كتبت فى وقت متأخر . وهما :

الأول : أن يعقوب أخا المسيح أسقف أورشليم قام بدور هام فى تصفية النزاع بين الأمم واليهود . عندما كان يرأس مجمع الشيوخ فى أورشليم، للمباحثة عن المسئلة الخطيرة، وهي إلغاء وجوب الختان على الأمميين الذين آمنوا بالمسيحية. كما ذكر فى أعمال الرسل الإصحاح الخامس عشر : قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين، وقالوا إنه ينبغى أن يُختَنُوا ويُوصَوْا بأن يحفظوا ناموس موسى . فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر ..... أجاب يعقوب قائلا أيها الرجال الإخوة اسمعونى .... أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم بل يُرْسَل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم ...... » (٢).

ولكننا لا نجد فى رسالة يعقوب أى ذكر لهذه الحادثة ولو بمجرد تلميح خفيف . وهذا شيئ مستغرب . من هنا يمكن أن نستنتج أنه إما أن تكون الرسالة قد كتبت فى وقت مبكر قبل مجمع أورشليم ، أو فى وقت متأخر بعد أن صار دخول الأمم إلى المسيحية عاديا (٣) .

وجدير بالذكر أن مجمع أورشليم هو أول المجامع المسيحية ، حيث انعقد فى عام ٥٠ م (٤) .

الثاني : أظهر يعقوب استياءه لوجود معلمين كثيرين . فيقول : لا تكونوا معلّمين كثيرين يا إخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم .... » (٥). وهذا يدل على وقت مبكر قبل أن تنظم الكنيسة طرق الخدمة المختلفة، أو تعنى بالمثل وقت متأخر حين كثر المعلمون الكذبة . هذا، وإن رسالة يعقوب تتكون من ٥ إصحاحات و ١٠٨ عدد و ١٤٠٩ كلمة وتستغرق ٦ صفحات .

---

(١) ١ كورنثوس ١ : ٢٦ - ٣١ (٢) أعمال الرسل ١٥ : ٥ - ٢٠
(٣) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، ص ٤٣ .
(٤) انظر : محاضرات فى النصرانية »، للشيخ محمد أبو زهرة ، ص ١٣٨ ، وانظر: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، د.على عبد الواحد وافى ، ص ٨٠ .
(٥) يعقوب ٣ : ١

* رسالة بطرس الأولى *

يقولون إن الرسالة كتبها كبير الحواريين " بطرس " سنة ٦٠م وقيل ٦٢م أو ٦٣م أو ٦٤م أو ٦٥م أو ٦٧م (١)، موجهة إلى المسيحيين المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبّد وكيّة وآسيا وبيثينية . ففي الآية الأولى : بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتغربين من شتات بُنْتُس وغلاطية وكَبَّدُوكِيَّة وآسيا وبيثينية المختارين، بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح لتكثر لكم النعمة والسلام » (٢). والرسالة كتبت من بابل بيد " سلوانس " (سيلا) . ومن المرجح أن يكون " سلوانس " نفسها هو حاملها . ففي الإصحاح الخامس يقول : بيد سلوانس الأخ الأمين كما أظن كتبت إليكم بكلمات قليلة واعظًا وشاهدًا أن هذه هي نعمة الله الحقيقية، التي فيها تقومون. تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم » (٣). وقد رجح قاموس الكتاب المقدس أن بابل هو روما (٤)، وإليه " وليم باركلي " (٥) وإن كان يمكن أن تكون بابل المصرية (بابلون التي هي مصر القديمة) أو بابل الكلدانية التي على نهر الفرات، حيث كان يقطن كثيرون من اليهود . ورجح هذا الأخير " متى بهنام " في كتابه " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " (٦) ووافقه " ف.ب. ماير " في كتابه " حياة بطرس " (٧) .

والغرض من كتابتها هو تقوية المسيحيين رجالا ونساء وتشديد إيمانهم وسط التجارب المحرقة وإنعاش روح الرجاء والانتظار فيهم . وقرر « وليم باركلي » أن المكتوب إليهم كانوا أمميين وليسوا يهودا (٨). خلافا .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص١٧٧، و: مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، جـ ٢، ص٢٨٩، و: Analisa Al-Kitab « ص ١٢٢

(٢) ١ بطرس ١ : ١ - ٢ (٣) ١ بطرس ٥ : ١٢ - ١٣

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٧٧ .

(٥) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس)، ص ١٧٥

(٦) انظر جـ ٢، ص ٢٥٨

(٧) حياة بطرس »، ص ٣٣٢، ترجمة القمص مرقس داود مكتبة المحبة القاهرة ١٩٨١م.

(٨) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس)، ص ١٨٣، وانظر: حياة بطرس » ص ٣٣٠ .

لما ذهب إليه " متى بهنام "(١) . وذلك لأمور آتية :

١ — إن الرسالة تخلو عن ذكر الناموس الذى كان يعد مثار مشكلة لاتنشأ إلا حيث توجد التقاليد اليهودية .

٢ — قوله : لاتشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم »(٢) وقوله : لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة. الأمر الذى فيه يستغربون أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدّفين »(٣) .

وهذا ينطبق على الأمم أكثر مما يناسب اليهود . وأكثر دلالة على أن الرسالة كتبت للأميين وليست لليهود قوله : الذى قبلا لم تكونوا شعبا، وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين، وأما الآن فمرحومون »(٤).

٣ — صيغة الاسم الذى يستخدمه بطرس . فبطرس كلمة يونانية . وكان يعرف بين بنى جنسه من اليهود باسم " سمعان ". كما فى أعمال الرسل " سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولاد الأمم ليأخذ منهم شعبا على اسمه »(٥) . وهو نفس الاسم الذى يطلق عليه فى رسالته الثانية . ففى الآية الأولى " سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلخ ». وكان بولس يدعوه " صفا " كما فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : فأنا أعنى هذا أن كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبلوس وأنا لصفا »(٦). وحيث إن بطرس يستخدم الاسم اليونانى ، فيحتمل أن تكون الرسالة موجهة لليونانيين(٧) .

وتعتبر رسالة بطرس الأولى من أشهر الرسائل العامة وأكثرها انتشارا . ومن أسهل الرسائل فى العهد الجديد فى قراءتها بسبب جاذبيتها ورقتها، وقدرتها على الأخذ بمجامع اللب . لكنها لاتسلم من الشكوك والمشاكل الصعبة .

---

(١) " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢، ص ٩٥٨ .
(٢) ١ بطرس ١ : ١٤ (٣) ١ بطرس ٤ : ٣ — ٤
(٤) ١ بطرس ٢ : ٩ — ١٠ (٥) أعمال الرسل ١٥ : ١٤
(٦) ١ كورنثوس ١ : ١٢ واقرأ ٣ : ٢٢ و ٩ : ٥ و ١٥ : ٥ وغلاطية ٢ : ٩ .
(٧) " حياة بطرس " ف.ب.ماير، ص ٣٣١ .

في صحة نسبتها إلى " بطرس " كبير الحواريين . فقد شك كثير من الدارسين الممتازين الذين يعتقدون أن بطرس لايمكن أن يكون كاتب هذه الرسالة . وذلك لأمور تالية :

١ ـ إن الرسالة لم تدرج في أقدم قائمة رسمية بأسفار العهد الجديد . وهي "لائحة موراتوري " التي قبلتها كنيسة روما سنة ١٧٠ م .

٢ ـ إن الرسالة لم تردضمن أسفار العهد الجديد في الكنيسة السورية حتى سنة (٣٧٣ م) . وهذا أمر يثير الدهشة خاصة إذا كان بطرس كتب الرسالة وفي روما بالذات . فإن " تاتيان " هو الذي أتى بأسفارالعهد الجديد إلى الكنيسة السورية . فقد جاء بها من روما سنة (١٧٢م).وعلى هذا الأساس فإن الرسالة لم تكن ضمن أسفار العهد الجديد لكنيسة روما حتى ذلك التاريخ (١) .

٣ ـ إن الرسالة كتبت باللغة اليونانية القوية ، وبأسلوب ممتاز . حتى يمكن اعتبار لغة الرسالة وأسلوبها نداً للغة والأسلوب التي يكتب بها أساتذة اللغة اليونانية . فمن المستحيل أن يكون هذا الأسلوب من نتاج صياد جليلي . وجميع باحثي العهد الجديد متفقون على عظمة الأسلوب الذي كتبت به الرسالة . يقول " ف. و. بيير Beare " واضح أن كاتب الرسالة رجل أدب ماهر في استخدام الألفاظ ، وقادر على إيراد كلمات تنم عن سعة الاطلاع والمقدرة اللغوية . فهو متمكن من أسلوبه حتى إنه لايعد كاتبا عاديا . وتعتبر اللغة التي يكتب بها من أفضل ما كتب باليونانية في العهد الجديد . وتعد أسلس وأكثر علما من أسلوب بولس ذي الثقافة العالية (٢). إذن يستحيل أن نتصور بطرس يستخدم هذه اللغة اليونانية في كتابة رسالته ، علما بأنه رجل عديم العلم كما ذكر في أعمال الرسل (٣) .

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، وليم باركلي ، ص ١٩١ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .
(٣) أعمال الرسل ٤ : ١٣ .

٤ ـ إن الرسالة لم تكن معروفة لدى آباء الكنيسة الأوائل • فلم يقتبس أحد من آباء الكنيسة الغربية • فـ " ترتوليان " وهو أول الذين اقتبسوا من أقوال الكتاب المقدس استشهد بحوالي " ٧٢٠٥٨ " اقتباسا من العهد الجديد ، من بينها اقتباسان فقط من هذه الرسالة • فلو أن بطرس هو كاتب هذه الرسالة، وأنه كتبها في روما، فلابد أن تكون الرسالة معروفة للجميع ، وأن يكون كثيرون من رجال الكنيسة في الغرب يقتبسون منها • (١)

٥ ـ إن قوله في الإصحاح الخامس: أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم الشاهد لآلام المسيح (٢) " • يدل على أن كاتبه شيخ من شيوخ الكنيسة • فلا يمكن أن يسمى بطرس نفسه شيخا • فإن بطرس كان رسولا ، ووظيفته تختلف عن وظيفة الشيخ • فالرسول كان عمله وسلطانه لايقتصر على كنيسة واحدة، بينما الشيخ لاسلطان له إلا في كنيسته المحلية • وكان الرسول لايرتبط بكنيسة واحدة، بل كان ينتقل في كل مكان لزيارة الكنائس • بينما الشيخ مرتبط بكنيسة معينة، وعمل داخل نطاق كنيسته فقط (٣) • إذن من المستحيل أن يكون بطرس هو كاتب هذه الرسالة • !

٦ ـ يفهم من قوله : والشاهد لآلام المسيح »، أن الكاتب يدعى بأنه كان يشهد لآلام المسيح • وهذا لاينطبق على بطرس إطلاقا • إذ ترك بطرس مع سائر التلاميذ المسيح عندما قبضوا عليه في البستان كما ذكرته الأناجيل (٤) • وإنه باستثناء التلميذ المحبوب ، لم يكن أحد من التلاميذ شاهدا للصليب (٥) •

٧ ـ إن الرسالة تتحدث عن التعيير باسم المسيح • ففي الإصحاح الرابع : إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم ••••• (٦) » وعن الألم كمسيحيين : ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل •••• (٧) » •

---

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، ص ١٩٠
(٢) ١ بطرس ٥ : ١
(٣) وليم باركلي " تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) " ص ١٩٣ •
(٤) اقرأ متى ٢٦ : ٥٦ ومرقس ١٤ : ٥٠ (٥) إنجيل يوحنا ١٩ : ٢٦ ـ ٢٧ •
(٦) ١ بطرس ٤ : ١٤ (٧) ١ بطرس ٤ : ١٦

ففى الوقت الذى كتبت فيه الرسالة كان يعتبر جريمة أن يصبح أى إنسان مسيحيا . وإن المسيحيين كانوا يجرون إلى المحاكم لا لجريمة ارتكبوها ، ولا لعلة فيهم ، بل لمجرد كونهم مسيحيين . وفى الواقع أن المسيحيين لم يضطهدوا لمجرد كونهم مسيحيين إلا فى وقت متأخر . وقد تم ذلك بموجب القانون الذى أصدره الإمبراطور " تراجان "(١) سنة ١١٢ م . وذلك بإيعاظ من " بلينى "(٢) حاكم بيثينية(٣) . أما فى بداية تاريخ المسيحية فكان المسيحيون إنما يضطهدون كفاعلى شر ومرتكبى جريمة . كما اضطهدهم " نيرون "(٤) بحجة حرقهم لروما .

فمن هو إذن كاتب رسالة بطرس الأولى ؟

قال « ف.و. بيير Beare » ليس هناك أى شك فى احتمال أن يكون بطرس مجرد اسم مستعار(٥) . أى إن " بيير " لا يشك فى أن شخصا قد كتب الرسالة تحت اسم بطرس . فقد كانت من العادات اليهودية واليونانية نسبة الكتب إلى أسماء عظماء الكتاب القدامى . وكان ذلك فى العالم القديم يعد شيئا عاديا لا غبار عليه(٦) . وبناء على الرسالة ذاتها فإنه يجب أن يكون كاتبها شيخا وشاهدا لآلام المسيح . فمن يا ترى ذلك الشيخ الشاهد ...؟

لقد أجاب « ب.هـ. ستيرتيير » على هذا السؤال بقوله : إن رسالة بطرس الأولى عبارة عن عظة معمدانية ورسالة رعوية كتبها " أرستيون " أسقف سميرنا . وقد كتبت تلك الرسالة الرعوية لتقوية وتعزية شعب سميرنا سنة (٩٠م) عندما كان الاضطهاد المذكور فى سفر الرؤيا يهدد الكنيسة(٧) .

---

(١) ترايانوس ماركوس أولبيوس (٥٣ — ١١٧م) إمبراطور رومانى ٩٧ — ١١٧م من السلالة الأنطونية خلف نرفا والده بالتبنى ، وخلفه هارديانوس . (الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٠٢) .

(٢) بلينوس (٦٢ — ١١٣م) حاكم بيثينية صديق تراجان رجل إدارة له مجموعة رسائل تصور حياة المجتمع فى آخر القرن الأول (المنجد فى الأعلام ص ١٤٢) .

(٣) انظر " حياة بطرس " ف. ب. ماير ، ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .

(٤) كلاوديوس قيصر (٣٧ — ٦٨م) إمبراطور رومانى ٥٤ — ٦٨م ابن دوميتيوس أهنوباربوس وأغريبينا الثانية اتبع فى البدء نصائح معلمه الفيلسوف سينيكا ثم طغى . فقتل أغريبينا أمه وأوكتافيا امرأته ، وتلقى عليه تبعة حريق روما الكبير ٦٤م لكنه اتهم المسيحيين فبدأ يضطهد المسيحيين وارتكب سلسلة من أعمال القتل الوحشية ، كان من ضحايا هاسينيكا . اشتهر بفظائعه حتى أصبح مضر بالمثل ثم انتحر . (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٨٦٦) .

(٥) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ١٧٥

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ . (٧) ففى سفر الرؤيا : لا تخف البتة مما =

وقد صارت كتابات " أرستيون " تراثا تعبديا تقدسه كنيسة سميرنا وتعتزّبه. وبعد حوالي عشرين سنة نشب اضطهاد واسع نطاقا وأشد حدة في بثينية، وانتشر في شمال آسيا الصغرى. فتذكر أحدهم رسالة وعظة " أرستيون " وشعر أنهما لازمتان للكنيسة في وقف محنتها. فأرسلهما تحت اسم بطرس الرسول العظيم.(١) وهذا الرأى رآها " ستيرتير " وهو يستنبط من قول " بابياس " أسقف هيرا بوليس سنة (١٣٠ م) الذى قضى حياته بجمع المعلومات الخاصة بالكنيسة الأولى.

يقول " بابياس ": إنى لا أتردد فى أن أقدم لكم بعناية كل ما تعلمته من الشيوخ واثقا أنه الحق. فإن جاء أحد وكان من أتباع الشيوخ فإنى أسئله عن أقوال الشيوخ عما قاله " أندراوس " أو " بطرس " أو " فيلبى " أ و " توما " أو " يعقوب " أو " يوحنا " أو " متى " أو أى واحد من تلاميذ الرب. وأيضا عما قاله " أرستيون " أو الشيخ " يوحنا " تلميذ الرب. فأرستيون إذن كان شيخا وكان تلميذا للرب، ومن ثم شاهدا لآلامه.(٢) هذا، وإن الرسالة تتألف من خمسة إصحاحات و ١٠٥ عدد و ١٥٥٦ كلمة وتستغرق ٦ صفحات.

* رسالة بطرس الثانية *

تقول المراجع المسيحية إن هذه الرسالة كتبها " بطرس " كبير التلاميذ، سنة ٦٣م وقيل ٦٤م أو ٦٥ أو ٦٦م أو ٦٨ م، أثناء وجوده فى رومية قرب استشهاده.(٣) إذ يقول فى الإصحاح الأول: عالما أن خلع مسكنى قريب كما

= أنت عتيد أن تتألم به، هوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضا منكم فى السجن لكي تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام، كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة (٢ : ١٠).

(١) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٢٠٣.

(٢) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٢٠٢.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٧٨، و : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " ج ٢ ص ٢٦٦، وانظر : Analisa Al-Kitab " ص ١٢٥.

أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضا ››(١). والغرض عن كتابتها تحذير المسيحيين عن التعاليم الزائفة وحثهم على التمسك بالإيمان. إذ يقول : ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد. قدّموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعففا، وفي التعفف صبرا، وفي الصبر تقوى، وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الأخوية محبة ...... لأن الذي ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر، قد نسي تطهير خطاياه السالفة. لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين ››(٢). وأيضا : ولكن كان أيضا في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضا معلمون كذبة الذين يدسّون بدع هلاك ››(٣).

في الحقيقة أن هذه الرسالة هي أحد الأسفار المهملة، وإنها أقل شأنا من كل كتب العهد الجديد. وقد أدرجت بصعوبة ضمن أسفار العهد الجديد. وظلت الكنيسة تجهل عنها لمدة طويلة. وكان ينظر إليها بعين الشك فلم يظهر أثرها حتى بعد سنة (٢٠٠ م). وبالطبع لم ترد في قائمة " موراتوري " التي يرجع تاريخها سنة (١٧٠ م). ولم يرد ذكرها أيضا في الطبعة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس ولا في الطبعة السورية الأولى(٤). ولم يذكر " كليمنت الإسكندري " شيئا عنها ضمن ما كتبه عن أسفار الكتاب المقدس(٥). وقد قال " أوريجين ": وبطرس الذي بنيت عليه كنيسة المسيح التي لا تقوى عليها أبواب الجحيم ترك رسالة واحدة. ولعله ترك رسالة ثانية أيضا ولكن هذا أمر مشكوك فيه ››(٦). ولم تدرج الرسالة ضمن أسفار العهد الجديد حتى القرن الرابع(٧). ويكاد يجمع العلماء — المعاصرون والقدامى — على أن

---

(١) ٢ بطرس ١ : ١٤ (٢) ٢ بطرس ١: ٥ — ١٠

(٣) ٢ بطرس ٢ : ١

(٤) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس)، ص ٣٣٩

(٥) انظر : تاريخ الكنيسة ›› يوسابيوس القيصري، ص ١١٣

(٦) نفس المرجع، ص ٣١٧ — ٣١٨

(٧) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٧٨ .

بطرس ليس هو كاتب الرسالة . واعتبر " جون كلفن " أنه من المستحيل أن يتحدث بطرس عن بولس كما تتحدث هذه الرسالة عنه في الإصحاح الثالث " كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضا بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضا متكلما فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضا لهلاك أنفسهم" (١).

والأدلة التي تعارض أن بطرس هو كاتب الرسالة كثيرة جدًّا . منها ما يأتي :

١ — لو كانت حقا من كتابة بطرس لما ترددت الكنيسة في قبولها منذ البدء. فتردد الكنيسة في قبولها دليل على أن بطرس لا علاقة له بهذه الرسالة . ولم يرد أي استشهاد للرسالة في أي مناسبة لمدة القرنين الأولين . ثم نظر إليها بعين الشك والريبة طوال قرن آخر، ولم تقبل سوى في أواخر القرن الرابع .

٢ — لم يرد في الرسالة ذكر آلام المسيح أو قيامته أو صعوده . ولم يذكر شيئ عن الروح القدس أو المعمودية (٢) .

٣ — إن الرسالة مختلفة عن الرسالة الأولى كل الاختلاف في أسلوبها ومعناها . يقول " جيروم " إن سمعان بطرس كتب رسالتين عامتين . وإن كثيرين ينكرون صحة نسبة الرسالة الثانية إلى بطرس ، بسبب اختلاف أسلوبها عن الرسالة الأولى . فاليونانية التي كتبت بها الرسالة صعبة جدا . وإنها هي السفر الوحيد في العهد الجديد الذي يستحسن أسلوبه بالترجمة . لذلك من الصعب جدًّا الاقتناع بأن بطرس هو كاتبها ! (٣) ».

فالاختلاف بين الرسالتين هو اختلاف جوهري وشامل . فمن غير المحتمل أن تكونا لشخص واحد ! .

٤ — هناك دلائل تشير بوضوح إلى أن الرسالة كتبت في وقت متأخر جدا . منها قوله : قائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء .

---

(١) ٢ بطرس ٣ : ١٥ — ١٦

(٢) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٣٤٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٤١ .

كل شيئ باق هكذا من بدء الخليقة "(١) . فهذا النص يدل على أنه قد مر وقت طويل حتى بدأ الناس يفقدون آمالهم في المجيئ الثاني للمسيح . وأيضا قوله : لتذكروا الأقوال التي قالها سابقا الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل وصية الرب المخلّص "(٢) واضح أن النص تحدث عن الرسل كرجال الماضي . فلم يكونوا في زمن الرسالة سوى ذكريات شاحبة عن الماضي البعيد . وأيضا وجود الإشارة إلى رسائل بولس كلها في قوله : كما في الرسائل كلها أيضا متكلما فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم ..... "(٣) . فهذا يوضح لنا أن رسائل بولس كانت منتشرة في كل مكان . وأنها أصبحت تعتبر ضمن أسفار الكتاب المقدس . مع أن رسائل بولس لم تجمع ولم تنشر إلا في سنة ٩٠م وقيل ١١٠ م في كنيسة أفسس. ولم تحتل مكانة مقدسة سوى بعد مرور وقت طويل(٤) . وهذا يثبت أنه من المستحيل أن يكتب مثل هذا الكلام عن رسائل بولس إلا حوالي منتصف القرن الثاني . !

فهذه الأدلة كلها تدل على أن رسالة بطرس الثانية كتبت في وقت متأخر. ويجب أن نتذكر دائما أن نسبة الرسالة إلى غير كاتبها كانت عادة شائعة وطبيعية ! وجدير بالذكر أن هذه الرسالة، هي آخر سفر أدرج ضمن أسفار العهد الجديد كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد . هذا، وإن الرسالة تتألف من ٣ إصحاحات و ٦١ عدد و ٩٧٤ كلمة وتستغرق ٤ صفحات .

* رسالة يوحنا الأولى *

يدّعون بأن هذه الرسالة كتبها "يوحنا بن زبدى الصياد" تلميذ المسيح المحبوب (الحوارى) الإنجيلي سنة ٩٠م، وقيل ٩٥م أو ٩٧م وقيل ١٠٠م أو بعد ١٠٠م بقليل(٥) في مدينة أفسس .

---

(١) ٢ بطرس ٣ : ٤ — (٢) ٢ بطرس ٣ : ٢

(٣) ٢ بطرس ٣ : ١٦

(٤) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٣٤٢ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس، ص ١١١٢) ، و : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ، و : Analisa Al-Kitab "ص ١٢٧ .

أما الغرض من كتابة الرسالة فهو دحض البدع ، وإظهار الضلالات فى الكنيسة عامة ، ودحض الآراء الخاطئة التى روجها نفر من الأنبياء الكذبة داخل الكنيسة نفسها . وكان هؤلاء أناسا لهم تأثير قوى ، مما جعل " يوحنا " يلقبهم بالأنبياء . ففى الإصحاح الرابع يقول : أيها الأحباء لاتصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم ، بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله . وكل روح لايعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح الذى سمعتم أنه يأتى والآن هو فى العالم . أنتم من الله أيها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذى فيكم أعظم من الذى فى العالم ، هم من العالم . من أجل ذلك يتكلمون من العالم والعالم يسمع لهم . نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا . من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال » (١) .

يقول " وليم باركلى ": « إن المشكلة التى تعالجها هذه الرسالة لم تأت من أناس خارج الكنيسة ، لكنها جاءت من أشخاص كانوا يعتقدون أنهم يعملون لإصلاح هذه العقيدة المسيحية » (٢) لذلك يقول " يوحنا " منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليُظْهَرُوا أنهم ليسوا جميعهم منا »» (٣) فمن هؤلاء الذين لقبهم كاتب هذه الرسالة الأنبياء الكذبة ؟ ولأجل ضدهم كتبت الرسالة ؟ وما هو تعليمهم ؟

إن الرسالة توضح لنا من هم الأنبياء الكذبة وما هو تعليمهم ؟ .

١ ـ نجد فى الإصحاح الثانى قوله : من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح . هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الأب والابن . كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضا ومن يعترف بالابن فله الأب أيضا »» (٤) . فيبدو أن هؤلاء هم اليهود الذين كانوا ينكرون أن يسوع هو المسيح . فإنهم

---

(١) ١ يوحنا ٤ : ١ ـ ٦

(٢) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) وليم باركلى ، ص ١٢ ، ترجمة جاد المنفلوطى دار الثقافة المسيحية القاهرة ، ط الأولى ١٩٧٥ م .

(٣) ١ يوحنا ٢ : ١٩ (٤) ١ يوحنا ٢ : ٢٢ .

ينظرون إلى الأحداث الواقعة . فالمدينة المقدسة قد دمرت والهيكل قد خرب ، واليهود قد تشتتوا فى كل ربوع العالم . فكيف يمكن أن يؤمنوا بأن المسيح المنتظر قد جاء حقا ؟. فمن المستحيل عندهم أن يكون المسيح الذى أتى وصلب هو المسيح المنتظر !

٢ — نجد فى الإصحاح الرابع قوله : كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله ، وهذا هو روح ضد المسيح "(١).

واضح من هذا النص أن أولئك الذين يعارضهم كاتب هذه الرسالة هم طائفة قد أنكروا تجسد الكلمة أو تجسد الابن . منها " الدوكيتية " (أو الدوسيتية) . وقد ذكرت سابقا أن الدوكيتيين (أو الدوسيتيين)(٢) كانوا يعتقدون بأن المسيح لم يصلب مطلقا، إنما تراءى للناس أنهم صلبوه . وأن المسيح لم يكن له جسد بشرى طبيعى من لحم ودم لكنه كائنا روحيا . ولم يكن فيه من الجسد سوى المظهر فقط(٣) . ومنها أيضا : " الكيرنثيون " وهم أتباع " كيرنثوس ". ويشير التقليد إلى أن " يوحنا " و " كيرنثوس " كانا عدوين لدودين . ففى كتاب تاريخ الكنيسة يروى لنا " يوسابيوس " قصة تصور لنا شعور " يوحنا " تجاه " كيرنثوس ". فيقول : إنه فى أحد الأيام دخل " يوحنا " مرة حماما ليستحم ، ولكنه إذ علم أن " كيرنثوس " كان داخل الحمام قفز فازعا وخرج مسرعا ، لأنه لم يطق البقاء معه تحت سقف واحد . ونصح مرافقيه للاقتداء به قائلا : لنهرب لئلا يسقط الحمام ، لأن " كيرنثوس " عدو الحق موجود بداخله "(٤) . أما تعليم " كيرنثوس " فهو أن المسيح ولد من اجتماع " يوسف " و " مريم " ، وأن المسيح الحقيقى نزل عليه وقت المعمودية وفارقه

ش

---

(١) ١ يوحنا ٤ : ٢ — ٣

(٢) انظر : الصفحة ١٠٠ من هذا البحث .

(٣) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ١٥

(٤) انظر: " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ص ١٥٨ .

وقت الصلب . فالمسيح لم يتعرض لأى ألم ، لكن الذى تألم فقط هو جسده البشرى . وهذا الجسد البشرى وحده هو الذى مات وقام . بينما بقي المسيح فى وجود روحى بحت غير قابل للتألم على الإطلاق . وأن يسوع لم يكن سوى نبي عظيم حلت عليه قوة الله ›› . وكان " كيرنثوس " تمسك بالناموس . لذا لقبه " يوسابيوس القيصرى " بزعيم الهراطقة (١) . ويقول " وليم باركلى " : إن هذه التعاليم توافق تماما التعاليم الموجودة فى إنجيل " بطرس " وأعمال " يوحنا " وهما من الأسفار غير القانونية (٢) ".

وتعليم " كيرنثوس " هذا يوبخه " يوحنا " بعنف ويدحضه فى هذه الرسالة . حيث يقول عن يسوع : هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم (٣) ›› . والنقطة التى يشير إليها كاتب هذه الرسالة هي أن الكذبة قد أجمعوا على أن المسيح قد أتى بالماء ، وكان هذا فى معمودية يسوع . لكنهم أنكروا أنه قد أتى بالدم الذى هو الصليب . لأنهم قد أصروا على القول إن المسيح قد ترك جسد يسوع البشرى قبل الصلب . وإنه لهذا لم يتألم على الإطلاق . وفى الواقع أن هذه الكتابة هي مقالة أو عظة أكثر منها رسالة . فهى خالية من التحية والبركة التى تفتتح وتختتم بها الرسائل عادة . حتى ليرجح البعض أن كاتبها ليس " يوحنا " الحوارى نفسه ولكن أحد من تلاميذه (٤) . هذا ، وإن الرسالة تتألف من ٥ إصحاحات و ١٠٥ عدد و ١٦٢٩ كلمة وتستغرق ٦ صفحات .

---

(١) انظر : تاريخ الكنيسة ›› يوسابيوس القيصرى ، ص ١٥٧ ، وانظر : الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ›› الأنبا يؤانس ، ص ٢٦٨ .

(٢) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ، ص ١٧ .

(٣) ١ يوحنا ٥ : ٦

(٤) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١١١٢ .

* رسالة يوحنا الثانية *

قيل إن هذه الرسالة كتبها " يوحنا الحوارى " سنة ٩٠م،وقيل ٩٦م أو ١٠٠م أو ١١٠م أو ١٢٥م (١) فى مدينة أفسس،موجهة إلى السيدة المختارة وأولادها. إذ يقول « الشيخ إلى كيرية المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق » (٢).

واختلفوا فى حقيقة تلك السيدة المختارة. فيعتقد البعض أنها سيدة فاضلة ربة عائلة وهي المدعوة " كيرية ". وكانت " كيرية " وأولادها متمسكين بتعليم المسيح الصحيح ، ولكنهم إذ قبلوا فى البيت شخصا ينكر لاهوت المسيح ، فإنهم بهذا يتحولون عن الأساس الصحيح. فمن يقبل شخصا كهذا بدافع المجاملة ، أو لرحابة الصدر وحرية الرأى،أو بأى شيئ آخر، فإنه يصير شريكا له فى أعماله الشريرة ولو لم يقبل تعليمه. إذ يقول « إن كان أحد يأتيكم و لا يجيئ بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام ، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة » (٣). " فكيرية " المرسل إليها هذه الرسالة هي عَلَم لامرأة معينة. وإلى هذا يميل مؤلف كتاب " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " (٤). ولكن جمهورهم يرون أن عبارة " كيرية المختارة " إنما يراد بها كنيسة. فإن هذا التعبير كان شائع الاستخدام بهذا الوصف. ولا شك أن السيدة المختارة مبنية على الفكرة القائلة بأن الكنيسة هي عروس المسيح. لذا جزم " وليم باركلى " بأن الرسالة كتبت إلى كنيسة وليست إلى شخص واحد بعينه (٥). وكان المقصود بكتابتها تنشيط المكتوب إليهم وتثبيتهم فى إيمانهم. وقد شك كثيرون فى نسبة هذه الرسالة إلى " يوحنا الرسولى (الحوارى) " فكاتبها يقول بأنه « الشيخ ». ولقد كان فى الواقع فى مدينة أفسس رجل

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص١١١٣ ، و : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ،،ج ٢ ص ٢٨٣ Analisa Al-kitab، ،، ص ١٢٩ .

(٢) ٢ يوحنا ١ (٣) ٢ يوحنا ١٠ ـ ١١

(٤) انظر ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٥) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ٢٠٧ .

متقدم فى السن يدعى " يوحنا ". هذا الرجل كانت له مكانة مرموقة، وليس " يوحنا الرسول " !.

ففى أيام الكنيسة الأولى وحوالى الفترة مابين (٧٠ — ١٤٦ م) كان هناك شخص يدعى "بابياس " وهو زميل " بوليكاربوس" تلميذ " يوحنا ". كان من عادته أن يجمع كل ما يقدر أن يجمع من معلومات عن تاريخ الكنيسة الأولى . وقد صار أسقفا فى هيرا بوليس، وله علاقة وثيقة بكنيسة أفسس. وقد كتب " بابياس" ما معناه : إن " يوحنا الشيخ " أو " يوحنا " المتقدم فى الأيام ، كان من الشخصيات المتميزة فى أفسس. مع أنه كان بغير شك شخصا آخر غير " يوحنا الرسول ". و " يوحنا الشيخ " هذا هو كاتب هاتين الرسالتين القصيرتين ".[1]

وقد كان " يوحنا الشيخ " فى ذلك الوقت رجلا تقدمت به السنون، وهو يمثل إحدى الحلقات الأخيرة فى السلسلة التى تربط المسيحيين بالمسيح وتلاميذه. وعندما رأى كنيسة تواجه التعاليم المنحرفة، كتب لهم بروح المحبة لكي يرشدهم إلى الحق والصواب.[2] إذن فهذه الرسالة كتبها قديس امتد به العمر. وهو واحد من رجال الجيل المسيحى الأول، رجل محترم لدى المسيحيين ! . وكان " يوسابيوس القيصرى " قد ذكر أن " أوريجين " وغيره من العلماء كانوا يشكون فى نسبة الرسالة إلى " يوحنا التلميذ." فقد قال " أوريجين ":وهل نحن فى حاجة للتحدث عن ذاك الذى اتكأ فى حضن يسوع أى " يوحنا "،الذى ترك لنا إنجيلا واحدا ...... وترك أيضا رسالة قصيرة وربما أيضا رسالة ثانية وثالثة،ولكنهما ليسا معترفا بصحتهما من الجميع، وهما معا لاتحتويان على مائة سطر".[3]

---

(١) انظر : تاريخ الكنيسة" يوسابيوس القيصرى ، ص ١٧٥ ، وانظر: " قصة الحضارة" ول ديورانت ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٧١

(٢) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ، ص ٢٠٣

(٣) " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ص ٣١٨ .

قد نسبها إلى " يوحنا الشيخ " أسقف أفسس ، وهو غير " يوحنا الحوارى " تلميذ المسيح المحبوب . كما نسب إليه الرسالة الثانية . وإن بين الرسالتين تشابها كبيرا ، وارتباطا قويا فى المشاكل التى يعالجها كاتبها .

هذا ، وإن الرسالة تتكون من إصحاح واحد و ١٥ عددا و ٢٠٩ كلمة ولا تستغرق إلا صفحة واحدة فقط .

* رسالة يهوذا *

يزعمون أن هذه الرسالة كتبها " يهوذا بن حلفى " أخو " يعقوب " الصغير والعادل والبار المعروف بأخى الرب سنة ٨٠ م (١) . وقيل ٨١م أو ٩٠ م أو ٩١م أو ٩٥ م ، وقيل سنة ٦٤ م أو ٦٨ م (٢) . ولا يعرف أحد مكان كتابتها .

والسبب فى كتابتها هو تنبيه المسيحيين لدرء الخطر الداهم عنهم . فقد دخل الكنيسة خلسة قوم كان شغلهم الشاغل هو تحويل النعمة إلى الدعارة . وكانوا ينكرون كون المسيح واحدا مع الله الأب . وهذا يتضح لنا من قوله : لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة . فُجّار يحوّلون نعمة إلٰهنا إلى الدعارة ، وينكرون السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح " (٣) . وإن هذه الرسالة لم تقبل كأحد أسفار العهد الجديد إلا بعد جهد جهيد . وإلى عهد قريب كانت فى عداد الأسفار التى يدور حولها لغط كثير . ولم تحظ بالقبول بالكامل كجزء من العهد الجديد إلا فى عصر متأخر . رغم أن الرسالة وجدت من ضمن الأسفار التى ذكرها " القانون الموراتورى " سنة (١٧٠م) لكن بعد ذلك شك كثيرون — منهم " أوريجين " و " جيروم " — فيها (٤) .

وكان " يوسابيوس القيصرى " قد وضع رسالة يهوذا بين الأسفار

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٩٢ ، و : مفاتيح كنوز الأسفار الإلٰهية ، جـ ٢ ص ٢٨٦
(٢) " Analisa Al-Kitab. " ص ١٣٢ .
(٣) يهوذا ٤
(٤) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) وليم باركلى ، ص ٢٦٨ .

هذا،وإن الرسالة تتكون من إصحاح واحد و ١٣ عدد و ٢٠٨ كلمة ولا تستغرق إلا صفحة واحدة فقط .

* رسالة يوحنا الثالثة *

قيل إن هذه الرسالة كتبها " يوحنا الرسول " سنة ٩٣ م وقيل ٩٦ م أو ٩٧ م أو ١١٠ م أو ١٢٥ م في مدينة أفسس[١] موجهة إلى شخص يدعى " غايُس "[٢]. إذ يقول : الشيخ إلى غايوس الحبيب الذى أنا أحبه بالحق".

ويحتمل أن يكون " غايُس " هذا هو المذكور في رسالة بولس إلى أهل رومية[٣] وفى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس[٤] . ويحتمل أيضا أن المراد شخص آخر بهذا الاسم الذى كان شائعا يومئذ . وكانت أعماله موضع رضا يوحنا وإعجابه : لأنى فرحت جدا إذ حضر إخوة وشهدوا بالحق الذى فيك كما أنك تسلك بالحق.ليس لى فرح أعظم من هذا أن أسمع عن الأولاد أنهم يسلكون بالحق "[٥]. أما الغرض فى كتابة الرسالة هو حثه لغايس على قبول المعلمين الجائلين المبشرين بالإنجيل مجانا ، دون أن يخشى شيئا من بطش " دِيُوتْرِيفِس " واستبداده . معلنا أنه عند حضوره لزيارة الكنيسة سوف يتصرف مع هذا المستبد . وكان " غايس " من قبل قد قبل بعضا منهم، وها هو " يوحنا " يحثه على أن يقبلهم مرة أخرى، ويقبل رئيسهم " دِيمِتْرِيُوس ".وكان " ديوتريفس " قد تحدى سلطان " يوحنا " فرفض قبولهم وأغلق الباب فى وجوههم .

وكما سبق أن ذكرت أن العلماء قد شكوا فى صحة هذه الرسالة إلى يوحنا وفى مقدمتهم " أوريجين ". وكان " بابياس " أسقف هيرابوليس .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١١١٤ ، و : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ،ج ٢ ص ٢٨٤ ، و : Analisa Al-Kitab " ص ١٣٠

(٢) ٢ يوحنا ١

(٣) يقول بولس : يسلم عليكم غايس مضيفى ومضيف الكنيسة كلها "(رومية ١٦ : ٢٣) .

(٤) يقول بولس : أشكر الله أنى لم أعمد أحدا منكم إلا كريسبس وغايس" (١ كورنثوس ١ : ١٤)

(٥) ٢ يوحنا ٣ ـ ٤

التى لم يستقر الرأى بشأنها والتى تعتبر غير قانونية . إذ يقول :

« ومما تجدر ملاحظته أن هذه الرسالة (رسالة يهوذا) متنازع عليها، أو على الأقل أن الكثيرين من الأقدمين لم يذكروها فى كتاباتهم (١) » .

وقال « جيروم » : إن يهوذا قد اعتاد على الاقتباس من الأسفار غير القانونية . فعلى سبيل المثال يشير العدد التاسع : وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجا جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب (٢) " . إلى تلك القصة المذكورة فى كتاب « رفع جسد موسى » وهو واحد من كتب اليهودية غير القانونية (٣) » .

ولم يبدأ الدفاع عن هذه الرسالة إلا بعد منتصف القرن الثالث . والذى بدأه هو " ديمتريوس " فى الإسكندرية (٤) . ونفهم من قوله : وأما أنتم أيها الأحباء فاذكروا الأقوال التى قالها سابقا رسل ربنا يسوع المسيح (٥) " . أنها كتبت فى وقت لم يكن أحد من أولئك الرسل على قيد الحياة . معنى ذلك أنها كتبت فى عصر متأخر .

واختلفوا فى حقيقة يهوذا كاتب الرسالة :

فترتوليان كان يرجح أن يكون الكاتب " يهوذا الرسول " واحد من الحواريين الاثنى عشر . لكن فى النص اليونانى هذا الرجل يدعى « يهوذا الذى ليعقوب » . وهذا يعنى أن يهوذا الذى ورد اسمه فى قائمة الرسل الاثنى عشر هو ابن يعقوب ، وليس أخاه (٦) . لكن جمهورهم يقولون إنه « يهوذا أخو الرب » الذى كان أيضا واحد من إخوة يسوع (٧) . كما اختلفوا فى عبارة « أخو الرب » وسيأتى بيانه إن شاء الله .

لكن هناك اعتراضات على أن كاتب هذه الرسالة هو يهوذا أخو المسيح . وهي :

---

(١) « تاريخ الكنيسة » يوسابيوس القيصرى ، ص ١٠٦ .

(٢) يهوذا ٩ (٣) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ٢٦٩ .

(٤) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ٢٦٩ .

(٥) يهوذا ١٧

(٦) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ٢٧١ ، قارن " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٧) ففى متى : أليس هذا ابن النجار أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (متى ١٣ : ٥٥ ومرقس ٦ : ٣) .

١ ـ لو كان هو يهوذا أخا يسوع، فلماذا لم يقل ذلك ؟ ولماذا يقول عن نفسه إنه هو أخو يعقوب ؟

٢ ـ إن يهوذا أخا يسوع الذى فى فلسطين لم يكن يقدر على الكتابة باليونانية . لأنه لم يكن يعرف غير اللغة الآرامية .

٣ ـ إن رسالة يهوذا تهاجم الهرطقة الغنوسية . وهذه الهرطقة كانت مذهبا من المذاهب الفكرية اليونانية . فما هو الدافع الذى يدفع يهوذا الفلسطينى إلى الكتابة إلى اليونانيين ؟

٤ ـ إن هذه الرسالة لو عرفت على أن كاتبها هو يهوذا أخو يسوع، لما تطلب الأمر كل ذلك الوقت الذى احتاجت إليه للاعتراف بها و وضعها بين أسفار العهد الجديد . لأن رسالة يكتبها واحد من إخوة يسوع لابد أنها كانت توضع فورا بين أسفار العهد الجديد (١) .

فمن إذن يهوذا الذى كتب الرسالة ؟

لقد أجاب على هذا السؤال « وليم باركلى » بقوله : هناك اثنان فقط أن يكون أحدهما هو كاتب هذه الرسالة :

١ ـ إن كاتب الرسالة شخص يدعى « يهوذا » ولا نعرف عنه شيئا غير اسمه .

٢ ـ إن الرسالة تحمل اسما مستعارا وإن كاتبها مجهول نسبها إلى « يهوذا » . وكانت هذه عادة متبعة فى العالم القديم (٢) " .

ويقول " كروتيس " إن الرسالة كتبها " يهوذا " الأسقف الخامس عشر من أساقفة أورشليم فى عهد سلطنة أيدريين (٣) " . والحقيقة المؤكدة أن كاتب هذه الرسالة شخص مجهول ، سواء يدعى يهوذا أم لا . ومن المستحيل أن يعرفه أحد ! . هذا، وإن الرسالة تتألف فقط من إصحاح واحد و ٢٥ عدد و ٣٨٦ كلمة وتستغرق صفحة واحدة ونصف صفحة .

---

(١) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) وليم باركلى ص ٢٧٢ ـ ٢٧٥

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٣) « إظهار الحق » ج ١ ، ص ١٠٣ .

هكذا لقد عرضنا جوانب تاريخية للرسائل عرضا وافيا. وكما علمنا مما سبق أن كل رسالة لاتخلو من مشكلة كبيرة بل مشاكل متعددة لا حل لها، باعتراف الباحثين المسيحيين أنفسهم • وبالرغم عن ذلك فإن تلك الرسائل تعتبر أسفارامقدسة ، موحي بها من الله إلى رسله المعصومين ، وتكون أسسا لتعاليم دينهم وعقائدهم•

ولا عجب فى أمرهم ، فإن القديس » أوغسطين « كان يقول :

" أومن بالمسيحية لأنها دين غير معقول • وصدق الله القائل :

((مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)) (١) •

وأيضا : ((وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ)) (٢) •

((إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)) (٣) •

---

(١) الكهف ١٧ (٢) الزمر ٣٦ (٣) النحل ٣٧ •

وهذا جدول يتضمن عدد إصحاحات العهد الجديد وأعداده وكلماته وصفحاته

أقسام الأسفار	الإصحاحات	الأعداد	الكلمات	الصفحات
١- الأسفار التاريخية	١١٧- للأناجيل الأربعة ٨٩ أعمال الرسل ٢٨	٤٧٨٥- للأناجيل الأربعة ٣٧٧٨ أعمال الرسل ١٠٠٧	٦٣٧٩٩- للأناجيل الأربعة ٤٨٧٩٤ أعمال الرسل ١٥٠٠٥	٢٤٣- للأناجيل الأربعة ١٨٦ أعمال الرسل ٥٧
٢- الأسفار التعليمية	١٢١- رسائل بولس ١٠٠ الرسائل الكاثوليكية ٢١	٢٧٦٥- رسائل بولس ٢٣٣٣ الرسائل الكاثوليكية ٤٣٢	٣٧٧١٩- رسائل بولس ٣١٣٤٨ الرسائل الكاثوليكية ٦٣٧١	١٤٩- رسائل بولس ١٢٣ الرسائل الكاثوليكية ٢٦
٣- السفر النبوي	٢٢	٥٠٤	٦٨٢٣	٢٨
المجموع =	٢٦٠ إصحاح	٨٠٥٤ عدد	١٠٨٣٤١ كلمة	٤٢٠ صفحة

* لغة تدوين الرسائل *

تخبرنا المراجع المسيحية كلها (قديما وحديثا) أن رسائل الرسل كتبت باللغة اليونانية[١] • والمسيحيون يتفقون على ذلك ما عدا الرسالة إلى العبرانيين • فإن " أغناطيوس "[٢] ذكر بأن الرسالة إلى العبرانيين كتبها بولس باللغة العبرانية • واختلفوا فيمن ترجمها إلى اللغة اليونانية • فالبعض يقول إن " لوقا " هو الذى ترجمها بدقة ونشرها إلى اليونانيين • لذا يوجد فى هذه الرسالة نفس أسلوب التعبير الذى فى سفر الأعمال • بينما آخر يقول : إن " أكليمنضس " أسقف روما هو الذى ترجمها[٣] •

وأثبت " يوسابيوس القيصرى " أن الرأى الأخير هو الأصح • بدليل أن رسالة " أكليمنضس " ورسالة العبرانيين متشابها الأسلوب • وأكثر من ذلك أن الأفكار التى تحتويانها لاتختلف كثيرا فى الواحدة عن الأخرى[٤] • وكما قد سبق ذكره ، من أن أوريجين قد أنكر نسبة رسالة العبرانيين إلى بولس، والله وحده يعلم من كتب الرسالة • فاختارلنا أوريجين واحدا من الاثنين ، إما " أكليمنضس " أسقف روما هو كاتبها ، • وإما " لوقا " مؤلف الإنجيل الثالث وسفر الأعمال[٥] •

على كل حال فإن رسائل الرسل ظهرت باللغة اليونانية ، بل العهد الجديد كله • تقول دائرة المعارف الأمريكية : إن العهد الجديد من أوله إلى آخره هو كتاب إغريقى • على الرغم من أن التعاليم الأولى الشفوية التى تختص بأعمال يسوع وأقواله ، لا شك أنها كانت متداولة بالآرامية • وهى اللغة كانت سارية فى فلسطين وفى بعض أجزاء الشرق الأدنى • وبالتأكيد بين اليهود • وهي اللغة التى تكلم بها المسيح وتلاميذه • أما اللغة اليونانية فهى لغة الحديث فى عالم البحر الأبيض المتحضر[٦] •

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، بخلاف لغة تدوين الأناجيل الأربعة فإنهم يختلفون فيها اختلافا كثيرا •

(٢) أغناطيوس الأنطاكى القدسى ، تلميذ يوحنا الرسول وأسقف أنطاكية من آباء الكنيسة الأوائل قتل فى روما سنة ١١٠ م (المنجد فى الأعلام ، ص ٥٢) •

(٣) انظر : تاريخ الكنيسة ،، يوسابيوس القيصرى ، ص ٣٠٣ • (٤) نفس المرجع ، ص ١٧٤ •

(٥) نفس الكتاب ، ص ٣١٨ •

(٦) نقلا عن " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ،، مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٠ — ٢١

ويقرر علماء الأدب الكلاسيكي أن لغة الرسل اليونانية غير مرضية . فهم لم يستخدموا لغة أثينا ، بل إغريقية الإسكندرية السوقية . بيد أنهم استخدموها بقوة وطلاقة[1] . وقد اعترف بولس بذلك في قوله : وإن كنت عاميا في الكلام فلست في العلم بل نحن في كل شيء ظاهرون لكم بين الجميع"[2].

لذلك فإن الباحثين - كما قد ذكرت - لايزالون يشكون في صحة نسبة رسالة العبرانيين - إلى بولس[3] ، والرسالة الأولى لبطرس إلى بطرس الحواري . نظرا لأسلوب هاتين الرسالتين الممتاز . إذ اللغة اليونانية التي كتبت بها الرسالتان تمتاز بأسلوب قوى ، حتى يستحيل أن يكون هذا الأسلوب من إنتاجهما[4] ، وكذلك بالنسبة لرسالة يعقوب[5] .

هذا ، وإنهم يقولون إن العهد الجديد قد ترجم لأول مرة من اليونانية إلى السريانية في القرن الثاني الميلادي ، وإلى اللغة المصرية (وهي مركبة من اللغة المصرية القديمة واللغة اليونانية) بين القرن الثالث والخامس . ثم إلى الحبشية سنة (٣٣٠ م) . وفي بداية القرن الخامس قام القديس " جيروم إيرونيموس " بترجمة الكتاب المقدس كله ترجمة جديدة إلى اللغة اللاتينية . العهد القديم من العبرانية والعهد الجديد من اليونانية[6] . وهذه الترجمة هي المعتمدة في الكنيسة الرومانية إلى الآن . كما يدّعون أن العهد الجديد قد ترجم إلى اللغة العربية في القرن الثامن . وأول مرة ظهرت فيها الأناجيل الأربعة مطبوعة باللغة العربية كانت سنة (١٥٩١ م) بمدينة روما ، ثم طبع العهد الجديد كله باللغة العربية في هولندا سنة (١٦١٦ م) وفي باريس سنة (١٦٤٥ م) وفي لندن سنة (١٦٥٧م). وفي عام (١٦٧١ م) تم طبع كل الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) باللغة العربية بمدينة روما .

---

(١) راجع : معالم تاريخ الإنسانية ،، هج ولز ، ج ٣ ص ٧٠٥ .
(٢) ٢ كورنثوس ١١ : ٦
(٣) انظر : الصفحة ٢٥٣ ومابعدها من هذه الرسالة .
(٤) انظر : الصفحة ٢٧٢ من هذه الرسالة .
(٥) انظر : الصفحة ٢٦٤ من هذه الرسالة .
(٦) انظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ،، متى بهنام ، ج ١ ، ص ١٥ - ١٦ .

فى ثلاث مجلدات كبيرة . وذلك بجهد من أحد مطارنة سورية المدعو " سركيس الرزى "[1]. وفى عام (١٨٤٨ م) قام اثنان وهما القس " عالى سميث " المرسل الأمريكى[2]، والمعلم " بطرس البستانى " اللبنانى[3] بمراجعة الترجمة العربية وتصحيحها . وذلك بعد ما تبين أن الترجمة العربية الموجودة ليست مضبوطة كما ينبغى . ومات الأول سنة (١٨٥٧ م) فخلفه القس " كرنيليوس فاندبك " .

وقد أنهيا عملهما تماما سنة (١٨٦٤ م). فظهرت الطبعة الأولى من الكتاب المقدس باللغة العربية المضبوطة سنة (١٨٦٥ م)[4]. وهو المعتمد عند معظم المسيحيين الناطقين باللغة العربية، والمنتشر فى أقطار الدول العربية فى الوقت الحاضر . ويكتبون فى غلافه بأنه ترجم من اللغة الأصلية. أى العهد القديم من العبرانية والعهد الجديد من اليونانية .

ثم ترجم الكتاب المقدس إلى الفرنسية سنة (١١٦٠ م) وإلى الأسبانية سنة (١٣٨٠ م) وإلى النمساوية سنة (١٤٦٠ م) وإلى الإنجليزية سنة (١٣٨٠ م)[5].

---

(١) سركيس بن موسى الرزى المارونى مطران دمشق ولد فى يقوفا لبنان سنة ١٦٠٠ م، وتعلم فى روما. اشتغل فى تعريب الكتاب المقدس (المنجد فى الأعلام، ص ٣٠٥) .

(٢) أحد المرسلين الأمريكيين البروتستانت. نقل من مالطة إلى بيروت الطبعة الأمريكية ١٨٣٤ م (المنجد فى الأعلام، ص ٣٦٦) .

(٣) بطرس البستانى (١٨١٩ - ١٨٨٣ م) عالم لغوى أديب ولد ونشأ فى الدبية قرية من قرى لبنان. تعلم فى مدرسة عين ورقة، وأتقن عدة لغات شرقية وغربية إلى جانب تضلعه فى العربية، مارس التعليم وعاون المرسلين الأمريكيين فى ترجمة الكتاب المقدس. أصدر عدة صحف منها نفير سورية. أهم أعماله محيط المحيط، ودائرة المعارف (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٣٧٠ - ٣٧٠) .

(٤) « مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية »، ج ١، ص ١٧ - ١٨ .

(٥) المرجع السابق، ص ١٩ وانظر : Bible " طارق شهاب ص ٤٧ .

* قانونية الرسائل *

إن كلمة « قانون » تعنى (بالإغريقية) مقياس أو معيار، ولقد أطلق اللفظ : قانوني أو قانونية على قائمة الكتب التى قبلتها الكنيسة باعتبار أنها كتبت بإلهام • ويدّعى المسيحيون بأن الأسفار القانونية، هي الكتب التى تستقى منها قوانين إيمانهم • وهي الأسفار التى قبلتها الكنيسة كالكتب الموحى بها من الله • وقانونية الأسفار لم تقررها الكنيسة ولكنها قبلتها واعترفت بها • لأن الله هو الذى أوحى بها وأعطاها •(١)

يقول « الأنبا يؤانس » كانت مهمة الكنيسة الأولى هي جمع الكتابات فى قانون لتصبح متميزة عن الكتابات الأبوكريفا أو الكتابات المنسوبة زورا للرسل• وهي فى قيامها بهذه المهمة كانت مسوقة ومرشدة بروح الله وإحساس بالحق »•(٢)

وعن مقياس قانونية السفر يوضح لنا « جوش مكدويل » فى كتابه « برهان يتطلب قرارا » بقوله : كانت هناك خمسة مقاييس لتقرير قبول أى سفر وهي :

١ ـ هل بالسفر سلطان ؟ هل جاء من الله ؟

٢ ـ هل السفر نبوى كتبه أحد رجال الله ؟

٣ ـ هل السفر موثوق به ؟

٤ ـ هل السفر قوى ؟ هل فيه قوة إلهية قادرة على تغيير الحياة ؟

٥ ـ هل قبل رجال الله السفر وجمعوه وقرأوه واستعملوه ؟

ثم يقول : إن الأساس الذى بناء عليه تم قبول أسفار العهد الجديد كأسفار قانونية، هو أنها من الرسل وموحى بها من الله »•(٣)

فالمسيحيون إذن قد وضعوا لقانونية أسفارهم باعتبارها كتبا

---

(١) انظر : برهان يتطلب قرارا ،، جوش مكدويل ، ترجمة القس عبد النور ، ص ٣٨ ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ط الثانية ١٩٨٣ م ، قارن مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، ج ١، ص ٢٢ ـ ٢٦ •

(٢) انظر : الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ،، ص ٢٧٠

(٣) انظر : صفحة ٣٨ ـ ٤٩ •

مقدسة خمسة مقاييس . والآن تعالوا معنا لننظر مدى تطبيق مقاييسهم لقانونية الرسائل .

لقد رأينا فيما سبق أن لكل رسالة من رسائل الرسل مشاكلها وصعوباتها التى لا حل لها . وفى الحقيقة أن الرسائل لم يكتسب قانونيتها إلا قرب نهاية القرن الرابع الميلادى (سنة ٣٩٧م حيث انعقد مجمع كارتهيج / قرطاجنة)(١) . فقد انقضى أربعة قرون بعد ميلاد المسيح ، حين أمكن الوصول إلى إجابة تقريبية للسؤال الهام : أى الكتابات المسيحية تعتبر مقدسة ؟ ولكن إلى الآن — وبعد أن اقترب الألف الثانى لميلاد المسيح — لم يمكن الوصول إلى إجابة السؤال الأهم والأخطر ، ألا وهو : أى الأقوال نطق بها المسيح فى إنجيله وتحدث بها التلاميذ فى رسائلهم ؟ (٢) .

إذا كان الأمر فى حقيقته كما ذكرت ، فكيف يعترفون بقانونية الرسائل ويعتبرونها كتبا مقدسة ؟ ويدّعون بأنها كتبت بوحي من الله ؟ هل الرسالة التى فيها مشكلة بل مشاكل متعددة ، تكون بها سلطان من الله ؟ وإنها نبوية وموثوق بها ؟ . ويجب أن لا ننسى ما قد سبق أن ذكرت أكثر من مرة من أن " أوريجين " كان ينكر كل ما ينسب إلى بولس من تلك الرسائل بقوله : أما ذاك الذى جعل كفئا لأن يكون خادم عهد جديد ، لا الحرف بل الروح أى بولس ، الذى أكمل التبشير بالإنجيل من أورشليم وما حولها إلى الليريكون ، فإنه لم يكتب إلى كل الكنائس التى علّمها ولم يرسل سوى أسطر قليلة لتلك التى كتب إليها " . وكان يعترف بالرسالة الأولى فقط لكل من بطرس ويوحنا ، وأنكر ما عداهما من الرسائل كلها (٣) . وأوريجين هذا من أكبر فلاسفة المسيحية ومعترف به أبا من آباء الكنيسة . وهو تلميذ

---

(١) انظر : المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية " د . محمد الصادقى الطهرانى ، جـ ١ ، ص ٥٧ ، وانظر : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام " د . على عبد الواحد وافى ، ص ١١٧ .

(٢) " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية " مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٩

(٣) انظر : تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ص ٣١٧ — ٣١٩ .

« كليمنت الإسكندري » ولا شك أنه أفهم من الذين اعترفوا برسائل الرسل . وهذا " أكليمنضس " البابا الثالث بعد القديس " بطرس " (٩٢ــ ١٠١ م) وأحد الآباء الرسوليين يقول : إن بولس الذي فاقهم جميعا في قوة التعبير وغزارة التفكير لم يكتب إلا أقصر الرسائل ، رغم أنه كانت لديه أسرار غامضة لا تحصى . أما باقي أتباع مخلصنا الاثنا عشر رسولا والسبعون تلميذا وآخرون كثيرون لا يحصى عددهم، فلم يترك لنا أحد منهم شيئا مكتوبا سوى " متى " و " يوحنا ". ويقول التقليد إنهما لم يكتبا إلا تحت ضغط الحاجة » (١).

وهناك نظرية اشتهرت بنظرية " ميير Meyer " التي أوضحها بالتفصيل منذ أربعين سنة تقريبا ، وقد أحياها "إيستون "في كتابه مفسر الكتاب المقدس « Interpreter's Bible » . تقول النظرية : إنه قد جرت العادة قديما أن تنشر كتب كثيرة تحت أسماء مستعارة لعظماء الرجال في الماضي . لقد أراد كثير من المؤمنين تشجيع وتقوية إيمان الناس في ذلك الوقت ، فأودعوا ما يريدون أن يقولوه في كتاب تحت أسماء أبطال الإيمان . وقد كان ذلك تقليدا معترفا به في العالم القديم » (٢).

وفي الواقع أن الرسائل جميعها قد طعنت من قبل أقطاب من المسيحيين. ويؤيد الطعن أن مئات السنين مضت حتى تم انتخابها والحكم لها بالقداسة والقبول ! وسأذكر البراهين من أقوال أئمة المسيحيين أنفسهم قديمهم وحديثهم .

فهذا « يوسابيوس القيصري » الذي يقول عنه " القمص مرقس داود " إنه مؤرخ عظيم ، يرجع إليه الكثيرون من المؤرخين قديما وحديثا كحجة في التاريخ ، وهو أقدم مؤرخ وصلت إلينا كل كتاباته كاملة ،عاصر المجمع نيقية ـ أقرّ ذلك قائلا : أما الأسفار المتنازع عليها فبين أيدينا الرسالة التي تسمى " رسالة يعقوب " و " رسالة يهوذا " وأيضا "رسالة بطرس الثانية" والرسالتان اللتان يطلق عليهما " رسالتا يوحنا الثانية والثالثة "سواء انتسبتا إلى الإنجيلي أو إلى شخص آخر بنفس الاسم » (٣).

---

(١) " تاريخ الكنيسة » ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .
(٢) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) وليم باركلي ، ص ٤٨
(٣) " تاريخ الكنيسة » ص ١٥٢ .

وكان القديس "إيريناوس" المتوفى سنة (١٨٠م) الذي كان متصلا بالعصر الرسولي وبمعاصريه الكنيسيين في كل العالم، وكان قد تعلم في آسيا الصغرى عند قدمي "بوليكاربوس" تلميذ "يوحنا البشير" يعترف بعشر رسائل فقط من رسائل بولس الأربع عشرة. وهي : رومية ورسالتا كورنثوس وغلاطية ورسالتا تسالونيكي ورسالة إلى أهل أفسس وكولوسي وفيلبي وفليمون بالإضافة إلى رسالة بطرس الأولى ويوحنا الأولى. حقا،أن هذه الرسائل كانت مشكوكا فيها منذ القرون الأولى حتى بداية القرن الرابع. يقول القديس "إيرونيموس جيروم": إن سبعة كتب وبعض الفقرات مما ادعى تواتره، قد كانت مشكوكا فيها. فانعقد مجلس العلماء الإنجيليين لتحقيق أمرها بأمر السلطان "قسطنطين" في نيقية سنة (٣٢٥م) فلم يتحقق. وهي : رسالة العبرانيين وبطرس الثانية ويوحنا الثانية والثالثة ويعقوب ويهوذا ورؤيا يوحنا.[(١)]

ثم انعقد مجلس لوديسيا (لاوديقية) سنة (٣٦٤م) فأوجب تصديق الكتب الستة الأول. وأبقي السابع على الشك إلى أن انعقد مجلس كارتهيج (قرطاجنة) سنة (٣٩٧م)[(٢)]. ولكن لم تتفق الكنائس كلها على الرضا بها والتسليم لها. يقول "هورن" المفسر الشهير الإنجيلي في الصفحة ٢٠٦ ــ ٢٠٧ من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة (١٨٢٣م): لا توجد في الترجمة السريانية الرسالة الثانية لبطرس ورسالة يهوذا والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ومشاهدات يوحنا والآية السابعة من الإصحاح الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا[(٣)].

وقال "واردكاتلك" في الصفحة ٣٧ من كتابه المطبوع سنة (١٨٤١م) عن "راجرس" وهو من أعلم علماء بروتستانت : إنه ذكر أسماء كثيرين من علماء فرقته الذين أخرجوا الكتب المفصلة من الكتب المقدسة باعتقاد أنها كاذبة. منها الرسالة العبرانية ورسالة يعقوب والثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا

---

(١) انظر : برهان يتطلب قرارا، جوش مكدويل، ص ٥٠ ــ ٥١

(٢) "المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية"، محمد الصادقي الطهراني، جـ١، ص ٥٦ ــ ٥٧.

(٣) ونصها : فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد.

ومشاهدات يوحنا » . وقال المحقق البروتستانتى الدكتور " بلسن ": إن جميع الكتب ماكانت واجبة القبول إلى عهد " يوسى بيس " . ثم أصر على أن رسالتى يعقوب ويهوذا والثانية لبطرس والثانية والثالثة ليوحنا أنها ليست من تصنيفات الحواريين . ولقد كانت الرسالة العبرانية مردودة إلى مدة . والكنائس السريانية لم يعترفوا بالرسالة الثانية لبطرس والثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا وكذا حال سائر كنائس العرب » .(١)

وعن " لارذر " أن " بدجسو " ترك من فهرسته الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا . وهذا هو رأى السريانيين الآخرين . وأثبت " بروبريوالد " بالشهادة القوية أن إنجيل يوحنا ورسائله وسفر المشاهدات لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد .(٢) ويقول العلامة " برتسنيدر " : مجموع الرسائل المنسوبة إلى يوحنا إنما ألفها غيره فى أوائل القرن الثانى . وفرقة " ألوجين " التى كانت فى القرن الثانى تنكر جميع تصانيف يوحنا " .(٣)

وصرح " يوسى بيس " فى الباب الثالث من الكتاب الثالث من تاريخه : بأن الرسالة الأولى لبطرس صادقة والرسالة الثانية له ماكانت داخلة فى الكتب المقدسة فى زمان من الأزمنة ...... واختلفوا فى أن رسالة يعقوب ورسالة يهوذا والثانية لبطرس والثانية والثالثة ليوحنا كتبها الإنجيليون أم أشخاص غيرهم أسماؤهم كأسماء أصحاب الرسائل ؟ (٤) وليفهم أن أعمال بولس كلها جعلية . وقال " إسكالجر ": من كتب الرسالة الثانية لبطرس فقد ضيع وقته » وقال " يوسى بيس " فى حق رسالة يعقوب : ظن أن هذه الرسالة جعلية . وكذا

---

(١) انظر: إظهار الحق » ج ١، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) نفس المرجع، ج ١، ص ١٠١

(٣) " المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية »، د . محمد الصادقى الطهرانى، ج ١ ص ٥٠

(٤) " إظهار الحق » ج ١، ص ١٠٢ .

ظن فى حق رسالة يهوذا ». وفى "تاريخ البيبل" المطبوع سنة (١٨٥٠م) قال "كروتيس": إن رسالة يهوذا هي ليهوذا أسقف أورشليم الخامس عشر فى عهد سلطنة "أيدرين" [(١)].

وكان "فريدريك باور" "F.C.Baur" مؤسس مدرسة "توبنجن" لم ينسب إلى "بولس" سوى أربع رسائل على الأكثر، وهي رومية ورسالتا كورنثوس وغلاطية وخاصة الرسالتين الأخيرتين [(٢)]. ولقد أكد "فاستس" أن هذا الأمر محقق أن العهد الجديد لم يكن يصنفه المسيح ولا الحواريون مطلقا، بل صنفه رجل مجهول نسبه إلى الحواريين [(٣)]. وأخيرا صرح "كنت تلستوى" من أكابر المؤلفين الأرتوذكس بقوله: لاتحسبوا أننى أعتبر العهد الجديد مقدسا ومعتمدا عليها، فإن ذلك محض الضلال بوضوح. وليعلم قارئو كتابى هذا، أن أصل التعليم المسيحى مقدس. إلا أن هذه الكتابات الرائجة ليست مقدسة ولا من تعاليم المسيح، ولم يوح روح القدس إلى الكنائس أى شيئ من الإنجيل، رغم ما تدعيه الكنائس أن كتاباتهم من وحيه. فليعلم القراء أن العهد الجديد إنما ألف بعد أربعمائة سنة للميلاد [(٤)] ».

أما قانونية الكتاب المقدس ككل وتقرير شرعيته بصورة نهائية فلم تقرر إلا فى وقت قريب جدا . وذلك فى مجمع ترانت سنة (١٩٤٦م) !!!

إذ أقر المجمع قائمة بأسماء الأسفار التى لايمكن أن يضاف إليها أو يحذف منها شيئ . وهذه القائمة موجودة فى الطبعة اللاتينية فقط (الفولجات) " Vol Gate " . وقد قسمت تلك الكتب إلى طائفتين، طائفة منها لايدور حولها أى جدل، وقد قبلت من البداية دون أى نقاش، وهي المسماة باسم "الكتب القانونية الأولى Proto Cononical". والطائفة الأخرى أدرجت ضمن

---

(١) "إظهار الحق" ج ١، ص ١٠٣ .

(٢) انظر: الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس" د. القس فهيم عزيز، ص ١٦ - ١٧، دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الأولى ١٩٨١ م .

(٣) "المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية، ج ١، ص ٤٨ .

(٤) نفس الكتاب ج ١، ص ٥٣ - ٥٤ .

أسفار العهد الجديد بالتدريج وسميت " بالكتب القانونية الثانية " Deutro Cononical " (١) .

أما السبب الرئيسى فى خلق شرعية العهد الجديد وقانونيته فيرجع إلى المحاولة التى قام بها " مرقيون الأسقوبى " فى منتصف القرن الثانى (حوالي عام ١٤٠ م) لجمع عدد من الكتب المسيحية المقدسة، لكي تستأصل نفوذ العهد القديم . (٢) لقد كان " مرقيون الأسقوبى " خصما لدودا لليهود . وكان يرفض كل العهد القديم ، ويرفض من الكتابات اللاحقة على المسيح ماكان يبدو منها على ارتباط وثيق بالعهد القديم أو التراث اليهودى المسيحى . (٣) وكان يعتقد بأن إلٰه اليهود الذى أعطى الناموس لموسى وخلق العالم كان فى الحقيقة إلٰها شريرا . (٤)

وفى محاولة " مرقيون " لاستئصال كل آثار اليهودية من الكتب المسيحية فقد صنف عهدا جديدا اقتصر على إنجيل " لوقا " فإنه فى رأيه التحدث باسم بولس . واشتمل كذلك على الرسالة إلى أهل غلاطية ، والأولى والثانية لأهل كورنثوس ، ورسالة رومية والأولى والثانية إلى أهل تسالونيكى ، وأفسس وكولوسى وفيلبى ، وفليمون . لقد كان هذا ما عرف باسم " الإنجيل والرسول " الذى أقامه " مرقيون " ضد الناموس والأنبياء التى يشتمل عليها العهد القديم . (٥)

فحكمت الكنيسة على " مرقيون " بالهرطقة . ورأت الكنيسة إلى تحديد الأسفار القانونية ، فوضعت القائمة الرسمية التى تشمل على الأناجيل الأربعة ورسائل بولس وأعمال الرسل . وكان " أثناسيوس " أول من وضع التقويم الرسمى لأسفار العهد الجديد . ومع ذلك فالقائمة الرسمية تنوعت مع الزمن فى هذه القرون الأولى . ولقد دام التردد حتى مجمعين مجمع نيقية سنة (٣٢٥ م) ومجمع قرطاجنة سنة (٣٩٧ م) (٦) بل حتى مجمع ترانت سنة (١٩٤٦ م) . (٧)

---

(١) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، وليم باركلى ، ص ٢٠

(٢) انظر : برهان يتطلب قرارا " جوش مكدويل ، ص ٤٩ .

(٣) موريس بوكاى " القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " ص ٩٩ — ١٠٠

(٤) " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ص ١٩٦

(٥) " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية " مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٤

(٦) " القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " موريس بوكاى ، ص ١٠٠ ، وقارن : برهان يتطلب قرارا ، ص ٥١ ، جوش مكدويل .

(٧) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٢٠

وفى الواقع أن فى تلك العصور الأولى أناجيل كثيرة وأسفار لاتحصى تنسب للمسيح والعذراء والحواريين والتلاميذ ، رذلتها الكنيسة مدعية أنها مزيفة ، « Apocryphes » وأوصت الكنيسة بإخفائها . فمن الأناجيل غير المعتمدة :

١ - إنجيل يعقوب الحوارى . ٢ - إنجيل الطفولة لمتى . ٣ - إنجيل توما الحوارى . ٤ - إنجيل نيقوديموس . ٥ - إنجيل برنابا الحوارى ٦ - إنجيل كيرنثوس ٧ - إنجيل باسيليدس ٨ - إنجيل أبلّوس ٩ - إنجيل فلنتينوس ١٠ - إنجيل أندراوس ١١ - إنجيل برتلماوس ١٢ - إنجيل تداوس ١٣ - إنجيل يهوذا الإسخريوطى . ١٤ - إنجيل متّى الحوارى وهو غير إنجيله المعتمد ١٥ - إنجيل بطرس كبير الحواريين ١٦ - إنجيل فيلبس ١٧ - إنجيل الاثنى عشر ١٨ - إنجيل السبعين ١٩ - إنجيل التذكرة ٢٠ - إنجيل العبريين ٢١ - إنجيل المصريين لمرقس ٢٢ - إنجيل مرقيون ٢٣ - إنجيل ديصان ٢٤ - إنجيل أبيونيين ٢٥ - الإنجيل الأغنطسى ٢٦ - إنجيل بولس ٢٧ - إنجيل تهيودوش ٢٨ - إنجيل متياس ٢٩ - إنجيل الطفولة لتوما ٣٠ - إنجيل يوحنا غير إنجيله المعتمد ٣١ - إنجيل برنياه ٣٢ - إنجيل العذراء ٣٣ - إنجيل حواء ٣٤ - إنجيل الكمال ٣٥ - إنجيل الحقيقة ٣٦ - إنجيل المتهود ٣٧ - إنجيل الولادة ٣٨ - إنجيل الحداثة ٣٩ - إنجيل الحي ٤٠ - إنجيل هرشيوس ٤١ - إنجيل يعقوب الصغير ٤٢ - إنجيل ساتورينوس ٤٣ - الأناجيل الأربعة وهي غير الأربعة الرسمية . ٤٤ - أناجيل الناسينيين ٤٥ - أناجيل البيراتيين ٤٦ - أناجيل السيتيين ٤٧ - إنجيل أقرافا ٤٨ - إنجيل الحق ٤٩ - إنجيل غمالائيل ٥٠ - رؤيا إستفانوس .(١)

ومن الرسائل المردودة الزائفة ما يلى :

١ - رسالة المسيح إلى " أبكرس " ملك أديسا (Edessa) .(٢)

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار " الديانات والعقائد فى مختلف العصور " ج ٣ ، ص ٤٧٠ - ٤٧٧ ، و : إظهار الحق " ج ١ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) وردفى كتاب " تاريخ الكنيسة " ليوسابيوس القيصرى رسالة المسيح إلى "أبجارا" حاكم أدسا وهذا نصها : طوباك يامن أمنت بى دون أن ترانى ، لأنه مكتوب عنى أن الذين رأونى لايؤمنون بى . أما الذين لم يرونى فيؤمنون ويخلصون . أما بخصوص =

٢ ــ رسالة المسيح إلى بطرس وبولس ٣ ــ كتاب التمثيلات والوعظ ٤ ــ زبور عيسى الذى كان يعلم الحواريين منه خفية ٥ ــ كتاب الشعوذات والسحر ٦ ــ كتاب مسقط رأس المسيح ومريم وظئرها ٧ ــ رسالة المسيح التى سقطت من السماء ٠ وهذه الرسائل السبع تنسب إلى المسيح نفسه وهي غير إنجيله ٠

٨ــ رسالة مريم إلى أكناش ٩ ــ رسالة مريم إلى سيسيليان ١٠ ــ كتاب مسقط رأس مريم ١١ ــ كتاب مريم وظئرها ١٢ ــ تاريخ مريم وحديثها ١٣ ــ كتاب معجزات المسيح ١٤ ــ كتاب الأسئلة لمريم ١٥ ــ كتاب نسل مريم والخاتم السليمانى ٠ وهذه الثمانية تنسب إلى العذراء ٠

١٦ ــ أعمال الحوارى بطرس ١٧ ــ مشاهدات بطرس الأولى ١٨ ــ مشاهدات بطرس الثانية ١٩ ــ رسالة بطرس إلى أكليمنضس ٢٠ ــ مباحثات بطرس وأبيين ٢١ ــ تعليم بطرس ٢٢ ــ وعظ بطرس ٢٣ ــ آداب صلاة بطرس ٠ ٢٤ ــ كتاب مسافرة بطرس ٢٥ ــ كتاب قياس بطرس ٠ وهذه العشر تنسب لبطرس ٠

٢٦ ــ أعمال الرسل ليوحنا ٢٧ ــ كتاب مسافرة يوحنا ٢٨ ــ حديث يوحنا ٢٩ ــ رسالة يوحنا إلى هيد روبيك ٣٠ ــ كتاب وفاة مريم ٣١ ــ تذكرة المسيح ونزوله من الصلب ٣٢ ــ المشاهدات الثانية ٣٣ ــ آداب صلاة يوحنا وهذه الثمان ليوحنا الحوارى ٠ ٣٤ ــ أعمال الرسل لأندراوس الحوارى ٣٥ ــ آداب الصلاة لمتّى الحوارى ٣٦ ــ أعمان الرسل لتوما الحوارى ٣٧ ــ المشاهدات لتوما الحوارى ٣٨ ــ كتاب مسافرة توما الحوارى ٣٩ ــ آداب الصلاة ليعقوب الحوارى ٤٠ ــ كتاب وفاة مريم ليعقوب الحوارى ٤١ ــ حديث متياس الحوارى الذى دخل فى ضمن الحواريين بعد صلب المسيح وحل مكان يهوذا الإسخريوطى ٤٢ ــ رسالة برنابا (١) ٤٣ ــ أعمال بولس ٤٤ــ أعمال تهكلة لبولس ٤٥ ــ رسالة بولس إلى اللادوكيين ٤٦ ــ رسالة بولس الثالثة إلى أهل كورنثوس ٤٧ ــ رسالة بولس الثالثة إلى أهل تسالونيكى ٤٨ ــ رسالة أهل كورنثوس إلى بولس وجوابه

= ماكتبت إليّ عنه لكي آتى إليك فيلزمنى أن أتم هنا كل الأشياء التى من أجلها أرسلت، وبعد إتمامها أصعد ثانية إلى من أرسلنى ٠ ولكننى بعد صعودى أرسل إليك أحد تلاميذى ليشفيك من مرضك ويعطى حياة لك ولمن لك (انظر ص ٥٧) ٠

(١) طبعت هذه الرسالة ضمن الكتاب " حياة برنابا " للقمص بيسوى عبد المسيح وكيل مطران دمياط مكتبة المحبة القاهرة بدون سنة ٠

عليها . ٤٩ - رسالة بولس إلى سنيكا وجواب سنيكا له ٥٠ - مشاهدات بولس الأولى ٥١ - مشاهدات بولس الثانية ٥٢ - وزن بولس ٥٣ - وعظ بولس ٥٤ - كتاب رقية الحية لبولس (١) .

ولنتساءل الآن هل قبول المسيحيين في مجامعهم لبعض الأسفار (٢٧ سفرا للعهد الجديد و ٣٩ سفرا للعهد القديم) وردهم أسفار أخرى كثيرة، يكون حجة لقانونيتها ولقدسيتها ؟ الجواب كلا كلا ! ثم والله كلا ! وذلك لأمور آتية :

أولا - إن اختيارهم لبعض الأسفار وردهم غيرها من أسفار كثيرة لم يكن على أسس البحث والدراسة، ولم يكن بوحي من السماء أو بأمر من المسيح .

ثانيا - ليس لديهم سند متصل ولو بأوهى أنواع الاتصال يربط بين تلك الأسفار وبين من تنسب إليهم ، وهم يعترفون على ذلك . يقول الشيخ " رحمت الله الهندى " : طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه . واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم، فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة "(٢) . ولاشك أن تلك المصائب والفتن التى دامت إلى صدر القرن الرابع - تجعل الأسفار التى رويت قبل ذلك موضع شك فى نسبتها إلى قائليها . يقول " شارل جنيبير " وأول الصعاب التى تعترضها نجدها فى النصوص نفسها التى تمتاز من سائر النصوص الأخرى بضعف السند والاضطراب وعسر التحقيق . وأقدم هذه النصوص وأهمها هي تلك التى احتواها العهد الجديد، والتى استلزمت قبل إمكان الاعتماد عليها تحقيقا نقديا دقيقا مطولا لم يوشك أن ينتهى "(٣) . إذن فإسناد الأسفار لكتّابهم لم يقم على أى دليل بل مجرد الظن والتخمين ! وإن الظن فى هذا الموضوع الخطير لايغنى شيئا . فما داموا لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا وإيراد الدليل واجب عليهم .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار " الديانات والعقائد فى مختلف العصور " ج ٣، ص ٤٩٥ - ٤٩٨ .
(٢) " إظهار الحق " ج ١، ص ٨٣ - ٨٤
(٣) " المسيحية نشأتها وتطورها " شارل جنيبير، ص ٣١ .

ثالثا - ثبت بإقرار « هورن » أنه ما كان قدماؤهم يحققون فى الروايات . وكانوا يصدقون الروايات الواهية ويكتبونها ، والذين جاؤا من بعدهم يتبعون أقوالهم . فالأغلب أنه وصلت إلى علماء المحافل بعض الروايات الواهية فى موضوع هذه الأسفار ، فسلموها بعد ما كانت مردودة إلى عدة قرون . (١)

رابعا - تبين لنا من نظرية « ميير Meyer » أنه قد جرت العادة قديما أن تنشر كتب كثيرة تحت أسماء مستعارة لعظماء الرجال فى الماضى . لقد أراد كثير من المؤمنين تشجيع وتقوية إيمان الناس فى ذلك الوقت فأودعوا ما يريدون أن يقولوه فى كتاب تحت أسماء أبطال الإيمان . وقد كان ذلك تقليدا معترفا به فى العالم القديم . (٢)

خامسا - وجود الاختلافات الكثيرة فى نصوص الأسفار المعترف بها .

يقول " باركر " من أشهر علماء الإنجيل من طائفة البروتستانت « إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهدين العتيق والجديد من أن تتعرضهما التحريفات الخفية ، لكن هذه المسئلة لاتقدر أن تقوم فى مقابل عسكر اختلاف العبارات التى هي ثلاثون ألفا . (٣)

ويقول " كريسباخ " و " شولز " : لو أمعن النظر لوجد من الاختلاف ما يزيد على مائة وخمسين ألفا » . كما كتب « عزرا أبوت » مقالات انتقادية ، أن عدد الاختلافات فى العهد الجديد يخيف بعض البسطاء إذ تبلغ ١٥٠ ألفا . وكأن أساس تصديق العهد الجديد قد انهار . (٤)

أما " إنسيكلوبيديا بريتانيكا " (دائرة المعارف البريطانية) التى ألفها خمسمائة من العلماء ، ففيه : إنه يوجد مثل هذه الاختلافات زهاء مليون . (٥) وذلك لأن أسفار العهد الجديد - كما يقول " السرفردريك كينون " مدير

---

(١) " إظهار الحق " ج ١ ، ص ١٠٠

(٢) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ، ص ٤٨

(٣) " المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية " د . محمد الصادقى الطهرانى ، ج ١ ص ٤٩

(٤) جوش مكدويل " برهان يتطلب قرارا " ص ٥٤ .

(٥) " المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية " ج ١ ، ص ٤٩ .

مكتبة المتحف البريطاني - كتبت في أواخر القرن الأول الميلادي . ووصلتنا نسخ منها من القرن الرابع وبعضها من قبله أي بعد (٢٥٠ أو ٣٠٠ سنة) على الأكثر من كتابتها » (١). وبخصوص رسائل بولس فإن أقدم نسختها الكاملة هي نسخة " كلارومنت "، يرجع تاريخها إلى سنة (٥٠٠ م) وتشتمل على رسائل بولس في اللغتين اليونانية واللاتينية (٢).

ويقول " جوش مكدويل " إن هناك مخطوطتين يونانيتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع وهما ما يعرفان " بالنسخة الفاتيكانية" Codex Vaticanus " (٣٢٥ م) موجودة بمكتبة الفاتيكان ، و " النسخة السيناتية Codex Sinaticus " (٣٥٠ م) موجودة في المتحف البريطاني . وقد عثر عليها « تشندرف » في سلة للمهملات في دير جبل سيناء عام (١٨٤٤م) وسلمها الدير هدية لقيصر روسيا عام (١٨٥٩م). واشترتها الحكومة البريطانية من الاتحاد السوفيتي بمائة ألف جنية (١٩٣٣ م) » (٣).

وكما تقول الترجمة المسكونية : إن في العالم مائتين وخمسين مخطوطة رقية أخرى معروفة، ولكن كل نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست متطابقة . بل على العكس فيمكن للقارئ أن يميز فيما بينها فروقا قد تختلف في الأهمية ، ولكن عددها على أي حال كبير . ثم يقول : إن صحة أي نص حتى أكثر النصوص احتراما قابلة دائما للنقاش . إن المخطوطة المعروفة باسم « Codex Vaticanus » تعطي مثالا على ذلك . فطبعتها المطابقة للأصل التي أعادتها الفاتيكان عام (١٩٦٥ م) تحتوي على تنبيه من نفس المصدر يخبرنا بأنه بعد مرور قرون عدة على النسخة حبر أحد النساخ كل الحروف ما عدا التي رأى أنها خطأ . وبالإضافة إلى ذلك فالتنبيه يحدد ما يلي : لم نتمكن حتى الآن من أن نميز بشكل نهائي مختلف الأيدي التي صححت المخطوطة ووضعت عليه الحواشي عبر القرون . ولاشك أن عددا

---

(١) " برهان يتطلب قرارا ، ص ٥٨ ، وانظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، موريس بوكاي ، ص ١٠٠ .

(٢) جوش مكدويل " برهان يتطلب قرارا ، ص ٦٣

(٣) نفس الكتاب ، ص ٦٢ .

من التصحيحات قد عمل ساعة تحبير النص ...... فإن نساخ بعض المخطوطات يسمحون لأنفسهم بحريات كبيرة مع النص "(١).

وأكد " جورج كيرد " أن نصوص جميع المخطوطات تختلف اختلافا كبيرا . ولايمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ . ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه ارتكب أخطاء . وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسختها الأصلية . وأن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدى المصححين ، الذين لم يكن عملهم دائما إعادة القراءة الصحيحة (٢) . وتقول دائرة المعارف البريطانية : إن النسخ الأصلية الإغريقية لكتب العهد الجديد فنيت منذ مدة طويلة . وإنه أمل لا طائل من ورائه أن نتصور إمكانية الوصول إلى النص الأصلى» (٣) . إن مشكلة النص إذن تعتبر بحق مشكلة المشاكل التي تشغل بال العلماء اليوم . والتي استحدثت بسببها دراسات وعلوم، مثل النقد الذي يهدف أول ما يهدف إلى معرفة حقيقة النص الأصلي .

فصدق الله القائل : ((وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) (٤) . وأيضا : ((فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ)) (٥) .

---

(١) " القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " موريس بوكاى ، ص ١٠٠ — ١٠٣
(٢) " المسيح فى مصادر العقائد المسيحية " مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٤١
(٣) نفس الكتاب ، ص ٤٠ و ٤٢
(٤) آل عمران ٧٨
(٥) البقرة ٧٩ .

* الفصل الثاني *

أصحاب الرسائل

تمهيد :

هل هؤلاء رسل ملهمون حقا ؟

من المعروف أن بني إسرائيل كانوا يكفرون بدعوة عيسى عليه السلام ولم يؤمنوا برسالته سوى طائفة قليلة . فاختار المسيح منهم عدة الرجال ليصبحوا أنصاره وخاصته . وقد سماهم الله في كتابه الكريم بالحواريين . وذلك لصفاء قلوبهم ونقاء سرائرهم . وأثنى عليهم في قوله : ((فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ، آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)) (١) .

وقال أيضا : ((وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي، قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)) (٢) .

وهم الذين أرسلهم المسيح إلى القرى اليهودية ليدعوا بني إسرائيل إلى دين الله الحق والإيمان برسالته . ولا يحدد القرآن عددهم كما لا يذكر أسماءهم . لكن الأناجيل تذكر أن عددهم اثنا عشر، كما تذكر اسم كل واحد منهم . ففي إنجيل " متّى " : ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضُعْف . وأما أسماء الاثني عشر رسولا فهي هذه : الأول - " سِمْعَانُ " الذي يقال له " بُطرُس " و " أَنْدَرَاوُس " (٣) أخوه " يعقوب

---

(١) آل عمران ٥٢ - ٥٣ . (٢) المائدة ١١١

(٣) أندراوس Anderaus » بن " يونا " ولد في قرية بيت صيد الواقعة على بحر طبرية . كان صيادا وتلميذ اليوحنا المعمدان ، ومنه سمع عن المسيح فقصده ومكث معه يوما كاملا ليعاين أعماله وأقواله ، فأيقن أنه المسيح فبشر أخاه بطرس . بد أعمله الكرازى بعد يوم الخمسين ، ويبدو أنه ركز نشاطه في مناطق شبه جزيرة البلقان ، وبعض مقاطعات آسيا الصغرى ، كما بشر في سكيتا ، وهي المنطقة الواقعة شمالي بحر قزوين والبحر الأسود . وقد صلب في بتراس في القسم الجنوبي من بلاد اليونان . وإنه صلب على صليب بشكل » × » . ورتقام ذكرى وفاته في ٣٠ نوفمبر . ونسب إليه سفر الأبوكريفا المعروف باسم "أعمال أندراوس" (انظر: تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس =

بن زبدى (١) " ويوحنا أخوه . فيلبس . و " برثولماوس " (٢) ، توما " (٣) و . متى العشار (٤) . يعقوب بن حلفى " (٥) و . لباوس الملقب تداوس (يهوذا) سمعان القانوى (٦) " .

= القيصرى ، ص ١١٢ ، والكنيسة المسيحية فى عصر الرسل "الأنبا يؤانس" ص ٣١٢ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ١٢٢ — ١٢٣) .

(١) هو " يعقوب بن زبدى " الأخ الأكبر ليوحنا ، يدعى " يعقوب الكبير " تمييزا له من يعقوب الصغير بن حلفى " من بيت صيدا . كانت " سالومة " أمه أخت أم المسيح . وقد ترك مهنة الصيد وتبع المسيح . وقد أحبه المسيح مع أخيه " يوحنا " محبة خاصة ، فميزهما بلقب خاص " بوانرجس " أي ابن الرعد . أما عن كرازته فتذكر التقاليد أنه بشر فى مناطق اليهودية والسامرة . ثار اليهود ضده وأحدثوا شغبا فى أورشليم ، فقبض الجند الرومان عليه وأحضروه أمام الملك " هيرودس أغريباس " فأمر بقطع رأسه بحد السيف . وكان ذلك على الأرجح سنة ٤٤م ، فهو أول من مات مقتولا من الحواريين . وقيل إن جسده نقل إلى بلدة تدعى " كومبوستيلا " بأسبانيا. (انظر تاريخ الكنيسة ، ص ٧٨ ، والكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣١٢ — ٣١٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٧٥) .

(٢) " فيلبس " ولد فى بيت صيدا ، عكف منذ صباه على دراسة الكتب المقدسة . التقى بالمسيح أولا فى بيت " عنيا " عبر الأردن فدعاه فتبعه ، وحمل الكرازة إلى بلاد فارس وآسيا الصغرى خاصة إقليم فريجيا وانتهى فى مدينة هيرابولس (بامبوك كليس) حيث قتل مصلوبا ، بعد أن ثار الوثنيون (انظر : الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٠٢) .

(٣) هو " نثنائيل بن تلماى " كان من الجليل ، لازم المسيح حياته على الأرض ، بشر فى بلاد اليمن وقيل الهند . وترك نسخة من إنجيل متى باللغة العبرية . كما بشر أيضا فى أرمينيا ، وقتل مصلوبا . وقيل سلخ جلده وقطع رأسه (تاريخ الكنيسة ، ص ٢٧٩ ، والكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٢٢ — ٣٢٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ١٦٧) .

(٤) كان من الجليل وكلمة " توما " آرامية معناها " توأم " دعاه المسيح فلبى الدعوة وتبعه ورافقه ورأى معجزاته واستمع إلى تعاليمه . بشر أولا فى اليهودية ثم جال مبشرا فى بلاد مابين النهرين ، ثم عرج على بلاد العرب واجتاز البحر إلى بلاد الحبشة ثم إلى الهند والصين ، وقتل فى ملابار بسلخ جلده وهو حي حتى مات . وينسب إليه " إنجيل توما " الأبوكريفا . (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٢٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧) .

(٥) وهو " لاوى بن حلفى " من الجليل كان عشارا فى كفر ناحوم . وكانت هذه الوظيفة محتقرة بين اليهود ، فدعاه المسيح وهو جالس عند مكان الجباية ، فترك كل شيء وقام وتبعه . لازم المسيح وسمع تعاليمه وشاهد عجائبه . كرز فى بلاد اليهودية وإثيوبيا حيث قضى بها ثلاث وعشرين سنة ومات بها سنة (٧٠م) على أثر ضرب مبرح أنزل به أحد أعوان ملك الحبشة . أو على أثر طعنة برمح أصيب بها سنة (٦٢م) كتب إنجيله باللغة العبرانية أو الآرامية . وقيل باليونانية وذلك سنة (٣٧م أو سنة ٣٨م أو سنة ٤١م أو ٤٣م أو ٦٢ أو ٦٣ أو ٦٤م) (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٢٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٨٣٢) .

(٦) هو سمعان الغيور " من الجليل ، من ضمن جماعة الغيورين الثائرين ، الذين عرفوا بتمسكهم الشديد بالناموس . يكاد لايعرف عنه شيء عن حياته . قيل إنه كرز فى سوريا وبلاد ما بين النهرين ومات مصلوبا (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٢٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٨٣) .

و « يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيّ (١) » الذى أسلمه . هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع» (٢) .

وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالتهم صادقين ماعاهدوا المسيح عليه، ما عدا يهوذا الإسخريوطى . فإنه خان المسيح وأرشد اليهود والرومان إلى مقره وسهل لهم صلبه وتقاضى منهم أجرا على ذلك ، كما يعتقده المسيحيون .

فحينئذ اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت رئاسة " بطرس " كبير الحواريين ، ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدد الحواريين الاثنى عشر ، وهما « يُوسُفُ بَارْسَابَا » الملقب « يُوسْتُس » و « مَتِّيَاس » ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم " متياس " فاختير حواريا بدلا من الخائن " يهوذا الإسخريوطى " (٣) (٤) .

وجدير بالذكر أن إنجيل " برنابا " اختلف عن الأناجيل الثلاثة فى ذكر الاثنين من الحواريين . فقد ذكر اسمه هو واسم " تداوس " بدلا من " توما " و " سمعان القانوى " (٥) . وماكان من الأمر فقد عرفنا أسماء الحواريين على اختلاف رأيى " متّى " و " برنابا " . هؤلاء الحواريون قد استجابوا للمسيح ولدعوته ولبوا صيحته وأعلنوا عالية مدوية « نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ (ياعيسى) بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » . ومن بين هؤلاء خمسة فقط تنسب إليهم الأسفار المقدسة فى العهد الجديد وهم : " بطرس " و " متّى " و " يوحنا " و " يعقوب بن حلفى الصغير " و " يهوذا الملقب تداوس " بالإضافة إلى " بولس " .

ولكن الإمام " ابن حزم " قد أنكر ما ذكرته الأناجيل من أسماء هؤلاء ، وصرح بأن ما يسميه النصارى بالحواريين هم غير الحواريين المنصوص عليهم فى القرآن .

---

(١) " يهوذا بن سمعان الإسخريوطى " هو التلميذ الذى خان سيده من الحواريين . دعاه المسيح فتبعه وخصه ليكون أمينا للصندوق ، وقد دل للجنود الرومان على مكان المسيح مقابل ثلاثين فضة ، مات منتحرا (قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٨٩ ـ ١٠٩١) .

(٢) متّى ١٠ : ١ ـ ٥ ومرقس ٣ : ١٣ ـ ١٩ ولوقا ٦ : ١٣ ـ ١٦ .

(٣) لازم المسيح من ابتداء بعثه إلى صعوده ، فسمع تعاليمه وشاهد معجزاته . ولايعلم شيئ عن حياته وكرازته . قيل إنه بشر فى اليهودية والسامرة وبعض مقاطعات آسيا الصغرى . وختم حياته قتيلا . (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٨٣٥) .

(٤) اقرأ أعمال الرسل ١ : ١٥ ـ ٢٦ .

(٥) اقرأ إنجيل برنابا الفصل الرابع عشر ١١ ـ ١٧ .

حيث يقول رحمه الله : ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام، كباطرة ومتّى الشرطى ويوحنا ويعقوب ويهوذا الأخساء لم يكونوا قط مؤمنين. فكيف حواريين ؟ بل كانوا كذابين كفارا مستخفين بالله ، إما مقرين بألوهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيه .... وإما مدسوسين من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم ».(١)

ومضى يقول : وأما الحواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقا، ندين الله تعالى بمحبتهم ولا ندرى أسماءهم ،لأن الله لم يسمهم لنا. إلا أننا نبتّ ونوقن ونقطع أن باطرة الكذاب ومتّى الشرطى ويوحنا المستخف ويهوذا ويعقوب النذلين ومارقش الفاسق ولوقا وبولش اللعين ماكانوا قط من الحواريين ، لكن من الطائفة التى قال الله تعالى فيها ((وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ))(٢) . والحق أنه يمكن علينا أن نقبل ما ذكرته الأناجيل من أسماء هؤلاء - وخاصة ماذكره إنجيل برنابا - . فإنه ليس كل ما فى الأناجيل كذبا وبطلانا ، بل فيها أشياء لاتخالف كتاب الله وسنة رسوله . وأن ورود أسماء بعضهم - بطرس يعقوب يوحنا - أصبح شبه متواتر فى كتب التفسير والتاريخ، فلا مجال لإنكارها . لذا فإنكار تلك الأسماء المعروفة واستبدالها بغيرها التى لاتعرف يعدّ ضربا من استبدال العلم بالجهل.

على كل حال سواء صحت تلك الأسماء أم لا ، فإن قبولها لايضر العقيدة الصحيحة. لكن الذى يهمنا هنا هو مدى صحة نسبة ما كتب فى العهد الجديد من الأسفار لهؤلاء الحواريين .

---

(١) انظر " الفصل فى الملل والأهواء والنحل " ، ج ٢، ص ٨٩ .
(٢) نفس الكتاب ، ج ٢، ص ٩٠ - ٩١ .

* هل هؤلاء رسل ؟ *

أجمع جمهور العلماء على أن الحواريين ليسوا بأنبياء ولا رسل ، بل هم رسل رسول الله . وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : أنا أولى الناس بابن مريم الأنبياء أولاد علّات وليس بيني وبينه نبي "(١) .

أما قوله تعالى ((وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ))(٢) . فالمراد بالوحي هنا وحي إلهام كما قال تعالى: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ))(٣) وهو وحي إلهام بلا خلاف . والمعنى كما قال "الإمام الحسن البصري " أي ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا " . وقال " السدى " قذف في قلوبهم ذلك " . ويحتمل أن يكون المراد : وإذ أوحيت إليهم بواسطتك (ياعيسى) فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك(٤) . وذكر إجماع السلف على نفي نبوة الحواريين كثير من العلماء منهم " أبو بكر بن الطيب " و " أبو يعلى بن أبي الفراء " و " أبو المعالي الجويني " .

وقد خالف الشيخ " آدم عبد الله الآلوري "(٥) الإجماع ، إذ حاول في كتابه " فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة "(٦) إثبات نبوة هؤلاء الحواريين ، مستندا على الآية المذكورة . ويرى أن القول بنبوتهم أولى من الرفض . ولكنه لم يوفق في محاولته . وقد رد عليه عدد من علماء " جامعة الأزهر "(٧) و " الجامعة الليبية "(٨) ردا قويا . وذلك فإن إثبات النبوة أمر توقيفي لابد من الرجوع فيه إلى الوحي . وليس لنا أن نجيز نسبة النبوة إلى أحد لم يرد عندنا نص سماوي بشأنه .

إننا نؤمن بأن هناك أنبياء غير من ذكروا في القرآن الكريم ، ولكن ليس لنا أن نحدد أسماء ونجوز أن يكونوا في مصاف الأنبياء . فلا نعتقد في حق هؤلاء الحواريين إلا ما شهد الله لهم في كتابه الكريم ، ورسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) متفق عليه واللفظ من صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٥ ، ص ١١٩ (كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام) .

(٢) المائدة ١١١ (٣) القصص ٧

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، وفتح القدير ، ج ٢ ، ص ٩١

(٥) مدير مركز التعليم العربي الإسلامي بأجيجي نيجيريا .

(٦) نشرته مكتبة وهبة القاهرة ط الأولى ١٤٠٣ (٧) لجنة برئاسة الدكتور أحمد إبراهيم مهنا .

(٨) وهم الشيخ " محمد المدني الشويرن " والشيخ " محمود ضيغم " والشيخ " محمد المختار المهدي " .

أما المسيحيون فيدّعون بأن هؤلاء الحواريين الاثنى عشر بالإضافة إلى بولس هم رسل أوحي إليهم من الله بواسطة الروح القدس معصومون عن الخطأ والنسيان . وهم من سلسلة رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى . يقول " متى بهنام " : إن موسى هو الذى بوحي إلٰهى افتتح الإعلان الإلٰهي ، وبولس هو الذى تممه . ويوحنا هو الذى اختتم هذا الإعلان الإلٰهي . فإن الكتاب المقدس كله صوت الله لكل مسيحى حقيقى "(١). رغم أن هؤلاء الحواريين لم يدعوا لأنفسهم الرسالة ولا الإلهام .

فإذا قرأنا رسائلهم فلا نجد فى عباراتهم ما يدل على أنهم رسل الله الموحي إليهم ، وأن ما كتبوه كتبوه بوحي وإلهام ، إلا بولس، إذ يقول فى بعض رسائله : كل الكتاب هو موحي به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر "(٢). وكان بولس وحده دون غيره يدعى لنفسه الرسالة. إذ يقول فى رسائله : بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب...."(٣)

وأيضا : أعرّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشّرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمْتُه ...... ولكن لما سرّ الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم ......"(٤) .

وسنرجع إلى الكلام عن بولس فيما بعد . مع أن من شروط صدق الرسول أن يدعى ذلك الرسول أنه أوحى إليه به . ويدعم ذلك الادعاء بالبينات الثابتة . وهي المعجزات التى بعث بها الرسول، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر أو يثبت بالكتاب نفسه(٥) . والمسيحيون ليس لهم دليل يثبت أنهم رسل الله وأنهم ملهمون . غير أن " لوقا " ذكر فى سفر أعمال الرسل : أن الروح القدس نزل على مائة وعشرين تلميذا . إذ يقول : وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ، وكان عدة أسماء معا

---

(١) انظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلٰهية "، ج ١، ص ١١
(٢) ٢ تيموثاوس ٣: ١٦ (٣) غلاطية ١: ١ (٤) غلاطية ١: ١١ ــ ١٦
(٥) للتوسع انظر : الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد "، للإمام الحرمين ، ص ٣١٣، تحقيق د . محمد يوسف موسى ، والأستاذ على عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجى القاهرة ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م .

نحو مئة وعشرين »[1] . " ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة . وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة . وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين . وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار . واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا "[2] .

والآن لنتعرف بصاحب هذه الرواية لوقا . من هو لوقا ؟

لقد اختلفوا في شخصيته . فبعض يقول إنه أنطاكي ، لكن بعض آخر يقول إنه روماني نشأ بإيطاليا . قيل إنه طبيب ماهر نجح في ممارسة مهنته . وقيل بل إنه مصور[3] . ومن هذا يتبين أنهم ليسوا على علم يقيني بشخصية لوقا صاحب سفر أعمال الرسل ، المصدر الوحيد المثبت لنزول الروح القدس على التلاميذ المائة والعشرين . وإنما اتفقوا في أمر واحد ، وهو أنه لم يكن من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ حوارييه ، بل كان تلميذا لبولس وصديقه . وقد رافقه في رحلاته واشترك معه في كرازته ، ولازمه في أعماله وأتعابه . لدرجة أن " أوريجين " و " جيروم " صرحا بأن بولس حينما ذكر في رسائله كلمة " إنجيلي " إنما يشير إلى " إنجيل لوقا "[4] . ولا يعرف أحد عن آخر حياته ، لأن لوقا لم يكن رسولا ولم يكن من الشخصيات البارزة في الكنيسة[5] .

فروايته عن هؤلاء التلاميذ إذن ليست رواية من شاهد وعاين . وعلى ذلك يكون السند غير متصل بين لوقا صاحب أعمال الرسل وبين هؤلاء الرسل !

وهناك من يدعي بأن لوقا نفسه من الرسل الملهمين ، فهو لا يحتاج إلى سند ، لأن كلامه من الروح القدس الذي ملأه كما ملأ الرسل الآخرين . لكن هذا الادعاء باطل . لأن لوقا لم يكن من ضمن هؤلاء المائة والعشرين الذين امتلأوا بالروح القدس . فلم يكن رسولا ولا ملهما !

---

(١) أعمال الرسل ١ : ١٥ .
(٢) أعمال الرسل ٢ : ١ — ٤
(٣) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٢٢ ، والكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، ص ٣٤٤ — ٣٤٦
(٤) "تاريخ الكنيسة» ص ١١٥ — ١١٦
(٥) انظر : رسل المسيح» للدكتور مول ، ص ٩ .

وصرح " واطسن " فى المجلد الرابع من كتابه " الإلهام " بأن عدم كون تحرير لوقا إلهاميا يظهر مما كتب فى ديباجة إنجيله. ونصها : إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذى عُلِّمتَ به (١) ".

وهكذا قال القدماء من علماء المسيحية أيضا. إذ قال " أرينيوس " : إن الأشياء التى تعلّمها لوقا بلّغها إلينا (٢) ". فلوقا كتب فى إنجيله ورسالته ما تُعُلِّم ولُقِّن لا ما أوحى إليه به وألهم. وقد نقل إلينا " نورتن " عن " أكهارن " قوله : قد اختلط كذب الروايات ببيان المعجزات التى نقلها لوقا. والكاتب ضم الروايات على طريقة المبالغة الشاعرية. وتميز الصدق عن الكذب فى هذا الزمان عسير (٣) ".

فالبيان المختلط بالكذب والمبالغة الشاعرية كيف يكون إلهاميا. ؟! لذلك صرح فريق من العلماء الباحثين بأن المعلومات التاريخية التى يحتويها سفر أعمال الرسل للوقا، وخصوصا القسم الأول منه هي معلومات مستقاة من مصادر متأخرة. وقد كتبه لوقا من وجهة نظره هو. فأظهر لنا كما يجب أن تكون، وليس كما كانت فى الواقع (٤).

وإذا كان سفر الأعمال للوقا المصدر الوحيد المثبت لإلهام الرسل وامتلائهم بالروح القدس، فيكون ذلك المصدر قد فقد صلاحيته للاعتماد عليه. لأنه لم يكن متصل السند بين لوقا وبين هؤلاء التلاميذ، ولأن لوقا نفسه لم يكن ملهما !

وأيضا إن لوقا لم يذكر أسماء هؤلاء المائة والعشرين الذين ملئوا من الروح القدس. فكيف يؤمن برسالة رسل لم نعرف أسماءهم ؟ هذا على فرض أننا سلمنا صحة نسبة سفر الأعمال إلى لوقا.

وهناك طائفة من العلماء الباحثين لايزالون يشكون فى صحة النسبة. يقول

---

(١) إنجيل لوقا ١ : ١ — ٤.
(٢) " إظهار الحق " ج ١، ص ١٧٧ — ١٧٨
(٣) " إظهار الحق " ج ١، ص ١٨٧
(٤) انظر : الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس، د. القس فهيم عزيز، ص ١١.

" الدكتور مول " إن بعض العلماء قد داخله الشك فى نسبة الرسالة (أعمال الرسل) إلى لوقا. ولا يغرب عن البال أنه لم يكن يسيرا الاستدلال على واضعى مصنفات هاتيك العصور. والمؤلف لوقا لم يضع اسمه، لا فى هذا السفر ولا فى البشارة التى كتبها "(١). أما بولس فأمره غريب جداً. كان من أشد أعداء المسيحية وأبلغهم كيداً لها وأكثرهم إمعانا فى أذى معتنقيها. ففى سفر الأعمال: وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل. وحمل رجال أتقياء إستفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة. وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن "(٢). ثم فجأة تغير بولس من خصم جبار عنيد للمسيحية إلى رسول داعية كريم. وهو بمنزلة هؤلاء الاثنى عشر، بل أفضل منهم. لدرجة أن كلمة " الرسول " إذا أطلقت فالمراد بها بولس.

ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة، والحركة الدائبة فى الدعاية المسيحية. وتنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه. فرسائله هي أساس التعاليم المسيحية عقيدتها وشريعتها. والمسيحية الآن هي مسيحية بولس لا مسيحة المسيح. إنه " رسول الأمم " و " رسول الجهاد " و " رسول الحرية " و " الرسول المشرع " و " الرسول الكبير " Le Grand Apotre ".

والغريب أن المسيحيين قد وضعوا شروطا فى رسولية رسول، ولم تتوفر تلك الشروط لدى شخصية بولس. فذكر قاموس الكتاب المقدس، أنه يشترط فى الرسول أولا - أن يكون قد اتصل بالمسيح وعاشره وتلقى تعاليمه منه مباشرة. ثانيا - أن يكون المسيح قد دعاه إلى هذه الخدمة. ولم يستثن من هذا الشرط سوى متياس. إلا أن الأحد عشر الذين اختاروه حرصوا على أن لا يختاروا أحداً إلا من بين الذين عاشروا المسيح منذ معمودية يوحنا إلى قيامة المسيح"(٣).

---

(١) " رسل المسيح " ص ٨ - ٩

(٢) أعمال الرسل ٨ : ١ - ٣

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٠٣ .

ففي أعمال الرسل : فينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج. منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى ارتفع فيه عنا يصير واحد منهم شاهدا معنا بقيامه "[1] . وبولس لم يكن متصلا بالمسيح ولا معاشرا إياه، ولم يتلق تعاليمه منه ولا من أحد حوارييه. وبالطبع لم يدعه المسيح إلى الخدمة إطلاقا . إنما بالعكس كان عدوا لدودا للمسيح ولأتباعه. فكيف يؤمنون بأنه رسول بل أفضل الرسل ؟ .

وقد قام الكاردينال " دانيلو " بالدراسات الدقيقة عن بدايات المسيحية، وصل بها إلى النتيجة وهي : أنه بعد رفع المسيح كونت مجموعة الحواريين طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها . وظلوا يهودا مخلصين تحت رئاسة " يعقوب " أخى المسيح ، فاصطدموا مع بولس ويعتبرونه كخائن، ويصفونه بالعدو، ويتهمونه بتواطئ تكتيكى[2]. فكان المؤمنون بعيسى فى القدس جماعة يهودية صرفة. وكانوا لايفترقون عن اليهود الآخرين الأتقياء إلا فى إيمانهم بأن عيسى قد شرفه الله فجعل منه مسيحا ، وأنه قد تحققت به الآمال[3] . ثم استمر الكاردينال " دانيلو " يذكر أن اليهودية المسيحية لم تكن سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة . فقد تطورت البعثة اليهودية المسيحية فى كل مكان قبل البعثة البولسية . وذلك هو ما يوضح الإشارة الدائمة فى رسائل بولس إلى صراع ما . إنهم أنفسهم الأعداء الذين قابلهم حينما ذهب بغلاطية وكورنثية وكولوسى وروما وأنطاكية[4] .

كما قد لاحظنا سابقا أن أكثر الدوافع لبولس أن يكتب رسالته هو الرد على خصومه، والهجوم عليهم والطعن على الذين ينكرون لرسوليته . ودائما كان يدافع عن نفسه فى افتتاح رسائله بأنه رسول مفرز لإنجيل الله . وأنه رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب . وكان يقول : إنى لم أنقص شيئا عن فائقى .

---

(١) أعمال الرسل ١ : ٢١ ـ ٢٢

(٢) موريس بوكاى " القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " ص ٧١

(٣) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها " شارل جينيبر ، ص ١١٣ .

(٤) موريس بوكاى، الكتاب السابق ، ص ٧٢ .

الرسل وإن كنت عاميا في الكلام فلست في العلم بل نحن في كل شيء ظاهرون لكم بين الجميع ».(١) وقد حدث أن انفضّ أكثر أصدقائه عنه بعد ما اشتبك في صراع مع بطرس رئيس الحواريين واتهمه بالنفاق . وفي مقدمتهم برنابا الذي أدخله في مجتمع التلاميذ ، فقبلوه بناء على ثقتهم في برنابا الرجل الصالح .

ففي رسالته إلى أهل غلاطية يقول : ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما .... حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم ».(٢) كما انفض عنه كثير من أتباعه وتلاميذه ، ولم يبق معه سوى " تيموثاوس " و " لوقا ". ففي رسالته الثانية إلى تيموثاوس يقول : أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني الذين منهم فِيجَلُّس وهَرْمُوجَانِس ».(٣) وأيضا : بادر أن تجيء إليّ سريعا لأن ديماس قد تركني .... لوقا وحده معي ».(٤) وأيضا : إسكندر النحاس أظهر شرورا كثيرة .... لأنه قاوم أقوالنا جدا. في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني ».(٥) وفي الحقيقة أن طيلة القرون الثلاثة الأولى للميلاد كانت هناك معركة بين اتجاهين . أي بين اليهودية المسيحية وبين المسيحية البولسية . ولم تنتصر المسيحية البولسية إلا بشكل شديد التدرج . وظهرت خلال تلك القرون فرق تناهض تعاليم بولس ، وترفضها كلية ولم تعترف برسوليته إطلاقا .

منها فرقة " الأبيونيين " و " الكيرنثيين " وأتباع " أرتيمون " وأتباع " بولس الشمشاطي " وأتباع " نوفاثوس " وفرقة " الألكسيين " و " الميليتيين " و " الآريوسيين " وسائر الفرق المسيحية التي تتمسك بالتوحيد الخالص، وتنكر بألوهية المسيح والتي يسميها المسيحيون بالهراطقة .(٦)

بهذا عرفنا أن شخصية بولس شخصية خطيرة . وهو مصدر الفتن والعداوة داخل المسيحيين أنفسهم ، وسبب الاختلافات والافتراق فيما بينهم . فكان مثل .

---

(١) ٢ كورنثوس ١١ : ٥

(٢) غلاطية ٢ : ١١ ـ ١٣

(٣) ٢ تيموثاوس ١ : ١٥

(٤) ٢ تيموثاوس ٤ : ٩ ـ ١١

(٥) ٢ تيموثاوس ١ : ١٥

(٦) راجع " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصري ، ص ١٥٥ و ٣٢٦ و ٣٥١ و ٣٧٩ .

« ابن سبأ » عندنا في الإسلام (١).

وقد صرح " أرنست دي يونس الألماني " : بأن بولس كان منافقا (٢).

فنستطيع أن نجزم إذن بأن بولس ليس مسيحيا على الإطلاق فضلا عن أن يكون رسولا للمسيحيين !!.

---

(١) اسمه " عبد الله بن وهب " الراسبي الهمداني المعروف بابن سبأ . كان يهوديا فأظهر الإسلام في السنة السابعة من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وأخذ ينتقل بين الأمصار من صنعاء إلى الحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم استقر في مصر. فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه، مضمونه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيعود إلى هذه الدنيا. وكان قد أوصى إلى علي بن أبي طالب " محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصيا " فهو الأحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له. وهو أول من قال بالغلو في علي، وأول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وأعلن التبرؤ منهم. وتنتسب إليه فرقة من فرق الشيعة تسمى " السبئية " ولهم آراء :
أولا - إن عليا وصيّ للرسول، فالإمامة له نصا. ثم أعلن ألوهية علي. وذهب أتباعه إلى علي في الكوفة، وقالوا له أنت أنت فلما سألهم جلية الأمر قالوا له أنت الله. فأوقد عليّ نارا لهم ودعا مولاه قُنبُرا واستتابهم فلم يتوبوا. فأمره بإلقائهم في النار. وكانوا يصيحون أنت الإله حقا. فإنه لا يعذب بالنار إلا الله.
ثانيا - معراج عليّ الروحي أي الصعود إلى السماء. لما قتل علي زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا، وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي. وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد عيسى ابن مريم. وكما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى، كذلك كذبت الخوارج في دعواها قتل عليّ. وقالوا لمن أخبرهم بوفاته لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة فأقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك. ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض.
ثالثا - إن عليا إله العالمين وإنه توارى عن خلقه سخطا منه عليهم وسيظهر. ويرون أن عليا في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه. وإذا سمعوا صوت الرعد أو رأوا السحاب يقولون السلام عليك يا أمير المؤمنين.
وهذا أول بذور لأفكار التوقف والمهدية والغيبة والرجعة والقول بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي. وهناك من يرى - من المتأخرين - أن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لا وجود له إطلاقا. وإنما هو تغليف لاسم عمار بن ياسر.
(راجع الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج ٥، ص ٣٥ - ٣٧، و : " الملل والنحل " للشهرستاني، ج ١، ص ١٧٤، و : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام " د. علي سامي النشار، ج ٢، ص ٣٦ - ٤١).

(٢) " المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية " د. محمد الصادقي الطهراني، ج١ ص ٦٨.

أما الحواريون الاثنا عشر فهم رسل رسول الله وليسوا رسل الله . وهم لم يدعوا لأنفسهم بالرسالة المطلقة ولا بالوحي من الله .

ثم إن النصارى يقولون : إن هؤلاء رسل الله وليسوا بأنبياء . وهذا القول متناقض بنفسه . فإن كل من ليس بنبي فليس برسول وليس بمعصوم . وذلك لأن الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة . فلا يتم الاصطفاء بالرسالة إلا لمن تم اصطفاؤه بالنبوة . قال الله تعالى : ((وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ)) (١)

وفي حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)) (٢) .

فالآيتان تشيران إلى أن النبوة تكون محققة أولا ثم يأتي بعدها الإرسال . وقد تمر على النبي فترة الاصطفاء بالوحي قبل أن يؤمر بالتبليغ . فيكون في هذه الفترة نبيا لا رسولا . فإذا أمره بالتبليغ صار نبيا رسولا (٣) .

يقول " شيخ الإسلام ابن تيمية " رحمه الله تعالى في كتابه الممتاز " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " : إن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين وإنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى عليهما السلام دعوى ممنوعة وهي باطلة . وإنما هم رسل المسيح عليه السلام بمنزلة رسل موسى وإبراهيم ورسل محمد صلى الله عليه وسلم ...... إن كانت له خوارق عادات كأولياء الله من المسلمين وغيرهم . فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ . والخوارق التي تجرى على أيدى غير الأنبياء لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء فضلا عن كونهم معصومين " (٤) .

ويقول أيضا في كتابه العظيم " النبوات " : ومن هنا ضل كثير من النصارى وغيرهم . فإن الحواريين وغيرهم كانت لهم كرامات كما تكون الكرامات لصالحي هذه الأمة . فظنوا أن ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء . فصاروا

---

(١) الزخرف ٦ (٢) الأحزاب ٤٥ - ٤٦

(٣) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها " الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٩٦ - ٣٠٠ .

(٤) " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " ج ١ ، ص ٢٠٢ .

يوجبون موافقتهم فى كل ما يقولون . وهذا غلط . فإن النبي وجب قبول كل ما يقول لكونه نبيا ادعى النبوة ودلت المعجزة على صدقه،والنبي معصوم . وهنا المعجزة مادلت على النبوة بل على متابعة النبي وصحة دين النبي،فلا يلزم أن يكون هذا التابع معصوما "(١) . لذلك فإن ما ذكره سفر أعمال الرسل من العجائب والخوارق التى أتى بها بطرس حيث إنه شفى أعرج من عرجه(٢)، ومات من كذب عليه بعد أن كشف كذبه هو وامرأته(٣)، على فرض صحته لا يدل أصلا على أنه رسول معصوم موحي إليه من الله . وكذلك بالنسبة لغيره من سائر الحواريين وبولس !

ثم إن دعوى إلهام الرسل فى كل ما كتبوا لم تكن محل إجماع العلماء المسيحيين قديمهم وحديثهم . فيقول :"دائرة المعارف البريطانية" قد وقع النزاع فى أن كل مندرج فى الأسفار المقدسة هل هو إلهامي أم لا ؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها . فقال " جيروم " و " كريتس " و " أرازمس " و " بركوبيس " وكثيرون آخرون من العلماء : إنه ليس كل قول منها إلهاميا . وإن الذين قالوا إن كل قول مندرج فيها إلهامي ، لايقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة "(٤) .

وفى " دائرة معارف ريس الإنسانية " أن الحواريين ماكان يرى بعضهم بعضا آخر صاحب وحي . كما يظهر هذا فى مباحثتهم فى محفل أورشليم ، ومن إلزام بولس لبطرس . وأن قدماء المسيحيين ما كانوا يعتقدون أنهم مصونون عن الخطأ ...... ونحن لا نجد الحواريين يشرعون القوانين بحيث يظهر من تشريعهم أنهم يتكلمون من جانب الله(٥) . ويقول " هورن " : إذا قيل إن الكتب المقدسة أوحي بها من عند الله لايراد أن كل الألفاظ والعبارات من إلهام .

---

(١) انظر: " النبوات " لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٥ ، دار الفكر بدون سنة .
(٢) اقرأ أعمال الرسل ٣ : ١ - ١٠
(٣) أعمال الرسل ٥ : ١ - ٥
(٤) انظر : إظهار الحق " للشيخ رحمت الله الهندى ، ج ١ ، ص ١٧٦ .
(٥) الكتاب السابق ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، قارن : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، للإمام القرطبى ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ . تحقيق ، د ، أحمد حجازى السقا "دار التراث العربى ، القاهرة ١٩٨٠م .

الله. بل يعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بيانهم أنهم قد جوزلهم أن يكتبوا على حسب طباعهم وعاداتهم وفهومهم. واستعمل علم الإلهام على طريقة استعمال العلوم الرسمية. ولايتخيل أنهم كانوا يلهمون فى كل أمر يبينونه وفى كل حكم كانوا يحكمون به"(١).

ويقول "لوثر" فى حق رسالة يعقوب: إنها كلام لاعتداد بها. ثم يقول: إن الحوارى ليس له أن يعين حكما شرعيا من جانب نفسه. لأن هذا المنصب كان لعيسى فقط. فرسالة يعقوب وكذا أحكام الحواريين عنده ليست إلهامية"(٢).

ونقل "واردالكاتلك" أقوال العلماء المعتبرين من فرقة البروتستانت:

١ ـ قال "زونكليش" إن رسائل بولس ليس كل كلام مندرج فيها مقدسا. وقد غلط فى أمور كثيرة.

٢ ـ نسب "مسترفلك" إلى بطرس الحوارى الغلط وجهله بالإنجيل.

٣ ـ قال الدكتور "كود" فى كتاب المباحثة التى وقعت بينه وبين "فادركيم" إن بطرس غلط فى الإيمان بعد نزول روح القدس.

٤ ـ قال "برنشس" الذى لقبه "جويل" بالفاضل والمرشد: إن بطرس وبرنابا غلطا بعد نزول روح القدس وكذا كنيسة أورشيلم.

٥ ـ قال "جان كالوين" إن بطرس زاد بدعة فى الكنيسة، وألقى الحرية المسيحية فى الخوف ورمى التوفيق المسيحى بعيدا.

٦ ـ نسب "ميكدى برجنس" إلى الحواريين سيما بولس الغلط.

٧ ـ قال "وانى تيكران": إن الكنيسة كلها غلطت بعد عروج المسيح ونزول روح القدس لا العوام فقط بل الخواص أيضا. بل الحواريون أيضا فى دعوة غير الإسرائيليين إلى الملة المسيحية. وغلط بطرس فى الرسوم أيضا. وهذه الأغلاط العظيمة صدرت من الحواريين بعد نزول روح القدس.

٨ ـ ذكر "زنكيس" أن بعض متبعى "كالوين" يقولون: لوجاء بولس فى جينوا ووعظ فى مقابلة "كالوين" نترك "بولس" ونسمع قول "كالوين".

---

(١) انظر: "محاضرات فى النصرانية" الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٨٩.
(٢) "إظهار الحق" ج١، ص ١٨٠.

٩ ـ قال " لولتهروس " إن بعض العلماء الكبار من متبعى " لوثر " يقولون : يمكننا أن نشك فى مسائل " بولس " لكننا لانشك فى مسائل " لوثر " (١) .

فهولاء العلماء من عظماء الفرقة البروتستانت قرروا عدم كل كلام من العهد الجديد إلهاميا واعترفوا بخلط الحواريين . ولقد قطع العلماء الباحثون بأن بعض هذه الكتب ليس من الإلهام فى شيئ . فإنجيل متى على قول القدماء من المسيحيين وقول جمهور المتأخرين كتب باللسان العبرانى . وقالوا إن أصله فقد وترجمته ليست بإلهام . ويقول " إستادلن " وغيره إن إنجيل يوحنا ليس بإلهام (٢) . وجميع رسائل يوحنا ليست بإلهام على رأى فرقة " ألوجين " . وكذلك الرسالة الثانية لبطرس ورسالة يهوذا ورسالة يعقوب والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورؤياه النبوى . كل ذلك عند الأكثرين ليس بإلهام . كما سلفتُ من القول فيها .

ومهما يكن اختلافهم بالنسبة لكونها ملهمة كلها أو بعضها ، فادعاء الإلهام على فرض اتفاقهم عليه ليس له دليل يثبته . ونحن نطالبهم بالدليل . بل إن البينات قائمة ضده . لأنها لو كانت الأسفار كتبت بإلهام من الله لكانت صادقة فى كل ما أخبرت به ، وما وجد الباطل منفذا ينفذ إليها . ولكانت متفقة غير مختلفة ، ولم تكن متضاربة بأى نوع من أنواع التضارب . وذلك لوحدة من صدرت عنه . ولكن وجدنا بينها اختلافات كثيرة كما قد عرفناه من قبل .

وبعد ، فنحن المسلمين نعتقد بأن الحواريين هم أولياء الله الصالحون . وهم رسل رسول الله عيسى المسيح عليه السلام . ولا نعتقد فى حقهم النبوة ولا الرسالة . وأقوالهم كأقوال المجتهدين الصالحين محتملة للخطأ . ونعتقد بفقدان السند المتصل ، فلا يصح الاعتماد عليها . أما رسائل بولس على تقدير صحة النسبة إليه فليست مقبولة عندنا . لأنه لم يكن مسيحيا إطلاقا ، بل كان منافقا كاذبا . وكان عدوا للمسيحيين يريد أن يحرف دين المسيح ويفسده من الداخل ـ كابن سبأ عندنا فى الإسلام ـ وقد نجح فعلا فى تحقيق ما أراد .

---

(١) " إظهار الحق " جـ١ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، وانظر : المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية ، جـ ١ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) الشيخ أبو زهرة " محاضرات فى النصرانية " ، ص ٩٧ .

والله تعالى قد وعد بولس وأمثاله بالعذاب الشديد ، حيث قال :

((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ، أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)) (١) .

* بولس Saint Paul *

مولده :

نجد الكتّاب المسيحيين متفقين على أن " بولس " ولد بمدينة " طرسوس " ، عاصمة ولاية " كيليكية " الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى ، من أبوين يهوديين ، من سبط " بنيامين " ينتميان إلى فرقة " الفريسيين ". وكانت ولادته عقب ميلاد المسيح بسنوات قليلة . فقد ولد فيما بين سنة (٤ — ٦م) (٢) أى إنه من معاصريه . دعى بولس أولا باسم " شاول " وهو اسم عبرى ، على اسم أول ملوك إسرائيل ، الذى كان أيضا من سبط بنيامين . ومعنى شاول فى العبرية " المطلوب " أو " المرغوب فيه " . واستمر يدعى بهذا الاسم حتى بعد أن اعتنق المسيحية بزمن ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم " بولس " واشتهر به . وهو اسم رومانى ومعناه " الصغير " (٣) .

ويوضح لنا الأستاذ " شارل جينيبير " فى كتابه الممتاز " المسيحية نشأتها وتطورها " أن بولس ولد لعائلة يهودية ، أقامت بمدينة طرسوس ، ووجدت لها بها رزقا . وكانت طرسوس مدينة نشطة . كما كانت حلقة اتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام ، ومفرق الطرق التجارية الهامة التى تجلب إليها فى آن واحد من اليونان وإيطاليا والشام وقبرص ومصر ، سيلا لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات .

---

(١) الأنعام ٩٣

(٢) انظر : حياة بولس " ف ب ماير ، ص ١٦ ، و : قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٩٦ ، و : " الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل " الأنبا يؤانس ، ص ٣٢٧

(٣) " قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٩٦

المختلفة . وحاول ملوك الشام وخاصة أنطاكيوس سنة (١٧١ ق م) أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية . غير أنها بقيت أساسا مدينة شرقية . وذلك على الأقل في مجال المعتقدات السائدة . وإن انتشرت فيها المدارس اليونانية، وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه اليوم بالجامعة (١) . وشهد الجغرافي " سترابو Strabo " الذي كان معاصرا لبولس - لتلك الجامعة بأنها كانت سببا لشهرة المدينة في العالم اليوناني والروماني . وكانت تنافس مدارس أثينا والإسكندرية، وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية . وكان أساتذة هذه الدراسات ينتمون إلى المذهب " الرواقي STOICISM " (٢) وراحوا ينشرون مبادئه الأساسية على نطاق واسع، في شبه حملة تبشيرية ، ذات طابع شعبي يتفق مع طرق تفكير الجماهير . ولم يكن بولس من رواد جامعة طرسوس ولا من دارسي الفلسفة الرواقية . فقد كفاه أنه عاش سني شبابه في الوسط الذي تشبع بالتراث اليوناني على أيدي أساتذة الفلسفة هؤلاء . ولما بسطت روما سلطاتها أصبح اليهود من رعايا الإمبراطورية الرومانية . ووقعت مدينة طرسوس في حوزة روما ، فمنحت لبعض سكانها حقوق المواطنة الرومانية (٣)، وكان والد بولس ممن نالوا هذه المواطنة .

فكان بولس إذن يهودي الديانة، يوناني الثقافة، وله حقوق المواطن الروماني . وهذه العناصر الثلاثة أثرت في التكوين الفكري والثقافي لبولس، وسهلت له التحرك في اتجاه الإمبراطورية الرومانية .

نشأته :

وعن نشأته يقول " ف.ب.ماير " إن بولس بدأ في الخامسة من عمره يقرأ الكتاب المقدس (العهد القديم)، وفي السادسة أرسل إلى مدرسة أقرب معلم ، وفي العاشرة تعلم الناموس الشفوي، وفي الثالثة عشرة صار ابنا للناموس بموجب طقس معين (٤) " .

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها " ص ٨٨ .

(٢) الرواقية مذهب زينون Zenon " الإيلي وكليانت Cleanthe " وكريزيب Chrysippe " وسنكا وأبكتيتس وماركوس أورليوس وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان . وقد سموا بالرواقية لأن زينون صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق (انظر : المعجم الفلسفي ، د . جميل صليبا ، ج ١ ،ص ٦٢٢ ،دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٢ م) .

(٣) " الكنيسة المسيحية في عصر الرسل " الأنبا يؤانس ، ص ٣٢٨ .

(٤) حياة بولس ، ص ٢٢

يقول بولس عن نفسه " من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فريسي من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم "(١). وبين سن الثالثة عشرة والسادسة عشر أرسل إلى أورشليم لاستئناف دراسته لوظيفة (ربي)(٢)، التي كان يتمناها أبوه له. وأقام في أورشليم مع أخته وزوجها المقيم فيها. وهناك كما يقول بولس نفسه " رُبِّيتُ في هذه المدينة (أورشليم) مؤدَّبًا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي "(٣) وكان المشهور عن " غمالائيل " أنه حفيد " هليل ". وقد خلفه في رئاسة السنهدرين، وواصل السنة القديمة، سنة تفسير الناموس، راعى فيه ضعيف النفس البشرية. ولقبه اليهود بمالم يلقب به إلا ستة رجال من بعده وهو " الربان " أي سيدنا(٤).

معنى ذلك أن بولس نشأ بالقدس بجوار المعلم اليهودي الكبير " غمالائيل " أي بمدرسة من ألمع المدارس اليهودية في ذلك العصر، وهذا ما يشك فيه العلماء النقاد(٥). وقد أنكر ذلك " ك ج مونتيفوري " في كتابه " اليهودية والقديس بولس " إذ يقول: لا نفهم أن تلميذا من تلاميذ كهنة فلسطين تصل به الحال إلى تجاهل وإنكار أساتذته كما فعل بولس في طور من أطوار حياته. فمن المؤكد في رأينا أنه تلقى فعلا العلوم الخاصة بأصول اليهودية واستوفاها، وتدرج في الدراسات الدينية إلى أبعد حدودها، ولكن في غير القدس من المدن "(٦).

والدلائل تشير إلى أن بولس قد أكمل دراساته بمدينة " أنطاكية "، حيث كان من العلماء اليهود من يقيم فيها. إذ لا يكاد يشير في كتاباته إلى نص لها غير ذلك النص الإسكندري الذي أشرب به فكره(٧).

---

(١) فيلبي ٣ : ٥ — ٦

(٢) لقب يحمل أسمى عبارات التقدير والاحترام للمعلم الديني (قاموس الكتاب المقدس، ص٣٩٨)

(٣) أعمال الرسل ٢٢ : ٣

(٤) قصة الحضارة ،، ول ديورانت، ص ٧٠٦ ج ٣ من المجلد الثالث.

(٥) انظر: معالم تاريخ الإنسانية،، هج ولز ج ٣، ص ٧٠٦ .

(٦) المسيحية نشأتها وتطورها ،، شارل جينيبير، ص ٨٩، وانظر : Bible " الأستاذ طارق شهاب ، ص٥٦ باللغة الإندونيسية .

(٧) كان يهود المهجر يعتبرون أن النص السبعين منزل تماما كالنص العبري، وتلك نظرية فرضها عليهم حرصهم الديني. وتعتمد على ما يروى من التشابه التام بين اثنين وسبعين ترجمة للنص، قام بها اثنان وسبعون مترجما. ومن الواضح أن مثل هذا التوافق لم يكن ليتم إلا بفيض من الله، كما يزعمون.

وتلك الملاحظة على الأخص تدعونا إلى الجزم بأنه لم يدرس النصوص المقدسة في مدينة القدس . ولكن في إحدى المدارس اليهودية بالمهجر القريبة من " طرسوس"، وهي مدرسة " أنطاكية "، التي كانت المركز الفكرى الأكبر لآسيا اليونانية ، وميدان التلاقى أو التجمع للمذاهب والمعتقدات المتشابهة أو المختلفة . ولم يكن غير اليهود في هذه العصر يهتم بدعوة المسيح، ولم يكن غير اليونانى يستطيع أن يمد في أبعادها حتى يبلغ بها حدود العالمية وأن يبث فيها بذور الخصوبة (١) .

فخلاصة القول أن بولس ولد بأرض يونانية يتحدث بلغة اليونان ، ويكتبها منذ نشأته الأولى . وكان ينتمى إلى عائلة ذات شأن ، ويحمل لقب مواطن رومانى وراثة عن أبيه . فكان بكل ذلك مُعَدًّا إعدادا تاما لإدراك وتفهم التطلعات الدينية لدى يهود المهجر الذين يؤمنون بعيسى كما آمن به هو ، ولدى المتتلمذين عليهم من الطوائف المختلفة .

* الحياة الثقافية *

إذا كانت طرسوس في عصر الميلاد مدينة رومانية ، فقد كانت من قبل مدينة يونانية . لذلك شاعت فيها وفيما جاورها اللغة اليونانية ، ووجدت بها الفلسفة اليونانية ، خاصة الرواقية . وعن الرواقية يقول الأستاذ العقاد : إذا أردنا تلخيص المذهب الرواقى في كلمتين اثنتين فهاتان الكلمتان هما " الصبر والعفة " الصبر عن الشدائد والعفة عن الشهوات . ولاسعادة للإنسان من غير نفسه وضميره . فمن راض نفسه على مغالبة الألم والحزن وقمع الشهوة والهوى فقد بلغ غاية السعادة المقدورة لأبناء الفناء . وهم يؤمنون بالقدر ويعتقدون بأن الكون كله نظام متناسق يجرى على حسب المشيئة الإلهية (٢) . فالرواقى يرى أن السعادة في الفضيلة ، وأن الحكيم لايبالى بما تنفعل به نفسه من لذة وألم . حتى إن عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والإنكار . وكل من كان رواقيا كان مطمئن النفس رابط الجأش ، صابرا لايفرح

---

(١) " المسيحية نشأتها وتطورها " شارل جينيبير ، ص ١٠٧ — ١٠٨

(٢) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٦٠٧ .

بشيئ ولايحزن على فقد شيئ ولايبالى بما يصيبه من بؤس وشقاء[(١)] .

ويتفق مؤرخو الفلسفة على قوة الأثر الذى أعقبته المذاهب الرواقية فى العالم الرومانى إلى أقصى أطرافه . وتظهر قوة هذا الأثر وسعة مداه من اتساعه لتبشير الملوك والأرقاء بعد ظهور إمامه الأول زينون الإيلى (٣٤٠ — ٢٧٠ق م) بنحو أربعة قرون . فكان من أئمته العبد الرقيق " أبكتيتس " (٦٠ — ١٠٠ م) ، والإمبراطور الكبير " ماركوس أورليوس " (١٢١ — ١٨٠ م) . وفاخر بالانتماء إلى هذا المذهب قادة ورؤساء من الذين زاروا الشرق وأقاموا فيه[(٢)] . هذا وقد تأثر بولس بالأفكار الرواقية . وكان لها أثر بارز فى جانبي العقيدة والأخلاق التى بشر بها فيما بعد . وذلك ظاهر فى رسائله . !

* الحياة الدينية *

إذا كانت الفلسفة اليونانية وخاصة الرواقية قد انتشرت فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، ومنها " طرسوس " ، فإن ديانات وعقائد الشرق القديم قد انتشرت أيضا فى تلك الأنحاء . فإن سريان العقائد من الشرق إلى الغرب فى تلك المرحلة كان هو السنة الطبيعية . ولم تزل سمعة الشرق عند الغرب منذ القدم أنه مهبط الأسرار العلوية ، وأنه يعلم من خبر السماء مالا تعلمه الأمم الغربية .

يقول الأستاذ العقاد : بلغت الدولة الرومانية على عهد الميلاد غاية مداها ، ودخلت فى حوزتها أمم العالم المعمور كله ماعدا الشرق الأقصى . وأصبح من رعاياها أناس مختلفون فى الجنس واللغة والعقيدة . فشوهدت فى روما والإسكندرية ونابلس وبيت المقدس كل عبادة يدين بها البشر من تخوم الهند إلى الشواطئ الأطلسية . وكثر الحديث بين الناس عن الأرباب والأديان والمذاهب والعقائد "[(٣)] . وعن العقائد والديانات التى انتشرت فى مدينة طرسوس خاصة ، ذكر " شارل جينيبير " ذكرا ممتازا . ومن المفيد أن أنقله هنا . يقول شارل جينيبير " : إن النظرة الأولى إلى الحياة الدينية فى الشرق الأسيوى من بحر إيجه إلى ما بين النهرين ، تبين أن عددا من

---

(١) انظر : المعجم الفلسفى ، د . جميل صليبا ، ج ١ ، ص ٦٢٢ — ٦٢٣
(٢) موسوعة العقاد الإسلامية ، ج ١ ، ص ٦١٠
(٣) نفس الكتاب ، ج ١ ، ص ٥٩٧ .

الألهة كان يحتل مكان الصدارة فيها ، خلال العهد الأول لقيام المسيحية . وكانت بين هذه الألهة أوجه شبه لاتحصى ، إلى درجة أنها امتزجت وتوحدت فى بعض الأحيان . وكان أهمها " أتيس " فى بلاد الفريجيين، و " أدونيس " فى الشام، و " ملكارت " فى فينيقيا، و " تموز " و " مردوك " فى ربوع ما بين النهرين ، و " أوزيريس " فى مصر، ثم الإله الفارسى " ميثرا "، الذى بدأت شهرته فى تلك العصور بين رحاب الإمبراطورية الرومانية . والظاهر أن ميثرا كان إلها شمسيا، لذلك احتفل بمولده فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ...... (١) ثم إن الخاصة التى تثير الانتباه أكبر من كل الخصائص الأخرى لألهة المنطقة عند دراسة تاريخهم الأسطورى ، لهي تلك التى بمقتضاها يموتون فى موسم معين من السنة، ثم يُبْعَثُون بعد ذلك فى موسم آخر، فيشعلون فى نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسى العميق، ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح التى تكاد تصل إلى حد الجنون . ونلاحظ إلى جانب هذا أن هؤلاء الألهة ليسوا فى حد ذاتهم بالألهة العظماء البالغين فى العظمة، بل أنهم يشبهون البشر من قريب فى الكثير من أحوالهم . ولم يرتفعوا شيئا فشيئا إلى مرتبة أعلى من مرتبتهم البشرية الأولى ، ولم يصلوا إلى مصاف الألهة المهيمنة على الأرض، إلا بفضل الأهمية الكبيرة التى أعطيت بالتدريج لوظائفهم بالنسبة إلى الإنس ...... (٢) وتطورت أسطورة موت وبعث الإله بتطور الشعور الدينى . وفيما يلى الخطوات المختلفة التى يسيرها الإله فى مخيلة الناس للقيام بهذا الدور. يتعذب الإله تماما كما يتعذب الإنسان ، ثم يموت كما يموت الإنسان ، ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت ، إذ يبعث من جديد . وأتباعه يمثلون رمزا ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على هذه الأرض. وهم مع هذا يؤمنون بأنه يتمتع بحياة السعادة فى ديار الخلد الإلهية منذ ذلك اليوم الذى بعث فيه حقيقة فى الماضى السحيق . فمشكلة النجاة إذن بالنسبة إلى بنى البشر بعد أن شاركهم الإله فى ظروفهم الإنسانية بعذابه ثم بموته ، تتلخص فى الوصول إلى أعمق أعماق المشاركة المصيرية . حتى تنتهى بهم أيضا إلى البعث والحياة الأخرى فى

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ، ص ٩١ بشيئ من التصرف .
(٢) الكتاب السابق ، ص ٩٢ .

ديار السعادة اللانهائية . والسبيل إلى ذلك وجدوه فى نوع من الطقوس المسرحية التى تنحو نحوا باطنيا . فيفرض فى المؤمن أنه يشارك فى الذات الإلهية بواسطة سلسلة من المراسم الدينية توصف بالفعالية . وبهذه الوحدة مع الإله التى تغير كيانه الخاص يضمن الإنسان أن يصير إلى مصير الإله نفسه . أى إن الخلود ينتظره بعد محن الحياة الدنيا وبعد الموت . وكان مصير المنقذ الإله مثالا وضمانا لحياة المؤمن».(١) ثم يقول " شارل جينيبير ": ونحن لا نعلم على وجه التحديد كيف كانت الوحدة تتم بين المؤمن والمنقذ فى عبادات مختلف الآلهة المنقذين ، ولكننا على يقين من أن هذه الوحدة كانت هي الهدف فى سائر تلك العبادات من وراء بعض الطقوس، التى نخص منها بالذكر طقسين يثيران الانتباه عند أول وهلة، هما : " التعميد بالدم ومأدبة القربان(٢) ....

وإن الكثير من ديانات هؤلاء الآلهة المنقذين الشفعاء — أمثال " ميثرا " و" بعل السورى " و " سيبيل " وغيرهم — كان يجدد الاتحاد المنجى المترتب على الشعائر والطقوس المذكورة . أو يدعمه ويقويه بواسطة مآدب خاصة يتناول المؤمنون الطعام فيها جماعة على موائد الإله . ولا شك فى أن هذه المآدب الدينية لم تكن فى كثير من الأحيان إلا تعبيرا عن التآخى بين المؤمنين ورمزا بحتا لذلك . غير أن أحد الباحثين فى مثل تلك الأمور وهو " كومون " يقول " كان الناس فى بعض الحالات يترقبون نتائج أخرى للمأدبة التى يشتركون فيها . كانوا يطعمون لحم دابة يعتبرونها إلهية، ثم يظنون أنهم بذلك توحدوا مع الإله، وشاركوه فى جوهره وصفاته "(٣) .

ويقول " جوستين " (أحد المدافعين عن المسيحية فى القرن الثانى) إن أسرار ميثرا احتوت على نوع من الشعائر يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن، مع النطق ببعض العبارات المعروفة أنذاك»(٤) . ثم إن الأمر لا يتعلق بطقوس وشعائر معينة فحسب، إنه يذهب إلى مدى أبعد من ذلك . يذهب إلى نوع من التصوير للمصير الإنسانى ولخلاص البشر، ثم

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٩٥ — ٩٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ — ٩٧
(٣) المرجع السابق ،ص ٩٨ — ٩٩
(٤) المرجع السابق، ص ٩٩

يرمز إلى الإيمان والاطمئنان المرتبطين بالسيد الإلٰهى الذى يشفع للإنسان عند الإلٰه الأعظم، بعد أن ارتضى هذا السيد الإلٰهى لنفسه أن يعيش وأن يتعذب كالإنسان، حتى يصبح بنو البشر قريبين إليه لدرجة تسمح لهم بالاتحاد معه. فيكون فى ذلك طريق نجاتهم حيث يرتبط مصيرهم ومستقبلهم بمصيره ومستقبل انتصاره » (١).

وإنى لمضطر إلى هذا النقل الطويل مما كتبه " شارل جينيبير " لأهميته، وهو بحث عميق دقيق، ولمكانة كاتبه، وهو رجل مسيحي كاتوليكى صميم من أب مسيحي وأم مسيحية، ونشأ فى بيئة مسيحية صميمة. وكان رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس. هذا، وإن تلك النزعة التأليفية التى تخلط أو تمزج بين الألٰهة ذوى الصفات أو الوظائف المتشابهة، قد ظهرت فى مدينة طرسوس بوضوح ومنذ زمن بعيد !!.

فمن الثابت تاريخيا إذن أن بولس قد تدرج فى نشأته الأولى بين أحضان بيئة مشبعة تماما بفكرة النجاة القائمة على شفاعة أو وساطة إلٰه، يموت ثم يبعث ويشاركه أتباعه فى مصيره، إذ يتحدون به لا بالإيمان المطمئن القوى فحسب، ولكن أيضا بالطقوس الرمزية الفعالة.

وعلى أى حال لو لم ير بولس من مظاهر عبادة المنقذ الإلٰهى التى انتشرت فى مدينته وما جاورها، سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته، لكان ذلك وحده أمرا بالغ الأهمية ! بل تلك هي بالذات عقيدة بولس فى دور المسيح ورسالته. ولم تكن بالعقيدة الغريبة على الناس، بل هي لم تتميز كذلك بالعنصر الأخلاقى فيها، وإن كانت قد بالغت فى إظهار أهميته (٢).

فإذا درسنا رسائل " بولس " فسوف تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار المختلفة. مزيج من دعوى الحواريين الاثنى عشر الأساسية، ومن الأفكار اليهودية، ثم من المفاهيم المنتشرة فى الأوساط الوثنية اليونانية، ومن

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٠٠

(٢) انظر: Bible Sejarah Jadinya dan Perkembangannya " الكتاب المقدس تاريخ تدوينه وتطوره" الأستاذ طارق شهاب، ص٥٦.

الذكريات والأساطير الدينية الشرقية . لذا فقد قرر أساتذة مدرسة تاريخ الأديان ، بأن فكرة بولس ما هي إلا تطور للديانات الشعبية التي اعتنقها كثير من الناس . وكانت تسمى الديانات السرية ، وهي ديانات جاءت من الشرق إلى الغرب . والسمة الأساسية لهذه الديانات ، أنها تدور حول إله أو بطل إما أنه يموت ويقوم من الموت . مثل " أوزيرس " المصرى، أو ينتصر على الشر مثل " ميثرا " الفارسى ، وكان معتنقو هذه الديانات يطلبون الخلاص بالاتحاد مع هذا الإله ، في موته وحياته ، بواسطة طقوس وعوائد وأكلات خاصة . وقد تأثر بولس بها تأثرا كبيرا (١) .

كما صرح " هـ.أ.ل. فشر " المؤرخ الكبير : بأن التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن يعنى الدخول فى جو غريب كلية ، أو ممارسة ثورة فجائية . لقد كانت عملية التحول تتم بلطف ، وكانت طقوس العقيدة الجديدة استرجاعا للأسرار القديمة . فقد كانت عقيدة الوسيط مألوفة فى معتقدات الفرس وأتباع الأفلاطونية الحديثة . وكانت فكرة التثليث معتقدا دينيا شائعا ، تنبع أساسا مما تعارفوا من أن العدد ثلاثة كان هو العدد الكامل . وما كانت فكرة الدينونة بكل عواقبها المرعبة حكرا على العقيدة المسيحية ، فقد كان المؤمنون بميثرا وعلماء الرواقية تجمعهم فكرة واحدة ، وهي أن العالم على وشك أن يهلك فى السعير (٢) .

وقال المؤرخ الإنجليزى الكبير " هـ.ج.ولز " مؤكدا : إن بولس من الراجح جدا قد تأثر بالميثرائية . إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات الميثرائية . وإن ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعاليم ، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذى يقدم قربانا كفارة عن الخطيئة . فما بشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الإنسانية ، أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الإله . كان يسوع فى نظره حَمَل عيد الفصح ،

---

(١) راجع : الفكر اللاهوتى فى رسائل الرسول بولس " للقس فهيم عزيز ، ص ١٩

(٢) راجع : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ص ١٠٢ — ١٠٣ و ١٠٥

تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من كل عيب ودنس التي تتعقب في أسرار ديانات الشعوب البيضاء الداكنة ». أما " غوستاف لوبون " فكتب : أن بولس[1] كان مفطورا على فرط الخيال، وكانت نفسه مملوءة بذكريات الفلسفة اليونانية والأديان الشرقية. فأسس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيا .... ووجدت النصرانية عنصرا لها في الوثنية والأولنبيه والأورفيه والديانات الشرقية والمذاهب الفلسفية، فغدت ديانة حقا، غدت ديانة أكمل من غيرها، لما كان من اقتباسها أحسن ما في غيرها. ومعظم ما نبصره في النصرانية من الطقوس والشعائر والرموز والكفاح بين الخير والشر هو من ديانة ميثرا ...... وبلغت النصرانية في تطعيم شعائرها بمثل تلك الاقتباسات الكثيرة ما ظن آباء الكنيسة الجاهلون لتلك الإضافات، أن ديانة ميثرا هي تحريف شيطاني للنصرانية، مع أن العكس هو الصحيح »[2].

كما أكد ذلك " ول ديورانت " قائلا : إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها. ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ..... وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شيئ عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم "[3].

وبعد فأقول : هل نحن بحاجة إلى إيضاح أوجه الشبه الساطعة بين طقوس وشعائر الديانات القديمة المختلفة، وبين طقوس وشعائر الديانة المسيحية ؟ ! فمن أراد أن يتوسع في تلك الأشباه فليرجع إلى كتاب " العقائد الوثنية في الديانات النصرانية " للأستاذ محمد طاهر التنير[4].

وهكذا كانت البيئة التي نشأ فيها بولس وما كان يشبع فيها من فلسفات اليونان وعقائد البيئة وديانات الشرق، مما سيكون له أثر عميق في تكوين فكر بولس اللاهوتي والأخلاقي. فمدينة طرسوس لم تصبح مهدا لبولس (رسول المسيحية العظيم) بمحض المصادفة، وإنما كانت كذلك نتيجة لعوامل متعددة. !

---

(١) راجع " معالم تاريخ الإنسانية " ج ٣، ص ٧٠٦

(٢) انظر: حياة الحقائق " غوستاف لوبون "، ترجمة عادل زعيتر، ص ٦٢-٦٣ و ٦٥-٦٦

(٣) " قصة الحضارة " ول ديورانت، ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢٧٥ - ٢٧٦

(٤) طبع في بيروت سنة ١٣٣٠ هـ

* بولس فى اليهودية *

كان بولس شابا نشأ من أسرة يهودية فريسية من سبط بنيامين. وكان غيورا للناموس، وطبيعته نارية ملتهبة منذ البداية. فنفسه تميل إلى الوقوف فى صفوف القديسين الأولى . وكان تائقا للقوة التى تعينه على أن يعيش يوما واحدا فى قداسة كاملة. فكثيرا ماكان يحزن ويكتئب بسبب عواطفه وضعف إرادته (١) . ومما لاجدال فيه أنه كان عبقريا فى التفكير الدينى ، وألمعيا شديد الذكاء ، بارع الحيلة ، وتجمعت لديه ثقافة يونانية ، بالإضافة إلى ميزة أخرى هي تمتعه بالجنسية الرومانية . هذه العناصر كلها كونت شخصيته القوية ، وجعلته شابا فخورا بنفسه ، متعاليا ومتعصبا إلى درجة الاضطهاد لكل ما هو غير يهودى . فبدأ بمهاجمة المسيحية ومحاربة المسيحيين دفاعا عن اليهودية. وإن أول ذكر لبولس ورد فى العهد الجديد ، هو عند ذكر قتل "إستفانوس" أول شهداء المسيحية، رجمه اليهود بعد اتهامه بالتجديف على موسى والناموس.

وقد وصف نفسه بقوله : أنا رجل يهودى ولد فى طرسوس كيليكية ..... وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم (يريد أبناء جنسه اليهود)، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذتُ أيضا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق، ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيَّدين لكي يعاقَبوا (٢) ".

وصرخ فى المجمع : أيها الرجال الإخوة أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم (٣) ". وفى رسالته إلى أهل غلاطية يقول : إنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها . وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى. إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى (٤) ". ويقول أيضا : لأنى أنا أيضا إسرائيلى من نسل إبراهيم من سبط بنيامين (٥) " .

---

(١) انظر : حياة بولس " ف.ب.ماير ، ص ٢٠

(٢) أعمال الرسل ٢٢ : ٣ — ٥

(٣) أعمال الرسل ٢٣ : ٦

(٤) غلاطية ١ : ١٣ — ١٤

(٥) رومية ١١ : ١

وعندما رجم اليهود "إستفانوس" لأنه من دعاة المسيحية كان بولس راضيا بقتله. ففي سفر الأعمال: " فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم عليه ...... وأخرجوا خارج المدينة ورجموه، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له " شاول " فكانوا يرجمون إستفانوس.... وكان شاول راضيا بقتله "(١). وجاء أيضا في سفر الأعمال: وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل. وحمل رجال أتقياء إستفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة. وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجرّ رجالا ونساء ويسلّمهم إلى السجن "(٢). وفي الإصحاح التاسع: " أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا في الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم "(٣).

هذه حياة بولس قبل أن يصبح رسولا مسيحيا، كما يصوره قلمه وقلم تلميذه لوقا. فقد كان ملتهب الضغينة، شديد الوطأة على المسيحيين. فلم يأل جهدا في مطاردتهم والزج بهم في السجن رجالا ونساء، ويشعر باللذة والرضا عندما رجم اليهود رجلا مسيحيا مملوءا من الإيمان (إستفانوس). وهو في كل ما عمله لم يكن سوى واحد من اليهود الغيورين المتمسكين بتقلدات الآباء وسلوكهم. وفجأة تغير الرجل من أعدى أعداء المسيحية إلى رسول عظيم داعية لها، ولا يبالي في سبيلها كل ما يناله. وبنفس الحماسة والغيرة، بل فاق في ذلك أولئك الحواريين الذين سبقوه في الدعوة، والذين هم على علم بدعوة المسيح وسيرته أكثر منه. وكان هذا التحول المفاجئ سنة (٣٦م أو ٣٧م أو ٣٨م) وسيأتي بيانه بعد قليل.

---

(١) أعمال الرسل ٧ : ٥٤ — ٦٠
(٢) أعمال الرسل ٨ : ١ — ٣
(٣) أعمال الرسل ٩ : ١ — ٢ .

* اعتناقه المسيحية وادعاؤه الرسالة *

لقد أخذت قصة اعتناق بولس المسيحية أكبر قدر من القول في العهد الجديد بعد قصة صلب المسيح . وتعتبر الحادثة التي وقعت له في طريقه الذهاب إلى دمشق الأساس الوحيد الذي بنى عليه بولس إعلانه قبول المسيحية ، ثم اختياره رسولا من المسيح للتبشير بها . فيجب علينا أن نمحص تلك القصة تمحيصا كافيا حتى تتبين حقيقتها . لقد ذكر لوقا — في أعمال الرسل — تلك القصة ، في ثلاثة مواضع . الأول على لسانه في الإصحاح التاسع ، وأما الثاني والثالث أوردهما على لسان بولس في الإصحاحين الثاني والعشرين والسادس والعشرين . فيقول لوقا في الإصحاح التاسع : « وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ ، فقال من أنت يا سيد فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده . صعبٌ عليك أن تَرْفُسَ مَنَاخِس (١) . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب ، قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا . فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين ، ولا يبصر أحدا ، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب » (٢) .

نعلم من ذلك أن المسافرين مع بولس سمعوا الصوت ، لم ينظروا النور وقفوا صامتين ، لم يعموا مثله ، ولذلك اقتادوه إلى دمشق ، وهناك سيتلقى الرسالة ويعرف المهمة .

وفي الإصحاح الثاني والعشرين ذكر لوقا قول بولس : فحدث لي وأنا ذاهب

---

(١) ترفس : تضرب برجلك إلى الوراء ، ومناخس جمع منخس ، قضيب طويل في رأسه مسمار ، ينخس به الحيوان لتسرع في السير ، والمعنى أن لا فائدة من معاندة كلمة الرب ، وهو شبيه بالمثل الحالي ، العين التي تضرب المحرز تفقأ (المعين معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس تأليف موريس جدعون ، حنا حلو ، غسان خلف ، ص ٣٢ و ١١٨ ، دار النشر المعمدانية بيروت ١٩٧٧ م) .

(٢) أعمال الرسل ٩ : ٣ — ٩ .

ومتقرب إلى دمشق، أنه نحو النصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم، فسقطتُ على الأرض، وسمعت صوتا قائلا لى: شاول شاول لماذا تضطهدنى؟ فأجبت من أنت ياسيد؟ فقال لى: أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده. والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلّمنى. فقلت، ماذا أفعل يارب؟ فقال لى الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتّب لك أن تفعل. وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادنى بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق"(١).

تبين من هذا النص أن المسافرين مع بولس لم يسمعوا الصوت، نظروا النور وارتعبوا، ومع ذلك لم يعموا مثله، ولذا اقتادوه إلى دمشق وهناك سيتلقى الرسالة. أما فى الإصحاح السادس والعشرين فقد ذكر لوقا على لسان بولس قوله: "ولما كنت ذاهبا فى ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة، رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملِك نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى. فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتا يكلمنى ويقول باللغة العبرانية، شاول شاول لماذا تضطهدنى؟ صعب عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا من أنت ياسيد؟ فقال أنا يسوع الذى تضطهده، ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك، لأنتخبك خادما وشاهدا بما رأيت، وبما سأظهر لك به، منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيبا مع المقدّسين"(٢).

نفهم من هذا أن المسافرين معه سقطوا معه على الأرض، إذ فوجئوا بالنور. أما بولس فقد تلقى الرسالة فورا، لقوله: أنا الآن أرسلك إليهم مع وعد بإنقاذه من الشعب اليهودى والأمم الذين أرسل إليهم فلا يقضون عليه، كما سبق إنقاذ كثيرين من الأنبياء والرسل من أيدى أعدائهم.

---

(١) أعمال الرسل ٢٢ : ٦ — ١١

(٢) أعمال الرسل ٢٦ : ١٢ — ١٨.

* جدول الملاحظات من النصوص الثلاثة على رؤيا بولس واختياره رسولا للمسيح *

رقم الإصحاح	موقف المسافرين مع بولس	بولس
٩	سمعوا الصوت ، لم ينظروا النور وقفوا صامتين	أمره المسيح بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة بيد حنانيا
٢٢	لم يسمعوا الصوت ، نظروا النور	أمره المسيح بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة بيد حنانيا
٢٦	نظروا النور ، سقطوا على الأرض	أرسله المسيح فورا ، مع وعد بإنقاذه من اليهود والأمم .

فهنا تبين لنا واضحا عظم التناقض والاختلاف ، خاصة إذا عرفنا أن بولس مات مقتولا فى روما فى عهد " نيرون " أى على أيدى الأمميين ، فلم ينقذه المسيح منهم ، كما سنعرف فيما بعد .

ونحن نتسأل أترى الرسول يناقض نفسه فى حادثة تعد أخطر حادثة فى حياته ؟ ومن هؤلاء الذين كانوا معه وشاهدوا هذا الحادث العظيم ؟ أين شهوده ؟ ولم لم يشهد أحد من أولئك الناس به ؟ ولماذا لم يقدم دليلا على صحة ما ادعاه ؟ أبهذه السرعة المدهشة يترك بولس ديانة اليهودية التى ولد عليها وربى فيها ونشأ حتى صار من أعظم المتحمسين لها ، وفجأة ينقلب ويصبح أكبر نصير للمسيحية وأعظم من يحمل لواءها؟ كيف عرف شاول وهو فى تلك الحالة بعد إبصاره النور العظيم ، أن من يكلمه هو المسيح ؟ وكيف عرف أنه الرب ؟ وإذا عرف أنه المسيح لأنه كان يضطهده ، فكيف يعترف له بالربوبية ؟ وإذا كان عارفا أنه الرب ، فلماذا يقول له سائلا من أنت ؟ ثم يعترف بولس بربوبية المسيح .

الذى أنكره وكفر به واضطهده لكلمة سمعها من هاتف مجهول . أبهذه السهولة وبهذه السرعة يعترف بربوبية من كان كافرا به ؟ إن بولس كفر بمعجزات المسيح الكثيرة التى ترويها الأناجيل، ثم يأتى ليحمل الناس على الإيمان بدعواه التى ادعاه بالسهولة والسرعة اللتين دفعتا به إلى الإيمان ! وأخيرا إن المسيح كما ذكره النص ناداه باسم شاول، فكيف يرضى شاول أن يسمى بعد ذلك باسم بولس، ويترك الاسم الذى ناداه به المسيح ؟

وإنى لأعتقد أن كل من يقرأ هذه القصة بشيئ من العقل والمنطق لن يصدقها أبدا، بل عقله يجبره على تكذيبها ورفضها . لذلك فإن العلماء الباحثين يتفقون على أن بولس ماهو إلا رجل مصاب بالصرع !! .

يقول " ديسمان Deismann " فى كتابه " بولس " إن بولس كان فى يهوديته واحدا من أولئك الذين يريدون أن يتمموا كل الناموس، مع كثرة ما فيه من ثقل وأمور دقيقة وكبيرة . فحاول جاهدا متقدما عن كل إنسان ...... ولكن لم ينفع، وأحسّ بولس أنه عاجز عن إتمام ذلك . فحدث صراع عنيف فى داخله ..... ووصل هذا الصراع ذروته بهذا الاختيار العجيب الذى رأه فى طريقه إلى دمشق » (١) . أما " شارل جينيبير " فقد علق على هذه القصة بقوله : إنها أزمة نفسية، وإنها كانت نتيجة لصراع داخلى مبهم طويل . إذ كان بولس يحس بأنه ابتعد عن الله . وبأن روحه أصبحت فى حالة إثم وافتقار إلى الكمال - وتلك حالة غريبة على نفسية الربانى الحق، الذى يجد فى الإيمان بهجة ويقينا-وانتهت هذه الأزمة إلى رؤيا حاسمة،حيث أيقن بولس أنه أبصر المسيح أو تلقى منه كلمات، واختص منه بالتشريف الأعظم أن يكون من الحواريين . وذلك خلال رحلة له قاصدا دمشق (٢) ! » .

ومثل هذا الرأى رأى أيضا " سيجمون فرويد " (٣) العالم النفسانى إذ يقول :

---

(١) انظر : الفكر اللاهوتى فى رسائل الرسول بولس، د . القس فهيم عزيز، ص ٢٩ - ٣٠

(٢) شارل جينيبير " المسيحية نشأتها وتطورها " ، ص ١٢٥

(٣) Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) طبيب فيلسوف نمساوى مؤسس علم التحليل النفسانى درس أهمية الدوافع والعواطف اللاشعورية (المنجد فى الأعلام، ص ٢٥٦) .

" إن بولس قد التمس الإحساس بالذنب المتأصل في نفسه وفي الشعب اليهودي، فبنى عليه مذهبا انفصل به عن الديانة اليهودية. وقد نجح في تجاوز هذا الإحساس عندما فقد وعيه من شدة الحر ومشقة السفر، ورأى رؤياه في طريقه إلى دمشق ". (١) أما " ول ديورانت " فكتب تعليقه على هذه الحادثة بقوله: لعل ما قاساه من التعب في سفره الشاق الطويل في شمس الصحراء اللافحة، أو لعل ومضة برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة لعل شيئا من هذا أو ذاك كله، قد أثر في جسم ضعيف، ربما كان مصابا بالصرع، وفي عقل يعذبه الشك والإجرام، فدفع بالعملية التي كانت تجري في عقله الباطن إلى غايتها ". (٢)

وهكذا لقد دخل بولس في المسيحية، فأخذ يدعو الناس إلى الإيمان بأن المسيح هو ابن الله، بحماس لا نظير له، حتى بين الحواريين الذين عاشروا المسيح، وأخذوا عنه تعاليم دينهم. يقول لوقا: وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله ". (٣) ثم ذكر لوقا أن بولس جاء إلى أورشليم وحاول الاتصال بالتلاميذ (تلاميذ المسيح) فخافوه ولم يصدقوا. لكن " برنابا " الرجل الصالح الممتلئ بالروح القدس والإيمان رحب به، وشهد أمام التلاميذ بصدقه، فقبلوه ورحبوه بناء على شهادة " برنابا "

يقول " لوقا " ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل .... فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع ". (٤) لكن بولس لم يلبث أن انقلب على برنابا كما سنرى بعد قليل. وأحب أن ألاحظ هنا أن شهادة برنابا لبولس، فيها نظر! لأن برنابا - بالتأكيد - لم يكن معه في تلك الحادثة، حادثة رؤية بولس المسيح وتكليمه في طريق دمشق. فإن

---

(١) انظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحفني، ص ٧٦

(٢) قصة الحضارة " ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢٥٢.

(٣) أعمال الرسل ٩ : ٢٠

(٤) أعمال الرسل ٩ : ٢٦ - ٢٨.

تلك الرحلة هي رحلة التعذيب والاضطهاد للمسيحيين من قبل أعدى أعدائهم.
فكيف يشهد له ؟ وعلى أى أساس تقوم شهادته ؟ علما بأن انتقال بولس ليس
مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان، وإنما الانتقال من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة
فى الدين الذى كفر به وناوأه وعاداه ! فهذه مشكلة فريدة فى نوعها . ولم يكن
أصلا من تلاميذ المسيح، ولم يحظ برؤيته والحديث له - ولو مرة واحدة - فى
حياته، إذا به يعلن أنه رسوله ؟!

يقول الشيخ " محمد أبو زهرة " إن ذلك ليس له نظير، وليس له مشابه، ولم
يعهد ذلك فى أنبياء ورسل قط . وهذا العهد القديم الذى يؤمن به المسيحيون
لم يذكر لنا رسولا بعث من غير أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحي،
وصفاء نفس يجعله أهلا للإلهام، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته . وإذا لم
يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها "(١) . لذا
وجد فى العصور المسيحية الثلاثة الأولى - كما ذكرت أكثر من مرة - من أنكروا
رسالته وأبطلوها ووصفوه بأنه عدو منافق !

ثم ذكر لوقا فى أعمال الرسل قول بولس، مدعيا أنه رأى المسيح مرة
ثانية عندما كان يصلى فى الهيكل بأورشليم . يقول بولس :" وحدث لى بعد ما رجعت
إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل أنى حصلت فى غيبة فرأيته قائلا لى، اسرع واخرج
عاجلا من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى . فقلت يارب هم يعلمون أنى كنت
أحبس وأضرب فى كل مجمع الذين يؤمنون بك، وحين سفك دم إستفانوس شهيدك كنت
أنا واقفا وراضيا بقتله، وحافظا ثياب الذين قتلوه . فقال لى اذهب فإنى سأرسلك
إلى الأمم بعيدا "(٢) . بهذا اعتبر بولس نفسه رسولا إلى الناس كافة، رحمة للعالمين .
ثم أخذ يدعى بأن تعاليمه المسيحية إنما تلقاها من المسيح مباشرة . فكل ما لديه من تعاليم
فهو وحي يجب تصديقها، بل أن ما أوحي به إليه من ربه يسوع خاص به، لم
يقله لأحد من تلاميذه . فقد كان سرًّا مكتوما فى الأزل، فظهر الآن ليعلّم بولس .

---

(١) محاضرات فى النصرانية، ص ٨٧
(٢) أعمال الرسل ٢٢ : ١٧ - ٢١

بــه الناس أجـمعين . فبولس الذى لـم ير المسيح ولم يعاشره فى حياته ، يكون هو المختار والمصطفــى لديــه ، حــتى يجعلــه موضع ثقته ، ويجعلــه رسـوله إلى الأمـم كلها دون غـيره . فإذا كان للتلاميذ شـرف الرؤيــة والصحـبة والمعاشـرة فى حياته ، فقـد نـــال بولـس ذلك الشـرف بعد موتـه ، ممـا لم ينالــه أحـد سـواه . فهـو يقـول :

" وللقـادر أن يثبتكـم حسـب إنجـيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب إعـلان السـر الذى كان مـكتوما فى الأزمـنة الأزليـة ، ولكـن ظهر الآن وأعـلم بـه جـميع الأمـم بالكتـب النبويــة حـسب أمر الإلـه الأزلى لإطاعـة الإيمـان "(١) . ويقـول أيضا : " وأعـرفكم أيها الإخـوة الإنجـيل الذى بشـرت بـه أنـه ليس بحسب إنسـان ، لأنـى لم أقـبله من عـنـد إنسـان ولا عُـلِّمْتُـه ، بل بإعـلان يسـوع المسـيح ..... لمـا سـر الله الذى أفـرزنى مـن بطـن أمـى ودعـانى بنعمـته ، أن يعلـن ابنـه فيَّ لأبشـر به بين الأمـم للوقـت لـم أسـتشـر لحـما ودمـا "(٢) . ويقول أيضـا : حـسب إنجـيل مجـد الله المبارك الذى أؤتمـنت أنا عـليه ، وأنا أشكـر المسيـح يسـوع ربنا الذى قـوانى أنه حـسبنى أمينـا ، إذ جعلنى للخـدمـة "(٣) . كـما يقـول : لكـننى لهـذا رُحِمْتُ ليظهر يسـوع المسيـح فـيَّ أنـا أولا كـل أنـاة مـثالا للعـتيدين أن يؤمنوا بـه للحـياة الأبدية "(٤) وأيضا يقول : لا تخجل بشهادة ربنا ولا بى أنا أسيره بل اشترك فى احتمال المشقات لأجل الإنجيل الذى خلصنا ودعانا دعـوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصـد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح قبـل الأزمنة الأزلية . وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل الذى جعلت أنا له كارزا ورسولا ومعلما للأمم "(٥) ثم يقول : لكن الرب وقف معى لكـي تتـم بى الكرازة ويسـمع جـميع الأمـم "(٦) وأيضا : إنمـا أظهر كـلمته فى أوقاتها الخـاصة بالكـرازة التى أؤتمنـت أنـا عـليها بحـسب أمـر مـخلصنا "(٧) . وكان بولس دائمـا يؤكـد رسوليته عـند افـتتاح كل رسـالته : فـفـى رسالته إلى أهل روميـة يفتتـح بقولـه : بولـس عـبد ليسـوع المسيح المـدعو رسولا المفـرز لإنجـيل الله "(٨) وفى رسالته الأولـى

---

(١) رومية ١٦ : ٢٥ – ٢٦
(٢) غلاطية ١ : ١١ – ١٦
(٣) ١ تيموثاوس ١ : ١١ – ١٢
(٤) ١ تيموثاوس ١ : ١٦
(٥) ٢ تيموثاوس ١ : ٨ – ١١
(٦) ٢ تيموثاوس ٤ : ١٧
(٧) تيطس ١ : ٣
(٨) رومية ١ : ١

إلى أهل كورنثوس : " بولس المدعو رسولا ليسوع المسيح بمشيئة الله "[1] ، وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس : " بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله "[2]، وفى رسالته إلى أهل أفسس " بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله "[3] ، وفى رسالته إلى أهل كولوسى " بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله "[4] ، وفى رسالته الأولى إلى تيموثاوس : " بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله "[5] ، وفى رسالته الثانية إلى تيموثاوس : " بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله لأجل وعد الحياة "[6] ، وفى رسالته إلى تيطس : " بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح لأجل إيمان مختارى الله ومعرفة الحق "[7] .

ولم يكتف بولس بدعوى الرسالة فحسب، وإنما أكثر من ذلك ، إذ كان يدعى أن مرتبته لا تقل عن مرتبة الرسل الآخرين . فيقول : إنى أحسب أنى لم أنقص شيئا عن فائقى الرسل ، وإن كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم "[8] . ويقول : إنه كان ينبغى أن أُمدَح منكم إذ لم أنقص شيئا عن فائقي الرسل وإن كنت لست شيئا "[9] بل كان يدعى أنه يقف فى صف واحد مع الأنبياء العظام . لأن الله قد دعاه من بطن أمه ليكون رسولا للأمم ، فتكون رسالته حسب تدبير الله وقصده فى أن يحضر الأمم إليه[10] . إذ يقول : ولكن لما سرّ الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فيّ لأبشر به بين الأمم»[11]. فمثله كمثل " أرميا " عند ما يقول الله له – حسب رواية العهد القديم – : قبلما صوّرتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدّستك ، جعلتك نبيا للشعوب "[12] .

وكان بولس يلعن أى معلم يخالف إنجيله ولو كان ذلك المعلم ملكا ينزل من السماء . حيث يقول : إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ..... إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما (أى تحت اللعنة) كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا .

---

(١) ١ كورنثوس ١ : ١ — (٢) ٢ كورنثوس ١ : ١ — (٣) أفسس ١ : ١
(٤) كولوسى ١ : ١ — (٥) ١ تيموثاوس ١ : ١ — (٦) ٢ تيموثاوس ١ : ١
(٧) تيطس ١ : ١ — (٨) ٢ كورنثوس ١١ : ٥ – ٦ — (٩) ٢ كورنثوس ١٢ : ١١
(١٠) انظر الفكر اللاهوتى فى رسائل الرسول بولس، ص ٣٢ .
(١١) غلاطية ١ : ١٥ – ١٦ . — (١٢) أرميا ١ : ٥

إن كان أحد يبشركم بخير ما قبلتم فليكن أناثيما "(١). ويقول غاضبا " إن كان الآتى يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحا آخر لم تأخذوه أو إنجيلا آخر لم تقبلوه فحسنا كنتم تحتملون "(٢) . فهنا نستطيع أن نستنتج من كلامه أن فى ذلك الوقت يوجد إنجيل يخالف إنجيليه ، ومعلمون يخالفون تعاليمه . كما نفهم من كلامه أيضا أن المسيح الذى يبشر به بولس يختلف عن المسيح الذى يبشر به غيره !! فإن مسيح بولس هو ابن الله ، أما مسيح الآخرين فهو عبد الله ورسوله . ثم زعم أن عنده روح الله فهو يقول : أظن أنى أنا أيضا عندى روح الله "(٣). وفى تصوره أن أعماق الله خاضعة للفحص ، إذ يقول: الروح يفحص كل شيئ حتى أعماق الله "(٤). ولا أدرى ماذا أراد بكلمة " أعماق الله" ؟! وقد جعل بولس نفسه قديسا سوف يدين العالم والملائكة ، فيقول : ألستم تعلمون أن القديسين سيدين العالم .... ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة "(٥). ويقول أيضا : مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة فى السماويات فى المسيح ، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم ، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة "(٦) .

وقد أعطى لنفسه الحق فى كل شيئ ، فيقول : كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط علىّ شيئ ...... كل الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء تبنى "(٧). وبدأ بولس يخاصم تلاميذ المسيح وعلى رأسهم بطرس الذى قال له المسيح " طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحما ودما لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات ، وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما ربطته على الأرض يكون مربوطا فى السماوات ، وكل ما حللته على الأرض يكون محلولا فى السموات "(٨) والذى جعله المسيح مسئولا

---

(١) غلاطية ١ : ٦ — ٩
(٢) ٢ كورنثوس ١١ : ٤
(٣) ١ كورنثوس ٧ : ٤٠
(٤) ١ كورنثوس ٢ : ١٠
(٥) ١ كورنثوس ٦ : ٢ — ٣
(٦) أفسس ١ : ٣ — ٤
(٧) ١ كورنثوس ٦ : ١٢ ، و ١٠ : ٢٣
(٨) متّى ١٦ : ١٧ — ١٩ . إن قول المسيح " أعطيك مفاتيح ملكوت السموات " إنما هي رمز للسيادة المطلقة .

عن جماعة المؤمنين. كما جاء في إنجيل يوحنا : قال يسوع لسمعان بطرس ، ياسمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء ، قال له نعم أنت تعلم أني أحبك. قال له ارع خرافي ..... قال له أيضا ثانية .... ارع غنمي .... قال له ثالثة .... ارع غنمي " (١) .

فبطرس — كما سيأتي — هو خليفة المسيح ، وهو المسئول عن إخوته الذين يحملون رسالة المسيح. لكن بولس قد حاربه وناقضه ، بعد ما وجده عديم العلم عاميا — كما جاء في أعمال الرسل (٢) — ووثق من نفسه وقدرته على التغلب عليه. يقول بولس : لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما ... " (٣) ثم اصطدم بولس ببرنابا واتهمه بالرياء. مع أن برنابا هو الذي أدخله في مجتمع التلاميذ ، فقبلوه بينهم بناء على ثقتهم فيه ، وهو — كما ذكره أعمال الرسل — رجل صالح ممتلئ من الروح القدس والإيمان " (٤) . يقول بولس : حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم (اليهود) " (٥) حتى أدى ذلك الاصطدام إلى الانفصال بينهما. ففي أعمال الرسل : فحصل بينهما (بولس وبرنابا) مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ "مرقس" وسافر في البحر إلى قبرص ، وأما بولس فاختار " سيلا " وخرج مستودعا من الإخوة إلى نعمة الله " (٦) . وبرنابا هذا — إن لم يكن من الحواريين الاثنى عشر — كان من أحد السبعين الذين عينهم المسيح وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة ، والذين تخضع لهم الشياطين وكتبت أسماؤهم في السماء (٧) .

ففي تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري ، أن " كليمنت " يقول : لا يوجد أي بيان عن أسماء التلاميذ السبعين ، وإن برنابا كان فعلا واحدا منهم " (٨) فإذا كان برنابا واحدا من السبعين الذي حظوا بالتلمذة على المسيح مباشرة ، وبنشر الدعوة إلى المدن الإسرائيلية ، والذين خضعت لهم الشياطين وشهد لهم المسيح أن أسماءهم

---

(١) يوحنا ٢١ : ١٥ — ١٧. المراد بالخراف جماعة المؤمنين ، وبالغنم التلاميذ والحواريين.

(٢) اقرأ أعمال الرسل ٤ : ١٣

(٣) غلاطية ٢ : ١١

(٤) اقرأ أعمال الرسل ١١ : ٢٤

(٥) غلاطية ٢ : ١٣

(٦) أعمال الرسل ١٥ : ٣٩ — ٤٠

(٧) ففي إنجيل لوقا : عين الرب سبعين آخرين ، وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان مزمعا أن يأتي ... فرجع السبعون بفرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك. فقال لهم ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيئ ، ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السموات (١٠ : ١ — ٢٠) .

(٨) تاريخ الكنيسة ، ص ٥٢ .

كتبت في السماء ، فإن هذا يعني - بالتأكيد - أن الحق الذي حدثت بسببه المشاجرة بين برنابا وبولس كان - ولاشك - في جانب برنابا . !

ومن الجدير بالانتباه هنا أن لوقا قد اتبع هواه عند ما يقول : إن برنابا سافر في البحر إلى قبرص،وأما بولس خرج مستودعا من الإخوة إلى نعمة الله".

وكما ظهر بولس فجأة في قائمة المبشرين ،فإن كل من اصطدم به من التلاميذ قد اختفى فجأة من سفر أعمال الرسل ،الذي اعتبر سفرأعمال بولس . كما صرح " وليم باركلي " مفسر العهد الجديد ، بأن سفر أعمال ماهوإلا المذكرة التي أعدت للدفاع عن بولس "[1] !!!

ولم تكن حال بولس مع باقي التلاميذ خيرا من حاله مع بطرس وبرنابا . فكما ذكرت أكثر من مرة ، أن الدراسات الدقيقة التي قام بها الكاردينال " دانيلو " تقول إن جماعة المؤمنين المسيحية اليهودية ، اصطدموا ببولس وكانوا يعتبرونه كخائن ويصفونه بالعدو والمنافق[2] . فالذي يطالع رسائل بولس إلى أهل فيلبي وكولوسي وغلاطية ورسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس ، يجد من ذلك الشيء الكثير . وقد طال مدى هذا الاصطدام وامتد قرونها بعد موت بولس، فإن القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، هي قرون المعركة بين اتجاهين ، بين اليهودية المسيحية ، وبين المسيحية البولسية ،إلى أن جاء مطلع القرن الرابع ،فأصبحت المسيحية البولسية هي الغالبة[3] . بل إن أكثر أنصار بولس وأحباؤه قد انفضوا عنه وتركوه . فكتب لتيموثاوس في رسالته الثانية قائلا : إن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني ، الذين منهم فيجلس وهرموجانس "[4] ويقول أيضا : بادر أن تجيء إليّ سريعا لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر، وذهب إلى تسالونيكي وكريسكيس إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية، لوقا وحده معي"[5]. وأيضا : إسكندر النحاس أظهر لي شرورا كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله ، فاحتفظ منه أنت أيضا لأنه قاوم أقوالنا جدا . في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي ، بل الجميع تركوني "[6] . وفي الوقت الذي كان بولس يتهم بطرس وبرنابا وغيرهما بالرياء والنفاق، اختط بولس لنفسه قاعدة سار عليها في عمله

---

(١) راجع تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) وليم باركلي ، ترجمة جوزيف صابر، ص ١٣ ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ١٩٧٥م .

(٢) انظر الصفحة ٣١٥ من هذه الرسالة . (٣) انظر الصفحة ٣١٦ من هذه الرسالة .

(٤) ٢تيموثاوس ١: ١٥ (٥) ٢تيموثاوس ٤: ٩-١١ (٦) ٢تيموثاوس ٤: ١٤-١٦

التبشيرى ، وهي — أن الغاية تبرر الوسيلة . لقد كانت غايته كسب عدد كبير من الأتباع ، لذلك لم يتورع عن اللجوء إلى مختلف الوسائل لاقتناصهم . فهو يعترف بذلك إذ يقول : إنى إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهود يهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلاناموس كأنى بلاناموس . مع أنى لست بلاناموس لله بل تحت ناموس للمسيح ، لأربح الذين بلاناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء . صرت للكل كل شيئ لأخلّص على كل حال قوما . وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه "(١) ويقول أيضا : فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شيئ لمجد الله ..... كما أنا أيضا أُرضِى الجميع فى كل شيئ غير طالب ما يوافق نفسى ، بل الكثيرين لكي يخلّصوا "(٢) .

وقد استخدم بولس الكذب فى دعوته لزيادة أتباعه ، فيقول : إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أُدَانُ أنا بعد كخاطئ "(٣) . فهنا نقف قليلا ونقول : كيف نثق ببولس بعد أن اعترف نفسه بهذا التلون والخداع والكذب ومسايرة الباطل ؟ أيكذب الرسول العظيم ويخدع فى أداء رسالته ، لأن غايته شريفة فيتبرر بأية وسيلة ؟ مع أن الرسالة والكذب لايجتمعان ! أليس من الجائز أن تكون دعوته المسيحية وادعاؤه بالرسالة من هذا القبيل ؟ ! أليس من الممكن أن بولس يتظاهر بأنه مسيحي ليربح المسيحيين ، كما تظاهر أنه يهودى وبلاناموس وضعيف ليربحهم . ؟ لذلك كله فقد جزم " أرنست دى يونس " الألمانى بقوله : إن بولس كان منافقا وليس مسيحيا على الإطلاق ، فضلا عن أن يكون رسولا للمسيحيين ، وهو مصدر الفتن والعداوة داخل المسيحية "(٤) . وقد اتفق الباحثون — " شارل جينيبير " و " ديسمان " و " رينان " — على أن بولس حتى فى دفاعه عن عقيدته الجديدة وهجومه على الشريعة اليهودية ، قد بقي يهوديا كما كان من قبل .

---

(١) ١ كورنثوس ٩ : ١٩ — ٢٣ (٢) ١ كورنثوس ١٠ : ٣١ — ٣٣ .
(٣) رومية ٣ : ٧
(٤) انظر : " المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية ، د . محمد الصادقى الطهرانى ، ج ١ ، ص ٦٨ .

وإنه لم يغير سوى موضوع تعصبه . أما " ول ديورانت " فصرح بقوله : مع هذا كله بقي الرجل (بولس) الذى فصل المسيحية عن اليهودية، يهوديا فى قوة خلقه وصرامة مبادئه ". بقي نقطة مهمة لابد أن أذكرها ، وهي: ماذا عمل الحواريون والتلاميذ تجاه انحراف بولس ؟ هل لم يكتبوا شيئا ولم يدافعوا عن اعتقادهم وآرائهم ؟ يقول الدكتور " أحمد شلبى ": الإجابة التى هي يقين لايحتمل شكا ، وعلم لايحتمل ظنا ، أن هؤلاء كتبوا وناضلوا ، ولكن أين ماكتبوه ؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آراءهم ؟ الجواب أنه ليس فى أيدينا شيئ، فلابد أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان والغوغاء فى العصور المظلمة، كما دمرت إنجيل عيسى. أو قل إن بعض ما كتبوه ربما نجا من التدمير، وأخفاه ذووه، وتوارثه الأبناء والأحفاد ، حتى انعقد مجمع نيقية، حيث تقرر أن يختار من الأناجيل والرسائل الموجودة مالايعارض أفكار بولس وآراءه ، ودمرها سواها ". [3]

فلم يظهر لنا من الأسفار التى قضى عليها بالدمار إلا إنجيل برنابا ، وقد كشف فى القرن الثامن عشر . وصرح برنابا فى مقدمة إنجيله وكذلك فى ختامه ، بأنه إنما ألفه ليرد على الضلالات التى يذيعها الناس وخاصة بولس . يقول برنابا فى مقدمة إنجيله : " أيها الأعزاء إن الله العظيم قد افتقدنا فى هذه الأمم الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما ، مجوزين كل لحم نجس الذين ضل فى عدادهم بولس ، الذى لاأتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع، لكي تخلصوا ولايضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله . وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد .

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها " ، ص ١٢٧

(٢) " قصة الحضارة " ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٧٠

(٣) " المسيحية " ص ١١٨ .

مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا ".(١) وفي ختامه يقول : إن فريقا من الأشرار المدعوين تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولم يقم ، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ، وآخرون بشروا ولايزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله ، وقد خدع في عدادهم بولس . وأما نحن فإنما نبشر بما كتبت الذين يخافون الله ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله آمين ".(٢) فإذا رجعنا إلى الوراء إلى أيام كان بولس فيها يهوديا ، وتذكرنا ما قاله " ف.ب.ماير " من أن بولس نفسه تميل إلى الوقوف في صفوف القديسين الأولى ، وطبيعته نارية منذ البداية ، وكان تائقا للقوة التي تعينه ، وتذكرنا ما قرره العلماء — ديسمان ، شارل جينيبير ، سيجموند فرويد ، ول ديورانت — من أن بولس كان يريد أن يتم كل الناموس مع كثرة ما فيه من ثقل وأمور دقيقة وكبيرة ، ويحاول جاهدا متقدما عن كل إنسان ، وإنه كان يحس بأنه ابتعد عن الله ، وبأن روحه أصبحت في حالة إثم وافتقار إلى الكمال ، فأصابه في داخله صراع مبهم عنيف وطويل ، وأصبحت نفسه في أزمة شديدة ، إذا تذكرنا تلك الأمور كلها(٣) إضافة إلى تصرفاته وأعماله بعد اعتناقه المسيحية وادعائه بالرسالة ، من كذب وخداع ومسايرة الباطل ، نستطيع أن نجزم وبكل تأكيد ، أن الدوافع الكامنة في نفسية بولس ، في اعتناقه المسيحية ، ليست إيمانا بالمسيح وتصديقا لرسالته على الإطلاق ! وإنما حبا للظهور والتفاخر ، وطمعا للرياسة والزعامة . فغايته العظمى هي أن يكون بين الطبقة الأولى ، ومكانه في الصف الأول ، إن لم يكن هو أول الصفوف جميعها . وهذا واضح جدا من قوله " ألستم تعلمون أن الذين يركضون (يتسابقون) في الميدان جميعهم يركضون ، ولكن واحدا يأخذ الجعالة .... ".(٤) ثم أظهر فضائل الحواريين ومفاخرهم ، وإنه يشترك معهم في تلك الفضائل والمفاخر ، بل يفوق عليهم بكثرة ، فيقول : " ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة ، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم ".(٥) ويقول أيضا : " أهم (الحواريون) عبرانيون ؟ فأنا أيضا ، أهم إسرائيليون ؟ فأنا أيضا ، أهم نسل إبراهيم ؟ فأنا أيضا ، أهم خدام المسيح ؟ فأنا أفضل في الأتعاب ، أكثر في الضربات ، أوفر في السجون ، أكثر في الميتات ، مرارا كثيرة ... .

---

(١) اقرأ مقدمة برنابا ١ — ٩

(٢) برنابا الفصل الثاني والعشرون بعد المئتين ٣ — ٦

(٣) راجع ص ٣٣٧ — ٣٣٨ من هذه الرسالة .

(٤) ١كورنثوس ٩ : ٢٤

(٥) ١كورنثوس ١٥ : ١٠

إن كان يجب الافتخار فسأفتخر.الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى هو مبارك إلى الأبد يعلم أنى لست أكذب " (١) .

هذا، وقد وصل بولس فعلا إلى غاية مآربه ، ونجح فيما اختط لنفسه، فأصبح بولس من طبقة الرسل (الحواريين) فى المسيحية، بل أفضلهم وأكثرهم تأثيرا . حتى إن المسيحية فى شكلها الحاضر إنما هي مسيحية بولس . وقد كان - لأجل نجاح خططه - نشيطا دائم الحركة ، ذا قوى لاتكل ، ونفس لاتمل ،طاف فى الأقاليم مشرقا ومغربا ،لا يستقر فى مكان على نية الإقامة فيه، بل على قصد فى الرحيل إلى غيره ، ولم يتزوج إلى آخر حياته عند الجمهور " (٢) .

* أعماله التبشيرية *

يذكر لنا لوقا فى أعمال الرسل : أنه بعد ما جاء بولس إلى أورشليم، والتحق بالحواريين فقبلوه بينهم بشهادة برنابا أخذ يشاركهم فى التبشير وعرض آراءه فى معابد أورشليم . لكن يظهر أن آراءه أثارت ضجة كبرى، بين اليهود الذين يتكلمون اللغة اليونانية، فحاولوا أن يقتلوه، واضطر بولس بسببها إلى الإسراع فى مغادرة المدينة متجها إلى طرسوس مسقط رأسه . يقول لوقا : ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ،فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ..... فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ، ويجاهر باسم الرب يسوع، وكان يخاطب ويباحث اليونانيين . فحاولوا أن يقتلوه.فلما علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس " (٣) .

---

(١) ٢ كورنثوس ١١ : ٢٢- ٣٢ .

(٢) منهم ترتوليان ، وأبيفانوس، وجيروم ، لكن أكليمنضس- أسقف روما - يقول إن بولس كان متزوجا،لكن لم يأخذها لتتجول معه،لكي لاتعاق خدمته . وأكد " وليم باركلى " أن بولس كان فى وقت ما متزوجا. وذلك لأن بولس كان (حاخاما) أو حبرا من أحبار اليهود . وكان مما يزعمه لنفسه أنه لم يقتصر فى أداء أية فريضة أو طقس رسمه الناموس والتقليد اليهودى . وطبقا لعقائد اليهود كان الزواج التزاما حتميا ، وكان الرجل الذى لايتزوج ولاينجب يقال عنه " إنه يقلل من صورة الله فى العالم " ومن ثم فإن عدم الزواج وعدم الإنجاب كان يعتبر خطيئة وعصيانا . وكان السن المناسب للزواج هو الثامنة عشرة . ودليل آخر يثبت أن بولس كان فى وقت ما متزوجا ،أن بولس كان عضوا فى السنهدريم . والقانون يحتم أن يكون أعضاء السنهدريم متزوجين . لأن قلوب المتزوجين أكثر رحمة كما يعتقدون (انظر تاريخ الكنيسة ص ١٦٠ ، وتفسير العهد الجديد(رسالتا كورنثوس) وليم باركلى ، ص ١٠١).

(٣) أعمال الرسل ٩ : ٢٦ - ٣٠ .

وظل بولس في طرسوس ثماني سنين لايعرف عنه التاريخ شيئا ، حتى جاءه برنابا وطلب منه أن يساعده على التبشير في أنطاكية ، فذهب معه وظل الرجلان فيها لمدة سنة كاملة (٤٣ - ٤٤م). فآمن كثير من الناس ، وأصبحت أنطاكية في مدة وجيزة تفوق سائر المدن في عدد المسيحيين . وفي هذه المدينة أطلق الوثنيون عليهم - ولأول مرة - اسم المسيحيين ، أى أتباع المسيح. وهو كنية تحمل معاني التهكم والاحتقار (١) . وفيها أيضا انضمت الأمم (أى غير اليهود) إلى المسيحية . وفي خلال تلك السنة التي أمضياها بأنطاكية ، ذهبا إلى أورشليم حاملين التبرعات والمساعدات التي قدمها أهل أنطاكية ، لمساعدة إخوتهم في أورشليم . يقول لوقا : " أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية ، وهم لايكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط . ولكن كان منهم قوم وهم رجال قدسيون وقيروانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين ، مبشرين بالرب يسوع ، فآمن عدد كثير . فسُمِع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية .... لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان ، فانضم إلى الرب جمع غفير . ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول ، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية . فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة ، وعلّما جمعا غفيرا ، ودعى التلاميذ " مسيحيين " في أنطاكية أولا .... فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئا خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية ، ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول " (٢) .

من هذه النصوص نعلم أن بولس كان في بلده طرسوس ، وأن برنابا هو الذى بحث عنه وجاء به إلى أنطاكية ، ليساعده في عمله التبشيرى . وأن برنابا كان هو الرسول الرسمي من قبل الكنيسة الأم في أورشليم ، وأن الدعوة قد انتشرت في أنطاكية قبل مجيئ بولس. فلولا برنابا لما قام بولس بالتبشير ولما ظهر اسمه في قائمة المبشرين ، بل ظل في بلده ساكتا عاجزا ، خمولا كسولا ! .

---

(١) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) وليم باركلي ، ص ١٤٧

(٢) أعمال الرسل ١١ : ١٩ - ٣٠

فادعاء بولس إذن بأنه هو وحده رسول الأمم، كما أن بطرس رسول الختان، ادعاء باطل! إذ يقول بولس: " فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىّ أيضا للأمم "(١). فإن الفضل فى انتشار المسيحية بين الأمم، يرجع أولا إلى برنابا، وما كان بولس إلا مساعده. وبفضل برنابا أيضا تأسست فى أنطاكية أولى كنائس مسيحية، وكانت تلك الكنائس منطلق التبشير إلى أنحاء العالم. يقول "رينان" إن نقطة البدء للكنيسة التى جذبت المشركين ومركز التبشير المسيحى الأول، كانا فى أنطاكيا. هناك ولأول مرة أنشئت كنيسة مسيحية تخلصت من صلاتها باليهودية، وهناك تأسست الدعوة التبشيرية الكبرى»(٢). ومع ذلك انتهى الأمر بالفراق والمشاجرة بينهما، واتهم بولس برنابا بالنفاق والرياء! والغريب بعد ذلك أن يواصل " أعمال الرسل " ذكر بولس ورحلاته وأعماله التبشيرية، وفجأة يتوقف ذكر أى شيئ يتعلق ببرنابا. كما تدون رسائل بولس فى العهد الجديد، ويعترف بقانونيتها وقد سيتها من قبل المسيحيين، ولا يعترف بشيئ لبرنابا. رغم أنهما بعد أن افترقا أخذ كل واحد منهما يعمل ويبشر لأجل المسيحية!

* الرحلة الأولى *

بدأت الرحلة التبشيرية الأولى التى قام بها " برنابا " بمصاحبة ابن أخته " مرقس" و " بولس" سنة (٤٥ ــ ٥٠ م) من أنطاكية إلى سلوكية، ميناء أنطاكية على البحر المتوسط، وأبحروا إلى قبرص، واجتازوا جزيرة قبرص، ولقوا نجاحا كبيرا فى تلك الجزيرة، بسبب إيمان واليها " سرجيوس بولس" الرومانى. ثم انتقلوا منها إلى آسيا الصغرى، لكن مرقس فارقهما فى برجة بمفيلية، راجعا إلى أورشليم. فركب برنابا وبولس السفينة من يافوس إلى أنطاكية فى بسيديا. وفى لسترة غضب اليهود عليهما، فرجموهما بالحجارة. وتنتهى هذه الرحلة بسفرهما إلى أورشليم لحضور المجمع المسيحى الأول الذى عقد فيها سنة (٥٠م) برئاسة " يعقوب " أخى المسيح، لبحث مشكلة الأمميين الذين دخلوا المسيحية.

---

(١) غلاطية ٢: ٨

(٢) " المسيحية نشأتها وتطورها " ، ص ١١٥

وسيأتي بيانه فيما بعد .

هذه خلاصة ما سجله لوقا في أعمال الرسل من الإصحاح الثالث عشر إلى الرابع عشر. ولابد أن أذكر هنا أن هذه الرحلة التي قام بها برنابا ومعه مرقس وبولس كمساعديه ، سماها لوقا " برحلة بولس التبشيرية الكبرى ". فبهذه التسمية استخف لوقا بشأن برنابا ، كما هو في عادته .

* الرحلة الثانية *

بعد الانتهاء من مجمع أورشليم بدأت الرحلة الثانية (٥١ – ٥٤م). لكن حصلت المشاجرة بين برنابا الرسول الرسمي ومساعده بولس ، أدت إلى المفارقة بينهما. وذلك لأن برنابا أراد أن يأخذ معهما " مرقس " ابن أخته ليشاركهما في مهمة الدعوة ، وأراد بولس أن يأخذ معهما " سيلا ". يقول لوقا في أعمال الرسل : أشار برنابا أن يأخذ معهما أيضا يوحنا الذي يدعى مرقس، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لايأخذانه معهما . فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص، وأما بولس فاختار " سيلا " وخرج مستودعا من الإخوة إلى نعمة الله " .(١) وفي الحقيقة أن سبب المفارقة بينهما ليس مجرد الخلاف في الاختيار بين مرقس وسيلا ، كما صوره لوقا ، لكن كان الأمر أكبر من ذلك . يقول بعض المسيحيين : إن سبب الخصومة هو أن برنابا تشاجر مع بولس حول إنجيل حق»(٢) وهذا هو الصحيح ! لأن مرقس وأستاذه بطرس – كما جاء في كتاب " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " لبطرس قرماج – كانا ينكران ألوهية المسيح .(٣) ومن الثابت أيضا أن برنابا كذلك ينكر ألوهية المسيح ، وكان متمسكا بالشريعة اليهودية .(٤) ولم يعد لبرنابا بعد فراقه من بولس ،أي ذكر .

---

(١) أعمال الرسل ١٥ : ٣٦ – ٤٠

(٢) راجع " حياة برنابا " القمص بيشوى عبد المسيح ، ص ٣٧ مكتبة المحبة القاهرة بدون سنة .

(٣) انظر : محاضرات في النصرانية ،، الشيخ محمد أبو زهرة ، ص ٥٤

(٤) اقرأ مقدمة إنجيل برنابا .

فى التاريخ ! . وكان بولس — ومعه سيلا — فى هذه الرحلة يزور مرة أخرى أتباعه فى آسيا الصغرى . وفى لسترة آمن به شاب يدعى " تيموثاوس " فاجتازوا أقاليم فريجية وغلاطية حتى وصلوا شمالا إلى تَرُوَاس. (١) وفى ترواس آمن به تلميذ آخر، ألا إنه " لوقا " صاحب سفر أعمال الرسل والإنجيل الثالث . وأحب أن ألفت الانتباه إلى أن لوقا فى سفر الأعمال منذ بدايته عبر بضمير الغائب، ويستمر حتى العدد الثامن من الإصحاح السادس عشر، ثم انتقل إلى ضمير المتكلم .

ومن ترواس أبحروا إلى ساموتراكي ونيابوليس، حتى وصلوا إلى فيلبى، فوطئت أقدامهم لأول مرة أرضا أوربية . وفى هذه المدينة قبض على بولس وسيلا، بتهمة أنهما يبلبلان المدينة، وزجا فى السجن . ثم أطلق سراحهما، حيث عرف أنهما مراطنان رومانيان . وانتقلوا من فيلبى قاصدين إلى تسالونيكى . وفى هذه المدينة آمن عدد قليل، لأن اليهود قاوم بولس مقاومة شديدة . فاضطر بولس ومعه سيلا إلى الإسراع بمغادرة تسالونيكى ليلا، متوجهين إلى بيرية . لكن يهود تسالونيكى جاؤا إلى بيرية لمطاردته . فأقلع بولس وحده منها إلى أثينا " معهد الآداب والفلسفة "، وترك " سيلا " و " تيموثاوس " فى بيرية . وفى " الأريوس باغوس " الواقع على " تل مارس " ألقى بولس الخطبة أمام الناس ويقول : « أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرا . لأننى بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه لإله مجهول، فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به » . (٢)

ولم ينجح بولس نجاحا ملموسا فى أثينا لأنهم استهزؤا به، وآمن به نفر قليل، منهم " ديوناسيوس الأريوباغى " الذى صار أسقفا على أثينا فيما بعد، وامرأة تدعى " دَامَرِس ". فغادر المدينة يائسا وذهب إلى كورنثوس وهي مركز التجارة وملتقى الشرق والغرب وبؤرة الفساد والرذيلة فأقام فيها ثمانية عشر شهرا، وآمن به ناس كثيرون . وفى ربيع سنة (٥٤ م) عاد بولس إلى أنطاكية .

---

(١) أعمال الرسل ١٦ : ١ — ٨ (٢) أعمال الرسل ١٧ : ٢٢ — ٢٣

مارا بأفسس وقيصرية، ثم زار أورشليم ليسلّم على الحواريين. وفى خلال هذه الفترة، كتب بولس رسالتيه إلى أهل تسالونيكى. هذه خلاصة ما كتبه لوقا فى أعمال الرسل من أول الإصحاح السادس عشر إلى العدد الثالث والعشرين من الإصحاح الثامن عشر.

* الرحلة الثالثة *

ذكر لوقا فى أعمال الرسل الإصحاح العشرين : أنه فى أواخر سنة (٥٤-٥٨م) قصد بولس أفسس ومكث بها ثلاث سنين، جاعلا منها قاعدة عمله. ثم زار للمرة الثانية الكنائس التى أسسها فى مكدونية وأخائية، وأمضى ثلاث شهور فى كورنثوس وما جاورها. وفى خلال هذه الفترة كتب بولس رسائله إلى أهل غلاطية وكورنثوس ورومية.

* آخر حياته *

فى ربيع سنة (٥٨ م) سافر بولس للمرة الخامسة والأخيرة إلى أورشليم مارا بفيلبى وترواس وميلتس وصور وقيصرية، حاملا معه تبرعات أهل بلاد اليونان لفقراء أورشليم. وفى مناسبة عيد الخمسين دبر اليهود ضده، بتهمة تدنيس الهيكل بإدخال يونانيين إليه. وكانوا سيقتلونه لامحالة، لولا تدخل الضابط الرومانى "ليسياس" وأنقذته حقوق المواطنة الرومانية التى يتمتع بها. ثم أرسله "ليسياس" تحت حراسة قوية إلى "فيلكس" الوالى الرومانى فى قيصرية. وبقي أسيرا فى قيصرية لمدة سنتين كاملتين (٥٨ - ٦٠ م) فى انتظار محاكمته. وأمام "فستوس" الوالى الرومانى الذى خلف "فيلكس" سنة (٦٠ م) طلب بولس كمواطن رومانى أن ترفع دعواه إلى القيصر، فوافق الوالى على ذلك. فأرسل فى خريف سنة (٦٠م) إلى روما. وفى مارس سنة (٦١م) وصل بولس إلى روما بعد أن قضى رحلة قاسية زمنا طويلا تحطمت فيها السفينة، بسبب العواصف الشديدة التى وصلتهم إلى جزيرة مالطة. وكانت السنة السابعة لجلوس الإمبراطور (نيرون) على عرشه. وفى روما أمضى بولس سنتين كاملتين حتى سنة (٦٣ م) أقام فى

ش

سكن خاص استأجره. وقد منح له حرية فى استقبال الزائرين وتبشيرهم بالمسيحية.

هذه خلاصة ما ذكره لوقا فى أعمال الرسل من الإصحاح العشرين إلى آخر السفر (الإصحاح الثامن والعشرين). وهنا يتوقف لوقا عن ذكر بقية أيام بولس ولم يذكر شيئا عن نهاية حياته. فأثيرت جدال كثيرة بخصوص حياته فيما بين سنة (٦٣ م) إلى وقت قتله سنة (٦٧ أو ٦٨ م).

يقول "الأنبا يؤانس" فى كتابه "الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل": من المرجح أن بولس أطلق سراحه لفترة قصيرة، أعيد بعدها إلى السجن فى روما. وفى هذه المرة ظل مسجونا تحت حراسة مشددة. لقد كانت كل ظروف بولس فى أسره الأول لصالحه، مما يؤيد فكرة إطلاق سراحه. كما أن الرسائل التى كتبها فى تلك الفترة تظهر نفسيته بمظهر الرجاء والفرح"[1]. ثم يقول "الأنبا يؤانس" فى الفترة القصيرة التى أطلق فيها سراحه، كتب بولس الرسالة إلى العبرانيين، وذهب إلى أفسس ثم إلى مكدونية، حيث كتب منها رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثاوس. وعرج على كورنثوس وميلتس، وأمضى شتاء سنة (٦٥م) فى مدينة نيكوبوليس. وكتب رسالته إلى تيطس يستدعيه قائلا: حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخكس بادر أن تأتى إلى نيكوبوليس لأنى عزمت أن أشتى هناك"[2]. وقيل إنه عرج على تراوس وقبض عليه فيها، فرحل أسيرا إلى روما للمرة الثانية[3]. وفى هذا الأسر الثانى، كتب بولس آخر رسائله وهي الثانية إلى تيموثاوس، ويقول فيها: "إنى أنا الآن أُسْكَبُ سكيبا، ووقت انحلالى قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي حفظت الإيمان. وأخيرا قد وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا"[4]. ويجمع المسيحيون القدامى على أن بولس قُتِلَ بقطع رقبته بحد السيف فى عهد "نيرون" الطاغية، سنة (٦٧م أو ٦٨ م).

يقول "ترتوليان": إن "نيرون" أول من قاوم هذه التعاليم، وأول أعداء الله الرئيسيين. فى عهده قطع رأس "بولس" فى روما، وصلب "بطرس" أيضا"[5].

---

(١) انظر: الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل "الأنبا يؤانس، ص ٢٣٧

(٢) تيطس ٣: ١٢ (٤) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل، ص ٢٣٨

(٤) ٢ تيموثاوس ٤: ٦ - ٨

(٥) راجع "تاريخ الكنيسة" يوسابيوس القيصرى، ص ١٠٨.

وعن المواضع التي دفنت فيها جثتا بولس وبطرس يقول " كايوس ": ولكنني أستطيع أن أبين آثار الرسولين، لأنك إن ذهبت إلى الفاتيكان أو إلى أوستيان وجدت آثار هذين اللذين وضعا أساس هذه الكنيسة ".[1] أما أنهما قتلا في وقت واحد، فيقول " ديونيسيوس " أسقف كورنثوس " إن كليهما (بطرس وبولس) استشهد في وقت واحد ".[2] فبطرس وبولس قتلا في وقت واحد، وإن كان كلاهما قد قتل منفردا. أما بولس فقد قطع رأسه على طريق " أوستيان Ostia " في المكان الذي يقوم عليه الآن دير الثلاثة ينابيع، ولا يزال باقيا أيضا العمود الذي قيل إنه ربط فيه.[3]

* يعقوب Saint Yacques *

هو " يعقوب بن حلفي " (كلوبا) أحد الحواريين الاثني عشر، عرف باسم " يعقوب الصغير " تمييزا له عن " يعقوب الكبير بن زبدي " أخي " يوحنا ". وعرف أيضا باسم " يعقوب البار والعادل " نظرا لقداسة سيرته وشدة غيرته على الشريعة. كما اشتهر أيضا " بيعقوب أخي الرب " لأنه ابن خالة المسيح من مريم زوجة كلوبا.[4] وأمه - كما جاء في إنجيل مرقس - إحدى النساء اللاتي شهدن صلب المسيح. ففيه " وكانت نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ... "[5] ولا يعرف أحد عنه أكثر من ذلك.

وفي الحقيقة - كما قد ذكرت - ثار جدل عنيف منذ القرون الأولى بين الآباء المسيحيين حول تحديد شخصية " يعقوب " كاتب الرسالة الكاتوليكية. إذ ظهرت رسالة يعقوب لأول مرة في مخطوطة لاتينية للكتاب المقدس، تسمى.

---

(١) راجع " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصري، ص ١٠٩
(٢) المصدر السابق، ص ١٠٩
(٣) قصة الحضارة، ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢٦٨
(٤) انظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل " الأنبا يؤانس، ص ٣١٧
(٥) مرقس ١٥ : ٤٠.

" مخطوط كوربينس " (Codex Corbines) في عام (٣٥٠م) وتنسبها هذه المخطوطة إلى "يعقوب الكبير ابن زبدى " شقيق " يوحنا " الإنجيلي.(١) وإليه مؤلف كتاب " خلاصة تاريخ المسيحية في مصر " ونقل عنه الشيخ " محمد أبو زهرة " في كتابه " محاضرات في النصرانية "(٢) .

ويرى " متى بهنام " في كتابه " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " أن "يعقوب" كاتب الرسالة، ليس " يعقوب الكبير ابن زبدى " ولا " يعقوب الصغير ابن حلفى " وليس من أحد الاثني عشر رسولا ، بل شخص آخر يسمى بيعقوب .(٣) ويميل إلى هذا الرأي المفسران " ميير Meyer " و " موفات Mufat "(٤) . لكن جمهورهم - منهم " أوريجين " و " جيروم " و " أغسطينوس " يعتقدون أن " يعقوب " كاتب الرسالة هو " يعقوب " الصغير البار العادل ابن حلفى المعروف بأخى الرب .

والحق أنه كلما ازددنا بحثا في تعيين كاتب رسالة يعقوب ، كلما وجدنا صعوبات كثيرة . فإن الأدلة التي تؤيد أن " يعقوب " أخا المسيح البار هو الكاتب، تساوى الأدلة التي تعارضها ، وقد ذكرت تلك الصعوبات ذكرا وافيا في الفصول السابقة(٥) فلا حاجة لإعادتها .

كما أثير أيضا جدل عنيف بين الآباء المسيحيين حول اللقب الذي عرف به وهو " أخو الربّ " . إذ من المعروف أن " متّى " و " مرقس " ذكرا في إنجيليهما أربعة رجال هم إخوة المسيح . ففي متى " قالوا أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا "(٦) ؟ وفي مرقس " قائلين أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ "(٧) فمن يا ترى هؤلاء المذكورون في الإنجيلين " بإخوة الرب ؟ " هناك ثلاثة آراء حول هذا اللقب. الرأي الأول " يرى أنهم أبناء "يوسف النجار و " مريم " بعد ميلاد المسيح .

---

(١) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) وليم باركلى ، ص ١٧

(٢) انظر : ص ٨١

(٣) انظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، قارن : قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٥ - ١٠٧٦ . وأيضا : برهان يتطلب قرارا ، جوش مكدويل ، ص ٤٩

(٤) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) وليم باركلى ، ص ٤٨ - ٥٠

(٥) انظر : ص ٢٦٢ - ٢٦٦ من هذه الرسالة .

(٦) متّى ١٣ : ٥٥ (٧) مرقس ٦ : ٣ .

وهو رأى كل من " كليمنت الإسكندرى " (ت ٢١٢ م) و " ترتوليان " (ت ٢٣٠ م) و " هلفيديوس " (ت ٣٨٠ م).[1] وتمسك بهذا الرأى " البروتستانت ". وقد دافع عنه " وليم باركلى "[2] صاحب تفسير العهد الجديد ، والأستاذ بجامعة كلاسكو بإسكتلندا ، بحجة أن مريم كانت عذراء فى البداية ، ثم أصبحت زوجة بكل معنى الكلمة . وذلك لأمرين :

الأول : أن تسمية يسوع بالابن البكر – كما ورد فى إنجيلي متى[3] ولوقا[4] – لدليل على أن هناك أبناء آخرين بعده . فرواية الميلاد فى متى ولوقا لا تؤيد إلا الرأى القائل إن إخوة يسوع هم أبناء يوسف ومريم .

الثاني : أن بقاء يسوع فى الناصرة كنجار القرية حتى بلوغه الثلاثين من العمر ، يثبت أنه كان الابن الأكبر الذى أخذ على عاتقه مسئولية رعاية الأسرة بعد موت يوسف .

ثم يقول " وليم باركلى " فأى نظرية أخرى خلاف ذلك منشؤها تمجيد التبتل واعتبار مريم عذراء إلى الأبد . ولكن من الأفضل أن نؤمن بطهارة الحياة العائلية من أن نؤمن بأن حياة العزوبة أحسن من الحياة الزوجية القائمة على الحب المتبادل . ولذا فإن " يعقوب " المدعو أخا الرب هو فى الواقع أخو يسوع[5] . ويميل إلى هذا الرأى الأستاذ " محمد مجدى مرجان " فى كتابه " المسيح إنسان أم إله "[6] .

الرأى الثانى : يرى أنهم أبناء يوسف النجار من زوجة سابقة توفيت قبل خطبته لمريم العذراء . وقد أخذ بهذا الرأى الآباء الشرقيون ، وهو رأى الكنيستين اليونانية والسريانية .

الرأى الثالث : رأى الكنيسة القبطية الأرتوذكسية ، والكنيسة اللاتينية . يرى أنهم أبناء مريم أخت مريم العذراء ، وهؤلاء فى عرف اليهود يحسبون إخوة . وقد دافع عن هذا الرأى كل من " جيروم " و " أغسطينوس " .

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ص ٦٤ .
(٢) انظر تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) وليم باركلى ، ص ٣٦
(٣) جاء فى إنجيل متى " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع (١ : ٢٥)
(٤) جاء فى إنجيل لوقا " فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود " (٢ : ٧)
كما جاء فى مزامير " أنا أيضا أجعله بكرا أعلى ملوك الأرض " (٨٩ : ٢٧)
(٥) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٣٧ (٦) انظر : المسيح إنسان أم إله ، ص ٤٠

يقول " الأنبا يؤانس " وهذا هو الرأى الصحيح. وذلك لأن التقليد الكنسى القديم فى العالم كله يجعل منهما - يعقوب أخا الرب ويعقوب بن حلفى البار - شخصا واحدا.[1] ورد " الأنبا يؤانس " الرأى الأول بقوله : نحن نرفض هذا الرأى ونشجبه، لأن العذراء مريم ظلت عذراء أيضا بعد ولادة المسيح. فهي العذراء كل حين، وهي لم تعرف يوسف خطيبها معرفة الزواج قبل وبعد الميلاد. كما رد الرأى الثانى قائلا : لو كان هؤلاء المدعوون إخوة الرب أولاد يوسف من زوجة سابقة، لكان أكبر من الرب يسوع سنا. وفى هذا هدم لنصوص الكتاب ونبوءات العهد القديم.[2]

وإنى - بدون تردد - أرى أن هذا (الرأى الثالث) هو الصحيح. وذلك لأن مريم العذراء أم المسيح، ليست زوجة ليوسف النجار، ولا مخطوبته. ولم يرد فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة أى ذكر عن يوسف النجار وعلاقته بمريم. وقد صح عندنا أنه لم يقع أمر خطبة يوسف النجار لمريم ولا زواجه إياها. وذلك لقوله تعالى حكاية عن مريم ((وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ))[3] أى لست بذات زوج، ولا من عزمى أن أتزوج[4]، كما قد سلف ذكره. إضافة إلى أن مريم من سبط لاوى، ويوسف من سبط يهوذا. فكيف تخطب لاوية من سبط يهوذا ؟ لأن الشريعة اليهودية تحتم زواج البنت من سبطها لا من سبط آخر، كما جاء فى التوراة.[5] لذا جاء فى إنجيل متى غير المعتمد عند المسيحيين (الأبوكريفا) أن مريم لم تكن زوجة ولا مخطوبة لأى أحد، (لا يوسف النجار ولا غيره) وإنما كانت من العذارى اللاتى نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد. أى كانت من الراهبات اللاتى كن يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التى يعتكفن فيها.[6] وهذا هو الحق ![7]

---

(١) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل " ص ٣١٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٣١٨

(٣) آل عمران ٤٧ (٤) انظر : تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣١٤

(٥) جاء فيها : وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها، لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه (عدد ٣٦ : ٨)

(٦) انظر: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام " د. على عبد الواحد وافى، ص ١٠٨

(٧) راجع الصفحة ١٨ - ٢٠ من هذه الرسالة.

وكان " يعقوب بن حلفى البار " رئيس الكنيسة الأم فى أورشليم ، فصار أسقفها الأول حتى استشهاده . ولا يعرف بالضبط متى وكيف صار أسقفا لها[1] . لكن " كليمنت الإسكندرى " سجل فى كتابه " وصف المناظر " أن يسوع بعد قيامته وهب معرفة ليعقوب البار وليوحنا وبطرس، وهؤلاء أعطوها لباقى الرسل ، وباقى الرسل أعطوها للسبعين الذين كان برنابا أحدهم . وهؤلاء لم يسعوا وراء الكرامة، بل اختاروا يعقوب البار أسقفا لأورشليم[2] . وكان بولس يقابله ويتعرف به حينما جاء إلى أورشليم . يقول بولس : " صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يوما ، ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الربّ "[3] . وذكر لوقا فى أعمال الرسل ، أن يعقوب كان يرأس أول مجمع مسيحى، انعقد فى أورشليم سنة (٥٠م). حيث كان المجتمعون من الرسل والمشايخ ، يتناقشون فى مشكلة خطيرة ، قدمها برنابا وبولس، وهي مشكلة دخول الأمم (غير اليهود) فى المسيحية . فتقدم يعقوب رئيس المجمع باقتراح يقتضى بإلغاء وجوب الختان الذى أوجبته الشريعة اليهودية على كل ذكر ، لأنه يشق على بعض من يدعونهم إلى المسيحية فيفرون عنها بسببه . كما اقترح بالاقتصار على تحريم ثلاثة أشياء من المأكولات التى حرمتها التوراة وهي الدم ، والمنخنقة ، وما ذبح للأوثان ، وإحلال ما عدا ذلك تيسيرا على الناس من لحم الخنزير وغيره الذى حرمته الشريعة اليهودية . وهذا نص ما ذكره لوقا : " وانحدر قوم من اليهودية ، وجعلوا يعلّمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا ، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسئلة .... فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا هذا الأمر ، فبعد ما حصلت

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٧٦ ، و : الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣١٩

(٢) انظر : تاريخ الكنيسة ،، يوسابيوس القيصرى ، ص ٦٤ .

(٣) غلاطية ١ : ١٨ - ١٩ .

مباحثة كثيرة ..... وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم . وبعدما سكتا أجاب يعقوب قائلا : أيها الرجال الإخوة اسمعونى ...... أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم ، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم ..... وكتبوا بأيديهم هكذا : الرسل والمشايخ والإخوة يهدون سلاما إلى الذين من الأمم فى أنطاكية وسورية وكيليكية إذ قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلّبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس . الذين نحن لم نأمرهم ، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبنا برنابا وبولس ...... فقد أرسلنا " يهوذا " وسيلا " وهما يخبرانكم بنفس الأمور شِفاهًا . لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر ، غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا ، التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون . كونوا معافين » (١) .

وهكذا فقد نسب لوقا فى أعمال الرسل إلى يعقوب البار العادل تعديلا خطيرا أدخل فى الديانة المسيحية . وهنا نقف قليلا ونقول : هل نشق بما ذكره لوقا من أن يعقوب هو الذى اقترح بإلغاء وجوب الختان بل بإلغاء الشريعة اليهودية كلها ؟ مع أنه إنما لقب بالبار والعادل لقداسة سيرته ولشدة تمسكه بالشريعة وغيرته عليها ، فهو إذن ذو شخصية قوية ومكانة مرموقة . والختان كان رمزا مقدسا للعهد الذى عاهده الله لإبراهيم أبى الأنبياء . أبهذه البساطة ضعفت شخصيته حتى يتنازل عن إخلاصه للشريعة ؟ أبهذه السهولة ترك البار قداسته وتقواه ، فينا قض العهد المقدس ، لأجل شكوى قدمها برنابا وبولس ؟ أليس من الجائز أن تكون هذه القصة من افتراء لوقا ، دفاعا عن أستاذه بولس ، بعد أن تعرض بولس للهجوم من قبل اليهود المسيحيين ؟ فإن من المعروف أن بولس هو الذى دعا بقوة إلى إلغاء الناموس ، باعتباره شيئا عتيقا !

هذا ، وإنى لأعتقد أن لوقا أراد أن يدافع عن آراء معلمه بولس ، فاخترع هذه القصة لكي يأخذ الناس بها ، فإنها أبرمت بموافقة الرسل والمشايخ فى

---

(١) أعمال الرسل ١٥ : ١ — ٢٩ .

مجمع كان يرأسها " يعقوب " البار والعادل أخو المسيح أسقف الكنيسة الأم في أورشليم ! وهذه عدة أدلة تؤيد صحة ما أعتقد :

أولا : عدم أية إشارة في رسالة يعقوب عن هذا المجمع، لا من قريب ولا من بعيد . فلو كان يعقوب - كما ذكره لوقا - رئيسا للمجمع، وقدم فيه اقتراحه بإلغاء الختان والاقتصار على تحريم الأشياء الثلاثة فقط، لابد أن يذكر هذا التعديل الهام في رسالته ولو بأدنى إشارة .

ثانيا : كان يعقوب - بصفته أسقفا للكنيسة الأم في أورشليم - دعا المؤمنين إلى التمسك الصارم بالناموس والعمل بالشريعة اليهودية، التي ما جاء المسيح إلا ليكملها لا لينقضها (١) . وذلك واضح في رسالته الكاثوليكية (الجامعة العامة) التي وجهت لكافة المؤمنين . حتى إن كل ما في الرسالة تقريبا مقبول لدى اليهود . إذ يقول فيها " كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم . لأنه إن كان أحد سامعا للكلمة وليس عاملا فذاك يشبه رجلا ناظرا وجه خلقته في مرآة .... ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية، وثبت وصار ليس سامعا ناسيا، بل عاملا بالكلمة، فهذا يكون مغبوطا في عمله . إن كان أحد فيكم يظن أنه دين، وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه، فديانة هذا باطلة " (٢)

ويقول أيضا : لا يذم بعضكم بعضا أيها الإخوة . الذي يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس . وإن كنت تدين الناموس فلست عاملا بالناموس بل ديانا له، واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك . فمن أنت يا من تدين غيرك " ؟! (٣) .

فهل انقلب يعقوب البار العادل فجأة من دعوته إلى التمسك بالناموس والعمل بالشريعة إلى نقضه وإلغائه ؟ لأجل موافقة آراء بولس وتنفيذ ما طلبه منه ؟ إني لا أشك في أن بولس كان يدعو الأمم إلى المسيحية، فوجد أمامه

---

(١) ففي إنجيل متى يقول المسيح : لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل (٥ : ١٧) .

(٢) يعقوب ١ : ٢٢ - ٢٦

(٣) يعقوب ٤ : ١١ - ١٢ .

المشكلة العظيمة، وهي تطبيق الشريعة اليهودية- إذ الختان يشق عليهم، وكذا تحريم ما حرمه الناموس. فجاء بولس إلى أورشليم لمقابلة الحواريين وعلى رأسهم يعقوب. وعرض هذه المشكلة العظيمة إليهم، طالبا منه أن يتنازلوا من تطبيق الناموس، ويلغوا الشريعة. إنني لا أشك في هذا، وإنما الذي أشك فيه، هو ما ذكره لوقا من أن الحواريين برئاسة يعقوب البار والعادل وافقوا على ذلك، وقرروا بإلغاء الختان وتحليل ما حرمه الناموس، فكتبوا ذلك القرار وأرسلوه إلى الأمم! .

وقد صرح " باور F.C.Baur، أستاذ مدرسة " توبنجن " بأن هناك صراعا عنيفا دار بين بولس الرسول والرسل الأولين . فالرسول بولس كان يسمى رسول الأمم، والرسل الأولون وعلى رأسهم يعقوب وبطرس يطلق عليهم رسل الختان. هذان الجناحان يكونان " النظرية Thesis " و " رد الفعل المضاد " Anti Thesis ". ولقد بدأت الكنيسة تجتمع معا في وحدة فكرية واحدة أو " نظرية جديدة Sinthesis " تحت ضغط الغنوسية الشديد في أواخر القرن الثاني . ولهذا فكل سفر في العهد الجديد - مثل أعمال الرسل للوقا - يظهر فيه التوفيق بين هذين النقيضين بولس ويعقوب، هو سفر متأخر، من نتاج القرن الثاني الميلادي " (١) .

ثالثا : كان يعقوب ينادي في رسالته بأن الإنسان إنما يتبرر بالأعمال لا بالإيمان وحده. وهذا نص ما كتبه يعقوب في رسالته " ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلّصه . إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي، فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة ؟ هكذا الإيمان أيضا إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته . لكن يقول قائل : أنت لك إيمان وأنا لي أعمال أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني . أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل، والشياطين يؤمنون ويقشعرون. ولكن هل تريد أن تعلم

---

(١) انظر : الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس " د . القس فهيم عزيز، ص ١٦ - ١٧ .

أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون الأعمال ميت، ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح فترى أن الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان . وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله، فحسب له برا ودعى خليل الله. ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده . . . . لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان بدون أعمال ميت "(١).

نعلم من هذه النصوص أن يعقوب كان فعلا يخالف بولس ويهاجمه . وهذه العبارات " إن كان أحد منكم يظن أنه دين وهو ليس يلجم لسانه فديانته باطلة . . . وإن كنت تدين الناموس فلست عاملا بالناموس بل ديانا له . . . . . وهل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل . . . . . وأيضا، فمن أنت يامن تدين غيرك إلخ، هذه العبارات كلها هجوم صريح لبولس من قبل يعقوب !

يقول "أ.م. هودجكن" في كتابه " المسيح في جميع الكتب " إن هذه الرسالة (رسالة يعقوب) تناقض آراء بولس (٢) . !

رابعا : الدراسات التى قام بها الكاردينال " دانيلو Danielou " والتى نشرت لأول مرة بمجلة " Estudes " في ديسمبر (١٩٦٧م) عن المسيحية في القرن الأول، خلاصتها : أن الحواريين كونت بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها . ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنوا من الوثنيين، فإنها تقترح عليهم نظام خاص، إذ يحلهم مجمع القدس المسكوني سنة (٥٠ م) من الطهارة ومن تطبيق أركان اليهودية . ورفض كثير من اليهود المسيحيين هذا التنازل، وانفصلت هذه المجموعة تماما عن بولس . فالطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت وديانة المعبد كانت أمورا بالية في نظر بولس، حتى بالنسبة لليهود أنفسهم . فيجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى والدينى إلى اليهودية، حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود . أما اليهود المسيحيون الذين ظلوا مخلصين فإنهم يعتبرون بولس كخائن . وتصفه وثائق يهودية مسيحية .

---

(١) يعقوب ٢: ١٤ — ٢٤ .

(٢) انظر : المسيح في جميع الكتب " أ.م. هودجكن، ص ٤١٦ .

بالعدو وتتهمه بتواطئ تكتيكي . ولكن اليهودية المسيحية تمثل حتى عام (٧٠ م) غالبية الكنيسة . وكان بولس منعزلا في ذلك الوقت، وكان رئيس الجماعة "يعقوب" قريب المسيح، ومعه "بطرس" و"يوحنا". ويمكن اعتبار "يعقوب" كعمود اليهودية المسيحية الذي ظل عن إرادة ملتزما بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية . إن أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة في هذه الكنيسة اليهودية المسيحية (١) .

والأمر كذلك بالنسبة لبرنابا. إذ كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح القدس والإيمان، ومتمسكا بالشريعة اليهودية . فهل من الممكن أن نصدق ما ذكره لوقا من أن برنابا جاء ومعه بولس من أنطاكية إلى أورشليم طالبا من الحواريين وعلى رأسهم يعقوب، بإلغاء تطبيق الشريعة، والتنازل من أحكامها ؟ باعتبار أنها أصبحت عائقة تحول بين الكفار وبين الدخول في المسيحية ؟ إني لا أعتقد في برنابا بشيئ من ذلك، بل بالعكس ! وها هي أدلة تؤيد صحة ما أراه :

أولا — إن المشاجرة بين برنابا المبشر الرسمي ، وبين مساعده بولس التي أدت إلى مفارقة أحدهما الآخر إنما حدثت بعد مجمع أورشليم مباشرة ، مع أنهما كانا صديقين حميمين . فهذا دليل على أنهما اختلفا في أمر عظيم خطير . وليس كما ذكره لوقا من أنهما اختلفا في الاختيار بين واحد من مرقس وسيلا ، ليصاحبهما في الرحلة التبشيرية ! .

ثانيا — حينما وجه بولس تهمة الرياء والنفاق ضد برنابا ، كان سببه تمسك برنابا بالشريعة اليهودية . يقول بولس " حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم (٢) " (اليهود) .

ثالثا — صرح برنابا في مقدمة إنجيله بأنه إنما ألفه للرد على بولس الذي يدعو الناس إلى الكفر الشديد ، وهو الاعتقاد بأن المسيح ابن الله ، ورفض الختان وأكل لحم نجس وإبطال الناموس (٣) .

هذا، ومما يلفت الانتباه، أن لوقا لم يذكر في أعمال الرسل ، أي شيئ عن

---

(١) انظر: "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" موريس بوكاي، ص ٧١ — ٧٢ ، وانظر: المسيحية نشأتها وتطورها " شارل جينيبير ، ص ١١٣ وص ١٣٢ — ١٣٣ ، والكتاب المقدس تاريخ تدوينه وتطوره" الأستاذ طارق شهاب ، باللغة الإندونيسية ، ص ٤٦

(٢) غلاطية ٢ : ١٣ (٣) اقرأ مقدمة إنجيل برنابا ١ — ٩ .

سيرة يعقوب وصفاته، رغم مكانته العظيمة ،كأول أسقف للكنيسة الأم فى أورشليم، ومن أقرباء المسيح ،وعرف بعبادته وتقواه، وله دور كبير فى الحفاظ على دين المسيح ونشره. إلا فيما يتعلق برئاسته لذلك المجمع، واقتراحه بإلغاء تطبيق الناموس فقط. فتاريخ الرسل جميعا ضئيل جدا، إذا قورن بتاريخ بولس !

فلولا مذكرات " هيجيسبوس Hegesippus " (١) المؤرخ الذى عاش بعد الرسل مباشرة – لما عرفنا أى شيئ عن شخصية يعقوب البار والعادل. يقول « هيجيسبوس » فى الكتاب الخامس " كان يعقوب أخو الرب مقدسا من بطن أمه، ولم يشرب خمرا ولا مسكرا ولا أكل لحما،ولم يحل رأسه موسى، ولم يدهن نفسه بالزيت ولم يستحم،وكان مسموحا له وحده بدخول القدس،لأنه لا يلبس ملابس صوفية بل كتانية،وكان من عادته دخول الهيكل وحده. وكثيرا ماكان يوجد جاثيا على ركبتيه طالبا الصفح عن الشعب، حتى صارت ركبتاه خشنتين كركب الجمل، نتيجة انحنائهما المستمر فى عبادة الله. وبسبب برّه الزائد دعي" البار وأوبلياس" ومعناها فى اليونانية حصن الشعب والعدل ». (٢) أما عن كيفية وفاة" يعقوب " فكتب " هيجيسبوس " أن الكتبة والفريسيين اقتادوه فوق جناح الهيكل ،وخرجوا إليه قائلين : أيها البار الذى يجب أن نثق فيك أجمعين، من حيث إن الشعب ضل وراء يسوع المصلوب ، بيّن لنا ما هو باب يسوع ؟ فأجاب بصوت مرتفع، لماذا تسألوننى عن يسوع ابن الإنسان . إنه هو نفسه يجلس فى السماء عن يمين القوة وسوف يأتى على سحاب السماء ...... فصرخوا قائلين : آه لقد انحرف البار أيضا. فصعدوا وطرحوا البار إلى أسفل، وقالوا كل واحد للآخر : لنرجم يعقوب البار، فبدؤا يرجمونه لأنه لم يمت بسبب سقوطه. أما هو فالتفت وجثا على ركبتيه وقال : أتوسل إليك أيها الرب الإله أبونا أن تغفر لهم لأنهم لا يعلمون.

---

(١) كان يهوديا فلسطينيا فاعتنق المسيحية، كثير الأسفار فى سورية واليونان وإيطاليا ،كتب مذكراته فى خمسة كتب لكنها فقدت،وقد حفظ يوسابيوس القيصرى بعض فقرات منه فى كتابه " تاريخ الكنيسة " .

(٢) انظر : " تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

ماذا يفعلون • وللحال تقدم أحدهم وكان قصارا، وضرب البار على رأسه بالعصا التي كان يضرب بها الملابس • وهكذا استشهد،فدفنوه في الحال بجانب الهيكل • وكان ذلك في سنة (٦٢ م أو ٦٣ م)(١) • ولم يتردد " يوسيفوس " المؤرخ اليهودي الذي عاصر خراب أورشليم - عن الشهادة بأن ما حل باليهود من نكبات ودمار أثناء حصار أورشليم ، لم يكن سوى انتقام إلهي لدماء يعقوب البار • حيث يقول " يوسيفوس " : لقد حلت هذه الأمور باليهود انتقاما لدماء يعقوب البار الذي كان أخا ليسوع الذي يدعى المسيح • لأن اليهود قتلوه رغم أنه كان شخصا بارا جدا »(٢) •

* بطرس Saint Petter *

هو " سمعان بن يونا " كبير الحواريين الاثني عشر ،ولد في قرية " بيت صيدا " من أعمال الجليل،الواقعة على بحر طبرية ، قبل ميلاد المسيح بعدة سنوات ، قد تصل إلى العشرة أو تزيد قليلا • وكانت مهنته صيد السمك ،مثل الكثيرين من سكان قريته • وكان هو وأخوه " أندراوس " من تلاميذ " يوحنا المعمدان "(٣) ومنذ شبابه كان وطنيا متحمسا •وإنه كأصدقائه يتمنى أن يرى نسل " داود " متربعا مرة أخرى على كرسي داود • فعندما أخبره أخوه " أندراوس " - بناء على توجيه يوحنا المعمدان - بأنه قد وجد المسيا المنتظر ، جاء بطرس مسرعا إلى يسوع وآمن به • فسماه يسوع باسم " كيفا " وهي كلمة آرامية معناها صفا أو صخرة ، وفي اليونانية بيترس (بطرس)(٤) •

جاء في إنجيل يوحنا ما نصه : " كان أندراوس أخو سمعان بطرس واحدا من الاثنين اللذان سمعا يوحنا وتبعاه • هذا وجد أولا أخاه سمعان ،فقال له : قد وجدنا مسيا ، الذي تفسيره المسيح ، فجاء به إلى يسوع، وقال أنت سمعان

---

(١) "تاريخ الكنيسة" يوسابيوس القيصري ، ١٠٤

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥

(٣) "الكنيسة المسيحية في عصر الرسل "،الأنبا يؤانس ، ص ٣٠٨ ، و : قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٧٤ •

(٤) "حياة بطرس "، ف.ب.ماير ترجمة القمص مرقس داود ، ص ١٨ - ١٩ •

بن يونا ، أنت تدعى صفا الذى تفسيره بطرس "(١). ثم دعاهما المسيح ليكونا رفيقين له فى الدعوة باستمرار "فقال لهما يسوع هلم ورائى فأجعلكما تصيران صيادى الناس ، فللوقت تركا شباكهما وتبعاه "(٢). وكان بطرس ذا حب جم للمسيح وغيرة ملتهبة . فهو أول من جاهر أمام الجموع بأن يسوع هو " المسيح المنتظر ". ففى إنجيل مرقس : ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس . وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا لهم من يقول الناس إنى أنا ؟ فأجابوا : يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون واحد من الأنبياء. فقال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح ! فانتهرهم كي لايقولون لأحد عنه "(٣).

وجدير بالانتباه أن إنجيل متى قد زاد على إجابة بطرس قوله : أنت هو المسيح ابن الله الحي "(٤). ومنذ البداية كان بطرس بسبب نشاطه وحماسه بارزا ومتقدما بين التلاميذ ، فيذكر اسمه دائما أولا عند أسماء الحواريين ، وكذلك عند أسماء التلاميذ الثلاثة المقربين جدا إلى المسيح " بطرس ويعقوب ويوحنا ". فكان رئيس الحواريين وقائدهم . وهو الذى قال له المسيح : طوبى لك ياسمعان بن يونا ، أن لحما ودما لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات ، وأنا أقول لك أيضا : أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى . وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات "(٥). وهذا النص يدل على أن المسيح قد أعطى لبطرس السيادة المطلقة على جماعة المؤمنين ،فأصبح خليفته فى شئون دينهم وتعاليمهم . وذكر لوقا فى أعمال الرسل أن بطرس قام وسط التلاميذ الذين عددهم مائة وعشرون ، ونزل عليهم الروح القدس فألقى عليهم خطبته الحماسية ، وعظته المؤثرة . ثم قادهم إلى سد الفراغ فى عدد الحواريين بانتخاب بديل ليهوذا الإسخريوطى (٦).

---

(١) إنجيل يوحنا ١ : ٤٠ - ٤٢ ، ومتى ١٦ : ١٨

(٢) مرقس ١ : ١٧ ومتى ٤ : ١٩ ولوقا ٥ : ١٠

(٣) مرقس ٨ : ٢٧ - ٣٠

(٤) متى ١٦ : ١٦

(٥) متى ١٦ : ١٧ - ١٩

(٦) أعمال الرسل ١ : ١٥ - ٢٥ .

وفي عيد الخمسين وقف بطرس مع الأحد عشر أمام الجمهور ودعا الناس إلى الإيمان بالمسيح، فقبلوا كلامه بفرح، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس[1]. كما ذكر لوقا في أعمال الرسل عجائب كثيرة - من شفاء المقعد عند باب الهيكل[2]، وموت من كذب عليه[3]، وانفتاح باب السجن الذي سجن فيه[4]، وغيرها من الخوارق - ينسبها إلى بطرس . لكن الغريب أن الأناجيل بعد ما اتفقت على ذكر بطرس بأنه أخلص التلاميذ، وأقربهم إلى المسيح فهو من الأوائل، فجعله كبيرا لهم، ورئيسا للكنيسة في مهدها، اتفقت على أن بطرس قد أنكر المسيح ولعن نفسه، ليثبت براءته من معرفته به في ساعة محاكمة المسيح أمام اليهود . وهي الساعة التي حاجة المسيح إلى من يقف بجانبه أكثر من وقت آخر .

ففي إنجيل متى " أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدري ما تقولين . ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى، فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري، فأنكر أيضا بقسم أني لست أعرف الرجل . وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : حقا أنت أيضا منهم، فإن لغتك تظهرك ، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل"[5]. لئن صحت هذه القصة فمن المؤسف حقا أن يكون رئيس تلاميذ المسيح جبانا خوارا . بينما نجد في كتب السيرة أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم أبو بكر وعمر يقفون صفا واحدا، كدرع لنبيهم ويضحون بأنفسهم لأجله، حتى نسائهم رضي الله عنهم . وبدأ بطرس يبشر الناس بالمسيح من بني جنسه في اليهودية، والجليل والسامرة . وطاف بلاد بنطس وغلاطية وكبدوكية وبيثينية . وفتح لأول مرة باب الإيمان للأمم (غير اليهود) فآمن على يديه " كرنيليوس " قائد المائة، عقب رؤيا أعلنت له بخصوصه[6] . فلما خاصمه الإخوة في أورشليم من أجل قبوله للأمم، أجاب بقوله : بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه ، بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده[7] ."

---

(١) أعمال الرسل ٢: ١٤- ٤١

(٢) أعمال الرسل ٣: ١- ١٠

(٣) أعمال الرسل ٥: ١- ١١

(٤) أعمال الرسل ٥: ١٧- ٢٣

(٥) متى ٢٦: ٦٩- ٧٤ ومرقس ١٤: ٦٦- ٧٢ ولوقا ٢٢: ٥٤- ٦٠ ويوحنا ١٨: ٢٥- ٢٧

(٦) أعمال الرسل ١٠: ١- ٣٣

(٧) أعمال الرسل ١٠: ٣٤- ٣٥ .

نفهم من هذا أن بطرس كان أول من بشر الأمم إلى دين المسيح ثم تبعه برنابا في ذلك ، قبل اعتناق بولس المسيحية . فهنا أكرر مرة أخرى أن ادعاء بولس بأنه هو وحده رسول الأمم ، كما أن بطرس رسول الختان ادعاء باطل (١) . وكان بطرس وتلميذه مرقس ينكران ألوهية المسيح . جاء ذلك في كتاب " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " لبطرس قرماج (٢) . وكان متمسكا بالشريعة اليهودية . لذلك قاومه بولس واتهمه بالنفاق واللوم وعدم الاستقامة حسب حق الإنجيل . يقول بولس : ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما .... حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم (اليهود) . لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودي ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا (٣) " ، ولا شك أن الحق في جانب بطرس ! وأكد " ول ديورانت " أن بطرس كان يتحفظ بكثير من العناصر اليهودية في الدين المسيحي ، من توحيد وتزمت وعبادات وغيرها ..... وكانت المسيحية حسب تعاليم المسيح وبطرس يهودية ، ثم أصبحت في تعاليم بولس نصف يونانية (٤) " ، وهذا واضح من قول بطرس في رسالته الثانية " إن الذي ليس عنده هذه (الصبر والفضيلة والتقوى والمحبة) هو أعمى قصير البصر ، قد نسي تطهير خطاياه السالفة . لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين . لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا (٥) " . كما اعترف بطرس بأن تعاليم بولس غريبة وعسرة الفهم ، إذ يقول : كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضا في الرسائل كلها التي فيها أشياء عسرة الفهم .... (٦) " .

هذا ، وقد أنهى لوقا في أعمال الرسل ذكر نشاط بطرس في الإصحاح الخامس عشر . فلا يوجد أي ذكر عما يتعلق به من أعماله وجولاته وصفاته وخلقه وآخر حياته . إلا أن المسيحيين اتفقوا على أن بطرس وصل إلى روما . وفيها حكم عليه

---

(١) غلاطية ٢ : ٨

(٢) " محاضرات في النصرانية " الشيخ محمد أبو زهرة ، ص ٥٤

(٣) غلاطية ٢ : ١١ - ١٤

(٤) " قصة الحضارة " ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٥) ٢ بطرس ١ : ٩ - ١٠

(٦) ٢ بطرس ٧ : ١٥ - ١٦

بالموت صلبا فى عهد الإمبراطور " نيرون " الطاغية . واختلفوا فى أمر تأسيسه لكنيسة روما وأنه أسقفها الأول . فقد أنكرت ذلك بشدة طائفة الأرتوذكس ، وذلك لكي يكون بولس وحده رسولا للأمم . يقول " الأنبايؤانس " : يكاد يكون ثابتا أن القديس بطرس ختم حياته فى روما ، على أن ذهابه إلى روما لم يكن إلا قبيل استشهاده مباشرة . فلا صحة مطلقا لما يدعيه الكاثوليك من أنه أسس كنيسة روما ، وأنه أمضى بها خمسا وعشرين سنة . وقد يكون ذهابه إليها فى طريقه إلى الاستشهاد ، بعد أن قبض عليه فى مكان ما فى حدود الإمبراطورية " .(١)

لكن " يوسابيوس القيصرى " أثبت فى كتابه " تاريخ الكنيسة " ما قرره " يوستينوس " الكاتب البارز عاش بعد عصر الرسل بوقت قصير ـ من أن العناية الإلهية أرشدت أقوى الرسل وأعظمهم " بطرس " الذى يتكلم نائبا عن الباقين ، إلى روما فى عهد الإمبراطور " كلوديوس "(٢) . معنى ذلك أن بطرس قد وصل إلى روما فى وقت مبكر . فإن " كلوديوس " جلس فى عرشه فيما بين سنة (٤١ ـ ٥٤م)(٣) . وهذا فعلا ما أكده " جيروم " حيث أرخ وصول بطرس إلى روما بعام (٤٢م) وإنه كانت له اليد الطولى فى إنشاء الجالية المسيحية فى عاصمة الدولة الرومانية(٤) . ويقول " ول ديورانت " وأكبر الظن أن بطرس زار روما عدة مرات . وكان وهو غليق وبولس وهو سجين يتنافسان لهداية أهلها ، حتى استشهد كلاهما فى سبيل هذه الغاية فى عام واحد "(٥) .

وروى عن " أوريجين " أن بطرس صلب ورأسه مدلي إلى أسفل . لأنه طلب أن يعذب بهذه الطريقة . لأنه يرى أنه غير خليق بأن يموت بالطريقة التى مات بها السيد المسيح(٦) . وتقول النصوص القديمة أن زوجته قتلت معه ، وإنه أرغم على أن يراها تساق للقتل(٧) . وتحدد إحدى القصص المتأخرة ، حلبة " نيرون " القائمة فى

---

(١) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ص ٣١٠ ، وانظر : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ، ج ٢ ص ٢٥٧
قارن : قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٧

(٢) تاريخ الكنيسة ، ص ٨٦ ـ ٨٧ (٣) المنجد فى الأعلام ، ص ٥٩٢

(٤) " قصة الحضارة ، ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٤٦ .

(٥) نفس الكتاب ، ص ٢٤٧ و : تاريخ الكنيسة ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، وانظر : ص ٥٥٢ من هذه الرسالة .

(٦) " تاريخ الكنيسة " ص ١١٢

(٧) " قاموس الكتاب المقدس " ص ١٧٧ .

ميدان الفاتيكان ، موضع المقتله . وفى هذا المكان شيدت كنيسة القديس بطرس .
وقيل إنها تضم عظامه (١) ؟ .

*** يوحنا Saint John ***

هو ابن زبدى أخو " يعقوب الكبير " ، ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل .
وأمه " سالومى " قديسة تقية من النساء اللاتى تبعن المسيح وكن يخدمنه ،
وعلى الأرجح هي أخت مريم العذراء أم المسيح (٢) . كان تلميذا ليوحنا المعمدان ،
هو وأخوه " يعقوب الكبير " . وبناء على توجيه يوحنا المعمدان ، آمن يوحنا بالمسيح
وتبعه ، وهو فى الخامسة والعشرين من عمره . وكان " يوحنا " و " أندراوس " أخو
" بطرس " أول من آمن بالمسيح وتبعه قبل أن يعرفه التلاميذ الآخرون ، إذ كانا
يتبعان المسيح بعد اعتماده من يوحنا المعمدان بنهر الأردن بيوم . فيقول عن نفسه :
" وفى الغد أيضا كان يوحنا (المعمدان) واقفا هو واثنان (يقصد نفسه
وأندراوس) من تلاميذه . فنظر إلى يسوع ماشيا ، فقال هوذا حمل الله ، فسمعه
التلميذان يتكلم ، فتبعا يسوع فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما :
ماذا تطلبان ؟ فقالا : ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث ؟ فقال لهما تعاليا
وانظرا ، فأتيا ونظرا أين كان يمكث . ومكثا عنده ذلك اليوم ، وكان نحو الساعة
العاشرة » (٣) . وكان المسيح عليه السلام يدعوه بلقب " بوانرجس " أى ابن الرعد .
لأنه سريع الانفعال وحاد الطبيعة (٤) . وكان يوحنا يذكر دائما بين الثلاثة
الأوائل ، الذين اصطفاهم المسيح ليكونوا رفقاءه الخصوصيين ، وهم " بطرس ويعقوب
ويوحنا " . وقد وثق به المسيح وأحبه بنوع خاص . وذلك واضح من تسميته إياه
بالتلميذ الحبيب . وهو الوحيد الذى رافق المسيح إلى الصليب فسلمه أمه العذراء ،
كما ذكره فى إنجيله " فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه (يقصد نفسه)
واقفا قال لأمه : يا امرأة هوذا ابنك ، ثم قال للتلميذ هوذا أمك . ومن تلك الساعة

---

(١) " قصة الحضارة " ج ٣ من المجلد الثالث ، ص ٢٤٧ .
(٢) " الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل " ص ٣١٤
(٣) إنجيل يوحنا ١ : ٣٥ — ٤٠ (٤) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١١٠٨ .

أخذها التلميذ إلى خاصته (١). لكن الغريب بالرغم من أن يوحنا أقرب تلاميذ المسيح إليه وأحبهم إليه، مع ذلك نجده ـ كأمثال سائر التلاميذ ـ يهرب عاريا تاركا إزاره بين أيدى من أمسكوه، عندما جاء الجنود ليلقوا القبض على سيده. كما رواه مرقس فى إنجيله: فتركه الجميع وهربوا وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عريانا (٢) . وهذا الشاب هو " يوحنا الحبيب " عند جمهور المفسرين (٣). وهذا دليل على أنه لم يكن قوى الإيمان. إذ لا يرضى بالتضحية بنفسه وحمل العذاب، أو على الأقل مشاركة سيده فى حمله!

والتقاليد القديمة تجمع على بقاء " يوحنا " فى أورشليم حتى نياحة " مريم العذراء " التى يسلمها المسيح كأم له ليرعاها (٤). ثم بعد نياحة العذراء، انطلق إلى آسيا الصغرى ومدنها الشهيرة، وجعل إقامته فى مدينة أفسس العظيمة متابعا ومكملا عمل بولس وأبلوس فى آسيا الصغرى، وأخذ يشرف من تلك العاصمة على بلاد آسيا الصغرى ومدنها المعروفة. وفى الكتاب المقدس خمسة أسفار تنسب إلى يوحنا وهى الإنجيل الرابع، وثلاث رسائل كاتوليكية، وسفر الرؤيا / السفر النبوى. وقد تكلمنا عن رسائله الثلاث، وما يتعلق بها وآراء العلماء الباحثين فيها (٥). والآن سنتكلم عن إنجيله ورؤياه وما يتعلق بهما وآراء العلماء فيهما. والمعروف أن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذى تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح. وإن الدارس لهذا الإنجيل حتى ولو بصورة سطحية سريعة، يستطيع أن يكتشف تباينها عن الأناجيل الثلاثة الأخرى. وقد أشار " هردر " سنة (١٧٩٦م) إلى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا ومسيح يوحنا، من فوارق لا يمكن التوفيق بينهما (٦) .

---

(١) إنجيل يوحنا ١٩: ٢٦ ـ ٢٧ . (٢) مرقس ١٤: ٥٠ـ٥٢ ومتى ٢٦: ٥١

(٣) انظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس) وليم باركلى، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .

(٤) تضاربت الآراء بخصوص تاريخ نياحة العذراء مريم. قيل إنها عاشت خمس سنوات فقط بعد صعود المسيح، وقيل عشرة سنوات، وقيل إنها تنيحت سنة (٤٨م أو ٦٢م) وقيل إنها تنيحت فى شيخوخة فى سن الثانية والسبعين (الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل، ص ٣١٥)

(٥) انظر: ص ٢٧٨ ـ ٢٨٥ من هذه الرسالة.

(٦) " قصة الحضارة " ج ٣ من المجلد الثالث، ص ٢٠٣ .

وفى الحقيقة أن كثيرا من العلماء المحققين المسيحيين ينكرون أن يكون كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا الحوارى التلميذ الحبيب . وهذا الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال ، بل ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى . يقول الشيخ " رحمت الله الهندى " فى كتابه الممتاز " إظهار الحق " : إن العلماء فى القرن الثانى الميلادى أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وكان بين ظهرانيهم " أرينيوس " تلميذ " بوليكاربوس " تلميذ " يوحنا الحوارى " . ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة . ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه " بوليكاربوس " ولأعلم هذا تلميذه " أرينيوس " ولأعلن هذا تلك النسبة عندما شاع إنكارها » (١) . وقد نقل صاحب " كاتلك هرلد " فى صفحة ٢٠٥ من المجلد السابع المطبوع سنة (١٨٤٤م) عن مقالات " أستاد لين " ما نصه : إن كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية بلا ريب " . وقال المحقق " برتشنيدر " إن هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه ، بل صنفها أحد فى ابتداء القرن الثانى ، ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس . وكانت فرقة " ألوجين " فى القرن الثانى تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا » (٢) .

وجاء فى " دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britanica " التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من العلماء النصارى ما نصه : إنه لا مرية فى أن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا بن زبدى الحوارى المشهور ، وقد ادعى مؤلفه فى متنه أنه هو يوحنا الحبيب ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا . وإن الذين يحاولون أن يربطوا ولو برابطة واهية ، بين ذلك الفيلسوف الذى ألف هذا الكتاب فى القرن الثانى من الميلاد وبين الحوارى يوحنا الصياد الجليلى ، لن يجد والمحاولتهم هذه أى سند ، وستذهب جهودهم أدراج الرياح (٣) . كما جاء أيضا فى " دائرة المعارف الفرنسية " المشهورة باسم " لاروس القرن العشرين Larouse du xx Siecle " من أنه ينسب ليوحنا

---

(١) " إظهار الحق " جـ ١ ، ص ٩٩ .

(٢) نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١٠٠ ، و : المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية ، د . محمد الصادق الطهرانى ، جـ ١ ، ص ٥٠

(٣) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، د . على عبد الواحد وافى ، ص ٨٩ ، و : المسيح =

الإنجيل وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد ، ولكن البحوث الحديثة فى مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة[1] . وقال المحقق المشهور " كروتيس " إن هذا الإنجيل كان عشرين إصحاحا ، فألحقت كنيسة أفسس الإصحاح الحادى والعشرين بعد موت يوحنا "[2] . ثم اختلفوا فى تاريخ تدوينه ، فالدكتور " بوست " يرجح أنه كتب (سنة ٩٥م أو ٩٦ م) ويتردد " هورن " فى تاريخه بين (٦٨م و ٦٩ م ٨٩ م و ٩٧م و ٩٨ م)[3] . أما سفر الرؤيا فقد أنكر نسبته إلى يوحنا الحوارى جمهور المسيحيين ، من الآباء الرسوليين الأولين أنفسهم ، والعلماء الباحثين العصريين .

يقول المفسر " وليم باركلى " إن كاتب هذا السفر يقول عن نفسه إنه نبي ، فليس من المحتمل أن يكون الكاتب رسولا . ولو كان رسولا لوضح تنبيره على هذه الحقيقة أكثر من تنبيره على أنه نبي . ثم إنه يتكلم عن الرسل كغرباء عليه ، كأنه ينظر إليهم بعد زمنهم كمؤسسين للكنيسة . فيتكلم عن سور المدينة المقدسة أن له اثنى عشر أساسا عليها أسماء الرسل الاثنى عشر . ويستبعد أنه يكتب عن نفسه بهذه الصورة ، لو كان هو رسولا . فإن هذا أسلوب شخص يؤرخ خدمة الرسل . بل إن عنوان السفر نفسه وهو رؤيا يوحنا اللاهوتى يشير إلى أن كاتبه هو عالم اللاهوت . وقد وصف نفسه باللاهوتى ، ليميزه عن يوحنا الرسول ابن زبدى "[4] .

أما من الآباء الأولين فهذا " بابياس " ــ كان زميلا لبوليكاربوس تلميذ يوحنا الحوارى ، ثم صار أسقفا لكنيسة هيرابوليس ، توفي سنة (١٤٦ م) ــ صرح فى كتابه " تفسير أقوال الرب " الجزء الرابع ، بأن فى آسيا شخصين يحملان اسم يوحنا ، وكان فى أفسس قبران لا يزال إلى الآن كل منهما يدعى قبر يوحنا ، وكان يوحنا الثانى هو الذى رأى الرؤيا النبوية[5] . ثم جاء " ديونيسيوس " العظيم تلميذ " أوريجين " وأصبح رئيس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية سنة (٢٣١ م) كان يرفض بشدة هذا السفر ،

= فى مصادر العقائد المسيحية " مهندس أحمد عبد الوهاب ، ص ٦٩ ــ ٧٠ .

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، د . على عبد الواحد وافى ، ص ٨٩ .

(٢) انظر : إظهار الحق " جـ ١ ص ١٠٠ .

(٣) المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية ، جـ ١ ، ص ٥١ .

(٤) انظر : تفسير العهد الجديد (سفر الرؤيا) وليم باركلى ، ترجمة القس منيس عبد النور ، ص ٢١ ، دار الثقافة المسيحية القاهرة ط الثالثة ١٩٨٤ م باختصار .

(٥) انظر : تاريخ الكنيسة " يوسابيوس القيصرى ، ص ١٧٦ .

وتحاشاه كلية، ونقده إصحاحا إصحاحا ، فيقول : إنه ليس من تصنيف يوحنا ولا هو رؤيا ، لأنه يحجبه كثيف من الغموض. وإنه لم يكتبه أي واحد من الرسل أو القديسين أو أي واحد من رجال الكنيسة . بل إن " كيرنثوس " مؤسس الشيعة " الكيرنثيون " هو الذي نسبها إلى يوحنا. لأجل ذلك لا أصدق بأن الكاتب هو يوحنا الرسول بن زبدي كاتب إنجيل يوحنا والرسائل الجامعة . لأنني أستطيع الحكم من طبيعة كليهما، ومن صيغة التعابير، ومن مضمون كل السفر أنه ليس من تصنيفه. فهذا السفر بلا معنى وعديم البراهين وعنوانه مزور " !!! (١)

لذا فإن سفر الرؤيا ظل مشكوكا غير معترف به حتى انعقد مجلس كارتهيج (قرطاجنة) سنة (٣٩٧ م). وهو آخر سفر من أسفار الكتاب المقدس كله أخذ قانونيته من قبل المجامع المسيحية . (٢) هذا، وكان يوحنا قد قبض عليه في أيام حكم الإمبراطور " دومتيان " (٣) وأرسل مقيدا إلى روما فأمر بنفيه إلى جزيرة " بطمس Patome " (٤). ومكث بها حوالي سنة ونصف، ثم أفرج عنه بعد موت " دومتيان " وعاد إلى أفسس ليمارس نشاطه ، وتوفي في شيخوخة وقورة حوالي سنة (١٠٠ م) (٥). وهو الوحيد من بين الحواريين الذي مات ميتة طبيعية .

* يهوذا Saint Jude *

هو يهوذا بن حلفى " (كلوفا) أخو " يعقوب الصغير البار العادل " وهو كأخيه من الحواريين الاثنى عشر، كما أنه يدعى أيضا " أخو الرب " (٦). وكان يلقب بتداوس Thadde " و " لباوس Lebee " تمييزا له عن " يهوذا الإسخريوطي " الذي خان المسيح (٧). وهو أحد الأربعة المذكورين في كتاب العهد الجديد بإخوة الرب،

---

(١) تاريخ الكنيسة، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٥ (٢) انظر: صفحة ٢٩٦ ـ ٢٩٧ من هذه الرسالة.

(٣) إمبراطور روماني (٥١ ـ ٩٦ م) ابن " فسباسيانس " استبد بحكم اغتيل (المنجد في الأعلام، ص ٢٩١) .

(٤) جزيرة من جزر بحر إيجه جنوب غربي أفسس ومازالت في الجزيرة حتى الآن معالم أثرية عن استقرار يوحنا فيها (المنجد في الأعلام ص ١٣٥)

(٥) " الكنيسة المسيحية في عصر الرسل " الأنبا يؤانس ، ص ٣١٧

(٦) انظر : صفحة ٣٥٦ ـ ٣٥٧ من هذه الرسالة.

(٧) " الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، ص ٣٢٤

ففى " متى " : قالوا أليس هذا ابن النجار ، أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ ".(١) وفى " مرقس " : قائلين أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو " يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ ".(٢) وكان " ترتوليان " يرجح أن " يهوذا " الكاتب هو " ابن يعقوب البار " وليس أخاه .(٣) كما يرى " متى بهنام " أن يهوذا صاحب الرسالة ليس من الرسل الاثنى عشر ، وليس أخا يعقوب ولا ابنه ، بل شخص آخر يدعى يهوذا .(٤)

ولم يذكر أى شيئ يتعلق به فى العهد الجديد إلا فى موضع واحد . وهو حينما كان المسيح يتكلم عقب العشاء الأخير وقال : الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه ، وأُظْهِر له ذاتى . قال يهوذا ليس الإسخريوطى : يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم .... ".(٥) ولا يعرف متى آمن بالمسيح ؟ ومتى دخل فى مجتمع التلاميذ ؟ ومتى دعى للرسالة ؟ ، بل لا يعرف أحد عنه أكثر من ذلك . لكن التقاليد القديمة تذكر أنه بشر فى بلاد ما بين النهرين ، وبلاد العرب وبلاد فارس ، واستشهد فى ميزوبوتاميا (العراق) .(٦)

وجاء فى مذاكرات " هيجسيبوس " أن الإمبراطور " دومتيان " دعا رجلين فقيرين من أورشليم ، وهما حفيدا يهوذا أخى الرب ، فأخلى سبيلهما ولم يصدر عليهما أى حكم محتقرا إياهما لأنهما شخصان عديما الأهمية .(٧)

---

(١) متى ١٣ : ٥٥
(٢) مرقس ٦ : ٣
(٣) انظر : تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) وليم باركلى ، ص ٢٧١
(٤) " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " ج ٢ ، ص ٢٨٦
(٥) إنجيل يوحنا ١٤ : ٢١ — ٢٢
(٦) " الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل " ، ص ٣٢٥ .
(٧) " تاريخ الكنيسة " ص ١٤١ .

* الفصل الثالث *

= أهم محتويات الرسائل =

تمهيد :

* مفهوم الدين عند أصحاب الرسائل *

كلمة " الدين " لغة لها معاني مختلفة، باختلاف اشتقاقاتها :

١ ـ مشتقة من فعل متعد بنفسه، يقال : دانه يدينه دينا ، أي أذله وقهره وجازاه وكافأه وحكمه. وفي الحديث : الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت " (١) أي أذله وقهره . ومن ذلك قوله تعالى : أَئِنَّا لَمَدِينُونَ : أي مجزيّون ومحاسَبون . ومنه " الديّان " في صفة الله . فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الإذلال والقهر والمجازاة .

٢ ـ مشتقة من فعل متعد باللام، يقال : دان له أي أطاعه وخضع له . ومن ذلك عبارة : الدين لله ، أي الطاعة والخضوع له. فالدين هنا هو الطاعة والخضوع .

٣ ـ مشتقة من فعل متعد بالباء، يقال : دان بكذا ديانة، أي اتخذه دينا ومذهبا. فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا أو عمليا . فمذهبه النظري هو رأيه وعقيدته، ومن ذلك قولهم " ديّنت الرجل " أي وكلته إلى دينه، ولم أعترض عليه فيما يراه ويعتقده. ومذهبه العملي هو عادته وسيرته كما يقول : هذا ديني وديدني (٢) .

---

(١) الحديث رواه الترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، انظر: صحيح الترمذي بشرح الإمام أبي بكر بن العربي المالكي في أبواب صفة القيامة، ج ٩ ص ٢٨٢ ، مطبعة الصاوي مصر ط الأولى ١٣٥٣هـ/ ١٩٤٣ م .

(٢) راجع " الصحاح " تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ، ج ٥ ، ص ٢١١٨ ـ ٢١١٩ . (باب النون ، فصل الدال) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م .

فكلمة الدين إذن تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، ويخضع له، وتدور على معنى لزوم الانقياد . ففي الاستعمال الأول، الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد، وفي الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له .(١) أما "الدين" اصطلاحا فقد عرفه العلماء بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل .

أو: وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقاد وإلى الخير في السلوك والمعاملات .(٢)

والفرق بين الدين والملة والمذهب: أن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا . ولهذا قيل إنها متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار .(٣) وكثيرا ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض . وللعلماء الغربيين تعريفات كثيرة يختلف بعضها عن بعض باختلاف نزعاتهم وميولهم . وقد أوردها الدكتور "محمد عبد الله دراز"(٤) في كتابه القيم "الدين" مع الدراسة والنقد .(٥)

هذا هو معنى "الدين" من حيث هو في مختلف صوره ومظاهره . أما أصحاب الرسائل فاختلفوا في تحديد مفهوم "الدين المسيحي" إلى أربعة مفاهيم:

<u>الأول</u>: الدين هو شركة باطنية مع الله، وهو اتحاد وثيق بالمسيح، لدرجة أن المسيحي يستطيع أن يقول إنه يحيا في المسيح . أو بعبارة أخرى إن الدين هو شيئ يربط المسيحي برباط سري وباطني مع الله . وهذا مفهوم الدين عند "بولس" .

---

(١) انظر: "الدين" بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز، ص ٣١، دار القلم الكويت ط الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

(٢) الكتاب السابق، ص ٣٣

(٣) انظر: "التعريفات" الشريف علي بن محمد الجرجاني، ص ١٠٥ دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٤) ولد في عام (١٨٩٤م) في قرية "محلة دياي" بمحافظة "كفر الشيخ" حصل على شهادة العالمية في عام (١٩١٦م) ثم تعلم اللغة الفرنسية بجهوده الخاص ليستخدم مهارته فيما يعود على قضية دينه وبلاده بالنفع، فكان يدافع عن الإسلام ضد مهاجميه في جريدة "الطان" الفرنسية، نال دكتورة الدولة من السربون بمرتبة الشرف الممتازة عام (١٩٤٧م) فأصبح أستاذا في كلية أصول الدين بالأزهر، ودار العلوم، وفي يناير عام (١٩٥٨م) رحل إلى باكستان لحضور المؤتمر الإسلامي في مدينة "لاهور" ثم وافاه الأجل في أثناء انعقاد المؤتمر (من مقدمة كتاب "الدين") .

(٥) انظر: من صفحة ٣٤ — ٥٤، قارن: نشأة الدين" د. علي سامي النشار، ص ٢٠ — ٢٨ .

الثاني : الدين هو مقياس للحياة تلازمها قوة للوصول إلى هذا المقياس. أو بعبارة أخرى الدين هو القانون للحياة الصالحة ، مع القوة لحفظ ذلك القانون .
وهذا مفهوم الدين عند كاتب رسائل " يعقوب " و " بطرس " .

الثالث : الدين هو أعلى درجات الإشباع للعقل ، فإن العقل يبحث وظل دائبا في البحث ، حتى يجد راحته في الله . وهذا مفهوم الدين عند كاتب رسائل " يوحنا " .

الرابع : الدين هو المثول أمام الله . هو الذى يقرب الإنسان إلى ذات محضر الله . هو الذى يزيل الحواجز ويرفع العوائق ويفتح الباب إلى الحضور لله . وهذا مفهوم الدين عند كاتب الرسالة إلى العبرانيين (١) .

هذا، وسأذكر في هذا الفصل أهم ما تحتويه رسائل الرسل في العهد الجديد ، من الأمور العقائدية والتشريعية ، كما يريده أصحابها . من دون ردّ ولا تعليق. فإن ذلك سيأتي في موضعه إن شاء الله .

* أهم محتويات رسائل بولس *

تشتمل رسائل بولس بوجه العموم على بحثين مهمين ، أحدهما يتعلق بالعقائد ، والآخر بالآداب . فأما مايتعلق بالعقائد فشرح فيه أسرار الإيمان ومتعلقاته، وأخص ما يرجع إليه تعليمه ثلاثة أركان :

الأول - تجسّد المسيح ، وكونه هو المخلص الوحيد الذى لانعمة ولا بر ولا خلاص في نظره إلا به .

الثاني - إبطال ناموس موسى واستبداله بناموس الإنجيل .

الثالث - الفرار من التعاليم التى تخالفه .

وأما ما يتعلق بالآداب فشرح فيه الفضائل المسيحية عنده ، وسن للمسيحيين ما ينبغي أن يكونوا عليه. وذلك بألفاظ متفرقة في أثناء رسائله من غير نسق ولا ترتيب (٢) .

---

(١) انظر مقدمة تفسير الرسالة إلى العبرانيين القمص تادرس يعقوب ملطى ، ص ٧ - ١٠ ، كنيسة مارجرجس باسبورتنج مصر ١٩٨٣ م .
(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤١٨ .

* محتويات رسالة بولس إلى أهل رومية *

افتتح بولس هذه الرسالة بمقدمة عامة يعلن فيها أنه عبد للمسيح ورسوله، وأنه مفرز لإنجيل الله عن ابنه الذى أتى من نسل داود بحسب الجسد، وأن هذا الإنجيل نعمة الله المقدم لجميع الناس من يهود وأمم.(١) ثم بين بولس أن غضب الله يشمل الأمم واليهود. وذلك لأن الأمم رفضوا شهادة الخليقة، ولايبالون بما كان لديهم من معرفة عن الله، فأبدلوا مجد الله بالأوثان. أما اليهود فكثيرا ماخالفوا الناموس ووقعوا فى كبائر من الإثم. فكلهم أجمعون تحت الخطيئة، وكلهم محتاجون إلى الخلاص. فأعلن بولس أن الخلاص أساسه مبنى على الإيمان بيسوع المسيح لابالأعمال ! يقول بولس : كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد ..... الجميع زاغوا وفسدوا معا، ليس من يعمل صلاحا ولا واحد ..... وطريق السلام لم يعرفوه .... لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لايتبرر أمامه، لأن بالناموس معرفة الخطيئة ».(٢)

بهذا علّم بولس أن الخلاص لايعطى بمراعاة الرسوم الناموسية، بل أنه بالإيمان بالمسيح، لأن الناموس فى نظره إنما يدل على مايجب حفظه، لكنه ليس بكاف. وذلك لأن الناموس ينشئ غضبا." إذ حيث ليس ناموس ليس أيضا تعدٍ »(٣) كما يقول.

ثم يأتى بولس بمثال المؤمن المبارك فيه من الله بدون أعمال الناموس، وهو " إبراهيم " عليه السلام. ويقول : ماذا يقول الكتاب ؟ فآمن إبراهيم بالله فحُسِب له برا .... فكيف حُسِب ؟ أهو فى الختان أم فى الغرلة ؟ ليس فى الختان بل فى الغرلة ».(٤)

فالختان فى نظر بولس لم يهب شيئا، لأن إبراهيم حسب له البر بالإيمان وهو فى الغرلة. أى قبل أن يختتن ! ثم يصرح بولس أن ذلك لم يحسب لإبراهيم وحده، بل للمؤمنين جميعا. فيقول : ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له، بل من أجلنا نحن أيضا الذين نؤمن بمن أقام يسوع من الأموات الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا ».(٥)

---

(١) رومية ١ : ١ — ١٧ . (٢) رومية ٣ : ١٠ — ٢٠ (٣) رومية ٤ : ١٥
(٤) رومية ٤ : ٣ — ١٠ (٥) رومية ٤ : ٢٣ — ٢٥

فتمسك المسيحيون بهذا القول على عدم وجوب الختان ، وسنعود إلى الكلام عن ذلك . يقول " وليم باركلي " : إن الخطية إنما هي مخالفة الشريعة ،فإذا انتفت الشريعة انتفت مخالفتها أيضا ،فانتفت الخطية . فأما الأمم التى ليست لها شريعة مدونة فإنما تخطأ بمخالفتها الناموس الطبيعي . لذلك فإن اليهود الذين يخالفون الناموسين - الوضعى والطبيعى - تكون خطيئتهم أعظم من خطيئة الأمم». (١) وبهذا الاعتبار أصبح الناموس الموسوى - فى زعمه - مجلبة لسخط الله أشد وأعظم ! .

ثم بين بولس فى هذه الرسالة ، أن آدم كان ممثلا لجميع النوع الإنسانى . فلو استمر آدم فى طاعة الله لكان استمراره شاملا لنا جميعا ، ولَكُنّا وُلِدْنا منه فى مثل حالته من البر والطهارة ، ولم يكن علينا للموت من يد . ولكن لما سقط هو سقطنا نحن معه ، وفقدنا ما فقده من الطهارة والبر الذين خلق عليهما . فلما خطأ آدم خطئنا كلنا فى شخصه وأصبحنا جميعنا مذنبين معه . فيقول : " من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس ، إذ أخطأ الجميع ،، (٢) . فكان آدم فى نظره قد جلب الخطية والموت إلى العالم بسبب خطيئته . ثم جاء المسيح بالنعمة التى سمت الخطية ، وأتى بالحياة الأبدية ، حيث يقول بولس " إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيرا نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين ...... لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح . فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة ، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة ، لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِل الكثيرون خطاة ، هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيُجْعَل الكثيرون أبرارا ،، (٣) .

فهنا يرى بولس أن آدم مثال للمسيح فى تأثير كل واحد منهما تأثيرا عاما على

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص ٨١ ، و : " Analisa Al -Kitab " ص ٧٢
(٢) رومية ٥ : ١٢
(٣) رومية ٥ : ١٥ - ١٩

البشرية ، ولو كان التأثير متناقضا . فآدم الأول جعل الكثيرين خطاة ، وآدم الأخير الذى هو المسيح يجعل الكثيرين أبرارا . لذلك يعتقد المسيحيون بأنه إذا كانت العائلة الآدمية تعرضت للموت بسبب الخطية ، فإن العائلة المسيحية تتمتع بالنعمة والبر للحياة الأبدية (١) ويستمر بولس فى هذه الرسالة مبينا أنها توجد ثلاثة أمور استعبدت الإنسان ، وهي الخطية والناموس والجسد . وأن الله قد أعطى طريقا يستطيع بها المؤمن أن يتحرر من سلطة تلك الأمور الثلاثة . وهي كما يلى : بالنسبة للخطية التى سادت العالم فإن طريق العتق منها مبين رمزيا فى المعمودية . لأن المعمودية معناها الاتحاد مع المسيح فى موته ، والتحرر منه . يقول : " أم تجهلون أننا كلّ من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ، فَدُفِنّا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب ، هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة . لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته ، عالمين أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ، ليُبْطَل جسد الخطية ، كي لا نعود نُستَعْبَد أيضا للخطية ..... فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (٢) .

وبالنسبة للناموس فصرح بولس أن الناموس ما هو إلا الرباط ، وقد انحل ذلك الرباط فى موت المسيح . وبهذا أصبح المسيح المقام من الأموات ناموسا ، أو قانون حياة المسيحيين فيحيون بالإيمان به ، حيث يقول : " أم تجهلون أيها الإخوة ..... أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حيا .... يا إخوتى أنتم قد متم للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر للذى قد أقيم من الأموات لنثمر لله . لأنه لما كنا فى الجسد كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكي نثمر للموت . وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه ، حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف » (٣) .

---

(١) متى بهنام " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ،، ج ٢ ، ص ١٣٣ . و : المسيح فى جميع الكتب ، ص ٣٥٥ .

(٢) رومية ٦ : ٣ - ٨ (٣) رومية ٧ : ١ - ٦ .

وأما بالنسبة للجسد فإن الوسيلة الوحيدة للعتق من سلطته هي روح الحياة في المسيح . يقول بولس : " إذاً لاشيئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح . لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت .... فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح ، لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام ..... فالذين هم في الجسد لايستطيعون أن يرضوا الله ، وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم ، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له "(١) .

بهذا يقول المسيحيون إن المؤمن بالمسيح لاشيئ عليه من الدينونة ، لأنه في المسيح وليس هو في الجسد ، فلايجب عليه أي عمل جسدي !(٢) . ثم يطلب بولس من المسيحيين أن يتصفوا بصفات حسنة ، فيقول " فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ..... كونوا كارهين الشر ، ملتصقين بالخير ، وادّين بعضكم بعضا بالمحبة الأخوية ، مقدمين بعضكم بعضا في الكرامة ، غير متكاسلين في الاجتهاد ..... صابرين في الضيق مواظبين على الصلاة ..... باركوا على الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا ..... لايغلبنّك الشر ، بل اغلب الشر بالخير "(٣) .

* محتويات رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس *

افتتح بولس هذه الرسالة بكلمة الشكر لله مؤكدا لنفسه أنه رسول المسيح بمشيئة الله ، ثم يدعو أهل كورنثوس إلى الوفاق ، ومعاملة بعضهم باللين وخفض الجناح ، ويعاتبهم على ماوقع بينهم من خلاف ، ويستذنبهم للانقسامات الحادثة بينهم (٤) .

---

(١) رومية ٨ : ١ ــ ٩ .
(٢) انظر : الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٨٧٠م هامش ص ٥٠٦
(٣) رومية ١٢ : ١ ــ ٢١
(٤) من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الرابع .

وأخذ بولس يشرع شريعة مسيحية ، وذلك رد على أسئلة أهل كورنثوس التي وجهوها إليه في أمر الزواج . فيقول : " وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها . ليوف الرجل المرأة حقها الواجب ، وكذلك المرأة أيضا للرجل . ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل ، وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين ، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضا معا لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم . ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر ، لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا . لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله ، الواحد هكذا والآخر هكذا "[1] . فبين بولس أن الزواج شركة بين طرفين ، فلا يستطيع الزوج أن يتصرف مستقلا عن زوجته ، ولا يستطيع الزوجة أن تتصرف مستقلة عن الزوج . ويكون من الأنسب عند بولس في أوقات الصلاة والصوم أن توضح جانبا كل الأشياء الجسدية ، ويجب أن يكون هذا باتفاق ورضى متبادل بينهما[2] . ثم يقول : " ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم ، إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا ، لأن التزوج أصلح من التحرق . وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها ، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ، ولا يترك الرجل امرأته . وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب " إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها ، والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة ، والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل . وإلا فأولادكم نجسون ، وأما الآن فهم مقدسون . ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق ، ليس الأخ أو الأخت مستعبدا في مثل هذه الأحوال ولكن الله قد دعانا في السلام "[3] .

---

(١) ١ كورنثوس ٧ : ١ ـ ٧ .
(٢) وليم باركلي "تفسير العهد الجديد (رسالتا كورنثوس) " ص ١٠٠ .
(٣) ١ كورنثوس ٧ : ٨ ـ ١٥ .

بهذه النصوص يستدل المسيحيون على أن التبتل أفضل من الزواج ، كما أن الطلاق محرم عليهم . وسنرجع إلى الكلام عن ذلك . فهنا تحدث بولس عن ثلاث مجموعات مختلفة من الناس :

١ — تحدث عن غير المتزوجين والأرامل ، فقد فضل بولس أن يلبثوا كما هم ، ولكنه عاد فحذرهم من احتمال الوقوع في التجربة . فإذا لم يكونوا قادرين على ضبط أنفسهم فليتزوجوا . وأكد بولس أنه لا يمكن أن أحدا يضع نموذجا معينا من السلوك يصلح للجميع ، فإن الأمر يتوقف على شخصية كل فرد .

٢ — تحدث بولس عن المتزوجين ، فينهاهم بولس عن أن يفارق الرجل امرأته والمرأة رجلها . وإذا حدثت المفارقة فبولس يمنع الزواج ثانية .

٣ — تحدث بولس عن زواج المسيحيين لغيرهم ، فيقدم بولس حكمه الشخصي ، لأنه لا يوجد أمر صريح ينسب إلى المسيح ، مع تأكيده أن عنده روح الله " وأظن أني أنا أيضا عندي روح الله "(١) فقرر بولس أن الشريك غير المؤمن بالمسيح مقدس في الشريك المسيحي ، فقد أصبح الاثنان جسدا واحدا . وذلك فإن الزواج بين المسيحيين وغيرهم كان سببا في كثير من المشاكل التي واجهها بولس . إذ الوثنيون كانوا يتهمون المسيحية بأنها سبب تفكك العائلات وانقسامها والمجتمع مهدد بالخراب بسببها (٢) .

أما بالنسبة لسؤالهم عن الأكل مما ذبح للأوثان ، فإن بولس يجيب عليه بقوله : " فمن جهة أكل ما ذُبح للأوثان تعلم أن ليس وثن في العالم ، وأن ليس إله آخر إلا واحدا . لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض .... لكن لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به "(٣) . يقصد بولس أن الآلهة الوثنية لا وجود لها ، ومع ذلك يحذر بولس عن النتائج السيئة في ضمير الضعفاء إذا رأوا أخاه المسيحي متكئا

---

(١) ١ كورنثوس ٧ : ٤٠
(٢) وليم باركلي " تفسير العهد الجديد (رسالتا كورنثوس) " ص ١٠٣ — ١٠٤
(٣) ١ كورنثوس ٨ : ٤ — ٦ .

مع الوثنيين فى هيكل الأوثان، ويأكل معهم اللحم المذبوح لأوثانهم. فيقول بولس :
" فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس .... لأنه إن رآك أحد يا من له علم متكئا فى هيكل وثن ، أفلا يتقوى ضميره إذ هو ضعيف حتى يأكل ما ذبح للأوثان "(١). ثم بين بولس كيفية رسم سر القربان الإلهى ، وهو فريضة من الفرائض المسيحية المقدسة. وقد أطلقه بولس اسم " العشاء الربانى " فيقول : " إننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال ، خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم ، اصنعوا هذا لذكرى كذلك الكأس أيضا بعدما تعشوا قائلا : هذه الكأس هو العهد الجديد بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ. إذًا أىّ من أكل هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس "(٢).

يقول " وليم باركلى " : إن هذا الفصل أعظم فصول العهد الجديد وأجدرها بالاهتمام ، وذلك لسببين :

أولا — إن بولس يأمرنا بممارسة أقدس فريضة للعبادة فى الكنيسة ، وهى العشاء الربانى .

ثانيا — إن هذه الرسالة أسبق من إنجيل مرقس ، وهو أقدم الأناجيل. ومن ثم فإن هذا الفصل يعتبر أول سجل لدينا يسرد لنا كلمات نطق بها المسيح "(٣).

كما علق على هذه النصوص " فهيم عزيز " قائلا : ومن أهم الأمور التى ينبغى أن توضح فى الاعتبار عند دراسة هذه الفريضة فى هذه الرسالة أن تفسر فى إطار ذباحى . بمعنى أن الذين يشتركون ويأكلون فإنما يأكلون على أساس تقديم ذبيحة وقربان. فالعشاء الذى قام به يسوع كان عشاء الفصح ، لكن بولس هنا لا يقصد الرب نفسه ولا شخصيته عندما يقول : قال هذا هو جسدى ، هذا هو دمى ، ولكنه يقصد أن الجسد والدم هما القربان الذى قدمه ، وعلى أساسه يمكن

---

(١) ١ كورنثوس ٨ : ٧ — ١٠
(٢) ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ — ٢٨ .
(٣) " تفسير العهد الجديد (رسالتا كورنثوس) " ص ١٦٢ .

أن يتناول المؤمن هذه الوليمة المقدسة . فالشعب اليهودي عند ما كان يأكل وليمة الفصح لم يكن يقدم الذبيحة، ولكنه كان يأكل بعد تقديم الذبيحة وبعد دخولهم في العهد. يأكل كشعب مفدى، هكذا المسيحيون لا يأكلون من الذبيحة نفسها بل من الوليمة التي بنيت على هذه الذبيحة. فالمسيح لم يكن رئيس كهنة يقدم الذبيحة، ولكنه كان مضيفا يقدم لشعبه وليمة الفرح وليمة الشركة، فيشترك شعبه في هذه الوليمة "(١). وهذا معنى قول بولس: احكموا أنتم فيما أقول، كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد "(٢).

وعلى هذه النصوص يستند المسيحيون عقيدتهم في الاستحالة أي استحالة الخبز جسد المسيح والخمر دمه الحقيقيين، بعد ما قرأ الكهنة في العشاء الرباني آيات التقديس . كما سنرى فيما بعد بالتفصيل إن شاء الله .

أما الإصحاح الخامس عشر من هذه الرسالة، فيتضمن موضوعا جوهريا، إذ بنيت عليه عقيدة أساسية من عقائد المسيحية . فهو إذن من أهم إصحاحات العهد الجديد في نظرهم . وتلك العقيدة هي قيامة المسيح ونتائجها. فبدأ بولس يقول : إنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب . وأنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ ..... وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين . وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا، لأني أصغر الرسل . أنا الذي لست أهلا لأن أدعى رسولا لأني اضطهدت كنيسة الله، ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم ..... ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات . فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح

---

(١) "الفكر اللاهوتي في رسائل بولس" ص ٣٥٨

(٢) ١ كورنثوس ١٠ : ١٥ — ١٧ .

قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم ...... لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، وأنتم بعدُ في خطاياكم ...... إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس ..... فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضا قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع، صار آدم الإنسان الأول نفسا حية وآدم الأخير روحا محييا ..... الإنسان الأول من الأرض ترابي ، الإنسان الثاني الرب من السماء، كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضا، وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضا ..... إن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفسادُ عدَمَ الفساد. هوذا سر أقوله لكم، لا نرقد كلنا ولكننا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام الأموات، عديمي فساد ونحن نتغير ..... فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتُلِعَ الموت إلى غلبة ..... أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس .... "(1).

كان يوجد في كل كنيسة في بداية عهد المسيحية، جماعتان مختلفتان، هما اليهود واليونانيون. ومن اليهود الصدوقيون، كانوا ينكرون الحياة بعد الموت، وأنكروا إنكارا تاما قيامة الجسد . أما اليونانيون بوجه عام كانوا يؤمنون بخلود النفس، ولكن لم يخطر ببالهم أبدا أن يؤمنوا بقيامة الجسد ، فكتب بولس هنا مؤكدا أن العقيدة المسيحية تؤمن بأن الفرد سيحيا من جديد بعد موته بشخصه، وأن الحياة المقبلة تكون بالجسد والنفس معا . وصرح بولس أن الذين ينكرون البعث معناه ينكرون قيامة المسيح. وإن كان الأمر كذلك فإن الإيمان المسيحي انهار من أساسه، فالإيمان بقيامة المسيح عقيدة أساسية (2). يقول " وليم باركلي " : إن عقيدة قيامة المسيح تتضمن حقائق عظيمة. إذ القيامة تبرهن على أن الحق أقوى من الباطل، وأن الخير أقوى من الشر، إذ كان أعداء المسيح تمكنوا من قتله صلبا، فلو أنهم قد قضوا عليه نهائيا لكان معنى ذلك أن الباطل أقوى من الحق، وأن الشر أقوى من الخير. فقيامة المسيح إذن هي الضمان النهائي لخلود الحق وبقاء .

---

(1) ١ كورنثوس ١٥ : ٣ — ٥٦
(2) متى بهنام " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " ج ٢، ص ١٥١ .

الخير "٠ (١)

وقد أقر بولس على أنه إذا لم تكن قيامة المسيح حقيقة ،فإن أساس الرسالة المسيحية عندئذ يكون باطلا وكذبا، وبدون القيامة لن يكون هناك أى ضمان لانتصار القيم العظمى فى الحياة ولبقائها ٠ كما أعلن بولس أن الموت إنما دخل إلى العالم عن طريق خطية آدم ٠ وكان الموت هو النتيجة المباشرة والعقاب المباشر لتلك الخطية ٠ وعندما أخطأ آدم أخطأ الجميع، لأن آدم أب الجنس البشرى،لكن ينجو الجميع من تلك الخطية فى المسيح ٠ فهناك " آدم والخطية والموت " يقابلها "المسيح والصلاح والحياة" ٠ (٢) وعلى هذا يعتقد المسيحيون بالخطية الموروثة ،ويؤمنون بصلب المسيح فداء عن تلك الخطية ،وسيأتى الكلام عن هذه العقيدة فيما بعد قريبا ٠

* محتويات رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٠ *

بعد الافتتاح بكلمة الشكر لله والحث على الصبر بالضيق ،رد بولس فى هذه الرسالة لأعدائه الذين اتهموه بأنه رجل لا يمكن أن يوثَق فى كلامه أو يصدَّق فى وعوده ٠ فيدافع بولس عن نفسه مؤكدا أنه رسول الله، وكل شيئ يصدر منه فهو فى الحقيقة من الله ٠ فيقول : ليس أننا كُفاة من أنفسنا بل كفايتنا من الله، الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد لا الحرف بل الروح ،لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى" ٠ (٣) يقصد بولس هنا أن يبين لهم ، أن كل ما فعله ليس من عمله ولكنه من عمل الله ، فإن الله هو الذى جعله كفئا للعمل الذى عمله ٠ ولم يكن هو سوى أداة فى يده تستمد كل كفايته منه ٠

وبعد ذلك تحدث بولس عن التباين بين العهدين القديم والجديد ،فيقول :

" ثم إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف فى حجارة قد حصلت فى مجد حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الزائل ، فكيف

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسالتا كورنثوس) ص ٢٢٢ _ ٢٢٣ باختصار شديد ٠
(٢) الكتاب المقدس طبع بيروت سنة ١٨٧٠ م هامش، ص ٥٠٩ ،و: Analisa Al-Kitab ص ٧٨
(٣) ٢ كورنثوس ٣ : ٥ _ ٦ ٠

لاتكون بالأولى خدمة الروح في مجد ٠٠٠٠٠ لأنه إن كان الزائل في مجد فبالأولى كثيرا يكون الدائم في مجد ٠٠٠٠٠ ليس كما كان موسى يضع برقعا على وجهه لكي لاينظر بنوإسرائيل إلى نهاية الزائل ٠٠٠٠ وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية، ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح »(١). يريد بولس أن يقول إن العهد القديم مؤسّس على وثيقة مكتوبة، أما العهد الجديد فإنه مؤسّس على قوة الروح. وكان العهد القديم شيئا مميتا، ذلك لأنه أنتج علاقة قانونية شرعية بين الله والإنسان، فأنشأ وضعا يقف الله فيه بالضرورة موقف القاضي، بينما يقف الإنسان فيه دائما موقف المذنب، وبذلك لقد كان العهد القديم يقتل الرجاء ويقتل الحياة ويقتل القوة. فلم يكن في أي إنسان أدنى رجاء في أن يحافظ على ذلك العهد، لأن المحافظة على ذلك العهد في نظر بولس أمر مستحيل، لذلك لم ينتج عن ذلك العهد سوى الخيبة والفشل واليأس. أما العهد الجديد فيختلف عن ذلك تماما. لقد كانت العلاقة فيه هي علاقة المحبة، فلم يعد الإنسان مذنبا مقصرا، ولكن صار ابنالله، حتى ولو كان ابنا عاصيا كما يزعم. ثم ذكر بولس أن موسى عندما نزل من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يده التي هي دستور العهد القديم، كان وجهه يلمع بمجد، فوضع على وجهه برقعا، حتى لم يقدر بنوإسرائيل أن ينظروا إليه. لكن ذلك المجد كان عابرا مؤقتا فهو لم يدم، لأنه ولد لكي يزول، ويزول ببطء. معنى ذلك أن مجد العهد القديم كان مجدا زائلا، باعتباره شيئا غير كامل، ويفنى ليحل محله الكامل، الذي جاء في شخص المسيح. وإن المسيحيين ينظرون ذلك المجد بوجه مكشوف، ولهذا يتغيرون من مجد إلى مجد. كما أعلن بولس أن المسيح هو روح ما في الناموس الذي بدونه يقتل. فخدمة الناموس هي خدمة الموت والدينونة، أما خدمة المسيح فهي خدمة الروح والبر. فطالما كانت طاعة الإنسان لله محكومة بالناموس فإنه يكون في وضع العبد، وإذا آمن بالمسيح الذي هو ابنه فقد حرر نفسه من تلك العبودية(٢). واستمر

---

(١) ٢ كورنثوس ٣ : ٧ - ١٨

(٢) وليم باركلي تفسير العهد الجديد (رسالتا كورنثوس) ص ٢٨٣ - ٢٩٠ .

بولس فى تعليمه فيقول : " وأما الله فقد صرنا ظاهرين له ٠٠٠٠٠ لأن محبة المسيح تحصرنا ٠٠٠٠٠ إذا إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدا ، ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة . أى إن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعا فينا كلمة المصالحة "(١) . بهذا فالمسيحى يعتقد بميلاد جديد، إذ النفس القديم قد ماتت فى موت المسيح صلبا فداء لأجل الجميع . كما هو واضح من كلامه .

* محتويات رسالة بولس إلى أهل غلاطية . *

هذه الرسالة تعتبر من أهم الأسفار فى الديانة المسيحية ، إذ تكرس إعلان المسيحية دينا عالميا مستقلا وليس مجرد تتمة للدين اليهودى . وكان هناك هجوم على بولس وعلى الإنجيل الذى نادى به (٢) ، فقال الكثيرون إن بولس ليس رسولا على الإطلاق . فيجيب بولس على ذلك الهجوم فى العدد الأول من هذه الرسالة ، وافتتح الرسالة بقوله : " بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الأب الذى أقامه من الأموات ٠٠٠ "(٣) ثم زعم بولس أن كل ما يمكن للإنسان أن يعمله لا يستطيع أن يستحق لأجله رضي الله . كما زعم بأنه لا يمكن أبدا لأى إنسان أن يستأهل محبة الله . لذلك فليس للإنسان سوى أن يلقي نفسه تماما فى أحضان حب الله ورحمته . لكن هناك أناس نادوا بمسيحية لها صبغة يهودية ، وقالوا إن أراد أحد الخلاص فيجب أن يختتن أولا ثم يعمل كل ما فى الناموس من فرائض وطقوس . وهذا ما اعتبره بولس فى هذه الرسالة أمرا مستحيلا . واعتبره خصومه أنه يجعل الدين شيئا سهلا جدا ، ليكسب رضى الناس ومودتهم . فأنكر ذلك بولس ويقول : " فلو كنت أرضي الناس لما كنت عبدا للمسيح "(٤) ثم أكد بولس مدعيا أن الإنجيل الذى ينادى به للناس جاء من الله مباشرة فيشير إلى نفسه كبرهان صدقه ، إذ تغير هو تغيرا شاملا ، فيقول : " وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل .

---

(١) ٢ كورنثوس ٥ : ١١ — ١٩

(٢) راجع ص ٢٢١ — ٢٢٢ من هذه الرسالة .

(٣) غلاطية ١ : ١

(٤) غلاطية ١ : ١٠ .

الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان، لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمْتُه، بل بإعلان يسوع المسيح . فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية، أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى، إذ كنت فى غيرة فى تقليدات آبائى. ولكن لما سرّ الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحما ودما . "(١)

ثم أخذ بولس يعلم أهل غلاطية فى الإصحاح الثالث، تعليما مسيحيا جديدا . وهو أن الإيمان وحده يبرر الإنسان، لأن الإيمان يجعل الإنسان ابنا لإبراهيم . ولأن الختان وباقى الطقوس ليست لازمة. إن الإيمان وحده وليس الناموس هو المبدأ الذى عليه حُسِب إبراهيم بارا، والذى عليه الأمم يتباركون مع إبراهيم. وأعلن بولس أن المسيح قد حرر الإنسان من اللعنة التى هي الناموس وأن الله عدل ميثاقه مع إبراهيم فى العهد الجديد، بحيث أصبح ناموس العهد القديم بحاجة إلى تعديل . إذ الناموس لم يكن سوى مؤدب الإنسان إلى معرفة المسيح . فاليهود والأمم كلهم أبناء الله بالإيمان بالمسيح، وليست هناك فوارق لأنهم أصبحوا نسل إبراهيم . بهذا أعلن بولس أن الديانة المسيحية التى دعا الناس إليها، دين عالمي مستقل عن اليهودية . ! يقول بولس: " كما آمن إبراهيم بالله فحُسِب له برا، اعلموا إذن أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنوا إبراهيم .... إذن الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن، لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به ...... المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من عُلِّق على خشبة، لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعدَ الروح ..... إن الناموس الذى صار بعد أربعمائة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدا قد سبق فتمكّن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد . لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضا من موعد، ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد. ...... إذن قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدّب، لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. ...

(١) غلاطية ١ : ١١ — ١٦ .

ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح فأنتم إذن نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة " (١) .

وكرر بولس تأكيده أن الناموس لم يكن سوى معرفة ابتدائية . فكل إنسان يسمح لحياته بأن تتحكم فيها عبودية الناموس فهو مجرد طفل . أما من تعلم طريق النعمة فقد أصبح بالغا . إنه إنسان ناضج في الإيمان المسيحي في نظره . كما بين بولس أن الناموس كان صالحا للأيام السابقة ، إذ لم يعرفوا ما هو الأفضل ، إلا أنهم الآن قد بلغوا معرفة الله ونعمته . والإنسان لا يستطيع بجهوده الخاص أن يعرف الله ، ولكن الله في نعمته يعلن ذاته للإنسان . ثم دعا بولس أهل غلاطية أن يصبحوا مثله ، أي أن يتحرروا من الناموس كما تحرر هو نفسه بنعمة الله ، إذ يقول : " لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم ، ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس ، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني ، ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب ، إذا لست بعد عبدا بل ابنا وإن كنت ابنا فوارث الله بالمسيح ..... وأما الآن إذ قد عرفتم الله فكيف ترجعون أيضا إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد . أتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين .... أتضرع إليكم أيها الإخوة كونوا كما أنا ...... (٢) فاثبتوا إذن في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية ، ها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا (٣) . "

نعلم من هذا أن بولس قد وضع أسسا عقائدية للمسيحية من الإيمان بتجسد الإله في ابنه المسيح ، والإيمان بألوهية الروح ، والإيمان بالفداء ، وعدم وجوب العمل بالشريعة ! وسوف نرى بطلان كلامه في الباب الثالث إن شاء الله .

---

(١) غلاطية ٣ : ٦ - ٢٩
(٢) غلاطية ٤ : ٣ - ١٢
(٣) غلاطية ٥ : ١ - ٢

* محتويات رسالة بولس إلى أهل أفسس *

افتتح بولس هذه الرسالة بالحمد والشكر لله الذى اختاره قبل تأسيس العالم - حسب زعمه - ليكون قديسا وبلا لوم فى ابنه يسوع المسيح الذى باركه بكل بركة روحية فى السموات. فكان بولس يعتبر نفسه دائما مختارا من عند الله منذ الأزل، ويعتبر دائما كل شيئ فى نفسه من عند الله. (١) ثم يقدم فكرة غريبة، وهي إطلاقه على الكنيسة لقب " جسد المسيح " والمسيح رأسها. إذ يقول بولس: " وأخضع كل شيئ تحت قدميه وإياه جعل رأسا فوق كل شيئ للكنيسة، التى هي جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل ". (٢)

يقول " وليم باركلى " إن بولس كان يقصد أن المسيح مات ليجعل من كل الأشياء ومن كل البشر أسرة واحدة، ووحدة واحدة. فالمسيح هو أداة الله التى بها يوحّد بين عناصر العالم المتحاربة والمتنافرة، فتتحد فيما بينها وتتحد مع الله، والكنيسة هي أداة المسيح التى بها يتم هذا الاتحاد. فالمسيح هو الرأس والكنيسة هي الجسد، الرأس وحده بلا عمل. إنه عقل، ولكن ما هي فائدته، فيجب أن يكون له جسد يوجهه، ويعمل من خلاله. فكما أن الجسد امتداد واستكمال للعقل، كذلك الكنيسة هي امتداد واستكمال للمسيح. وهذا معنى قوله: " ملء الذى يملأ الكل فى الكل ". (٣) كما يرى بولس أن الحياة بدون المسيح سواء بالنسبة لليهود أو الأمم هي حياة الخطايا والذنوب. والخطية دائما لها قوة قاتلة تؤدى إلى موت النفس. إنها حياة تحت سلطان الهواء وتحت رحمة الشهوات، حياة لا تستحق سوى غضب الله. يقول بولس فى ذلك: " وأنتم إذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية، الذين نحن أيضا جميعا تصرّفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا. الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة.

---

(١) أفسس ١: ١ - ١٤ (٢) أفسس ١: ٢٢ - ٢٣
(٣) وليم باركلى تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس) ص ١٤١ .

أنتم مخلّصون . وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السمويات فى المسيح يسوع " (١) .

ثم يتحدث بولس عن حال الأمم قبل أن يأتى المسيح ،إذ كانوا غرباء عن جماعة إسرائيل ، ولم يكن لهم رجاء فى مجيئ المسيح ، وكانوا أجانب بالنسبة للعهود التى تأسس عليها المواعيد . لكن المسيح جاء بالعطايا للبشرية التى لاتقدر ، تلك العطايا تتبح الاتحاد الجديد فى المسيح ،إذ جعل المسيح من اليهودى والأممى إنسانا واحدا جديدا ، وعن طريق المسيح يصبح لليهودى والأممى الحق فى التقدم إلى الله . فإن المسيح كما زعمه بولس قد صالح الاثنين (اليهودى والأممى) مع الله . فالأمم ليسوا بعد غرباء وأجانب ، ولكنهم مواطنون فى وسط شعب الله . يقول بولس : " إنكم (أنتم الأمم) كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد لارجاء لكم ، وبلا إله فى العالم ، ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ، لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدا ، ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة ، مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض ، لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنسانا واحدا جديدا صانعا سلاما ، ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به ..... فلستم إذن بعد غرباء ونُزُلا ، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله " (٢) . وقوله : " مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض " يقصد به بولس أن المسيح بجسده قد أبطل الختان وسائر الفرائض المختصة بناموس موسى ، ليؤلف الشعبين اليهود والأمم ويجعلهما كإنسان واحد جامعا إياهما فيه بالإيمان (٣) . ثم يزعم بولس أن هناك سر الله العظيم الذى كان مكتوما فى الأجيال السابقة ، ولكنه أعلن الآن للقديسين . وذلك السر هو أن محبة الله ورحمته ونعمته لم تكن قاصرا على اليهود فقط ولكن للعالم أجمع . وكان بولس يدعى بأنه هو الشخص الذى وصل إليه إعلان ذلك السر من قبل الله . كما كان يعتبر نفسه وسيلة توصيل تلك المحبة والنعمة . فالله قد منحه امتيازا مضاعفا ، امتياز اكتشاف السر ، وامتياز إعلان هذا السر للكنيسة حسب ادعائه . يقول بولس : " إنه بإعلان

---

(١) أفسس ٢ : ١ — ٦ (٢) أفسس ٢ : ١٢ — ١٩

(٣) الكتاب المقدس طبع بيروت سنة ١٨٧٠ م هامش ص ٥١٠ .

عـرّفني بالسـر ٠٠٠٠٠ الذى فى أجيال أخـر لم يعرف بـه بنو البشر ٠ كما قـد أُعلِـن الآن لرسله القـديسيـن ٠٠٠٠٠ أن الأمـم شـركاء فى الميراث والجسد ونوال موعـده فى المسيح بالإنجيل ، الذى صـرت أنا خادما له حسب موهـبة نعمـة الله المعطاة لـى حسب فعل قـوتـه ٠لى أنا أصغر جميع القـديسين أُعْطِيَت هـذه النعمة أن أبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى،وأنيـر الجـميع فى ما هو شركـة السر المكتوم منـذ الدهـور فى الله خالق الجـميع بيسـوع المسيـح ٠" (١) ثم تكـلم بولس عن الواجـبات المتبادلة بين الزوجيـن ، فيقول : " أيها النسـاء اخـضعن لرجالكن كـما للرب،لأن الرجل هو رأس المرأة كـما أن المسيح أيضـا رأس الكـنيسة ، وهو مخـلص الجسد ٠ ولكن كما تخضـع الكـنيسة للمسيح كـذلك النسـاء لرجالهن فى كل شيئ ٠٠٠٠٠٠ أيها الرجال أحـبوا نساءكم كـما أحـب المسيح أيضـا الكـنيسة وأسلم نفسـه لأجلها ٠٠٠٠٠٠ " (٢) ٠

كما تكلم عن الواجـبات المتبادلـة بين الأبناء وآباءهـم وبين العبيد وسادتهم ، فيقول : " أيهـا الأولاد أطـيعوا والديكم فى الرب ٠٠٠٠٠ وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بـل ربوهـم بتأديب الرب ٠٠٠٠ أيها العبيد أطيعوا سـادتكم حسب الجسد بخـوف ورعدة ٠٠٠٠٠ وأنتـم أيها السادة افعلوا لهـم هـذه الأمور تاركـين التهديد ٠٠٠٠٠ " (٣) ٠

* محـتويات رسالة بولس إلى أهل فـيلبى *

بعد أن قـدم نفسـه كـرسول المسيح وعـبده ، وبعد التحـية لأصدقائه من أهـل فـيلبى ، يقول بولس : " فليكـن فيكـم هـذا الفكـر الذى فى المسيح يسوع أيضـا ، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خُـلْسَـةً أن يكـون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسـه آخـذا صـورة عـبد صائرا فى شبه الناس ٠ وإذ وجـد فى الهيئـة كإنسـان وضع نفسـه وأطاع حتى الموت مـوت الصليب ، لذلك رفعـه الله أيضا وأعـطاه اسما فوق كل اسـم ، لكي تجثـو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل إنسان أن يسوع المسيح هـو ربّ لمجـد الله الأب ٠ " (٤)

---

(١) أفسس ٣ : ٣ ـ ٩
(٢) أفسس ٥ : ٢٢ ـ ٢٥
(٣) أفسس ٦ : ١ ـ ٩
(٤) فيلبى ٢ : ٥ ـ ١١

بهذا قرر بولس بألوهية المسيح ، وتجسّده لأجل الموت صلبا فداء للخطايا البشرية . يقول " وليم باركلي " : أراد بولس أن يتكلم عن حقيقة المسيح ، فيقول : إن صورة المسيح الجوهرية هي صورة الله ، الصورة التي لا تتغير قط . فجوهر المسيح في نظر بولس هو في الحقيقة جوهر اللاهوت . وكيفما كان مظهره الخارجي قابلا للتغيير فهو يبقى في جوهره وكيانه إلٰها حقا من إلٰه حق ! ولم يكن المسيح في حاجة إلى خطف المساواة مع الله لأنه كان كذلك ، واللاهوت حق طبيعي له ، لكنه قد تخلى عنها طوعا واختيارا لكي يصير إنسانا . أخلى نفسه من مجد لاهوته لكي يتخذ لنفسه جسدا بشريا . وإن يسوع لما صار إنسانا لم يكن ممثلا يقوم بدور إنسان . لكن ناسوته كانت حقيقة كاملة . لقد كان إنسانا بمعنى الكلمة . وقوله " إنه صار في شبه الناس" أي إن هذه الحالة مع أنها حقيقية إلا أنها تمر وتعبر ، بمعنى أن ناسوت المسيح لم يأخذ صفة الدوام . إنه صار إنسانا حقيقيا ولكن إلى وقت محدود . فالمسيح إذن كما زعمه بولس جوهريا إلٰه ، لكنه وقتيا صار إنسانا (١) .

كما حذر بولس في هذه الرسالة أتباعه عن المعلمين اليهود الذين وصفهم بالكلاب . وكانوا يعلمون الناس بأن طريق اكتساب الخلاص هو إتمام أوامر الناموس ونواهيه ، والخضوع لأحكامه . لكن بولس يرى أن البر الوحيد المقبول عند الله هو في إلقاء النفس تماما على نعمة الله ، فيقول بولس : " انظروا الكلاب انظروا فعلة الشر انظروا القَطْع ، لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد " (٢) . بذلك يرى المسيحيون تبعا لبولس ، أنهم فقط هم المختونون بحق ، وختانهم ليس بعلامة جسدية ولكنه الختان الروحي .

ثم صرح بولس عن نفسه بأنه كان يتكل على الجسد ، مختونا في اليوم الثامن . إذ هو من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني فريسي ، وكان يحفظ الناموس بدقة . لكنه عندما آمن بالمسيح شطبها جميعا واعتبرها أشياء ميتة لا قيمة لها ، حيث يقول : " إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى . من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل

---

(١) تفسير العهد الجديد (رسائل فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) ص ٥٠ — ٥٤ باختصار شديد .
(٢) فيلبي ٣ : ٢ — ٣ .

من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين . من جهة الناموس فريسي، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة، من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم . لكن ما كان لى ربحا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إنى أحسب كل شيئ أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء ...... كونوا متمثلين بى معا أيها الإخوة ..... " (١) .

فهنا زعم بولس أن أعماله السابقة، طبقا لأوامر الشريعة، ما هي إلا أشياء تافهة حقيرة ! .

* محتويات رسالة بولس إلى أهل كولوسى *

بعد الشكر لله ثم الثناء على أهل كولوسى لثباتهم فى الإيمان وصبرهم على الاضطهاد، أخذ يشرح بولس أفكاره حول المسيح، كتعليم ديني، يجب على أتباعه أن يؤمنوا به، فيقول :

" الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلِق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يُرَى وما لا يُرَى، سواء كان عُروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلِق، الذى هو قبل كل شيئ وفيه يقوم الكل . وهو رأس الجسد الكنيسة، الذى هو البداءة بكر من الأموات لكي يكون هو متقدما فى كل شيئ . لأنه فيه سُرّ أن يحل كل الملء، وأن يصالح به الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات . وأنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليُحْضِركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن ثبتم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل، الذى سمعتموه المكروز به فى كل الخليقة التى تحت السماء الذى صرت أنا بولس خادما له، الذى الآن أفرح فى آلامى لأجلكم وأكمّل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة، التى صرت أنا خادما لها حسب تدبير الله المعطى لى لأجلكم لتتميم كلمة الله " (٢) .

---

(١) فيلبى ٣ : ٤ – ١٧

(٢) كولوسى ١ : ١٥ – ٢٥ .

أراد بولس هنا أن يشرح لأهل كولوسى أمرين هامين يتعلقان بالمسيح، وهما من الأمور العقائدية فى الديانة المسيحية ويتمسك بها المسيحيون فيما بعد، كدليل على أن المسيح إله وابن إله، تجسد لأمر عظيم وهو المصالحة بين الله وخلقه كما يزعمون.

الأول - أن المسيح هو صورة الله، وفيه قد حلّ كل ملء بالله. وهذا رد على الذين ينكرون ألوهية المسيح، القائلين إن المسيح ما هو إلا واحد بين عديد من الأنبياء. فيقول بولس: "إن يسوع المسيح هو صورة الله غير المنظور" فيقرر بولس أن المسيح أظهر للإنسان ما لا يظهر فى الله الأب. ولكي يعرف الإنسان ما هو الله على حقيقته فلينظروا إلى المسيح، فإنه يظهر الله فيه إظهارا كاملا فى صورة يستطيعون بها أن يروا الله ويعرفوه معرفة تامة.

والثاني - وهو بكر كل خليقة، أى إن الله قد أعطى له مجدا وكرامة لم ينلهما أحد سواه. ويرى بولس أن الله هو الذى خلق العالم، وأن المسيح هو المفوض المطلق فى الخلق، وهو ابنه وبواسطته خلق كل شيئ، سواء فى السموات أم على الأرض، ما يرى وما لا يرى، وليس أقل مرتبة من الله الأب. كما يرى بولس أن الأشياء جميعها خلقت لأجل الابن. أى أن الابن ليس فقط الخالق بل هو أيضا الهدف والغاية فى الخليقة. فالعالم قد خلق لكي يصير فى النهاية ملكا له (١).

ويقول " وليم باركلى " فى تفسير هذه الآيات: إن الابن هو المفوض فى الخلق من البداية، وهو هدف الخليقة فى النهاية. وبين البداية والنهاية يمسك الابن بالعالم ويجعله متمسكا، بحيث يسير بانتظام لا فوضى فيه. فالابن إذن هو بداية الخليقة أى مبدعها ومنشئها، وهو غاية الخليقة، وهو القوة التى ترتبط الخليقة معا. وباختصار أن الابن هو الخالق وهو الحافظ وهو الهدف النهائى للعالم (٢)". ثم أثبت بولس أن المسيح هو رأس الجسد أى الكنيسة، وهو الروح والمرشد والمسيطر عليها. فكل كلمة أو عمل للكنيسة إنما يصدر منه. ثم بين بولس أن الغرض من مجيئه هو المصالحة بين الله والإنسان وأن القوة المحركة فى تلك المصالحة هي دمه فى الصليب. وهذه المصالحة من الله تمتد ليس

---

(١) وليم باركلى تفسير العهد الجديد (رسائل فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص ١٣٨.
(٢) الكتاب السابق ص ١٤٤ باختصار وتصرف.

فقط إلى الإنسان بل إلى الكون جميعا، إلى كل شيئ في السماء حتى الملائكة أنفسهم وقعوا تحت الخطية واحتاجوا إلى الفداء والمصالحة مع الله. هذا رأى بعض المفسرين. لكن " أوريجين " يرى أن بولس إنما يشير إلى إبليس وملائكته. أى أن في نهاية العالم سيفدى إبليس وملائكته يتصالحون مع الله بواسطة ابنه (١). كما صرح بولس أنه في سجنه وآلامه مكمل لنقائص شدائد المسيح نفسه. لأن المسيح قد مات على الصليب لكي يخلص كنيسته، وقد خلصها فعلا، لكن الكنيسة في حاجة إلى البناء والامتداد. فآلام بولس تعتبر مكملة لآلام المسيح. وذلك شرف وامتياز له (٢).

بعد ذلك حذر بولس تلاميذه عن معلمى الفلسفة، كما حذرهم أيضا عن المعلمين المتمسكين بوجوب الفرائض اليهودية. فكان بولس يصر على أن كل تعليم يخالف تعاليمه لا يعتبر تعليما مسيحيا. إذ يقول " انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح، فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا، وأنتم مملوؤن فيه ...... وبه خُتِنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التى فيها أُقِمتم أيضا معه ..... إذ محا الصك الذى علينا في الفرائض الذى كان ضدا لنا. وقد رفعه من الوسط مسمِّرا إياه بالصليب. فلا يحكم عليكم أحد في أكل وشرب أو جهة عيد أو هلال أو سبت التى في ظل الأمور العتيدة " (٣). فيقرر بولس هنا أن المسيح قد عمل كل ما يحتاج إليه الإنسان، والمسيح قد محا الصك الذى على الإنسان من الفرائض أى قد محا قائمة الاتهام المثبت فيها ذنوبهم. قائمة الاتهام المبنية على فرائض الناموس. والله قد أخذها بيده وسمرها في الصليب. فعلى صليب المسيح صلبت صفحة الفرائض الناموسية الموجهة ضدهم. كان الناس تحت حكم الناموس، ولكن الآن قد انتهى عهد الناموس وجاء عهد النعمة. وليس الإنسان الذى كسر الناموس مجرما بعد الآن، لأنه واقف أمام رحمة الله (٤). فالخطية في نظر بولس مغفورة، والشر مغلوب، وليس لبنى البشر حاجة إلى شيئ أكثر من المسيح. !

---

(١) وليم باركلى تفسير العهد الجديد (رسائل فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص ١٤٩ .
(٢) الكتاب السابق ص ١٥٢ .
(٣) كولوسى ٢ : ٨ — ١٧ .
(٤) تفسير العهد الجديد (رسائل فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص ١٦٤ .

* محتويات رسالتي بولس إلى أهل تسالونيكى (الأولى والثانية) *

بعد أن قدم بولس فى استهلال هاتين الرسالتين تحيته الطيبة لأهل تسالونيكى، مدح لهم على إيمانهم بالمسيح وثباتهم بالصبر على الآلام والاضطهادات من قبل اليهود، وأنكر بولس على عيوب بعضهم وحثهم على بذل العناية فى إصلاحهم. ثم يتحدث بولس عن المجئ الثانى، إذ كانوا يتوقعون مجيئ ذلك اليوم بأقصى سرعة. فيقول: " ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة ..... إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون .... إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجئ الرب لانسبق الراقدين . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكته وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات فى المسيح سيقومون أولا ثم نحن الأحياء الباقين سنُخْطَف جميعا معهم فى السُحُب لملاقاة الرب فى الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب .... وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص فى الليل، هكذا يجئ ...... وأما أنتم فلستم فى ظلمة حتى يدركم ذلك اليوم كلص، جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة ...... "(١) يقول " وليم باركلى ": يقصد بولس أن الإنسان الذى عاش فى المسيح ومات فى المسيح فهو ولو مات لايزال فى المسيح، وسيقوم ثانية فى المسيح، فإن العلاقة بين المسيح ومحبيه علاقة أبدية. وبما أن المسيح قد عاش ومات وقام ثانية، فالإنسان المتحد به سيعيش ويموت ويقوم ثانية. كما بين بولس أن المسيح فى مجيئه الثانى سينزل من السماء إلى الأرض وسيقول كلمته الآمرة. وعندئذ سيقوم الأموات لدى سماعهم صوت رئيس الملائكة وبوق الله، ثم يخطف الموتى والأحياء معا فى مركبات السحاب لملاقات المسيح فى الهواء. وسيأتى ذلك اليوم بغتة كلص فى الليل ولايعرف أحد ذلك اليوم، حتى المسيح نفسه فى أيام جسده أخلى نفسه عن معرفة ذلك اليوم "(٢).

ثم وصى بولس لهم بالتمسك بالتعاليم الصحيحة، والصبر على الآلام والاضطهادات، لأن الغلبة النهائية الكاملة تكون لله وابنه المسيح.(٣)

---

(١) ١ تسالونيكى ٤: ١٣ — ٥: ٥

(٢) تفسير العهد الجديد (رسائل فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص ٢٣٩

(٣) ٢ تسالونيكى ١: ١ — ١٢ .

*** محتويات رسالتي بولس إلى تيموثاوس (الأولى والثانية) ***

في بداية رسالته الأولى علم بولس تلميذه تيموثاوس الذى أقامه أسقفا لكنيسة أفسس ما ينبغي فعله فى أداء وظيفته، من تعليم المسيحيين ومعاملتهم ورعايتهم من البدع الشائعة من قبل معلمى الناموس. ثم يقول بولس " إنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسانُ يسوع المسيح، الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع الشهادةُ فى أوقاتها الخاصة، التى جُعِلْتُ أنا كارزا ورسولا، الحق أقول فى المسيح ولا أكذب، معلما للأمم فى الإيمان والحق "[1]. فالمسيح فى نظر بولس إلٰه وإنسان معا، وهو الوسيط الوحيد بين الله والإنسان. بعد ذلك وضح بولس الشروط التى يجب أن تتوفر فى شخصية الأسقف أى الناظر أو المشرف للكنيسة، والشماس لكي يحظيا باحترام الجميع. فيقول: " صادقة هي الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحا، فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة صاحيا عاقلا محتشما مضيفا للغرباء صالحا للتعليم .... يدبر بيته حسنا له أولاد فى الخضوع بكل وقار، وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله ... كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار .... ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة مدبرين أولادهم وبيوتهم حسنا "[2]. واضح لنا أن بولس لا يمنع رجال الدين من الأساقفة والشمامسة عن الزواج. وهذا ما تمسك به " مارتن لوثر " وغيره من رجال الإصلاح، ضد نظام الرهبنة، ونظام الباباوات والكاثوليك. كما سنعرف فيما بعد.

ثم أعلن بولس أن كل الكتاب هو موحى به من الله. فيقول: " كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر، لكي يكون إنسان الله كاملة متأهبا لكل عمل صالح. "[3]

يقول: وليم باركلى " إن المراد بالكتاب هنا هو العهد القديم. لأن العهد الجديد لم يظهر بعد، وأن المسيحية غير مؤسسة على كتاب مطبوع بل على شخص حي "[4].

---

(١) ١ تيموثاوس ٢: ٥ — ٧ (٢) ١ تيموثاوس ٣: ١ — ١٢
(٣) ٢ تيموثاوس ٣: ١٦ — ١٧
(٤) تفسير العهد الجديد (رسائل تيموثاوس وتيطس وفليمون) ص ٢٧٤ .

* محتويات رسالة بولس إلى تيطس *

أظهر بولس في مطلع الرسالة حقه كرسول في الكتابة وتوضيح قواعد المسيحية . ثم ذكر فيها الصفات والأخلاق التي ينبغي أن تكون فيمن رسم أسقفا كما قد ذكرها في رسالته الأولى إلى تيموثاوس . ثم يقول بولس : " كل شيئ طاهر للطاهرين . وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيئ طاهرا بل قد تنجس ذهنهم أيضا وضميرهم . يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه ، إذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون . "(١) يرى بولس أن المهم في الإنسان هو قلبه . فما دام قلبه طاهرا صارت كل الأشياء طاهرة له ، وما دام قلبه غير طاهر فكل شيئ نجس بالنسبة له . وبهذا يتمسك المسيحيون في تحليل كل ما حرمه العهد القديم ، بما فيه الخنزير ، كما سيأتي البيان فيما بعد .

* محتويات رسالة بولس إلى فليمون *

أما رسالة بولس إلى فليمون فإنها عبارة عن استعطاف واحتجاج لطيف إليه ، لصالح عبده أبق إليه ، وهو " أنسيمُس " .

* محتويات الرسالة إلى العبرانيين *

تنفرد هذه الرسالة عن غيرها بخلو مطلعها عن الشكر والتحية ، وعن ذكر اسم كاتبها . كما يمتاز أسلوبها عن أسلوب رسائل أخرى ، إذ أن كاتبها حشد كل ما استطاعت مرونة اللغة اليونانية أن تقدمه من لفظ جميل وسجع بديع ، فظهرت الرسالة بأسلوب بليغ . يقول الكاتب في بداية الرسالة : " الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيئ الذي به أيضا عمل العالمين . الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي " .(٢)

---

(١) تيطس ١ : ١٥ — ١٦   (٢) عبرانيين ١ : ١ — ٣ .

يقصد الكاتب أن يشرح أن الحق الإلهى الذى أعلنه بواسطة الأنبياء جاء بطرق وأنواع كثيرة ، وذلك الإعلان كان جزئيا • فكل نبى كان يعبر عن جزء واحد فقط من الحق الإلهى ، ولكن المسيح كان أمره مختلفا كل الاختلاف ، إذ لم يكن المسيح جانبا من جوانب الحق الإلهى ، بل كان الحق كله • ولم يكن إعلانا جزئيا عن الله ، بل كان الإعلان الإلهى الكامل ، فإن المسيح قد أعلن الله للناس فى شخصه • ولم يكن فقط فيما نطق به من أقوال أو فيما قام به من أفعال ، ولكن فيما كان من ذاته وصفاته • فالأنبياء — فى زعم صاحب الرسالة — كانوا أحباء الله أما المسيح فكان ابن الله ! فهو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وهو الذى بواسطته خلق العالم • وبعد ما دفع نفسه ذبيحته ثمن الخطية جلس فى يمين العظمة كشفيع للمسيحيين المؤمنين به • (١) ثم يقول : " صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم ، لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ، وأيضا أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا . وأيضا متى أدخل البِكْرَ إلى العالم يقول وَلْتَسْجُدْ له كل ملائكة الله •••• ثم لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك (٢) " • فبعد أن ذكر صاحب هذه الرسالة أن المسيح أعظم من الأنبياء الذين جاؤا قبله ، نراه الآن يذكر أفضلية المسيح على الملائكة • ثم بين الكاتب أن المسيح ابن الإنسان قد وضع قليلا عن الملائكة من أجل الموت ، ولكنه الآن مكلل بالمجد والكرامة . ولم يكن هو وحده فى مقاصد الله الخاصة بالمجد العتيد ، فهو القائد للأبناء الكثيرين المعنيين لنوال ملء البركة ، وهو الذى صار رئيس الخلاص بواسطة الآلام بموته على الصليب ، والمسيحيون جميعهم من واحد مع المقدس نفسه • فهم إخوته ومنهم تتكون الجماعة المتحدة ، وقد اشترك فى اللحم والدم ، ومات لكي يبيد إبليس • ومن ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شيئ • يقول : " الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت ، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد ، لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام ، لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد . فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة •••••• فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم •

---

(١) وليم باركلى تفسير العهد الجديد (الرسالة العبرانيين) ص ٢١

(٢) عبرانيين ١ : ٤ — ١٣ •

والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ...... من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته فى كل شيئ لكي يكون رحيما ورئيس كهنة أمينا فى ما لله، حتى يكفر خطايا الشعب "(١). كما أعلن كاتب الرسالة أن المسيح أعظم من موسى، وأن العالم — كما يزعمه — هو بيت الله وأن الناس هم عائلة الله، وموسى كان الخادم فى ذلك البيت، أما يسوع فكان الابن. يقول: " إن كل بيت يبنيه إنسان ما ولكن بانى الكل هو الله. وموسى كان أمينا فى كل بيته كخادم شهادةً للعتيد أن يتكلم به. وأما المسيح فكابن على بيته. وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية "(٢). ثم تحدث الكاتب عن المسيح كرئيس الكهنة الكامل الصلة بالله والناس، فيقول: " إذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرَّب فى كل شيئ مثلنا بلا خطية .... لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس فى ما لله لكي يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا ..... ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هارون أيضا، كذلك المسيح أيضا لم يمجِّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له أنت ابنى أنا اليوم ولدتك، كما يقول أيضا فى موضع آخر أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق "(٣). فهنا وصف المسيح بأنه رئيس الكهنة الكامل، إذ قد قام بوظيفته على الوجه الأكمل. فكان على اتصال تام بالناس، كما كان على اتصال تام بالله. فقام وظيفته على تبليغ صورة الله للناس. ثم إنه لم يقدم إلى عمله باختياره، إنما الله الذى اختاره لهذا العمل(٤). ثم زعم صاحب الرسالة إلى العبرانيين أن الذبائح اللاوية عاجزة، ولم تقدر أن تعيد الشركة المفقودة بين الله والإنسان، ولم تستطع أن ترد إلى الإنسان امتياز مثوله فى حضرة الله بسبب خطيئته. لذا يرى أنه كان من اللازم إدخال كهنوت جديد على رتبة ملكي صادق، فيقول: " فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال إذ الشعب أخذ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق، ولا يقال على رتبة هارون. لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضا ..... قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة

---

(١) عبرانيين ٢ : ٩ — ١٧ (٢) عبرانيين ٣: ٤ — ١٤.

(٣) عبرانيين ٤: ١٤ — ٥: ١ — ٦.

(٤) الكتاب المقدس، ط بيروت سنة ١٨٧٠ م هامش، ص ٥١٥

لاتزول ،لأنه يشهد إنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق • فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ،إذ الناموس لم يكمّل شيئا ،ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله •" (١) يقول " وليم باركلي " إن الكهنوت الجديد يختلف تماما عن الكهنوت القديم ، فى أنه لم يعتمد على وصايا جسدية ، بل على قوة حياة لاتزول • كالناموس ينص صريحا على أن الكاهن يجب أن ينتمي إلى سبط لاوي من سلالة هارون،لكن المسيح كان ينتمي بحسب الجسد إلى سبط يهوذا • بناء على ذلك فإن المسيح يلغي الناموس الطقسي .إذن فكل ما يتعلق بنظام الذبائح والشعائر الموسوية قد ألغى تماما " (٢) • ثم يقول صاحب الرسالة :" فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طُلِب موضع لثان ،لأنه يقول لهم لائما هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر ••••• ولا يعلّمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه ،قائلا اعرف الرب لأن الجميع سيعرفونني •••• لأني أكون صفوحا عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد • فإذ قال جديدا عتّق الأولَ ،وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال " (٣) • كان العهد المعروف لدى اليهود هو العهد الذى قطعه الله مع الشعب بعد إعطائهم الناموس • وكان ذلك يعتمد اعتمادا كليا على حفظ الناموس • لكن الآن قد صار لاغيا ، كما يراه كاتب الرسالة • إذ قدم المسيح عهدا جديدا تقوم عليه الصلة الجديدة بالله ،فهو يمحو محوا تاما للعهد القديم • ثم يقول : وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذى ليس من هذه الخليقة ،وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس • فوجد فداءً أبديا لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجّسين يقدّس إلى طهارة الجسد ،فكم بالحري يكون دم المسيح الذى بروح أزلي قدم نفسه بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا اللهَ الحي • ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدى " (٤) •

---

(١) عبرانيين ٧: ١١ ـ ١٩

(٢) وليم باركلي تفسير العهد الجديد (الرسالة إلى العبرانيين) ص ١١٨ •

(٣) عبرانيين ٨: ٧ ـ ١٣ •

(٤) عبرانيين ٩: ١١ ـ ١٥ •

أراد الكاتب أن يقول إن المسيح هو رئيس الكهنة الحقيقي الذي يستطيع أن يقرب الناس إلى الله، وإنه وحده دون سواه يقدم الذبيحة القادرة على أن تفتح الطريق إلى الله، وإن تلك الذبيحة هي نفسه. وكانت الذبائح القديمة من الثيران والتيوس والعجلة الحمراء يطهر جسد الإنسان من النجاسة الطقسية. أما ذبيحة المسيح فقد طهرت نفوس الناس لا أجسادهم، فإنها جاءت لنا بالفداء الأبدي. وقد كسبت للناس غفرانا لخطاياهم الماضية، وتفتح لهم حياة جديدة للشركة مع الله. فقد أنجز المسيح إنجازا عظيما في تحقيق الهدف العظيم، فإن ذبيحته قدمت مرة واحدة وهي باقية إلى الأبد في فاعليتها (١). فزعم الكاتب أن ذبائح العهد القديم ما هي إلا ظلا لما ينبغي أن يكون. لذا تقدم الذبائح سنةً بعد أخرى وعلى مدى الأزمان. أما الذبيحة الحقيقية فلا حاجة إلى تكرارها. إذ تتم مرة واحدة، وتظهر نتائجه السريعة. يقول: " إن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء لا يقدر أبدا بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون .... لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا. لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقربانا لم تُرِدْ ولكن هَيَّأْتَ لي جسدا. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسَرّ، ثم قلت ها أنا ذا أجيء في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله .... ينزع الأوّل لكي يثبت الثاني. فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (٢).

بهذا علمنا أن الرسالة إلى العبرانيين — وإن كان كاتبها مجهولا، ولا يزال إلى الآن موضع خلاف — لها أهمية في الديانة المسيحية، إذ تشمل الرسالة أمورا كثيرة تتعلق بأركان المسيحية. فعند المسيحيين تعتبر هذه الرسالة من أعظم الأسفار المقدسة كلها.

*** أهم محتويات رسالة يعقوب ***

في مطلع هذه الرسالة يحث كاتبها المسيحيين على الصبر والثبات، فيما نالهم به اليهود والأمم من الاضطهادات والفتن. فيقول: " احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبرا، وأما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا

---

(١) الكتاب المقدس ط بيروت ١٨٧٠ م هامش ص ٥١٧.
(٢) عبرانيين ١٠ : ١ — ١٠.

تامين وكاملين غير ناقصين فى شيئ، وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولايعيّر فسيُعطَى له، ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه ".[1] أراد يعقوب بهذا أن يحث المسيحيين على الثبات الدائم، فإن ذلك يجعل الإنسان صالحا لأداء العمل الذى أراده الله. فصلاحية المسيحيين أو عدم صلاحيتهم فى أداء العمل الذى أراده الله يتوقف على استجابتهم لتجارب الحياة. فيجب عليهم أن يطلبوا الحكمة من الله ليستطيعوا على مواجهة تجارب الحياة. وعندما يطلبون من الله يجب عليهم أن يتذكروا سخاء الله وكرمه، وأن يؤمنوا بأنهم سينالون منه كل ما هو خير لهم.[2]

ثم يقول: " طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة، الذى وعد به الرب للذين يحبونه، لا يقل أحد إذا جُرِّب إنى أُجَرَّب من قبل الله، لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحدا، ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتا ".[3] فهنا يعتبر الكاتب الإنسان مسئولا عن رغبته الشريرة، والإنسان يستطيع أن يكبح جماح شهواته ويقمع أهواء نفسه، وبقوة الله يمكنه أن يستأصل الرغبات الشريرة من نفسه.

وبعد ذلك أخذ يعقوب يدعو المسيحيين المؤمنين بالمسيح إيمانا حقيقيا إلى التمسك بالناموس والأعمال به، مؤكدا أن الدين المسيحى، هو عبارة عن الإيمان والأعمال. إذ يقول: " إذن يا إخوتى الأحباء ليكن كل إنسان مسرعا فى الاستماع مبطئا فى التكلم مبطئا فى الغضب، لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله ...... ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط، خادعين نفوسكم، لأنه إن كان أحد سامعا للكلمة وليس عاملا، فذاك يشبه رجلا ناظرا وجه خلقته فى مرآة .... ولكن من اطلع على الناموس الكامل .... وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطا فى عمله ".[4] ثم يقول: " ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟ إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى، فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة؟ هكذا الإيمان أيضا إن لم يكن

---

(١) يعقوب ١ : ١ – ٦ (٢) الكتاب المقدس ط بيروت سنة ١٨٧٠م هامش ص ٥١٩
(٣) يعقوب ١ : ١٢ – ١٥ (٤) يعقوب ١ : ١٩ – ٢٥ .

له أعمال ميت فى ذاته ،لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال ،أرنى إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالى إيمانى ، أنت تؤمن أن الله واحد ، حسنا تفعل والشياطين يؤمنون ويقشعرون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت ؟ ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح ؟ فترى أن الإيمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الإيمان ، وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحُسِب له برا ، ودُعِى خليل الله . ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده ..... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت " (١) . يقول " وليم باركلى " : إن الشيئ الذى أنكره يعقوب هو الإيمان بدون عمل ، إذ ما من شخص يمكن أن يخلص دون أن يكون لإيمانه أى ثمر من أعمال صالحة ، لأن الشياطين مقتنعة اقتناعا تاما بوجود الله ، وهم يقشعرون أمام الله ، ولكن إيمانهم لم يغيرهم فى شيئ . كذلك الشخص الذى لا تأثير لإيمانه على حياته " (٢) . والحق أن مايقول يعقوب أمر بالغ الأهمية ، ولا شك أن يعقوب على حق . فقد كان يوحنا المعمدان يعلن على الملأ أن الناس يجب أن يصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، إذ يقول : " فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاد الإبراهيم " (٣) وكان المسيح يعلم الناس أن ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يصنع إرادة الله " (٤) . فالإيمان الذى لا يثمر الأعمال الصالحة عديم المنفعة ، إذ الإيمان لا ينعزل عن الأعمال الصالحة ، والإيمان لا يمكن أن يظهر إلا من خلال الأعمال الصالحة . والحياة المتوازنة عبارة عن إيمان وأعمال .

ثم يقول : " ياإخوتى لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر ، بل لتكن نَعَمكم نعم ولاكم لا ، لئلا تقعوا تحت دينونة . أعلى أحد بينكم مشقات فليصلّ ، أمسرور أحد فلير تّل ، .... اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشْفَوا ... إن ضل أحد بينكم عن الحق فردّه أحد ، فليعلم أن من رد خاطئا عن ضلال طريقه يخلص نفسا من الموت ويستر كثرة من الخطايا " (٥) .

---

(١) يعقوب ٢ : ١٤ — ٢٦ (٢) تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ١٦٠
(٣) متى ٣ : ٨ — ٩ ولوقا ٣ : ٨ (٤) متى ٧ : ٢١
(٥) يعقوب ٥ : ١٢ — ٢٠ .

فهنا يكرر يعقوب تعليم المسيح فى العظة على الجبل [١]، حيث انتشرت فى ذلك العصر عادة الإكثار من الأقسام لا لزوم لها، وذلك يدل على انتشار الكذب والخدع والبهتان. وكان " الأسينيون " يحرمون كل الأقسام، لأن من تعود على الحلف فإنه سيحلف باطلا إن عاجلا أو آجلا [٢]. ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الرسالة خالية تماما عن العقائد المسيحية، كالإيمان بتجسد الإله فى المسيح وألوهيته. ولا توجد فيها أية إشارة — لا من قريب ولا من بعيد — إلى صلب المسيح فداء عن خطيئة البشر ولا إلى قيامه من القبر، وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الله. كما أنها تخلو عن ذكر شيئ من قرارات مجمع أورشليم، الذى قال لوقا فى أعمال الرسل، أن يعقوب كان رئيسا لذلك المجمع، وكان يتقدم باقتراح إلغاء وجوب الختان وأعمال الفرائض الناموسية، وتحليل ما حرمته الشريعة، بما فيه الخنزير، والاقتصار على تحريم ثلاثة أشياء من المأكولات، بالإضافة إلى الزنا. بل إن القارئ لرسالة يعقوب يعلم أنها تخالف تماما عن بقية الرسائل، وخاصة رسائل بولس! وكما علمنا أن يعقوب هو من أقرباء المسيح المعروف بأخي الرب. عجيب أن تفلت هذه الرسالة عن التدمير، وأن تأخذ مكانها فى العهد الجديد. !

* أهم محتويات رسالتي بطرس (الأولى والثانية).

فى مطلع رسالته الأولى ادعى بطرس أن المسيحيين — سواء إسرائيليين أم أمميين — كلهم أمة مختارة بمقتضى علم الله، أو بعبارة أخرى هم شعب الله المختار. لأن نعمة الله شملت كل البشر وليست خاصة لإسرائيل فقط. ثم يقول: " مبارك أبو ربنا يسوع الذى حَسَبَ رحمته الكثيرة وَلَدَنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظا فى السموات لأجلكم " [٣] أى إن المسيحي شخص ولد ثانية، ليبدأ حياة جديدة مختلفة عن الماضى، وصار له الحق فى ميراث عظيم على حد زعمه. ثم أخذ يبين أن الخلاص الذى أتى به المسيح للناس أمر عجيب، حتى إن الأنبياء

---

(١) يقول المسيح فى عظته على الجبل: سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لا تحلفوا البتة، لا بالسماء لأنها كرسي الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم، ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير (متى ٥: ٣٣— ٣٧).

(٢) وليم باركلى تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ١٦٠.

(٣) ١ بطرس ١: ٣ — ٤.

كانوا يفتشـون ويبحثـون عنه، وكانت الملائكة تشتهى أن تطلع عليه. فيقول: " الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم، باحثين أىّ وقت أو ما الوقت الذى كان يدل روح المسيح الذى فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح وللأمجاد التى بعدها. الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التى أخبرتم بها أنتم بواسطة الذين بشروكم فى الروح القدس المرسل من السماء التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها "(١) أى إن الأنبياء قد تنبأوا بأنه يوما ما سيأتى شخص تتم فيه كل أحلامهم كما يزعمه. ثم يقول: " لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس ..... عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم. كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح، معروفا سابقا قبل تأسيس العالم. ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم "(٢). تحدث الكاتب هنا عن المسيح كالفادى والمحرر الذى أنقذ الناس من عبودية الخطية الموروثة من الآباء، فهو حمل بلا عيب أو دنس، وكان الفداء فى نظر الكاتب الذى تم بذبيحة المسيح أزليا. إذ كان فى ترتيب الله أن يقوم المسيح بعمل الفداء قبل تأسيس العالم (٣).

وبعد ذلك يقول: لذلك يتضمن أيضا فى الكتاب ها أنا ذا أضع فى صهيون حجر زاوية مختارا كريما والذى يؤمن به لن يخزى. فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما للذين لا يطيعون فالحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، وحجر صدمة وصخرة عثرة. الذين يعثرون غير طائعين للكلمة الأمر الذى جعلوا له، وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء ..... الذين قبلا لم تكونوا شعبا، وأما الآن فأنتم شعب الله، الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون "(٤).

يقول " القمص تادرس يعقوب ملطى " فى تفسيره لهذه الرسالة: إن الأب قد وضع ابنه كحجر زاوية فى صهيون أى فى الكنيسة، به يدخل المؤمن فى عضوية الكنيسة ليكون عضوا فى جسد الرب. فهو بالنسبة للمسيحيين حجر الزاوية السرى الذى ربط بين حائطين حائط العهد القديم وحائط العهد الجديد، وإنه بالنسبة للرافضين حجر صدمة

---

(١) ١ بطرس ١ : ١٠ — ١٢ (٢) ١ بطرس ١: ١٦ — ٢٠

(٣) تفسير: رسالة بطرس الأولى " القمص تادرس يعقوب ملطى "، ص ١٨ كنيسة مارجرجس باسبورتنج مصر ١٩٦٩ م.

(٤) ١ بطرس ٢ : ٦ — ١٠.

إذ اصطدموا بـه، وصخرة عـثرة. الصخرة بطبيعتها ضخـمة تليق بالسائر أن يراها، فلايصطدم بها لكـنهم هم فى عـدم إيمانهـم تعثروا فـيه." (١) هكـذا لما رفض اليهود الإيمـان به. ثـم يقول: "إن كنتـم تتألمون عامليـن الخير فتصبرون فهـذا فضل عـند الله، لأنكم لهذا دُعيتم. فإن المسيح أيضا تألـم لأجـلنا تاركا لنا مثالا، لكي تتبعـوا خـطواته ..... الذى حـمـل هو نفسـه خـطايانا فى جـسده على الخشبة، لكي تموت عن الخطايا فـنحـيا للبر ..... (٢) إن المـسيح تألم مـرة واحـدة من أجـل الخـطايا، البار من أجل الأثمـة، لكي يقربنا إلى الله ممـاتا فى الجسد ولكن محيى فى الروح ..... الذى مـثاله يخـلصنا نحن الآن أى المعمودية لا إزالـة وسـخ الجسد، بل سـؤال ضـمير صالح عـن الله بقيامـة يسوع المسيح، الذى هـو فى يميـن الله، إذ قـد مـضى إلى السمـاء وملائكـة وسـلاطين وقوات مخـضعـة له .... (٣) إن عُـيِّرتـم باسـم المسيح فطوبى لكـم لأن روح المجـد والله يحل عليكـم ...... (٤) وإله كـل نعمـة الذى دعانا إلى مجده الأبدى فى المسيح يسوع بعد ما تألـمتم يسيرا هو يكـملكم ويثبتكم ويقويكـم ويمكـنكـم." (٥)

يقول: "تادرس يعقوب" فى تفسيره لهذه الرسالة: إن من تألم من أجل عمـل الخير فيصبر فهذا أفضـل عـند الله، فقـد كان المسيح مـثالا للمتـألمين، إذ نزل بنفسـه وعاش بيننا وتألـم من أجـلنا، وكانت إرادتـه أن يقاد إلى الموت صـلبا ليحمل خـطايا البشر على كـتفـه، ويصلبها على الصـليب. وقـد تألم بالجسد مـرة واحـدة احـتمل أجـرة خطايا البشر فى جـسده هذه هي آلام الحـب ..... وهو محيى فى الروح لأنـه لم يخـطأ قـط فلم تذق روحـه الموت، وبسرّ المعمودية المقدسة نُـدفَـن ونقـوم مع المـسيح" (٦). ثم يقول تادرس يعقوب: إنـه مادامت آلام المسيحى وتعييراتـه نابعـة عـن اسم المـسيح فطوبى له، فإن الروح القدس يحل عـليه من أجـل الرب، لكي يحـمل أتعابـه ويسنده، ولكي يهـبه مجدا، فإن المعركـة ليس سـببها البشـر بل فى حـقيقـتها هي معركـة بين الله والشيطان. فإبليـس هـو الخـصم، وإله كل نعمـة هو الذى يكـمل ويثبت ويمكـن المسيحى على النصر" (٧).

أما رسالته الثانـية: فيسـتهل بطـرس فيها بتقـديم نفسـه كعبد للمسيح ورسولـه.

---

(١) تادرس يعقوب ملطى، تفسير رسالة بطرس الأولى، ص ٢٩.

(٢) ١ بطرس ٢: ٢٠ — ٢٤

(٣) ١ بطرس ٣: ١٨ — ٢٢

(٤) ١ بطرس ٤: ١٤

(٥) ١ بطرس ٥: ١٠

(٦) تفسير رسالة بطرس الأولى، ص ٤١.

(٧) المرجع السابق، ص ٧٦.

مع إقراره بالمساواة بين إيمانه بالمسيح وإيمان الأمم . ثم حضهم على اكتساب الفضائل استعدادا للدخول في ملكوت السموات . فيقول : " إن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة ، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية .... لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصالحة . لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا " (١) . فبطرس أراد أن يحث المسيحيين على أن يبذلوا كل اجتهاد للقيام بجميع الفضائل ، إذ الحياة المسيحية كما يراه يجب أن يتلاقى المجهود البشرى مع نعمة الله ، لأن الإيمان الذى لا يظهر فى الحياة العملية ليس إيمانا على الإطلاق .

كما يحثهم ليجعلوا دعوتهم ثابتة فإن الله دعاهم برحمة ونعمة ، لكن فى نفس الوقت يجب أن يبذلوا جهدا لكي يمتازوا بهذه الدعوة (٢) . كما حذر بطرس المسيحيين بظهور المعلمين الكذبة بينهم فيقول : " ولكن كان أيضا فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضا معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك ، وإذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكا سريعا " (٣) . وأخيرا وصف بطرس مجيء المسيح الثانى قائلا : هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء .... لتذكروا الأقوال التى قالها سابقا الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل .... عالمين هذا أولا أنه سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزؤن ...... قائلين أين هو موعد مجيئه ...... ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد ، أن يوما واحدا عند الرب كألف سنة ، وألف سنة كيوم واحد لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ . لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة ، ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السموات بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها .... يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة ...... ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر " (٤) .

---

(١) ٢ بطرس ١ : ٣ — ١٠

(٢) الكتاب المقدس ط بيروت ١٨٧٠ هامش ص ٥٢٠

(٣) ٢ بطرس ٢ : ١ — ٢

(٤) ٢ بطرس ٣ : ١ — ١٣ .

＊ أهم محتويات رسائل يوحنا (الأولى والثانية والثالثة) ＊

يقول يوحنا فى بداية رسالته الأولى : " الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة . فإن الحياة أُظْهِرَت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الأب وأُظْهِرَت لنا ، الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضا شركة معنا . وأما شركتنا نحن فهي مع الأب ومع ابنه يسوع المسيح " (١) صرح يوحنا مدعيا أن له الحق فى الكلام . وهذا الحق يكفله أمر واحد ، وهو اختباره الشخصى للمسيح ، إذ قد سمع كلامه ورآه بعينيه ولمسه بيديه . فهنا أثبت يوحنا أن المسيح الذى عرفه كان رجلا من الرجال ، كان إنسانا من لحم ودم ، لكن ـ على حسب زعمه ـ كان منذ البدء ، أى إن الأبد قد دخل إلى الزمن فى شخص المسيح ، وإنه فيه ، قد دخل الإله الأزلى شخصيا إلى دنيا البشر . وعن طريق هذا العمل جاءت إلى البشر كلمة الله ، الكلمة التى تستطيع أن تحيل الموت حياة . ويرغب يوحنا فى أن تكون للمسيحيين شركة مع الله ، ومع ابنه يسوع المسيح (٢) . ثم يقول : " يا أولادى أكتب إليكم هذا لكي لاتخطئوا ، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا ...... أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه " (٣) .

يقول " وليم باركلى " عند تفسيره لهذه النصوص : إن المسيح هو الشخص الذى فيه وبواسطته يتلاشى كل مذنوبية الخطية السالفة ، وشرور الخطية الحالية ، وعن طريق العمل الذى قام به رفع عن البشر قصاص الخطية ، فيأتيهم بالصفح الإلهى من الخطايا ويكسوهم برداء جديد من القداسة ، ولم يكن ذلك من أجل المسيحيين فقط لكنه من أجل العالم بأسره " (٤) . ثم يقول صاحب الرسالة : " انظروا أية محبة أعطانا الأب حتى نُدْعى أولاد الله .... أيها الأحباء نحن أولاد الله ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا أُظْهِر نكون مثله لأننا سنراه كما هو ...... أيها الأولاد لايضلكم أحد من يفعل البر فهو بار ، كما أن ذاك بار ، من يفعل الخطية

---

(١) ١ يوحنا ١ : ١ ـ ٣
(٢) الكتاب المقدس ط بيروت سنة ١٨٧٠م هامش ص ٥٢١ .
(٣) ١ يوحنا ٢ : ١ ـ ١٢
(٤) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ٧١ .

فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ، لأجل هذا أُظهِر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس ..... وهذه هي وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، ونحب بعضنا بعضا كما أعطانا وصية، ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذى أعطانا ." (١) أراد يوحنا بهذا الكلام أن يذكر قومه بالامتيازات التى نالوها، ومن أعظم تلك الامتيازات — كما يراه — هو أن يُدْعَوا أولاد الله. وكان يوحنا يزعم أن الإنسان قد خلق على صورة الله، (٢) ثم أفقد الإنسان ذلك النصيب. ولكن يمكن للإنسان أن يعود إلى حالته الأولى عن طريق عمل المسيح، وسوف يحمل الإنسان فى النهاية صورة الله وشبهه. فالمسيحي إذن فى طريقه إلى صورة الله . كما ذكر يوحنا أن الخطية تبطل عمل المسيح، فارتكاب الخطية نتيجة الفشل فى الثبوت فى المسيح . لأن الخطية تأتى من إبليس، وإبليس هو الذى يخطئ من البدء، ويأخذ الخطية قاعدة أساسية، والمسيحى يستطيع أن يهزم الخطية باعتماده على المسيح الغالب المنتصر، الذى حارب وانتصر على كل قوات الشر (٣) .

ثم يواصل يوحنا حديثه عن الأمرين المقبولين فى نظر الله حسب رأيه وهما :

١ — الإيمان باسم ابنه يسوع المسيح أى الإيمان بطبيعة المسيح وشخصه، وهو ابن الله ومخلص البشر .

٢ — أن يحب بعضهم بعضا كما أوصاه هو، لأن الإيمان الحقيقى لابد أن يترجم إلى الأعمال الصالحة . (٤)

ثم يقول يوحنا : " أيها الأحباء لاتصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم ..... كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله، وكل روح لايعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله، وهذا هو روح ضد المسيح الذى سمعتم أنه يأتى والآن هو فى العالم .... ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصا للعالم. من اعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو فى الله .... الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه ." (٥)

---

(١) ١ يوحنا ٣ : ١ — ٢٤ (٢) مشيرا إلى ماجاء فى التكوين فخلق الله الإنسان على صورته (١ : ٢٧)

(٣) وليم باركلي تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ١٢٨ .

(٤) الكتاب السابق ص ١٤٣ (٥) ١ يوحنا ٤ : ١ — ١٦ .

أراد يوحنا أن ينبه قومه من الأرواح (الأشخاص) لكي تبينوا المصدر الذى منه يستمد وجودها . ثم أخذ يوحنا يضع تعليمه العقدى فى الدين المسيحى الذى يتلخص فى عبارة " الكلمة صار جسدا وحل بيننا " ثم يؤكد زعمه أن كل روح من الله لا بد أن يحترف بأن يسوع هو المسيح ، وأنه قد جاء فى الجسد حقيقة التجسد . وأى روح ينكر حقيقة التجسد يحتبر إنكارا كاملا لبشرية المسيح ، الأمر الذى يهدم العقيدة المسيحية من أساسها ، فهو ليس من عند الله . كما تحدث يوحنا عن حقيقة المسيح ، وعن شهادتها الأساسية فى الديانة المسيحية ، وهى : أن الله قد أرسل ابنه يسوع المسيح مخلصا للعالم . وليس الأمر قاصرا على من شاهده لما كان على الأرض فحسب ، بل إن كل من اعترف بالإيمان القلبى أن يسوع ابن الله ، فالله يثبت فيه ، وهو فى الله ، كما يزعمه .[1] وهذا ما يحتقده المسيحيون بأنهم أبناء الله متحدين فيه !

وتختتم الرسالة الأولى ليوحنا بتعاليم أساسية فى المسيحية ، التى يجب على المسيحيين قبولها والإيمان بها ، وتسمى هذه التعاليم فيما بعد " شهادة مسيحية " فيقول : " كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِد من الله ، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضا ...... إن كل من ولد من الله يغلب العالم ، وهذه هى الغلبة التى تغلب العالمَ إيمانُنا ، من هو الذى يغلب العالم إلا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله . هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح ، لا بالماء فقط بل بالماء والدم ، والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق ، فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة ، الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد ، والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم . والثلاثة هم فى الواحد ، إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم ، لأن هذه هى شهادة الله التى قد شهد بها عن ابنه . من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة فى نفسه ، من لا يصدق فقد جعله كاذبا لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله عن ابنه ، وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه ، من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة " .[2]

---

(١) متى بهنام " مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " ج ٢ ، ص ٢٧٨ .
(٢) ١ يوحنا ٥ : ١ — ١٢ .

قوله: " إن كل من ولد من الله يغلب العالم " أى إن المسيحى لديه ما يجعله قادرا على أن يغلب العالم من إيمانه بالتجسد ،كما فسره بذلك " وليم باركلى ".فإن الإيمان بالتجسد يعنى الإيمان بأن الله فى المسيح ،وقد دخل إلى العالم ،وأخذ الطبيعة البشرية . وهذا يعنى أن الله قد اهتم بالبشر إلى الحد الذى جعله يخلى ذاته من مجده ،ويضعها فى نطاق البشرية المحدودة . وبقيامه بهذا العمل يكون قد اشترك مع البشر فى مواقفه ،وفهم كل مايحدث لهم تماما ،ويكون قد اختبر فى جسم بشريته كل ما يصادفه البشر فى حياتهم من تجارب وآلام . وقوله : " هذا هو الذى أتى بماء ودم " أى إن يسوع لم يأت بالمعمودية فقط ،ولكن كما يأتى بالمعمودية يأتى أيضا بالصليب ،كما ذكره " وليم باركلى ".فيسوع بصفته كمسيح قد قام بعمل المعمودية والصليب . وهذا الكلام رد على أتباع " كيرنثوس " الذين كانوا ينكرون عقيدة التجسد ، ورفضوا الإيمان بأن الله قد جاء فى جسد بشرى ،وأن الله يعانى ما يعانيه الجسد من آلام . إذ يقول " كيرنثوس " فى المعمودية هبط المسيح من السماء فى هيئة حمامة ،وحل فى جسد الإنسان يسوع حاملا للناس رسالة من الله ،وعاش المسيح فى يسوع فى كمال تام ،ثم ترك جسد يسوع ،ورجع إلى السماء . وأن الذى صلب على صليب الجلجلثة لم يكن هو المسيح لكنه يسوع الإنسان ".(١) أى إن يسوع صار إلها عند معموديته ، وهذا اللاهوت قد فارقه عند صلبه ،ولم يكن المصلوب غير مجرد إنسان عادى .(٢)

ثم يدعى يوحنا فى هذه الرسالة أن الثلاثة فى السماء قد شهدوا بلاهوت المسيح وبنوته لله هؤلاء الشهود الثلاثة (الأب والكلمة والروح القدس) هم واحد فى الذات والجوهر . كما أن الثلاثة فى الأرض قد شهدوا بذلك أيضا . وهؤلاء الثلاثة (الروح والماء والدم) هم يشهدون فى معنى واحد ،وفى حقيقة واحدة . أما شهادة الروح فإنه نزل على يسوع فى معموديته نزولا تاما ،واستقر فيه بصفة دائمة . وأما شهادة الماء ففى معمودية يسوع نفسه بيد يوحنا فى نهر الأردن . وأما شهادة الدم فالمسيح قدم دمه فى الصليب لله فداء للبشر لأجل مصالحتهم مع الله ،وإعطاءهم

---

(١) وليم باركلى تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ١٧٤ .
(٢) انظر ص ٢٨٠ — ٢٨١ من هذه الرسالة .

سلاما معه . كما حذر يوحنا قومه قائلا : إن أى إنسان رفض قبول هذه الشهادة فإنه برفضه هذا يعلن أن الله كاذب، لأنه يرفض تصديق شهادة الله . وهذا كفر ما بعده كفر ! على زعمه . وتنتهى الرسالة بتقرير جوهر الحياة المسيحية، وهو الحياة الأبدية . إنها حياة الهدوء والاستقرار، حياة الغلبة والانتصار، حياة القوة وحياة الطهارة وحياة المحبة، حياة تحررت من جميع المخاوف التى تحيط بالبشرية . وزعم يوحنا أن مثل هذه الحياة لاتأتى إلا عن طريق الإيمان بيسوع المسيح ابن الله (١) .

أما الرسالة الثانية : ففيها حذر يوحنا قومه عن بدعة المعلمين الذين أنكروا عقيدة التجسد، فيقول : قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لايعترفون بيسوع المسيح آتيا فى الجسد، هذا هو المضل والضد للمسيح .... كل من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح فليس له الله، ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الأب والابن جميعا، إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة " (٢) .

كما يحث يوحنا فى رسالته الثالثة " غايُس " المرسل إليه، على الثبات فى الخير والتقوى، فيقول : " أيها الحبيب لا تتمثل بالشر بل بالخير، لأن من يصنع الخير هو من الله ومن يصنع الشر فلم يبصر الله " (٣) .

هكذا، فإن رسائل يوحنا ـ وخاصة رسالته الأولى ـ لها أهميتها فى نظر المسيحيين . إذ فيها تعاليم جوهرية للديانة المسيحية . وسوف نرى أثرها الكبير فى تقرير العقائد المسيحية المنحرفة، مثل التجسد وألوهية المسيح وبنوته، وموته صلبا فداء عن الخطايا البشرية، وكذلك التثليث، فى الباب التالى . وهي الوحيدة من بين الأسفار كلها التى تصرح بالثالوث الوحدوى، أو التوحيد الثالوثى كما يقولون . بخلاف غيرها من الرسائل، إذ لانجد فيها نصا صريحا بالتثليث .

---

(١) وليم باركلى تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ١٨٠، و : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية " ج ٢، ص ٢٧٩، و : Analisa Al-Kitab، ص ١٢٨ .

(٢) ٢ يوحنا ٧ ـ ١١ (٣) ٣ يوحنا ١١ .

* أهم محتويات رسالة يهوذا *

بعد التحية والسلام حذر يهوذا قومه عن الخطر الموجودة داخل الكنيسة. إذ كان بعض الأشخاص قد تسللوا خلسة، ودخلوا الكنيسة، وكانوا يحولون نعمة الله إلى دعارة. ظانين أنه كلما كثرت الخطية ازدادت النعمة. هذه النعمة التي تستطيع أن تغفر كل خطايا الإنسان، فهي كفيلة لمحوها. فيقول الكاتب: " إنه دخل خلسة أناس قد كُتِبوا منذ القديم لهذه الدينونة فُجّار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة، وينكرون السيد الوحيد الله .... هؤلاء صخور في ولائمكم المحبّيّة صانعين ولائم معا بلا خوف راعين أنفسهم ... هؤلاء هم مدمدمون متشكّون سالكون بحسب شهواتهم. وفمهم يتكلم بعظائم، يحابون بالوجوه من أجل المنفعة. "(١)

ويجدر أن يذكر أن هذه الرسالة تخلو عن ذكر أي شيئ يتعلق بالعقائد المسيحية، رغم أن كاتبها من أقرباء المسيح، المعروف بأخي الرب. وهكذا لقد عرضت عرضا مستفيضا أهم ما تحتويه رسائل الرسل التعليمية في العهد الجديد، كما يقصده أصحابها. معتمدا على أقوال المفسرين واللاهوتيين، من دون تعليق ولا نقد، حتى أصبحت تلك التعاليم واضحة لنا كل الوضوح. وسوف نعرف مدى تأثير تلك الرسائل في انحراف المسيحية، عقيدة وشريعة، في الباب التالي.

---

(١) يهوذا ٤ - ١٦.